

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمدة لخضر الوادي



قسم التاريخ

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

تراجع مداخيل البحرية الجزائرية في عهد الدائيات وانعكاساتها على المستوى الداخلي والخارجي

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث (L M D) في التاريخ
تخصص : تاريخ بلاد المغرب الحديث

إشراف الأستاذ الدكتور :

رضوان شافو

إعداد الطالبة :

هيبه كنيوة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الإنتماء	الصفة
معاذ عمراني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيساً
رضوان شافو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفاً ومقرراً
موسى بن موسى	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	ممتحنا
حمدادو بن عمر	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي تندوف	ممتحنا
عبد الرحمان تونسي	أستاذ محاضر - أ-	جامعة خميس مليانة	ممتحنا
فاتح باهي	أستاذ محاضر - أ-	جامعة الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية : 1443-1444 هـ / 2022-2023 م



سُكْرُ وعرفاء

قال رسولنا الكريم عليه أفضل الصلّاة والسّلام « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم

يشكر النّاس لم يشكر الله »

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات وبنوره تنزل البركات، ومن تمام شكر الله التّقدّم بأسمى عبارات الشّكر والإمتنان إلى كلّ من ساعدني في إنجاز هذا العمل وتذليل كلّ ما واجهني من صعوبات وأخصّ بالذكر أستاذي الفاضل البروفيسور "رضوان شافو" على ما قدّمه لي من تحفيزات وإرشادات ونصائح وتوجيهات.

كل الشّكر والعرفان لأساتذتي بجامعة الشّهيد حمّة لحضر وبالأخصّ أساتذة قسم التاريخ وأخصّ بالذكر الأستاذ "محمد حركات" والأستاذة "فرحات الكاملة" على تشجيعهم المتواصل لي. كما لا يفوتني أن أتقدّم بجزيل الشّكر للأستاذ خليفة حمّاش على رحابة الصّدر، والأستاذ محرز أمين وصلاح الدّين بن نعوم؛ اللّذان سانداني وذلك بمنحي بعض الوثائق القيّمة.

كما يمتدّ شكري وتقديري إلى عدد من الأصدقاء الذين وجدت فيهم النّصح والتّشجيع وإلى كلّ من ساهم معي لإنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

الإهداء

إلى روح أبي الطاهرة في مستقرّ رحمته .

إلى حبيبة القلب أُمّي الغالية أطال الله في عمرها ومتّعها بالصّحة،

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة، إلى مرياحين حياتي (إخوتي

وأخواتي)

إلى من كانوا ملاذي وملجئي دون مقابل .

إلى روح الأستاذ "مراد كحلوش" مرحمات مربّي عليه

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل .

قائمة المُختصرات:

ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
ج	جزء
مج	مجلد
د. ط	دون طبعة
د. س. ن	دون سنة نشر
تر، تق، تص، تع	ترجمة، تقديم، تصدير، تعليق
المكتبة الوطنية الجزائرية	م. و. ج

Liste des abréviations :

Page	P
Tome	T
Volume	V
La revue africaine	R. A
Numéro	N°
Operato Citato	Op.Cit
Archives Nationales d'Outre-Mer, Aix-en-Provence	ANOM
Bibliothèque nationale de France	Bnf
Research ANd Development	RAND
Agence Nationale de l'Edition et de la Publicité	ANEP

المقدمة

عرفت البحريّة الجزائريّة خلال العهد العثماني تطوّرات مختلفة، أكسبتها سمعة عالميّة، والتي سترافقها حتّى تحطيم الأسطول البحريّ الجزائريّ إثر الهجوم الإنجليزي الهولندي بقيادة اللورد اكسموث سنة 1816م، لكن من المفارقات أنّ تراجع سمعة البحريّة الجزائريّة، سيرافقه ظهور أصوات تنادي بضرورة القضاء عليها، بحجّة أنّها تعرقل الملاحة البحريّة في البحر الأبيض المتوسط، وأنّها كانت وكرًا للقرصنة وعشًا للصّوص، هاته الحجج هي التي ستتخذها السّياسة الاستعماريّة التّوسّعيّة الفرنسيّة منطلقًا لعملية غزوها للجزائر سنة 1830م.

صحيح أنّه منذ نشأة البحريّة الجزائريّة، على يد خير الدّين بربروس، كان لها دورًا فاعلاً، في الأحداث التي جرت في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، في ظلّ المواجه بين القوّتين الكبريتين (الدّولة العثمانيّة، وإسبانيا)، لتحقيق أهدافهما، فكانت أعمال البحريّة الجزائريّة جزء لا يتجزأ من تلك المواجهات، ولكن عند إنصرافهما إلى ميادين أخرى تدور رحالها خارج المتوسط؛ ألغى الحمل على عاتق البحريّة الجزائريّة، لمجابهة القوى الأوروبيّة الراغبة في السّيطرة على التّجارة العالميّة، وإيجاد موطئ قدم في الحوض الغربي للبحر المتوسط، من خلال فرض منطقها التّجاري ولو بالقوّة. لتكون أعمال البحريّة الجزائريّة ردّة فعل على تلك الهيمنة التّجاريّة وأخذ نصيبها، كما عرّفها الأستاذ عبد القادر جغلّول وحسن إميلي، أنّ أعمال البحريّة أو القرصنة ما هي إلا ردّة فعل على الهيمنة العالميّة للتّجارة. ونظراً لحجم أسطولها، وما جلبته من غنائم، سُمّيت هاته الفترة بالعصر الذهبي للبحريّة الجزائريّة.

فكان لبحرية الإيالة في عصرها الذهبي دورًا كبيرًا حيث ساهمت في وضع الأسس السّياسيّة، والعسكريّة، للجزائر العثمانيّة، وفي رسم ملامح السّياسة الخارجيّة المعتمدة من قبل الحكّام، كما كان لها دورًا بارزًا في رسم السّياسة الماليّة طيلة فترة الحكم العثماني.

فعندما كانت أعمال البحريّة تتحصّل على غنائم كثيرة ومتنوّعة وتدرّ أموالاً كبيرة، كان الاعتماد المالي الشبه كلّيّ يرتكز عليها، ولكن عندما أخذت مواردها تتّجه نحو التّراجع خاصّةً في النّصف الثّاني من القرن السّابع عشر الميلاديّ (17م)، حتمّ بالضرّورة البحث عن موارد ماليّة أخرى.

إنَّ جُلَّ الدِّراسات الَّتِي جعلت من البحريَّة الجزائريَّة منطلقاً لبحوثها، قد لامستْ أغلب جوانبها؛ سواءً كانت المعدَّات البحريَّة من سفن ولوازمها، أو الرِّياس والعلوج، أو تأثيرها على الأوضاع السياسيَّة والعسكريَّة، وحتى الاقتصاديَّة والماليَّة، المتعلِّقة بالمدخيل من غنائم بشكل مباشر، كما لامستْ جانبا من تراجعها، وفي هاته الدِّراسة سأحاول التَّركيز أكثر في مسار مدخيل البحريَّة الجزائريَّة طيلة فترة حكم الدَّيَّات، في محاولة لإظهار تراجعها، ومدى تأثيره على سياسة الماليَّة المتَّخذة من قبل الإيالة لتدارك ذلك التَّراجع، تحت عنوان: "تراجع مدخيل البحريَّة الجزائريَّة في عهد الدَّيَّات وانعكاساتها على المستوى الدَّاخلي والخارجي".

دواعي اختيار الدِّراسة:

إنَّ ما دفعني للخوض في هاته الدِّراسة هو:

- الرِّغبة في دراسة جزء مهمٍّ من تاريخ الجزائر الحديث ألا وهي البحريَّة الجزائريَّة، في محاولة للتَّركيز على مساهمتها في الجانب المالي للخرينة وللوضع الاقتصاديِّ عامَّةً.
- إبراز الدور الهامَّ لمدخيل البحريَّة الجزائريَّة ومدى تأثيره في السِّياسة الماليَّة المنتهجة من قبل الحُكَّام قبل وأثناء فترة البحث، ومن أجل إحداث توازن مالي يستطيعون من خلاله توفير الحاجيات اليوميَّة للإيالة، ورواتب الجيش الإنكشاري.
- وضع دراسة إحصائيَّة تُبيِّن مسار تراجع المدخيل البحريَّة عبر فترة الدِّراسة، وإبراز أنَّ هذا التَّراجع لم يكن بشكلٍ متواصلٍ ومنتظمٍ، بل تخلَّله فترات المدِّ والجزر، وفترات من الانتعاش والذي لم يدم طويلاً بعد انتهاء الظَّرفيَّة التَّاريخيَّة (الحروب الأوروبيَّة)، وبالتالي دحض الشَّماعة الَّتِي علقت عليها الدَّعاية الإستعماريَّة، ودواعي احتلالها للبلاد.
- دراسة واقع البحريَّة الجزائريَّة، الَّتِي اتَّخذت كذريعة لتبرير السَّيطرة الإستعماريَّة، بأنَّها معرَّقة للملاحة البحريَّة، حيث طُرِحَتْ خلال الوفاق الأوروبيِّ في الرِّبع الأوَّل من القرن النَّاسع عشر الميلادي (19م)، من خلال التَّعرِّف على مسار مدخيل البحريَّة، وكيف كان الاتِّجاه الَّذِي سارت عليه، والنتائج الحتميَّة له؟

أهمية الدراسة وأهدافها:

تعود أهمية الدراسة إلى كونها تسلط الضوء على جزئية معينة من موضوع مهم في تاريخ الجزائر الحديث، ألا وهي تتبع مسار مداخل البحرية الجزائرية وتخصّ بالذات غنائم البحر، ومعرفة أسباب تراجعها، خاصة أنّ مداخل البحرية جعلت في كتابات المدرسة الإستعمارية العصب الرئيسي لخزينة الإيالة، في وقت لم تكن فيه قادرة حتّى على أن تسدّ الاحتياجات اليومية للإيالة، ممّا جعل القائمين على السلطة يلجؤون إلى سياسة مالية أخرى تستدرك بها النقص الملحوظ في موارد الخزينة، وهذا ما يدحض الشّماعة التي ما فتأت السياسة الإستعمارية تعلّق عليها سبب احتلالها للجزائر. هذا ما أكسب الدراسة أهمية من حيث إبراز إحصائيات مدى النقص في إيرادات البحرية وأنها لم تعد معرّقة لأيّ نشاط تجاريّ في البحر الأبيض المتوسط.

وتهدف الدراسة إلى:

- المساهمة في كتابة تاريخ الجزائر الحديث في الجانب العسكري والاقتصادي.
- التّعرف على واقع السياسات المالية للجزائر العثمانية وخصائصها.
- تأثير السياسة المالية المعتمدة في العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

الحدود الزمكانية للدراسة:

ينحصر الإطار الزماني للموضوع في فترة حكم الدّايّات أي (1671-1830م)، الفترة التي سينفرد فيها الدّاي بالقرارات، حيث سيكون على رأس السلطة التشريعية للبلاد، وما مجموعة الوزراء إلّا السلطة التنفيذية لأوامر الدّاي، والذي تجسّد بشكل أوضح بعد الاستقلال عن الدّول العثمانية سنة 1711م؛ هاته الفترة التي ستشهد تقييدا لأعمال البحرية، وتحول مهامها من البحث عن الغنائم إلى الضّغط من أجل تحصيل الأتاوات.

أمّا الاطار المكاني فهو بطبيعة الحال المجال البحري الذي تخوض فيه البحرية الجزائرية جلّ أعمالها أي السّواحل الجزائرية والحوّض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وأحيانا المحيط الأطلسي. ليس هذا فقط فالإشكالية تقوم على متغيّرين اثنين، وهما تراجع المداخل وما سيترتّب عليه من انعكاسات، والمقصود به السياسة المالية المعتمدة من قبل

القائمين على الحكم لتدارك ذلك التراجع، والتي بدورها مست السّكان داخل الولاية، والجارة تونس وأغلب الدّول الأوروبيّة المتاجرة في البحر المتوسّط، وحتىّ أمريكا.

إشكاليّة الدّراسة:

إنّ إشكاليّة الدّراسة تتمركز حول تتبّع مسار مداخل البحريّة خلال فترة حكم الدّايّات 1671-1830م، والبحث على العوامل المتحكّمة فيها، خاصّة أنّ المداخل كانت تؤثر بشكل مباشر في السّياسة الماليّة للإيالة، وبالتالي كان لها تأثيراً على السّياسة الداخليّة والخارجيّة المتخذة من قبل القائمين على الحكم.

وحتىّ أستطيع دراسة هاته الإشكاليّة وضعتُ مجموعة من النّسأولات الفرعيّة لها وهي:

- كيف كانت مداخل البحريّة في العصر الذهبي لها؟ وماهي عوامل ومظاهر ازدهارها؟
- ما هي العوامل المتسبّبة في تراجع مداخل البحريّة وماهي مظاهرها؟
- ماهي السّياسات الماليّة التي اعتمدت لتغطية العجز المالي الذي سببه التراجع؟
- كيف انعكست تلك السّياسة على المستوى الداخليّ والخارجيّ؟

الدّراسات السّابقة

- اعتمدتُ على العديد من الدّراسات السّابقة والتي ساعدتني في إنجاز هذه الدّراسة وقد كانت درجة الاستفادة منها متفاوتة، ومن بين هذه الدّراسات رسالة دكتوراه لسمير مشوشة بعنوان "الموارد البحرية للجزائر العثمانيّة خلال القرنين 11-12هـ/ 17-18م"، وتعتبر من أهمّ الدّراسات السّابقة التي تتلاقى في كثير من جزئيّات الدّراسة وقد أفادتني كثيراً، وتميّزت هاته الدّراسة بتنوّع مصادرها وثراء مراجعها.

- ومن الدّراسات التي استفدتُ منها أيضاً، رسالة ماجستير لمحمّد الأمين عطلي بعنوان "نشاط البحريّة الجزائريّة في القرن السّابع عشر وأثره في العلاقات الجزائريّة الفرنسيّة"، وكانت هاته الرّسالة أوّل الدراسات التي وضعتني في السّياق العام لموضع دراستي وفهم ملامحها العامّة.

- رسالة دكتوراه لقرباش بلقاسم بعنوان "الأسرى الأوربيون في الجزائر خلال عهد الدايّات (1671-1830)"، تعتبر هاته الدّراسة ذات قيمة علميّة كبيرة نظراً لكميّة المصادر والمراجع المعتمدة في إنجازها خاصّة الأجنبيّة وبالأخصّ باللّغة الإنجليزيّة، وقد استفدت منها كثيراً في جزئيّة الأسرى.
- كما اعتمدتُ على العديد من الكتب الأكاديميّة حيث استفدت منها بدرجات متفاوتة ومن أهمّ هاته الكتب نذكر:
- كتاب المنور مروش "دراسات عن الجزائر في العهد العثماني بجزئيّه الأوّل "العملة، الأسعار، والمداخل"، والجزء الثاني "القرصنة، الأساطير، والواقع"، وكان لهذا المرجع أهميّة بما كان نظراً اعتماد الباحث في مراجعه ومصادره على وثائق مصدريّة من رسائل القناصل وأرشيف القنصليات الأجنبيّة، وأغلب أعداد جريدة لاغازيت La Gazette، وقد جانبّت هاته الدّراسة أغلب جزئيات موضوع بحثي وكانت درجة استفادتي منه كبيرة خاصّة في تحليل أسباب تراجع الغنائم.
- كما تعتبر دراسات الباحث ناصر الدّين سعيديوني من أهمّ الدّراسات السّابقة لكلّ من يقوم بالبحث في التّاريخ الجزائر الحديث، من أهمّها "النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانيّة 1800-1830م"، ودراسته "ورقات جزائريّة"، و"الجزائر في العهد العثماني".
- هذا بالإضافة كتب جمال قنان "معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830"، "العلاقات الفرنسيّة الجزائريّة 1790-1830"، "نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830".

مناهج الدّراسة

إنّ مثل هاته الدّراسات التّاريخيّة ذات المقاربة الاقتصاديّة، تتطلّب تنوّعاً في استخدام المناهج للوصول إلى نتائج أدقّ، وللاجابة على الإشكاليّة الجوهريّة للدّراسة وتساولاتها الفرعيّة استخدمت المناهج التّالية:

-المنهج التّاريخي بحكم أنّ الموضوع ذو صبغة تاريخيّة؛ فإنّ استخدامي لهذا المنهج جاء من أجل استتطاق الوثائق ولسرد بعض الأحداث كرونولوجيا حسب سياقها التّاريخي وقد رافق كلّ أجزاء الدّراسة.

- المنهج الوصفي والذي رافق أغلب فصول ومباحث الدراسة من حيث وصف العديد من الأحداث التاريخية كالهجومات على إيالة الجزائر من قبل الأساطيل الأوروبية وغيرها من الأحداث.
 - المنهج الإحصائي والذي وظفته كثيراً في الفصل الثالث المتعلق بحسابات عدد الأسرى وقيم الغنائم خلال فترة الدراسة.
 - المنهج المقارن من خلال المقارنة بين الإحصائيات المختلفة في المصادر والوثائق، والمقارنة بين الروايات والكتابات المتعلقة ببعض أحداث البحريّة الجزائريّة (كالاختلاف الموجود بين كتاب المنور مروش الجزء الثاني "القرصنة الأساطيل والواقع"، وكتاب ناصر الدين سعيدوني "ورقات جزائريّة في إحصائيات الغنائم للفترة 1817-1827م")
 - والمنهج التحليلي رافق المبحث الثالث لتحليل النتائج المتحصّل عليها.
- مصادر ومراجع الدراسة:**

لقد اعتمدتُ في هاته الدراسة على مجموعة متنوّعة من المادّة العلميّة، منها وثائق أرشيفيّة ومخطوطات، وسجّل غنائم البحر، وكتب مصدريّة سواء كانت بالعربيّة لمن عاصر أحداث هاته الفترة، أو كتب أجنبيّة مترجمة وغير مترجمة سجّلها الرّحالة والقناصل، تحتوي على معلومات مهمّة حول موضوع الدراسة؛ مع الحذر في تناول معطياتها لإنجاز الدراسة بموضوعيّة، وكذلك تمّ الاعتماد على جملة من المراجع وعلى رأسها الدراسات الأكاديميّة التي تناولت الموضوع سواء باللّغة العربيّة أو اللّغات الأجنبيّة.

1- الأرشيف: اعتمدتُ على مجموعة من الوثائق الأرشيفيّة، من المكتبة الوطنيّة الموجودة بقسم المخطوطات، الرّصيد العثماني، حيث كان إعتماذي على المجموعات التّالية:

- المجموعة رقم 1903، والمجموعة رقم 3190، والمجموعة رقم 3206، والمجموعة رقم 3205، والمجموعة رقم 3204، والتي استقدتُ من بعض المراسلات التي تحتويها. كما تحصّلتُ على وثيقة مهمّة استعملتها في الفصل الأخير من خزانة أسرة المشارف، تيزي، ولاية معسكر، من عند الباحث صلاح الدّين بن نعوم.

- زيادة على أنني تحصلتُ على وثيقة مهمة جدًا وهي سجل غنائم البحر "النسخة العثمانية"، من أرشيف ما وراء البحار أكس آن بوفانس تحت رقم **MI-15. Registre du 15beylik n° 19**، مُنح لي من طرف الباحث "محرز أمين".

- هذا بالإضافة إلى أنني اعتمدتُ على بعض الوثائق الأرشيفية، المتاحة عبر المكتبات الرقمية كالمكتبة الأمريكية، و المكتبة الإسبانية، والموقع الإلكتروني الأوروبي للمنصة EUROPEANA، وموقع أرشيف أكس أون بروفانس ANOM

2- المخطوطات: حيث اعتمدت على بعض المخطوطات التي تمّ تحميلها عندما فتحت المكتبات الإلكترونية وقت بداية جائحة كورونا (Covid 19)، وتتناول جانب من جوانب الدراسة، كمخطوط ذكر طرف من ولاية المرحوم صالح باي أمير ببلدة قسنطينة، لصاحبه محمد الطاهر بن أحمد، يحتوي على 70 صفحة، غير مرقمة وأحيانا نجد أرقام في بعض الصفحات، غير محقق، من المكتبة الوطنية التونسية تحت رقم h.0 263.OR، ذكر العديد من الأحداث التي تلامس الموضوع، كالحملة الإسبانية على الجزائر، الضرائب المستخلصة من السكان، المحلات العسكرية لتأديب القبائل المتمردة،..الخ، لكن كان تناوله للمواضيع بشكل مختصر جدًا.

- **مخطوط: العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع**، تأليف بالإسبانية الرئيس إبراهيم بن أحمد غانم بن محمد بن زكريّا الرياش الأندلسي 1631م، ترجمها أحمد الشهاب الحجري المراكشي، وحققه الدكتور إحسان الهندي، غير أنّ هاته النسخة غير معتمدة في التحقيق، فهي تحتوى على 248 صفحة غير مرقمة، من المكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم 1511، تطرّق إلى صناعة الأسلحة خاصة المدافع التي استفدت منه في جزئية صناعة الأسلحة.

- **مخطوط الدرر الأوروبايّة في تاريخ الأمة الفرنسية** يحكي فيه ما صار في فرنسا من قديم الزّمان إلى الآن، لصاحبه جول كريكر، يحتوي على 183 صفحة، من المكتبة الوطنية المغربية تحت رقم A3B52، استفدت منه في التعريف بسياسة لويس الرابع عشر ووزرائه مازاران وكولبير، واحتلال الجزائر.

- **مخطوط فقرة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران رحمة الله عليه**، مجهول المؤلّف وموجود في المكتبة الوطنية الفرنسية Gallica، تحت رقم ARABE 5022، يحتوي

على 34 غير مرقمة، الصفحة الأولى بها رقم المخطوط، والصفحة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة لا يوجد بها شيء، أما الصفحة السادسة فهي تحتوي على دمغة المكتبة الوطنية الفرنسية، ويبدأ المخطوط من الصفحة السابعة، حقق هذا المخطوط الدكتور أمين كرتالي في مجلة عصور جديدة في جزئين ج.1 في مجلد 9 ع.1 (2019/05/20)، ج.2 في المجلد رقم 9، ع.2، (2019/12/01).

3 - المصادر: هناك تتوع في المصادر بين الكتب العربية، والكتب المترجمة، والكتب باللغة الأجنبية.

قبل أن أتكلّم عن المصادر بالعربية والمعربة (المترجمة)، لابدّ أن أتكلّم عن سجل غنائم البحر سواء باللغة التركية العثمانية (العصمالية) وهو أهم وثيقة اعتمدت عليها لكونها كان يتمّ فيها تسجيل الغنائم البحرية ابتداءً من سنة 1765م إلى غاية 1815م، يبدأ بالغنيمة رقم 2، وهي غنيمة واحدة فقط لسنة 1765م، وينتهي بغنيمة رقم 426 المجلوبة في 28 محرم 1230 (3 سبتمبر 1815). إن ترقيم الغنائم في هذا السجل يوجد بها عدة تشطّيبات فمثلا غنيمة سنة 1230 نجدها تحت رقم 426، وبجانبها رقم 407 أيضا غنيمة التي قيدت تحت رقم 413، نجد بجانبها رقم 431، وحتىّ تقيد التاريخ أصبح نادرا جدّا ففي غنيمة 405 لم يتمّ تقييد تاريخها، في حين غنيمة رقم 406 قيدت بتاريخ 22 صفر 1226هـ. كما أن ألبير ديفو Albert DEVOULX قد قام بترجمة سجل الغنائم إلى الفرنسية، انطلاقا من نسخة عربية ترجمة له من قبل بعض الموظفين، نظرا لأنه لا يحسن العصمالية إلا أن النسخة العربية غير متوفرة، ويعتبر سجل الغنائم الذي اعده البير ديفو من أهم الوثائق التي لا غن عنها لم يبحث في موضوع البحريّة ومداخلها، وقد اعتمدت عليه في توضيح الكثير من الأشياء التي لم أفهمها في النسخة العصمالية.

المصادر العربية: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزّهار نقيب أشرف الجزائر، التي تناولت أهم أعمال الدّايات ابتداءً من علي باشا بوصبع (1754-1766)، إلى الدّاي حسين (1817-1830)، ولأمتت الكثير من جوانب الدّراسة فيها

تقييدات ابن المفتى في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، لابن المفتى حسين بن رجب شاوس، اعتمد الكاتب في كتابه على ذكر دايات الجزائر باختصار شديد، إلا الدايات الذين

حدثت في عهدهم أحداث مهمة أثرت في المجال السياسي، وعليه فقد لامس هذا الكتاب بعض جوانب الدراسة

- الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، لابن رقية التلمساني، هذا الكتاب سرد صاحبه الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر، وأهم الاحتياجات التي اتخذها الحكام لمواجهتها، وقد استفدت كثيرا منه.
- أنيس الغريب والمسافر، لمسلم ابن عبد القادر، والذي يعبر من خلاله الكاتب على وجهة نظره في الحكام في آخر عهدهم، كما سرد فيه الكاتب أحوال بايلك وهران في أواخر العهد العثماني، والثورات التي هزت الجهة الغربية وأسبابها.
- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، للأغا إسماعيل بن عودة المزارى، كتاب مهم استفدت منه في عدة جوانب من الدراسة خاصة المتعلقة بفتح وهران، وغيرها، فهو كتاب مهم يحاكي مجالات جغرافية متنوعة حسب ما ورد في عنوانه.
- المصادر المعتبرة أو المترجمة:
- مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، وليام شالر يعتبر هذا الكتاب له من الأهمية بما كان، حيث تعرض لعدة قضايا مهمة كحملة اللورد اكسموث، والقرصنة، وميزانية الخزينة، ومسألة الديون، وعدة قضايا أخرى.
- مذكرات أسير الداي كاثارت قنصل أمريكا في المغرب، بدأ كتابة هاته المذكرة سنة 1785 عند وقوعه في الأسر، عاصر الداي محمد بن عثمان وركز على صراعات الدول الأوروبية مع الجزائر، وكيف كانت تطلب ودّها، تطرق لقضية الأسرى و الأوبة في الجزائر التي أودت بالكثير من الأسرى.
- رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/ 1732م، دون خلالها العالم ملاحظاته علن الإيالة، ومن بين الملاحظات كتب عن الحرية وعن الأسرى.
- حرب القرصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة، وهو كتاب له قيمة تاريخية كبيرة لأنّ ما يحتويه مأخوذ من محاضر مجلس الأمة الأمريكي، يروي العلاقات

الدبلوماسية والعسكرية والسياسية لأمريكا مع الولايات المغربية، ويتطرق بصفة خلاصة إلى المعاهدات الأمريكية الجزائرية، والغنائم الأمريكية من أسرى وسلع.

المصادر باللغة الأجنبية:

- كتاب الأب دان (Pierre Dan) تاريخ البربر وقراصنتهم، **Histoire de Barbarie et de ses Corsaires**، وهو كتاب مهم، لرجل دين جاء إلى مدينة الجزائر سنة 1634م، وبالرغم من أن كتابه لم يخلو من الذاتية، إلا أنه يحتوي على معلومات قيمة حول مدينة الجزائر، وبحريتها.

كتاب لوجي دي تاسي (Laugier de Tassy)، تاريخ مملكة الجزائر، **Histoire du royaume d'Alger**، كتاب مهم عالج جوانب مهمة حول الإيالة وأوضاعها السياسية والعسكرية، وتطرق بشكل مهم حول البحرية.

أما المراجع: فهي كثيرة ومتنوعة سواء كانت باللغة العربية، أو بالأجنبية نذكر بعض منها:

المراجع بالعربية:

- دراسات ناصر الدين سيعيدوني في مجملها، ورقات جزائرية، دراسات أندلسية، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، النظام المالي وغيرها.
- دراسات حنفي هلايلي أوراق في تاريخ الجزائر، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة.
- دراسات جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، العلاقات الجزائرية الفرنسية.
- دراسات علي تابلت، معاهدات الجزائر مع أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830.

- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، الجزء الأول.
- كتاب المنور مروش دراسات عن الجزائر في العهد العثماني بجزأيه الأول: العملة الأسعار والمداخل، والجزء 2 القرصنة الأساطير والواقع، هذا الكتاب الذي رافق البحث في أغلب جزئياته، وله قيمة علمية كبيرة بالنظر إلى المادة العلمية الأرشيفية التي اعتمد عليها

الباحث في إعداداته، خاصة أرشيف القنصليات، وتعتبر هاته الدراسة من أهم الدراسات السابقة التي تناول مداخل البحرية من جميع جوانبها.

- كتاب محمد أمين الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830.

المراجع باللغة الأجنبية:

- كتاب جيرارد كريكن (GÉRARD Van Krieken) قنصل هولندا في الجزائر بعنوان علاقات القراصنة والتجار بين الجزائر وهولندا **Corsaires et Marchands Les relations entre Alger et les Pays-Bas 1604 – 1830**، والذي تناول الغنائم البحرية التي جلبها الرّياس خلال الفترة.

خطة الدراسة

وقد قسّمتُ دراستي إلى مقدّمة وأربع فصول وخاتمة حيث جاء الفصل الأول بعنوان: مداخل البحرية الجزائرية في الفترة 1580-1671م، تطرّقت فيه بداية بإعطاء مفاهيم إجرائية حول القرصنة، وأبرزت أنها ظاهرة مارستها كل الدول البحرية، لتحقيق منافع مقصودة، مبرزة أوجه الاختلاف في إطلاق مصطلح القرصنة بين من يراها لصوصية ومن يراها أعمال مشروعة وظاهرة القرن، ولرفع اللبس عن هاته الجدلية التاريخية؛ وحسب ما تمّ طرحه من تناخلات بين المصطلحين واستغلالهما من طرف بعض الدارسين حسب ما تحتاجه الظروف، ارتأيت لرفع اللبس أن نطلق على ما تقوم به البحرية خلال فترة الدراسة بأعمال أو نشاط البحرية الجزائرية.

كما تطرّقت أيضا إلى تحوّل أعمال البحرية الجزائرية من البحر الأبيض المتوسط، إلى المحيط الأطلسي، وتحوّل أهدافها في هاته المرحلة، إلى تفعيل اقتصاد الإيالة، حيث أصبحت مؤسسة كسبية أو شركة ذات أسهم، يشارك فيها جميع أطياف المجتمع كلّ حسب قدراته، للاستفادة من الأرباح التي تُجنى عند بيع غنائمها، واستفادة الخزينة منها بقيم محدّدة مسبقا، ومدى القوة التي كانت عليها البحرية أين أصبحت توجه السياسة الخارجية للإيالة.

وتطرّقت فيه أيضا إلى أسباب وعوامل قوّة البحرية، التي منحها السمعة العالمية، ومظاهر قوّتها، سواء من حيث المكونات المادية (السفن والأسلحة)، أو المكونات البشرية والتقنية،

والمتمثلة في الرياس الأكفاء والتقنيات التي أدخلوها على السفن لتكون في وضعيتها التنافسية ضدّ الأساطيل الأوروبية. وأخيرا أعطيت عينات عن المداخل في هاته الفترة والتي كانت محلّ خلاف بين المدرسة الاستعمارية، والمدرسة الجزائرية، فالأولى ركزت في تناولها لهاته الفترة على حجم المعاناة التي تعانيتها الأساطيل الأوروبية من أعمال البحرية الجزائرية ومدى إعاقة تجارتهم وحجم المعاناة التي تسببها بسبب عمليات الأسر، في حين نجد الأخيرة رأت أنّ البحرية في هاته الفترة في عصرها الذهبي وفي عزّ قوتها. إلّا أنّ المؤكّد في هاته الفترة هو غياب الوثائق الأرشيفية، وجلّ الاعتماد كان على كتابات الأسرى الأوروبيين.

أمّا الفصل الثاني فتطرّقت خلاله إلى عوامل وأسباب تراجع مداخل البحرية، وهي أسباب عديدة منها ما تتعلّق بالوضع السياسي للإيالة، خاصة بعد تغيير نظام الحكم من نظام الآغوات (1657-1671)م إلى نظام الدايات (1671-1830)م، الذي أثر على أعمال البحرية، حين حوّلت وبالتدرّج إلى ملكية عامّة للدولة، تستخدم كأداة لفرض السياسة المنتهجة. وأسباب تتعلّق بالأساطيل الأوروبية وما أصبحت عليه من تطوّر، نتيجة التّقدّم التقني والتّكنولوجيا في المجال البحريّ والملاحي، وسياسة السّباق نحو امتلاك أساطيل بحرية متطورة؛ مع فرض سياسة الاستحواذ على التّجارية العالمية، وفرض منطقها التّجاريّ ولو بالقوّة. ثمّ الأسباب والعوامل المتعلّقة بالبحرية في حدّ ذاتها، والمتمثلة في تراجع المكونات الماديّة (السّفن والأسلحة) للبحرية، مقارنة بما وصلت إليه تلك الدّول؛ والمكوّنات البشريّة أين فقدت البحرية العناصر البشريّة ذات الكفاءات العالية، في ظلّ سياسة التّضييق التي مورست عليها من قبل الدّول الأوروبيّة، مع ظهور قوّة جذب جديدة جلبت تلك الكفاءات إليه.

بخصوص الفصل الثالث فتطرّقت من خلاله إلى مظاهر تراجع مداخل البحرية الجزائرية، أين درستُ تراجع أعداد الأسرى الذي ظهر بشكل واضح لا غبار عليه، رغم أنّه لم يكن تراجعاً بوتيرة منتظمة، لأنّها ستشهد انتعاشاً نسبياً في مرحلة زمنيّة ظرفيّة معيّنة، لكنّه كان مستمرا، خاصّة أن هاته الفترة تميّزت بوجود الوثائق الرسميّة التي يتمّ الاعتماد عليها في مثل هاته الدّراسات، وما تمّ طرحه حول الأسرى، بطبيعة الحال ينطبق على

الغنائم من السفن والسلع، ذلك لأنّ البحريّة في فترة الدّراسة كانت ملكاً عامّاً لدولة تستخدم لفرض سياستها، ولم تعد أداة لجلب الغنائم.

والفصل الرابع والأخير تطرّقت خلاله إلى السياسة الماليّة التي إتّبعت من قبل الإيالة، لتدارك تراجع المداخل؛ سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، وما نتج عنه من غليان داخلي وتدنّر خارجي، واستمرّ ذلك إلى أن كانت النّقطة التي أفاضت الكأس داخليّاً أو خارجيّاً؛ فأدّت في الأخير إلى إضعاف الإيالة تدريجيّاً إلى أن سقطت لقمة سهلة في يد الاحتلال الفرنسيّ 1830.

والخاتمة التي احتوت على أهمّ النتائج التي كانت كفيلة ولو بالقليل للإجابة عن إشكاليّة الدّراسة.

الصّعوبات:

لا يخلو أيّ بحث علميّ من مجموعة صعوبات تعترض صاحبه، والتي تعطى للبحث حلّواته عند اجتيازها. ومن بين الصّعوبات التي اعترضتني:

- مشكلة الأرشيف الوطنيّ، فالبرغم من زيارته المتعدّدة لم نأخذ منه ولا وثيقة أرشيفية، بحجج واهية منها، مع أنّه لا يوجد عندهم سوى ميكرو فيلم واحد كان مشغولاً في المرّات التي زرناها فيه.

- مشكلة صحّيّة عويصة تعرّضتُ لها، والتي جعلتني في كثير من المرّات أنوي مقاطعة الدّراسة نهائيّاً، لولا وقوف المشرف بجانبني، وبعض الأصدقاء الذين يرجع لهم الفضل في مواصلة مساري العلميّ.

- مشكلة البحث في حدّ ذاته أين يعتمد على الإحصائيّات، والتي تتداخل في الكثير من الأحيان حتّى يصبح الباحث أحياناً يحسّ أنّه يخلط فيها.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفّقت في الإجابة عن إشكاليّة الدّراسة وتساؤلاتها الفرعيّة، ليكون هذا العمل إضافة علميّة في تخصّص تاريخ الجزائر الحديث، واعتذر عن كلّ تقصير بدر منّي دون قصد.

هيبّة كنيوة

الوادي في 2022/12/21

الفصل الأول :

مداخل البحرية الجزائرية في الفترة 1587 - 1671م

المبحث الأول: السيادة المتوسطية والانطلاقة تجاه المحيط الأطلسي

1. تحوّل أهداف البحرية الجزائرية إلى تفعيل اقتصاد إيالة الجزائر
2. دور العامل الديني في تأجيج الصراع بين صفتي البحر المتوسط
3. الانزلاق التدريجي نحو العامل الاقتصادي

المبحث الثاني: مظاهر تطوّر قوّة البحرية الجزائرية

1. الأسطول البحري
2. صناعة السفن والأسلحة
3. طائفة الرياس
4. عوامل قوّة ونشاط البحرية الجزائرية

المبحث الثالث: المداخل من غنائم بحرية وعائدات إفتداء الأسرى

1. عائدات إفتداء الأسرى
2. عائدات من غنائم البحر (السفن والسلع)

أُعتبرت الفترة 1587-1671م، من أزهى فترات الجزائر العثمانية، حيث عرفت بالعصر الذهبي للبحرية الجزائرية، ازدهرت على إثرها الحياة الاقتصادية والاجتماعية، نظير ما كان يجلب من غنائم بحرية، أثرت بشكل مباشر على الحركة التجارية، فنشطت التجارة، وتنوّعت السلع بمختلف أشكالها، وكانت أسواق الأسرى من أنشط الأسواق في الإيالة، علاوة على السلع الغذائية، أمّا السلع التي لا يستهلكها الجزائريون فكانت تتم تصديرها إلى ليفرون وغيرها من المناطق عن طريق التجار اليهود والأجانب.

المبحث الأول: السيادة المتوسطية والانطلاقة تجاه المحيط الأطلسي

1- تحوّل أهداف البحرية الجزائرية إلى تفعيل اقتصاد إيالة الجزائر

عرفت الفترة التي أعقبت الصّح بين الدولة العثمانية والإمبراطورية الإسبانية المتوّجة بعقد معاهدة الهدنة سنة 1577م، هاته المعاهدة التي تم بموجبها إنهاء الصّراع الديني بين العملاقين وتحوّلها إلى مجالات صراعات كبرى تدور خارج المتوسط؛ تحوّل تدريجي في الهدف العام للأسطول البحري الجزائري المتواجد في الجزء الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ذلك أنّ الحروب البحرية التي كان يخوضها، لم تتوقّف بل ظهر تحوّل في هدفها ذو الطابع الديني (الحروب المقدسة، الجهاد البحري)، فاتحاً المجال إلى تفعيل اقتصاد الإيالة، فغدت هذه الحروب (القرصنة) محورا أساسياً في تفعيل اقتصادها، بالتّوجّه نحو الغزو البحري الهادف للبحث عن القيمة الاقتصادية، وذلك من خلال ما توفّره هاته الحروب من غنائم وأسرى وما تفرضه هيمنتها على الحوض الغربي للبحر المتوسط من إتاوات وهدايا، هذا ما جعلها من أولويات هرم السلطة الحاكمة، من هنا كانت نقطة التّحوّل من الجهاد البحري نحوى البحث عن القيمة الاقتصادية.

1-1 أعمال البحرية الجزائرية

أطلق على الحروب البحرية ضد السفن المسيحية عند المؤرخين¹ المسلمين بالجهاد البحري نظرا لأنها موجّه ضدّ المسيحيين ضمن إطار صراع حضاريّ وهو ما يكسبها الشرعية²، في حين أخذت هذه الحروب في مؤلّفات المؤرخين الأوروبيّة عدّة مفاهيم تتراوح في موضوعيّتها بين من يقرّ بشرعيّة وقانونيّة هذه الأعمال وبين من يخونها، لدرجة أنّ هذه المصطلحات عرفت تفاوتًا عندهم، فياتسيك ماخوفسكي (VIATSIK Makhovsky) يرى أنّ العلاقة بين القرصنة واللصوصيّة كانت وثيقة جدًّا لدرجة أنّه كان من الصّعب وضع حدّ فاصل بين الظّاهرتين³، في نفس السياق ذهب المؤرخ الايطالي سلفادور بونو (SALVADOR Bono) حيث يرى أنّه من الصّعوبة بما كان التفريق بين عمل القرصان (Corsaire) الذي يمارس القرصنة باسم دولته وبإذنها، إذن فهو نشاط قانوني على الصعيدين الوطني والدوليّ، وبين قاطع الطّريق (Pirate) الذي يقوم بنفس مهمّة القراصنة، لكن دون أيّ إذن ودون التقيّد بأيّ قواعد، فهم خارجون عن أيّ قانون، لأنّ كلاهما يقومان بنفس الأعمال⁴، وعليه فمهمة الرياس تشبه وتتداخل مع مهمة القرصان إلّا أنّها ذات طابع قانوني⁵.

ويسبب تداخل عمل لصوص البحر والقراصنة، عمل الأوروبيين على إلصاق صفات عامة ومشبوهة برياس البحر المغاربة، حيث استعملوا ألفاظ متقاربة ومرادفة لصفة لصّ

¹ أطلق ناصر الدين سعيدوني على الحروب البحرية في البحر الأبيض المتوسط الجهاد البحري في مؤلفاته للمزيد ينظر ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط. 2، دار البصائر، الجزائر، 2008.

² بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل الجهاد البحري على غيره من أنواع الجهاد بالحديث المروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿... غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها ...﴾، محمد الغزالي، فقه السيرة، تج. أبو عبد الرحمان محمد ناصر الدين الألباني، ط. 6، دار الكتب الحديثة، مصر، 1965، ص 212.

³ ياتسيك ماخوفسكي، تاريخ القرصنة في العالم، تر. أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008، ص 122.

⁴ Lafi Nora, «Salvatore Bono, Corsari nel Mediterraneo. Christiani e musulmani fra guerra, schiavitù e commercio». In: *Revue du monde musulman et de la Méditerranée*, n°68-69, 993. Etats modernes, nationalismes et islamismes. P300.

⁵ Gilbert Buti, Philippe Hrodej, "Histoire des pirates et des corsaires de l'Antiquité à nos jours", *Revue d'histoire moderne & contemporaine*, N° 64-2, 2017, P 218.

البحر الخارج عن القانون كلفظ (Forban) وهو ينظم لحملات بحرية مسلحة ضد القوافل التجارية دون ترخيص قانوني من أي سلطة، وسموه أيضا بـ "محصل الغنائم" (Flibustier) لأن نشاطه موجه للسيطرة على خيرات الآخرين، وأطلقوا عليه أيضا مصطلح المخادع والمحتال (Ecumeur) لأن أساليبه في الانقضاض على تلك الغنائم تتسم كلها بالخداع والحيل في تحقيق الهدف بأقل كلفة ممكنة، في حين جعلوها صفة من صفات البطولة وشهامة الوطنيّين ووسامًا على صدر قراصنة دولهم، وعلى رأسهم فرسان مالطا¹، حتى لقّبوا بحماة العقيدة والحضارة ضد الوحشية الإسلامية، هؤلاء الذين كانت أعمالهم موجهة لنهب السفن والسواحل الإسلامية، إذ لم تكن أعمالهم دفاعية ضد البحارة الجزائريين فحسب².

ويُصوّر بروديل (Brodel) واقع القرصنة في الحوض الغربي للبحر المتوسط بقوله: "...وفي الجهة الأخرى من البحر المتوسط كانت مالطا مركزا للقرصنة وشبكتها، على نحو ما كانت الجزائر، هكذا كانت القرصنة، بتقلباتها وبمناطق ازدهارها، تعكس بوضوح الحركات الكبرى للحياة المتوسطية"³، فإذا كان فرسان مالطا تم وصفهم من قبل المؤرخين الأوروبيين بالوطنيين وذو شهامة فبروديل يقر بان القرصة بمعناها السلبي أو الإيجابي تتعاطاها كل من الجزائر والجهة الشمالية من البحر المتوسط على حد سواء مما يدل على أنها من صفات ذلك العصر وميزاته.

وبدأ تعميم كلمة "Corsaire" القرصنة في أوروبا على الحروب البحرية خلال القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين (15-16م)⁴، حيث لا يوجد له مرادفاً في اللغة العربية بل

¹ حسن أميلي، الجهاد البحري بمصب أبي رقرق خلال القرن السابع عشر الميلادي، ط.1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، 2006، ص 51.

² سلفاتور بونو، "العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي"، تر.أبو القاسم بن التركي، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد 6، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدنية، الجزائر، 1971، ص 102.

³ فرنان بروديل، المتوسط والعالم المتوسط، ط.1، تر. مروان أبي سماعة، دار المنتج العربي، بيروت، 1993، ص 151.

⁴ Le Petit La Rousse, **France Matière Corsaire**, Grand Format Edition, 2005, p 297

استعربت في ذات القرن¹، ففي الواقع هي ظاهرة استوطنت البحر الأبيض المتوسط²، ولم تكن جديدة فيه بل كان ميداناً ومجالاً يتبارز فيه العرب والإفرنج³.

إلا أنّ ازدهار نشاطها كان في القرن السادس عشر الميلادي 16م وما بعده، نتيجة تطوّر السفن الملاحية⁴؛ واقتربها بالحروب والتجارة البحرية⁵.

1-1-1 خوض الحروب البحرية بترخيص من الدول

تمّ الاعتراف بالقرصنة كنشاط قانوني من قبل الدول، وأصبحت تقدّم تراخيص وتسريحات قانونية للقرصنة، من أجل تشجيعهم للإعتداء على سفن الأعداء في القرن الثالث عشر الميلادي (13م)، وكان أول تسريح مكتوب ومرخص من قبل الملك فليب أوغست (Philippe Auguste) في ماي 1206م⁶، كما ظهرت النصوص المتعلقة بالقرصنة في سنة 1288م أمر ملك أرغون قرصنته بأداء يمين احترامهم لمواطنيهم، واحترام اتفاقيات ومعاهدات السلم المبرمة مع الدول الأخرى، وعندما سنت المدن التجارية الإيطالية مثل بيزا سنة 1298م، وجنوة 1313م وفلورانس التي كانت تدعّم التنظيمات القرصانية الموالية لها قوانين زاد هذا من تأكيد الشرعية القانونية للقرصنة، كأخذ ضمانات مالية تعويضاً على الخسائر التي يمكن أن تلحقها أعمال القرصنة بسفن محايدة، ممّا يجعل المسؤولية على

¹ عبد الحميد بن اشنهو، "الدور الذي لعبته الجزائر في القرن 16 بالبحر المتوسط"، مجلة الأصالة، ع.8، ماي جوان 1972، الجزائر، ص 296

² كوربين شوفالييه، الثلاثون السنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541، تر. جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 49.

³ نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 64.

⁴ اسحاق زيتوني، البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية 1519-1800م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، اشرف عمار بن حروف، جامعة غرداية، 2011-2012، ص 16.

⁵ المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطيل والواقع، ج.2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009، ص 37.

⁶ Xavier Labat Saint-Vincent, "La course et le corso en Méditerranée du XVIe au XIXe siècle", *Revue Clio*, Aoute, 2002, Pwww.Clio. fr

عائق تلك المدن، وفي سنة 1414م انتهج برلمان إنجلترا نفس النهج مانحاً بذلك بعداً رسمياً للقرصنة¹.

وبما أنّ هذه الحروب لم تكن نشاطاً فردياً، بل نشاط جماعات وشبكات تشترك المدن والدول في تنظيمها²، فالدولة هي التي تقوم بإشراك الخواص من أصحاب السفن من حيث التكاليف والفوائد³، ممّا ينفي عنها صفة اللصوصية، المدانة عالمياً من طرف الأخلاق والقانون⁴، وبما أنّ المغاربة مارسوا القرصنة ضدّ الدول المسيحية تحت لواء الدولة العثمانية، هذا ما أضفى عليها البعد الديني والقانوني⁵.

فبهذا أصبحت حرب مشروعة تتمّ بواسطة بيان صريح للحرب، أو ترخيص يتمّ بموجبه تجهيز سفينة حربية وجوازات سفر⁶، ويعقب الحروب البحرية (القرصنة) مفاوضات بين المدن والدول التي قامت بينهما الحرب، ممّا يدلّ على أنّ لها قواعد وأعراف وتقاليد تضبطها⁷، وفي بداية القرن السادس عشر الميلادي (16م)، كانت عبارة عن استراتيجية تسمح بشنّ الحملات، ممّا جعلها ترتبط بالحروب التي كانت قائمة في أوروبا⁸، ومع ظهور الدولة العثمانية في السواحل الجنوبية للحوض الغربي للبحر المتوسط اتّسع نطاقها واتّخذت منحى آخر، أدّى إلى اتّساع هذه الظاهرة، وتطوّر عملياتها، وتعدّد اتّجاهاتها خاصّة خلال القرن السابع عشر الميلادي الذي أطلق عليه قرن القرصنة⁹.

¹ حين إميلي، المرجع السابق، ص 56.

² فرنان بروديل، المرجع السابق، ص 151.

³ Gilbert Buti, Philippe Hrodej, OpCit, 218.

⁴ المنور مروش، المرجع السابق، ص 8.

⁵ Daniel Panzac, "Les esclaves et leurs rançons chez les barbaresques (fin XVIIIe - début XIXe siècle)", *revue Cahiers de la Méditerranée*, N°65, 2002, p 2.

⁶ كوربين شوفالييه، المرجع السابق، ص 49.

⁷ فرديناند بروديل، المرجع السابق، ص 151.

⁸ خاصة الحروب الدينية بين من ينتهج المذهب الكاثوليكي كإسبانيا، ومن يتبع المذهب البروتستانتي كفرنسا وقد وقعت حروب بينهما مما جعل فرنسا تستعين بالدولة العثمانية

⁹ إبراهيم سعيود، "القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية نموذجاً"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع.11، 2011، ص 149.

1-1-2 الحوض الغربي للمتوسط والمحيط الأطلسي وعلاقته بلصوئية البحر

نظراً لواقع البحر الأبيض المتوسط وخاصة المحيط الأطلسي، الموسوم بالنشاط الكبير للملاحة والتجارة، لهذا فالسفن فيهما كانت عرضة لقرصنة الدولة والقرصنة الخارجين عن القانون، مهما كانت جنسيّتهم ودينهم، حيث لم يحترم الصّراع البحري بين المسلمين والمسيحيين فقط، بل حتّى بين المسيحيين أنفسهم¹، أي القرصنة الأورو-أوروبية فقرصنة الهابسبورغ يقومون بعمليات نهب وسلب للسفن الأوروبية التي تمرّ بالسواحل التابعة لهم، كما اكتسح الإنجليز مناطق ساحلية كثيرة فكانت الأضرار التي تحدثها القرصنة الجزائرية، تعتبر محدودة أمام ما تحدثه القرصنة الإنجليزية والهولندية والفرنسية ضدّ المعسكر الإسباني².

و كانت الدول القويّة الرّغبة في التّحكّم بالمنافذ والمجالات البحرية في ظلّ التّنافس التجاريّ، تدعم إمّا بطريقة علنيّة أو سريّة التّنظيمات القرصانية العاملة ضدّ الخصم، فاتحة المجال للحرب الصغرى أو القرصنة، الأقلّ تكلفة من المواجهات البحرية المباشرة أو الحروب الكبرى حرب الأساطيل³، وقد حصل القرصنة الإنجليزي على ألقاب رفيعة نظير ما قاموا به من خدمات في وقت لم تكن إنجلترا تملك أسطولاً حربياً قوياً، فقامت في القرن السادس عشر الميلادي (16م)، بإنشاء قوّة مسلّحة بحريّة كان عمودها الفقريّ أولئك القرصنة⁴، ممّا جعل لها أثر سلبيّ وعرقلة للملاحة البحرية⁵، ومع التّطوّر السريع للبحريّات الأوروبية بداية من منتصف القرن السابع عشر

¹ Gilbert Buti , Aller en caravane le cabotage lointain en Méditerranée, XVIIe et XVIIIe siècles, **Revue, d'histoire moderne & contemporaine**, n°52-1, 2005, p 9.

² المنور مروش، المرجع السابق، ص 200.

³ حسن اميلي، المرجع السابق، ص 56.

⁴ ياتسيك ماخوفسكي، المرجع السابق، ص 124.

⁵ حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط.1، دار الهدى، الجزائر، 2008، ص 67.

الميلادي (17م)، إلا أن بحريات الخواص بقيت تعمل جنبا إلى جنب مع البحريات الرسمية إلى غاية مؤتمر فيينا¹ أين حرمة القرصنة البحرية بموجب مواثيق دولية².

إن المتتبع لأحداث إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية انطلاقاً من اقتراح خير الدين بربروس المعروف بحنكته السياسية، لأكبر دليل على أنه كان على دراية واسعة بالوضع الدولي وأن بقاءه في الجزائر دون إنتمائه لدولة ذات وزن في المتوسط سيجعل أعماله وإن كانت موجهة ضد إسبانيا العدو الأكبر في الدين وإنقاذه لمسلمي الأندلس، لا ينفي عليه صفة اللصوصية، لهذا اقترح فكرة الانتماء للدولة العثمانية رغم ما سيقدمه من تنازلات حينها، هذا سيجعل من الحروب البحرية التي تخوضها الجزائر في البحر الأبيض المتوسط ضد الدول الأوروبية وعلى رأسهم إسبانيا تكتسب الشرعية الإقليمية والدولية، لأنها تحت رعاية الدولة، فالحضور العثماني في الجزائر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي (16م)، واكبه تأسيس الجاهد البحري، أو القرصنة المشروعة بمفهوم تلك الفترة.

وبما أن الدول الأوروبية قد دعمت القرصنة إما علنياً أو سرياً خدمة لمصالحها التجارية والسياسية في البحر الأبيض المتوسط أو في المحيط الأطلسي، ضمن إطار ما يُعرف بالقرصنة الأورو-أوروبية، أو الأوروبية - الإفريقية وهذه الدول كانت تعقد المعاهدات والاتفاقيات مع الجزائر؛ متخذة التنافس التجاري بين الدول الأوروبية كذريعة للتعاون مع الجزائر لأكبر دليل على اعترافها بشرعية الأعمال البحرية التي تقوم بها الجزائر³.

1-1-3 إصاق صفة اللصوصية بأعمال البحرية الجزائرية

إن أغلب المصادر الأوروبية سعت إلى تضخيم وتشويه أعمال البحرية الجزائرية، والنتائج المترتبة عنها بشكل يصعب تصديقه، مع أنها منافية للإنسانية وللعدالة الاجتماعية،

¹ سأتي إلى تعريف مؤتمر فيينا في الفصل الرابع، في المبحث الثالث في جزئية أعمال البحرية الجزائرية ضمن مؤتمر فيينا، ص 276.

² إبراهيم سعيود، المرجع السابق، ص 150.

³ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص 30

وأنها نشاط شاذ وغير شرعيّ، يعرقل مصالح الدول الأوروبيّة التجاريّة، إلّا أنّ الواضح من الأعمال البحريّة التي كانت تمارسها الجزائر تتماشى مع القوانين الاجتماعيّة والاقتصاديّة السائدة وقت ذلك¹، هذه النظرة أحاديّة الجانب نظراً لأنّ الأتراك العثمانيّون والمغاربة لم يُسخّروا أدنى طاقة دعائيّة للتّنديد بالقرصنة المسيحيّة²، ولم يجعلوا منها مادّة وثائقيّة تكون شاهدةً على القرصنة المضادة، ممّا جعل كلّ التّركيز على القرصنة الإسلاميّة³، في هذا السّياق يرى بروديل (Brodell) أنّ المؤرخين قد أكثروا من الحديث عن قرصنة إسلاميّة، خاصّة في الجزائر، إلّا أنّ القرصنة كانت منتشرة في أنحاء المتوسّط كلّه دون أن تعرف ديننا أو وطننا⁴.

وبالرجوع إلى بعض الكتابات الأوروبيّة المعتدلة كسلفادور بونو (Salvador Bono) حيث يعرض في مقال له في مجلّة الأصالة بعنوان "العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التّركي" حين يعرض أعمال القراصنة الأوروبيّين على سواحل مدينة الجزائر يرى أنّها كانت لا تقلّ جدارة عن أعمال البحريّة الجزائريّة⁵، أمّا دumas لاتري (Dumas Latry) فيعطي إحصائيّات لأعمال القرصنة في البحر الأبيض المتوسّط بين القرنين 10-16 م، والتي كانت نتيجتها أنّ مسؤوليّة الطرف المسيحيّ أكبر من مسؤوليّة الطرف الإسلامي في هذا المجال⁶.

¹ علي عبد القادر حلمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1838، ط.1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص 176.

² لعبت الدعاية الأوروبيّة في تشويه وتصوير الجزائر كافّة للعالم المسيحي، خاصة ما كتبه الرهبان والقناصل والأسرى، كالاب دان، و ديقو هايدو...، وقد لقت هذه الكتابات رواجاً كبيراً في أواسط الأوروبيّين حتّى أنّ بعض ما كتبه الأسرى حول الجزائر قد طبع عدة مرات مما جعلها تجارة مريحة لدور النشر ككتاب هايدو تاريخ ملوك الجزائر.

³ توفيق البشروش، جمهورية الدايات في تونس 1591-1675، مجموعة أيام الناس، تونس، د.س.ن، ص 79.

⁴ فرناند بروديل، المرجع السابق، ص 132.

⁵ للاطلاع عن الاعمال التي قام بها الأوروبيّين ضد البحريّة الجزائرية وسواحل مدينة الجزائر ينظر: سلفادور بونو، المرجع السابق صفحة 102 وما بعدها.

⁶ De Mas Latrie, *Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au Moyen Age*, Librairie Firmin-Didot, Paris, 1886, p 408, 411.

غير أنّه لا يجب أن ينكر أيّ أحد ومهما كان بأنّ هناك تجاوزات قامت بها البحريّة الجزائريّة في العهد العثمانيّ، يمكن أن ترقى إلى أعمال السرقة والسّطو والنّهب، ولكن هنا علينا أن نعرف بأنّ مقترفيها لم يكونوا من فئة البيلرييات، وإنّما كانوا من الرّياس الذين لا هم سوى الرّبح المادّي وفقط، أو من فئة المهتدين النّصارى، الذين كان الكثير منهم أصحاب سوابق في بلدانهم الأصليّة وهربوا إلى الجزائر لتجنّب العقوبة، ورغبة في الثّراء السّريع. وهم جاهلون بقواعد الدين وأبجدياته، فهم حديثو العهد بالإسلام، فاقترفوا تلك الأعمال. ولهذا لا يجب أن نحمل مجاهدي البحر الجزائريّين أخطاء هذه الفئة أو تلك، وننتهم الجميع باللّصوصيّة¹، وهذا ما يسمّى بتمرد القرصنة على الاعتبارات الدّينيّة دون تجاوزها.

2 - دور العامل الدّيني في تأجيج الصّراع بين ضفتي البحر المتوسّط

غلب الطّابع الدّيني على الحروب البحريّة في البحر الأبيض المتوسّط خلال القرن السّادس عشر الميلادي (16م)، بين العالم الإسلاميّ والعالم المسيحيّ (دول أوروبا الغربيّة) على السّواء²؛ بمعنى الجهاد الإسلاميّ تقابله الصّليبيّة المسيحيّة، فقد اعتمد كلا الجانبين بشكل شبه كلّ في دعايتهما على الجانب الدّينيّ، خاصّة بعد التّغيّرات الكبرى التي طرأت على السّاحة الدّوليّة من فتح للقسطنطينيّة 1453م، إلى سقوط غرناطيّة 1492م، وبداية حروب الاسترداد الإسبانيّة ضدّ مسلمي الأندلس، كلّ هذا جعل سواحل شمال إفريقيا في مواجهة مباشر مع الإسبان³ والبرتغاليّين، وبالحاق الجزائر بالدّولة العثمانيّة 1518م، اشتدّ

¹ خير الدين فارس، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي 1518-1830، ط.1، دمشق، سوريا، 1969، ص 93.

² رغم الاختلافات المذهبية التي أدت إلى صراعات دامية في أوروبا بين الكاثوليكية الثائرة ضد الإصلاح الذي تميز به عهد التنوير في كل من ألمانيا وفرنسا وبلاد الشمال البروسانتية، إلا أن هذا الصراع المذهبي لم يمنع لوثر من يدعو إلى الحرب ضد الدولة العثمانية، وعند هزيمة الدولة العثمانية في معركة ليبانت 1571 ابتهجت بريطانيا لهذا الحدث، غير أنّ الصليبية استعادت بريقها في بداية القرن السابع عشر، لقد كانت العواطف الصليبية تسبق الحروب الخارجية وتعقبها وتغذيها ينظر: فرناند بروديل، المرجع السابق، ص، ص 148، 149.

³ للتعقّق أكثر في الأسباب الدّينية التي كانت سوحل شمال إفريقيا عرضة للتهديدات والتوسّعات الإسبانية ينظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، دار البعث، قسنطينة الجزائر، د.س.ن، ص، ص 79، 82؛ علي العبيدي، الجزائر وتوازنات القوي البحرية غرب المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي - دراسة تاريخيّة -، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2017، ص، ص 99، 102.

الصراع بين العملاقين الدولة العثمانية ودول أوروبا الغربية بزعامة إسبانيا¹، وسيكون لإيالة الجزائر دوراً فاعلاً فيه.

بعد تعرّض سواحل شمال إفريقيا إلى الإعتداءات المسيحية، جعلهم يتبنّوا الجهاد البحري على رأسهم الجزائر²، وفي هذا السياق يقول المؤرخان الجزائريان ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي: "لقد كان الجهاد البحري في الجزائر ردّة فعل مباشرة على التهديدات المسيحية، التي اتخذت إثر سقوط الأندلس أواخر القرن الخامس عشر الميلادي 15م، شكل حملات صليبية باركتها البابوية بروما، وتزكّيها الحكومات الأوروبية، وتزعمها إسبانيا الكاثوليكية"³.

تعزّزت ونمت القوّة البحريّة الجزائرية بظهور عروج وخير الدين، وزوال الخطر الإسباني خاصّة بعد استرجاع جيجل (1514م) وتنس (1516م)، وإلحاق الجزائر بالدولة العثمانية 1518، و تحطيم حصن البنيون⁴ سنة 1529 واسترجاع بجاية (1555م)، وفتح البحرية الجزائرية للمتطوعين الذين يرغبون في الجهاد تحت راية الإسلام، ممّا جعلها ملاذاً للأندلسيين الراغبين في الانتقام من الإسبان⁵، هذا الصراع الذي تطوّر ليأخذ أبعاداً استراتيجية كبيرة في

¹ خير الدين فارس، المرجع السابق، ص 90.

² رحمونة بليل، "دور العمل البحري في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن 18م"، مجلة الحوار المتوسط، مج.2، ع.1، جامعة الجبالي اليايس سيدي بلعباس 2010/03/10، ص 19.

³ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج.4، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 43،

⁴ حصن البنيون ويعني بالإسبانية الصخرة العظيمة، تم انشاؤه سنة 1510م من قبل الاسبان لأجل فرض الضرائب على سكان مدينة الجزائر، يقع في عرض البحر على بعد 300م من ساحل المدينة، تم حصاره من قبل خير الدين سنة 1529 ليتمكن ليقترحه في 21 ماي من نفس السنة، حيث أسر عدد من الإسبان مع قائدهم دون مارتان فار قاس، وقد استعملهم في تهديم الحصن، واستعملت حجارته في ميناء الجزائر، ينظر: Adrien Berbrugger, Le Pégnon d'Alger, ou Les origines Algérie, du gouvernement turc en Adrien berbrugger, Paris, 1860, p p 91,93.

يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500 - 1830، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 38.

⁵ جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994،

المتوسط، خاصة وأن الضرورة السياسية كانت تلزم الطرفين العمل من أجل فرض هيمنتها على هاته المنطقة الحيوية. ليأخذ طابع العالمية ضمن إطار النزاع بين قوتين عالميتين متصارعتين للفوز بسيادة البحر الأبيض المتوسط¹، خاصة بعد اتباع إسبانيا سياسة تهدف للقضاء تدريجياً وبصورة جذرية على كل مظاهر الإسلام اتجاه مسلمي شمال إفريقيا والأندلس².

وخلال هذا الصراع تمكّن البحارة الجزائريون في الفترة الممتدة من 1528-1584م من شنّ ثلاثة وثلاثين غارة بحرية ناجحة على السواحل الإسبانية، إنقضوا خلالها الكثير من الأندلسيين المهددين بالتنصير أو الموت، ومن أشهر هذه الغارات نذكر الغارة التي شنّها ايدين رايس وصالح رايس³، بطلب من خير الدين سنة 1529م، وتمكّن خلالها من إنقاذ 600 مسلم من نواحي بلنسية، وبالرغم من تعرّض السفن الإسبانية لهم إلا أنّهم تمكّنوا من العودة باللاجئين إلى الجزائر، كما قام حسن فنزيانو⁴، ومراد رايس، بعمليات حربية، وقد نقل حسن فنزيانو سنة 1584م حوالي ألفين من مسلمي الأندلس كانوا يتعرّضون للاضطهاد، ولم تسلم كل من ضواحي قرطاجنة وسواحل ميورقة من هجمات الرياس الجزائريين⁵.

¹ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 43.

² اسحاق زيتوني المرجع السابق، ص 24.

³ تولى حكم مدينة الجزائر بعد تنحية حسن بن خير الدين سنة 1552م إلى غاية 1556م، كانت اهتماماته منصبية حول اقرار النظام والقضاء على حركات التمرد، توسيع نفوذ السلطة في الأقاليم الجنوبية، كما عمل على وقف تدخلات السلطة السعدية بإقليم تلمسان، مستعملاً سياسة المهادنة مع الدولة السعدية مما جعله يكسب ود محمد الشيخ المهدي، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، البصائر، الجزائر، ط.2، 2013، 292.

⁴ عين حاكما على الجزائر مرتين الاولى سنة 1578م، عمل على تحصين مدينة الجزائر، كان حاكما صارما، فرض على السكان ضرائب باهضة، عرفت فترة حكمه مجاعات كبيرة، مما جعل سكان مدينة الجزائر يرفضون دفع تلك الضرائب، استدعى من طرف علج على للعمل في الاسطول العثماني، وبعد فرار قائد رمضان إلى طرابلس عين حاكما للمرة الثانية على الجزائر، وبعد وفاة علج على سنة 1587م، عين قائداً للأسطول البحري العثماني، ينظر: عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، دار الريحان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2002، ص، ص 95، 96.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 44.

وعليه كانت هجومات البحرية الجزائرية موجه لضرب البحريات الأوروبية الصليبية خاصة الإسبانية التي حملت لواء الحروب المسيحية المقدسة، من أجل إنقراض مسلمي الأندلس المتعرضين للقمع والاضطهاد المسلط عليهم بسبب التعصب الصليبي، هذه المحنة التي تعرض لها الأندلسيون والنداءات المتكررة من أجل إنقراض ما يمكن إنقاذه، جعل البحرية الجزائرية توجه ضرباتها على السواحل الإسبانية وتعرقل طرقها التجارية¹، فأعتبرت الأعمال البحرية الجزائرية حركة جهاد بحري ضد الصليبيين فأينما وجد الاعتداء الصليبي، كانت القوى الإسلامية تهب لرد الاعتداء².

تقرّ كورين شوفالييه (CORINNE Chevalier) بالدور الذي يلعبه الدين في تأجيج الحروب البحرية بقولها "القرصنة بالنسبة للمسلمين قبل كل شيء هي شكل من أشكال الجهاد في البحر، ولو أنها تتخذ أحيانا طابع الحروب الصليبية من جانب المسيحيين"³. وفي الجهة الأخرى من المتوسط، كانت القرصنة المسيحية المنظمة والمدعمة من طرف كل القوى الأوروبية في مالطا وكورسيكا وغيرها من الجزر المتوسطية، كفرسان القديس يوحنا، توجه ضرباتها ضد السفن التجارية الإسلامية وغير الإسلامية العابرة في مياه شرق المتوسط، مما جعله غير آمن خاصة على الحجاج المسلمين، ويصور هذا الصراع جون ب وولف بقوله : « في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر حين كان الهلال يقف في وجه الصليب في البحر الأبيض المتوسط، وأحواض نهر الدانوب، كان البحارة يحاربون

¹ حنفي هلايلي، بوجلال مسعودة، "قضايا البحر الأبيض المتوسط بين بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل"، مجلة الحوار المتوسط، ع.15-16، مارس 2017، ص 567.

² نوال حمزة يوسف الصريفي، الجهاد البحري الإسلامي في شرق إفريقيا في القرن العشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، اطروحة دكتوراه في التاريخ إسلامي الحديث، إشراف محمد سيد محمد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1987، ص 145.

³ كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 49

أما باسم الصّليب، وأما باسم الجهاد¹، وهكذا أطلق على إيالة الجزائر رسمياً "دار الجهاد"، كما أطلقت الدّول المسيحيّة على مالطا بـ"مقل الحرب المقدّسة".

ورغم ما تمّ طرحه، فإنّه لا طالما شكل مصطلح الحرب المقدّسة، ونظيره العربي الإسلاميّ الجهاد البحريّ موضوعاً حسّاساً، من عدّة نواحي، نظراً لأنّ استعمال هذه المصطلحات لا يمكن أن تكون محايدة، وأين كان يعمل في هذا الموضوع سيجد نتائج عمله حتماً لها تداعيات تتجاوز بكثير نواياه، وهذا أمر طبيعي حيث أنّه يكفي أن ينظر إلى جميع القراءات السّياسيّة الممكنة لاختيار هذا الموضوع، ستجد نهجين له وهما الأكثر شيوعاً، الأوّل هو اتّخاذ هذه المصطلحات الحرب المقدّسة، الجهاد من أجل فرض اختلاف بنيوي بين المسيحيّة والإسلام، في شكل هويتين متعارضتين، والنّهج الثّاني ينظر إليهما على أنّهما مؤشّر كبير على عالميّة الدّعوة من أجل تقديس الحرب التي لا هروب للمجتمعات منها².

إنّ الصّراع بين القرصنة المغاربية والأوروبيّة ليس وليد عوامل ظرفيّة كالكشوفات الجغرافيّة، والطرّد الأندلسيّ، واحتلال السّواحل المغاربيّة، بل هما امتداد لاحتكار حضاريّ وصراع عسكريّ تجلّت أبرز مظاهره خلال الحروب الصّليبيّة في الفترة الوسيطة، ممّا يؤكّد على الدّور الرّئيس للعامل الدّيني في تحريك الجانبين نحو التّصادم³؛ فالحروب البحريّة (القرصنة) في المتوسّط لم تنفصل في ظاهرها عن البعد الدّيني في مختلف صوره، فالإسلاميّة استمدت شرعيّتها من مفهوم النّصّ الدّيني لكلمة الجهاد "الغزو البحري"، واستندت المسيحيّة إلى حركة الصّليبيّة "الحروب المقدّسة"⁴.

¹ جون ب وولف، الجزائر وأوروبا 1500-1830، تر. أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 179.

² Henri Bresc, Georges Dagher, Christiane Veauvy, *Politique et Religion en Méditerranée Moyen âge et époque contemporaine*, Editions Bouchène, Bibliothèque de la Méditerranée, 2008, p,p 85-105.

³ حنفي هلايلي، "القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع.4، أبريل 2005، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، ص 243.

⁴ رضا بن رجب، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (1685-1857م)، ط.1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2010، ص، ص 310، 311..

إلا أنّه ومنذ نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر الميلاديين، سيبدأ الارتباط بالدولة العثمانية يضعف، بسبب تعدّد أجناس البحارة الجزائريين الحديثي العهد بالدين الإسلاميّ (العلوج)، الذين لم يكن لهم ولاء للسلطان العثماني، ممّا جعلهم لا يتورعون في مهاجمة سفن الدول التي تعتبر حليفة للدولة العثمانية، وبما أنّ بعضهم قد اعتنق الإسلام طمعاً في الانخراط في البحريّة الجزائريّة والاستفادة من الغنائم، سيؤدّي هذا إلى تغليب العامل المادي على العامل الديني¹؛ لتظهر عوامل أخرى كالطموح السياسي، و الفوائد المادية، والمجد الاجتماعي، متمازجة في ذات الوقت متخذة الدين كذريعة.

وجسد أعظم تصادم في العصر الحديث بين الروحة الصليبي، والمد الإسلامي، في الفترة الممتدة بين 1568-1574م، حين دعمت البحريّة الجزائريّة المقاومة المورسكية المسلحة في جبل البشرات (1568-1570م)، وانهزام الأسطول العثماني أمام التحالف الصليبي الكبير في معركة ليبانت 1571م، حيث نجا منها الأسطول البحريّ الجزائريّ بفضل حنكة رايستها عالج علي، ممّا جعله يُعيّن فيما بعد أميرال الأسطول العثماني²، ويعتبر تاريخ تحرير تونس من يد الإسبان سنة 1574م، هو آخر تصادم بين العملاقين البحريين العثماني والإسباني من خلاله أُستنزفت طاقتهما في هذه الحروب، ليختتم الصراع الديني بين الملك الكاثوليكي والسلطان العثماني عند عقد معاهدة هدنة بينهما بطلب من إسبانيا سنة 1577م³، لتنتهي الحروب المقدسة بين العملاقين في البحر المتوسط في 1580م.

3- الانزلاق التدريجي نحو العامل الاقتصادي

بعد توقيع الهدنة بين الامبراطوريتين العثمانية والإسبانية سنة 1577م، وانتقالهما إلى مجالات صراع كبرى تدور خارج المتوسط، بدأ الطابع الديني يضعف ويفتح المجال للطابع الاقتصادي، فانتهاء حرب الإيرادات فتح المجال لحرب المغامرات المربحة⁴، إذا فالحروب

¹ خير الدين فارس، المرجع السابق، ص 93.

² اسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص 26.

³ Fernand Braudel, "Les Espagnols et La Berbérie De 1492 à 1577", R.A, volume 69, 1928, p 403.

⁴ خير الدين فارس، المرجع نفسه، ص 90.

البحرية (القرصنة) لم تتوقف بل ظهر تحول في هدفها العام ذا الطابع الديني، (الحروب المقدسة، الجهاد البحري)، إلى البحث عن القيمة الاقتصادية حيث غدت الحروب البحرية (القرصنة) محورا أساسيا في تفعيل اقتصاد مدينة الجزائر، فبدأت البحرية الجزائرية تتحول شيئا فشيئا نحو الغزو البحري الذي كان الهدف من ورائه الربح¹، ومن هنا كانت نقطة التحول من الجهاد البحري نحو الغزو البحري، في هذه النقطة يقول فرديناند بروديل: " تم استبدال الحرب العظمى التي تميزت بنفقاتها المرتفعة وعتادها العسكري الكبير، بالحرب الصغيرة أو حرب القرصنة، الأقل تكلفة ولكن أكثر فائدة وفاعلية، ومن بين المدن العثمانية المغاربية التي مارست القرصنة نجد الجزائر، تونس، جيجل، تطوان، سلا²، وبذلك غدت الحروب البحرية (القرصنة) تتمحور حول فكرة الغنائم الجيدة والثمينة، لا حول فكرة الدين دون أن تتسلخ منه، خاصة بعدما احتضنت الجزائر المغامرين الأوروبيين الراغبين في الثراء السريع، وبالتالي أصبحت القرصنة والنشاط الاقتصادي مرتبطان، فهذا يرتفع وذلك يستفيد من التقدم والازدهار³.

3-1 تحول نشاط البحرية الجزائرية نحو المحيط الأطلسي.

نظراً للأهمية الاقتصادية التي أصبح المحيط الأطلسي يمثلها، راحت الإيالة الجزائرية تحول أعمال بحريتها شيئا فشيئا نحوه⁴، ولاسيما أن الاهتمام به كان قبل توقيع الهدنة بين الدولة العثمانية وإسبانيا، حين أرسل حسن آغا لعبد الملك المعتمد سنة 1577م، رسالة أبدى فيها رغبة الباب العالي في وضع ميناء العرائش وسلا تحت تصرف بحارته في حال توقيع الهدنة بين القسطنطينية ومريد⁵.

¹ ناصر الدين سعيدوني، وراقات، المرجع السابق، ص 143.

² José Antonio Martinez Torres, " Europa y el rescate de cautivos en el Mediterráneo durante la temprana Edad Moderna ", Espacio, Tiempo y Forma, Serie IV, **Historia Moderna**, T 18-19, 2005-2006, p 74.

³ كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 49.

⁴ سنقوم بتعويض مصطلح القرصنة، بأعمال البحرية الجزائرية في هذا البحث، حتى نتجاوز النقاش الدائر حول ما إن كان هذا النوع من النشاط، جهادا بحريا أو حرفة مريحة.

⁵ حسن أميلي، المرجع السابق، ص 68.

إنّ اهتمام البحارة بالمحيط الأطلسي لم يكن وليدة القرن السّابع عشر الميلادي (17م) كما أشرنا، حيث يُعتبر أول إشارة عن ظهور الجهاد البحري العثماني في عرض المحيط الأطلسي تعود إلى سنة 1531م انطلاقا من مرسى العرائش، وبداية من هذه السنة سيوسع الرياس الجزائريين قواعد تمركزهم¹، ويعتبر هجوم مراد ريس عندما أقدم في سنة 1585م، على الاستفادة من مرسى سلا للقيام بعملية جريئة بجزر الخالدات، هو نموذج للأعمال داخل المحيط الأطلسي، حيث خرب خلالها مدينة لانزروت وأسر بها ثلاثمائة شخص، ونجح في الإفلات من أسطول حربي إسباني كان يتعقبه بلجؤه إلى العرائش قبل أن يجتاز المضيق تحت أنظار ذلك الأسطول، واعتبر هذا الفعل أول نقطة تأسيس الجهاد المنتظم الذي سيضطلع به على امتداد القرن السابع عشر الميلادي (17م)².

إنّ الإبحار في اتجاه المحيط الأطلسي، يتطلّب مهارات ملاحية عالية يجب على الرياس امتلاكها، وتقنيات خاصّة بالسفن، كي تكون مستعدة للإبحار داخله، لم يكن هذا متوفر لدى رياس البحر الجزائريين، إلا بعد دخول الهولنديون والإنجليز وبعض الفرنسيين للعمل داخل البحرية، فكان لهم الفضل في تعليم الرياس الجزائريين، طريقة صناعة السفن وكيفية الإبحار بها، وبعض علوم الملاحة، فتمكنوا من اختراق المحيط الأطلسي، ومن ثمة توسيع نشاطاتهم داخله³ فوصلوا إلى سواحل جزيرة ماديرا 1617م، وبلوغ شواطئ اسكتلندا 1616م وإنجلترا 1631م، فقد كان المحيط الأطلسي ينبض بالحياة نتيجة انتعاش الملاحة التجارية فيه⁴، خاصة في الفترة الممتدة من 1580 - 1620م، وهذا ما يؤكده أحد الإسبانين في مذكرته: "إن التركي الذي لم تكن يديه محررة لعدم توفره على من يساعده ويلقنه فنون الملاحة، مثلما يقوم به الهولندي اليوم، الذي يعلمه ويمرنه ويعرفه كيف يمارس القرصنة ضدّ السفن"⁵.

¹ المرجع نفسه، ص 67.

² المرجع نفسه، ص 71.

³ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 243.

⁴ اسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص 27.

⁵ عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 112.

ومنذ تحويل الأسطول البحري الجزائري، أعماله نحو المحيط الأطلسي، أصبح مهيباً للإغارة على السفن التجارية، وليس من أجل مواجهة السفن الحربية¹، كما غارتهم على السفن الأوروبية في المحيط الأطلسي المحملة بالثروات² المنهوبة من أمريكا وآسيا وإفريقيا، وبالأخص قافلة الهند الإسبانية المحملة بالذهب والفضة الآتية من أمريكا، فكان البحارة الجزائريون يأخذون نصيباً منها³، مما جعل بعض المؤرخين يعتبرون الحروب البحرية (القرصنة) في هذه الفترة شكل من أشكال الحرب التجارية، تعتمد على التفوق في العتاد الحربي⁴، فنشاط البحري في هذه المرحلة بدأ يغذي حلقة المبادلات التجارية في حوض المتوسط، والجزائر لن تكون مرسى لنشاط القرصنة، إلا لكونها مركزاً تجارياً نشيطاً⁵.

كان النشاط الذي تتعاطاه البحرية الجزائرية في هذه الفترة، نوع من الحروب الاضطرابية الذي تمارسه المجتمعات الساحلية المحرومة أو الأقل كفاية اقتصادية، لتحقيق تطور معيشي من خارج البنيات الإنتاجية، في الوقت الذي تتابع فيه تطور حركة السفن الأجنبية المحملة بالبضائع المرغوب فيها لذاتها أو لقيمتها؛ كما أنه قد يكون دافعاً للعداء ومناوئة المجتمع التجاري، فتأتي حملاتها كشكل من أشكال حروب الاستنزاف الاقتصادي.

2-3 البحرية مؤسسة ربحية لها تأثير في السياسة الخارجية:

3-2-1 تأثير البحرية الجزائرية في السياسة الخارجية:

أصبحت البحرية الجزائرية في العقدين الأخيرين من القرن السادس عشر تمثل النشاط الأساسي والمحوري لإيالة الجزائر، بسبب تشغيلها قطاعاً هاماً من الحياة الاقتصادية، فنمت حولها فئة اجتماعية ديناميكية ذات نفوذ قوي، وكأنها بقصد تحويلها إلى مؤسسة مركنتيلية أو شركة ذات أسهم، ركزت خطابها العام على أمجاد الجهاد ضد الكفار، وهي بهذا تصبح

¹ جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 189.

² عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص 288.

³ المنور مروش، المرجع السابق، ص 309.

⁴ حنيفي هلايلي، مسعودة بوجلال، المرجع السابق، ص 572.

⁵ اسحاق زيتوني، المرجع نفسه، ص 31.

مهنة للعيش تتوسل أحيانا الدين كذريعة لإنجاز أهدافها¹، خاصة مع الأسبقية والتفوق العددي والتفني للأوروبيين، فظل العامل الديني فاعلاً في الاحتكاك بين شمال وجنوب الحوض الغربي للمتوسط حتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي (19م).

وبتغيير النظام الإداري في إيالة الجزائر، وعدم قدرة الباشوات² على فرض إرادة السلطة المركزية، بسبب القوة التي يتمتع بها الضباط والرياس، وبإنهاء الحرب المقدسة ظاهرة القرن السادس عشر الميلادي (16م)، هذه المتغيرات ستجعل رياس البحر في الجزائر ينحازون إلى الاستقلال بقرارهم، والاتسلاخ التدريجي عن التبعية للسلطة المركزية³.

حيث كان رياس البحر يمارسون أعمالهم البحرية ضد الدول الأجنبية بكل حرية، وعندما تتلقي سلطة الباب العالي شكوى هاته الدول خاصة التي هي في حالة سلم معها، من خلال إبرام معاهدات واتفاقيات سلام وتجارة كفرنسا وغيرها، كان السلطان العثماني يحاول فرض سلطته عن إيالة الجزائر بإرساله رسائل وفرمانات يدعوهم فيها لعدم تعرض البحارة الجزائريين لسفن هذه الدول⁴، ليرد الجزائريين نحن أسياد هذه البلاد ولا احد باستطاعته أن يمل علينا أوامرهم⁵.

3-2-2 البحرية الجزائرية مؤسسة ربحية

منذ أن بدأت إيالة الجزائر، تفرض منطقتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، أخذت البحرية تشكل تمركزاً مهنيًا متكوّن من مختلف الجنسيات، ساعين إلى

¹ فردناند بروديل، المرجع السابق، ص 151.

² إن تعيين بشاوات قليلي الخبرة بالمنصب الموكل إليهم، ذلك أنهم ليسوا بحارة ولا جنود، مما جعلهم لا يفقهون التعقيدات التي تمر بها الجزائر، فلم يكن قادرا على فرض إرادة السلطة المركزية، ينظر: جون ب وولف، المرجع السابق، ص 246.

³ حسن أميلي، "البحرية العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين: من الريادة إلى التبعية"، العثمانيون والعالم المتوسط: مقاربات جديدة، ضمن سلسلة ندوات ومناظرات رقم 109، ط1، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 2003، ص 91.

⁴ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 304

⁵ أوجان بلانتيت، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1579-1700م، ط1، ج1، تر. سلامنية بن داود، قوشام حفيظة، دار الوعي، الجزائر، 2014، ص 36.

تطيف حدة التأثيرات السياسية التي كانت تكبح جماح توجهاتهم، وتخضعهم لإرادة السلطة المركزية، وتحول أجزاء مهمة من نتاج عملياتهم لفائدتها، وبذلك ستتحول هذه الأعمال إلى مؤسسة كسبية¹.

ومما يؤكد على أنها أصبحت مؤسسة كسبية ذات طابع خاص هو امتلاك الرّياس أو الحكّام لسفن الأسطول أو امتلاكه من طرف شركات ذات أسهم ، تسعى البنية المالية لها على إقامة مقاييس محددة: من حيث مسألة التكاليف المالية (المتطلبات المالية الكافية لصيانة وتجهيز السفن) وشروط تمويل هذه المؤسسة أو الشركة من جهة ومن جهة أخرى تنظيم طريقة توزيع المداخل أو الغنائم حسب قواعد محددة، وبما أنّ هذه المؤسسة تتطلب موارد مالية ضخمة وامكانيات بشرية من أجل الاستثمار والتطور والنمو، فقد مكنتها ظروف ذلك العصر من الحصول عليها².

لقد كان مجال استثمار لهذه المؤسسة مفتوح أمام الجميع دون استثناء قصد المساهمة في تكاليف تجهيز السفن، ومن مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية حتى الفقراء الذين تكون مساهمتهم بمبالغ زهيدة، ونظراً للفوائد التي يجنيها المساهمون في هذا المجال، قامت بعض النساء ببيع مجوهراتهن، من أجل المشاركة في تكاليف تجهيز السفن، رغبة في الحصول على الفوائد³

ونظراً لما توفرها أعمال البحرية من غنائم، جعل ميناء الجزائر محط أنظار السفن المسيحية التي كانت تشتري منه الأسرى والسلع، كالمرسيلون واللفرونييون، مما أدى إلى نمو فئة ذات نفوذ قوي، كانوا يدافعون بشراسة على مصالح أعمال البحرية (القرصنة)، ومارسوا ضغوطات كبيرة على الطبقة الحاكمة، خاصة عندما تميل إلى إرجاع الغنائم التي جلبتها

¹ حسن أميلي، البحرية العثمانية..، المرجع السابق، ص 92

² حسن أميلي، الجهاد البحري، المرجع السابق، ص 81.

³ D. Grammont, *Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515-1830)*, ernest leroux, éditeur 28, rue bonaparte, Paris, 1887, p 159.

القرصنة بسبب ضغط الإدارة المركزية في الأستانة، أو لأسباب دبلوماسية إلى الدول المطالبة بها على أساس أنّ عملية الاستيلاء كانت غير شرعية¹.

وبهذا أصبحت أعمال البحرية تتحكم وتوجه السياسة الخارجية للإيالة الجزائرية، حيث كان ملأك السفن والرياس يمارسون ضغوطات على الدولة في إعلان الحرب والقطيعة ضد الدول الأجنبية لتحقيق مصلحتهم الاقتصادية، فكانوا يريدون الحرب التي يجنون منها غنائم كثيرة، ويريدون السلم عندما تظهر سفن الدول البحرية الكبرى في البحر لتضرب وتغرق سفنهم في المرسى وتحاربهم في عرض البحر²، لقد كان الديوان يحكم بالحرب والسلم، ويعقد معاهدات والتحالفات، ولا يهتم كثيراً بما إذا كان ذلك القرار الذي تم اتخاذه وفقاً لسياسة الباب العالي أم لا³.

إن الوفرة الاقتصادية للبحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلسي، واحتكار الأوروبيين للتجارة العالمية، واقصائهم لأي نشاط تجاري تتعاطاه الجزائر، كل هذا أدى إلى نمو وتطور المؤسسة البحرية (القرصنة) لتتال بها نصيبها من التجارة العالمية⁴، خاصة بعد دخول إنجلترا وهولندا للبحر الأبيض المتوسط، خلال القرن السابع عشر الميلادي (17م)، كدولتين تجاريتين، تهدفان إلى الانفراد بالتجارة الدولية، وبالأخص التجارة مع الشرق، من خلال تأسيس الشركات التجارية الكبرى، ذات التنظيم المحكم⁵، كشركة الهند الشرقية البريطانية⁶.

وبسبب تخلف وسائل الدفاع والحرب والنقل البحري للدول الإسلامية، جاءت القرصنة عبارة عن تجارة مضادة لاحتكار التجارة العالمية، وفي هذا الصدد يقول عبد القادر جغلون:

¹ منور مروش، المرجع السابق، ص، ص 101، 203.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 133

³ D. Grammont, Op-Cit p, 126.

⁴ اسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص، ص 30، 31.

⁵ عائشة غطاس، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619 - 1674)، رسالة ماجستير، إشراف مولاي بلحميسي، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 1985، ص 22.

⁶ تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية سنة 1594م، وشركة الهند الشرقية الانجليزية سنة 1600م.

إنّ القرصنة لا تعبّر تماماً بصورة ارتدادية عن إرادة التّواصل لاوليجاركية¹ التّركية مع الطّبقّة السّائدة لدول المغرب الوسطية (الجزائر)، وفي الحقيقة تُشكّل هذه التجارة المضادة (القرصنة)، رداً على الاحتكار الذي تتمتع به السفن الأوروبية، في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، كما أنّها (القرصنة) نوع من توزيع الأرباح التجارية، في إطار الحصار المفروض من البرجوازية التجارية الأوروبية على البحرية التجارية الجزائرية²، هذا ما أكده ايمري (Emret) بأنّ سكان شمال إفريقيا هم قراصنة بالضرورة، أكثر منهم قراصنة بالاستعداد، لأنّ هذا التّشاطر فرض عليهم نتيجة استحالة ممارستهم لأيّ نشاط تجاري³.

ومن هنا ارتفعت حدة ضربات رياس شمال إفريقيا، عموماً وإيالة الجزائر خصوصاً، ضد التجارة الملاحية للأوروبيين، ليس هذا فحسب بل أصبحت كافة سواحل إيطاليا وصقلية وكورسيكا، وجزيرتي مايورقا ومينورقا تحت رحمتهم، أمام عجز سلطات الدول الأوروبية عن التصدي لهم بشكل ملموس⁴، وحسب الاب دان - أن رياس البحر الجزائريين يسببون ضرراً كبيراً بالعالم المسيحي، بكل ثقة دون أن يحركوا ساكن رغم تطوّرهم التقني ويرجع هذا طبعاً إلى الصّراع الديني والتّنافس التجاري داخل أوروبا وقتذاك حيث يقول: "يسلكون إلى بربريا أمام العار الكبير والضرر الحاصل بكل العالم المسيحي الذي لم يتوقّفوا عن تعكير صفوه، دون أن تقوم القوادر القويّة والمراكب الجيدة التي يتوفّر العديد من الأمراء المسيحيين عليها في مرافئهم بمطاردتهم، باستثناء سفن مالطا وليفرون التي تهاجمهم غالباً، ممّا جعل هؤلاء البارباريين يتجولون في البحار بكلّ جسارة، ويحقّقون عليها مغانم أكثر ثراءً"⁵.

¹ أوليجركية: تعني حكم الاقلية حيث تكون السيطرة على الحكم بأيدي بعض الأشخاص أو العائلات، ينظر: اسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص 31.

² عبد القادر جغلون، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية، تر. فيصل عباس، ط.3، د.د.ن، الجزائر، 1983، ص، ص 42، 43.

³ Marseille, (E) : Essai d'une marine marchande Barbaresque au XVIII siècle, les Cahiers Tunisine , 1955, N° 1 , p 72.

⁴ حسن أميلي، البحرية العثمانية، المرجع السابق، ص 92

⁵ Pierre Dan, Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, seconde edition, Paris, 1648, p 312.

المبحث الثاني: مظاهر تطوّر قوّة البحريّة الجزائريّة

كان للتطوّرات التي شهدتها البحر الأبيض المتوسط أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الميلاديين، دوراً كبيراً في بناء واهتمام بلدان شمال إفريقيا خاصّة إيالة الجزائر، بأساطيلهم البحرية، ليتمكنوا بواسطتها من تحرير السواحل الواقعة تحت سيطرة الإسبان والبرتغال، وتعتبر الوحدات المكوّنة للعتاد الحربي البحري ورجال البحر في عهد خير الدين، النواة الأولى للبحرية الجزائرية، لتعرف فيما بعد تطوراً كبيراً أمتد إلى غاية منتصف القرن السابع عشر الميلادي 17م؛ ويعتبر بناء ميناء الجزائر بعد تحرير حصن البنيون 1529م من يد الإسبان¹، حجر الزاوية للأعمال البحرية، لما له من أهمية استراتيجية²، من خلال ضمان وجودهم في مدينة الجزائر من جهة، والدفاع عن المدينة من الغارات والهجمات الخارجية من جهة أخرى، خصوصاً بعد اتخاذهم له قاعدة لنشاطهم البحري بدلاً ميناء جيجل وشرشال ودلس، لصغر حجمهم، وموقعهم الغير ملائم، وذلك بعد تعاظم قوّة الأسطول البحري³ عدداً وعدةً وتجهيزاً سواء من حيث مكوناته المادية أو البشرية ممّا يجعلنا نتساءل عن حجم الأسطول البحري؟ وقوته الحربية؟ وعن كيفية صناعة السفن والأسلحة؟ وكيفية توفير المواد الأساسية لتصنيع وتجهيز السفن والأسلحة؟ وماهي العوامل المساعدة في قوّة الأسطول البحري؟.

1- الأسطول البحريّ الجزائريّ

إنّ إدخال التقنيات الحربيّة البحريّة الحديثة، وقابليّة الإبحار أحياناً بالمجاديف وأحياناً بالأسرعة، والصفّات الجيدة للتسلّح، ضمنت للبحريّة الجزائريّة، تفوّقاً خلال القرن السابع

¹ "Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique, 1506-1574", Elie de la. Primaudaie, in R.A 1875, p. 165. خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر. محمد دراج، شركة أصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2010، ص 136.

² Safia Benselama-Messikh, "Les fortifications ottomanes d'Alger (1516-1830)", Defensive Architecture of the Mediterranean, XV to XVIII centuries, FORTMED 2015, International Conference on modern age fortification of the western mediterranean coast, Oct 2015, Valencia, Espagne, Universitat Politècnica de València, Oct 2015, p 125.

³ فهم لقوارة، ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في العهد العثماني (ق 10-11هـ / 16-17م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011-2012، ص 32.

عشر¹، خاصة مع دخول السفن المستديرة والشرعية² كالغليون والفرقاطة والحرّاقة، البريك، البلاكر، الغراب، الترتان..... غيرها³، حيث حلت محل القوادم والغليوطات التي بدأ عددها في التضاؤل، وقد صاحب التطور في نوعية السفن المشكلة للأسطول البحري الجزائري، رفع قوتها النارية⁴، فبدل العدد القليل للمدفعية على متن السفن من 8 إلى 13 مدفعاً ضعيفاً، لتصل في الشبيك إلى 24 مدفعاً، وفي الغليوطات 20 مدفعاً⁵، ووصلت في بعد الفترات حسب الأب دان (Dan) إلى 50 مدفعاً من الأنواع الجيدة على متن السفينة الواحدة⁶.

1 Balhmissi MUOLAY, *Marins et marine d'Alger 1518-1830* Tom 1, les navires et les hommes, Alger, bibliotheque nationale D'algerie, 1996, p 104.

2 طورت البحرية الجزائرية خلال القرن 17م السفن الصغيرة التي كانت تدفع بالمجاديف، إلى سفن ذات هياكل ضخمة تحاكي في شكلها السفن الشرعية كالشبيكات والفرقاطة وهي وحدة حربية ذات حمولة عالية قد تصل من 40 إلى 60 مدفعاً، البريك وهي سفن ذات حمولة صغيرة بها ساريان وشرعان مربعان وهي أقل حمولة من الفرقاطة، البلاكر وهي سفينة بثلاث صواري وذات أشعة مربعة، وبدرجة حمولة أقل، نجد الحرّاقة التي تعتبر مركب حربي كبير يأتي بعد الشواني من حيث الأهمية حيث تملء بالمواد الحربية كالمنجليق وأدوات القتال من أجل إطلاقها على سفن العدو، الفلوكة، الغراب، الترتان، الجفن، للمزيد حول نوعية السفن ينظر Balhmissi MUOLAY, Op-Cit, p 104 ؛ حليم سرحان، *تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثماني (920-1346هـ) (1514-1830م) من خلال المصادر التاريخية والأثرية*، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، إشراف صالح بن قرية، جامعة الجزائر 2، 2007-2008، ص-ص 122-125، جون ب وولف، المرجع السابق، ص 185.

³ للتعرف أكثر حول أنواع السفن ينظر حليم سرحان، المرجع السابق، ص 85-102؛ فهم لقوارة، المرجع السابق، ص، ص 92، 94؛ علي خلاصي، *الجيش الجزائري في العصر الحديث*، ط. 2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013، ص، ص 406، 407؛ محمد الأمين عطلي، *نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر وأثره في العلاقات الجزائرية الفرنسية*، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف عمار بن خروف، المركز الجامعي غرداية، 2011-2012م، ص، ص 76، 79.

⁴ يذكر ابن رقية التلمساني في مخطوط الزهرة النائرة أن خير الدين عند التحاقه بالأستانة بعد تعيينه قبدان باشا، بأنه قد أمن الإيالة بعد ما ترك فيها من المجاهدين وأهل الأندلس ما تركه من العدة الحربية حيث بلغ عدد المدافع أكثر من 400 مدفع ينظر: بن رقية التلمساني، *الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة*، ضبط النص خير الدين سعيد الجزائري، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، 2017، جيل الجزائر، ص 107.

⁵ حليم سرحان، المرجع نفسه، ص 205

⁶ Dan, Op- Cit, p 301.

لذا فقد عرفت البحرية الجزائرية أوج قوتها في الفترة الممتدة من 1580-1640م والتي تعتبر العصر الذهبي للبحرية الجزائرية وعصر التفوق البحري¹، فبينما كانت تشكيلة الأسطول الجزائري كما ذكرنا سابقا خلال القرن السادس عشر 16م، من القوادم والغليوطات، كانت الجزائر حسب كتاب غزوات تحتوي على 9 سفن موجهة للقرصنة ثم ألحقت بها 15 سفينة التي كانت مع خير الدين، وتم صنع 8 سفن أخرى، ففي سنة 1530م كان الأسطول يتكوّن من 60 سفينة وفي سنة 1564م كان الأسطول يتكوّن من 66 سفينة منها 50 سفينة للقرصنة من الجزائر و 16 سفينة من عنابة².

وإذا كان الأسطول الجزائري في الفترة 1529-1579م، يبلغ حسب الظروف ما بين خمس وربع الأسطول العثماني، ليصل في فترة البحث إلى ثلثه أو نصفه، وتعتبر تشكيلته هي أفضل تشكيلة في الأسطول العثماني³، ونظراً لقوته فقد شمل نشاطه البحر الأبيض المتوسط كلّهُ، وامتد إلى سواحل أوربا الشمالية وإيسلندا والأراضي الجديدة⁴، حيث وصف صاحب كتاب تحفة الزائر قوة البحرية الجزائرية بقوله: "كانت لها اليد الطولى في البحر الرومي وكانت بعوثها وغوازيها كثيراً ما تسم الثغور الإفريقية بالخسف والدمار"⁵.

في نفس السياق حول القوة التي وصلت إليها البحرية الجزائرية يقول بلانتيت Planète: "إن القراصنة البربريين كانوا يتحكمون في البحر بسفنهم القوية"⁶ وهذا ما أقرّ به لأكروا (Lacroix) حين قال: "إنّ البحرية الجزائرية لا يمكن أن تضاهيها بحرية أية دولة

¹ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 20

² المنور مروش، المرجع السابق، ص، ص 169، 170.

³ المرجع نفسه، ص 232.

⁴ Balhmissi MUOLAY, Op-Cit, p 106.

⁵ عبد القادر الجزائري الأمير محمد، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج.1، المطبعة التجارية، عرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903، ص 81.

⁶ أوجان بلانتيت، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1579-1700م، ط.1، ج.1، تر. سلامنية بن داود، قوشام حفيظة، دار الوعي، 2014، الجزائر، ص 61.

أخرى¹، أم المؤرخ الفرنسي غرامون فيقول: "انظروا إلى زيادة قوة البحرية الجزائرية شيئاً فشيئاً، حتى وصل أسطول الجزائر إلى خليج غسكونيا، وجاب بحر بريطانيا دون رادع، بل طرق أبواب الولايات المتحدة، بوصولهم إلى ايسلندا وغزوها"²، ونظراً لقوة الأسطول الذي امتلكته الجزائر فقد أصبحت السياسة الخارجية للجزائر تعتمد بالأساس عليه لتؤكد مكانتها كدولة مدنية بحرية، وقد مرّ هذا الأسطول بتغيرات كبيرة سواء في حجمه أو سلاحه، أو فاعليته، وهذا خلال الثلاثة قرون التي كانت فيها الإيالة الجزائرية تحت الحكم العثماني³. وعليه سيتم إدراج إحصائيات لعدد السفن المكونة للبحرية الجزائرية من مصادر ومراجع مختلفة:

جدول رقم (1): عدد السفن وعدد المدافع التي تحتوي عليها مصادر مختلفة⁴

السنة	عدد السفن	عدد المدافع	المصدر
1581	35 قادسا و 25 مركبا شراعيا	/	هايدو ⁵ (Haïdu)
1591	60 قادسا	/	بلانتيت ⁶ (Planète)
1616	84	/	فيشر (Pêcheur)
1617	50	/	ألكسندر دوقروت (Alexender de) Groot ⁷
1619	4 قوادس و 72 سفينة شراعية		غرامامي (Grammy)
1621	85 سفينة		تشيكس ⁸ (chaix)
1625	80		ألكسندر (Alexandre)
1623	61		رسالة من سليمان شاوش

¹ عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 20.

² مراد كحلوش، دولة الجزائر البحرية دولة جزائرية أم مجرد ولاية عثمانية، نور للنشر، ألمانيا، 2020، ص 124.

³ وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياح البحر، تر. عبد القادر زبدي، دار القصة، الجزائر، 2006، ص 167.

⁴ تم عمل هذا الجدول اعتمادا على كتاب المنور مروش، ص، ص 227، 233، وبالرجوع أيضا بعض إلى المصادر الأصلية.

⁵ DIEGO De Haédo, **Topographie et histoire générale D'Alger**, Traduit de l'espagnol par : mm. le Dr. monnereau et A. berbrugger en 1870, imprimé a valladolid EN 1612, p 87,88.

⁶ أوجان بلانتيت، المصدر السابق، ص 29.

⁷ De Groot Alexander H." Ottoman North Africa and the Dutch Republic in the seventeenth and eighteenth centuries", In: Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°39, 1985, p 131.

⁸ H, de Grammont. "Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIIe siècle", RA, 1879, p 97.

نايت (Nuit)		90	1631
دان ¹ (Dan)	من 25-50 مدفعا	70 مركبا من أحسن ما تم اكتشافه في مجال السفن الأكثر تسليحاً	1634
نايت (Nuit)	البعض به 40	80	1640
دارندا (Daranda)		65 سفينة شراعية و 4 قوادم	1641
دابير ² (Dabeer)	من 30-40 مدفعا للوحدة	22 أو 23 بارجة	1659
دي ريتير (De Ruyter) ³		18 فرقاطة و 4 في طور الانجاز	1662
رسالة مبعوثة إلى كولبير (Colbert)		30 بارجة و بعض القوادم	1666
جوليان كوربيت (Jullian Corbett) ⁴		23 بارجة	1671

بالرجوع لبعض المراجع نجد اختلافات في أرقام وحدات الأسطول في بعض السنوات، فالكاتب الأمريكي جيمس ولسن ستيفن (James Wilson s'steven) يشير أن إيالة الجزائر قامت بإعادة بناء أسطولها بعد سنتين من الهزيمة الكبيرة التي تعرض لها الأسطول الجزائري بمعية الأسطول التونسي، وهما في طريقهما للمشاركة في الحرب الدائرة بين الأسطول العثماني والبنديّة سنة 1638م، فعند الاحتماء بميناء فالونا⁵، حينها هاجمهم الأسطول البندقي بقيادة الادميرال كابيلو (Capello) واستولوا على 16 سفينة جزائريّة⁶ وتمّ إغراقها في البحر، ليعود الأسطول سنة 1640م، بـ 65 سفينة شراعية، وأربعة سفناً ملكاً لرئيس على بتشين⁷، مما يدل على القدرة الكبيرة في بناء و تجهيز السفن.

1 P. Dan, Op-Cit, p 279.

2 Dapper, O, **Description de l'Afrique contenant les noms et la situation... Avec des cartes des états des provinces et des villes**, traduite de flamand, Wolfgang, Amsterdam, 1686, p 177.

3 أما دابير فيشير إلى عدد السفن سنة 1662م كان 15 بارجة و 3 تم انجازها للتو و 4 يعمل على انجازها ينظر: Dapper, Ibid, p 177. أما ابن رقية التلمساني فيذكر أن في سنة 1661م كانت في الجزائر من السفائن التي تحل الطاقة من الأسفل إثنين وأربعون سفينة" ينظر: بن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص 126.

4 Jullian S. Corbett, **England in The Mediterranean, Vol1 (2Vol), 2nd Ed**, London, Longmans, Greend and Co 1916, p 359. <https://onlinebooks.library.upenn.edu/>, 21:45 الساعة 2019/07/20 شوه يوم

5 محمد بن مبارك الملي، المرجع السابق، ص 166

6 يذكر ابن شويهد أنه في هذه الحادثة فقدت الجزائر 34 سفينة ينظر: عبد الله بن محمد الشويهد، **قانون أسواق الجزائر (1107-1117هـ / 1695-1705م)**، تح. ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر، الجزائر، 2012، ص 145.

7 James Wilson Stevens, **on historical and Geographical Account of Algiers: novel and interesting detail of events relative to American captives comprehending**, A Philadelphia, August, 1997, p 54 55.

أما يحي بوعزيز¹ فيعطي أرقاماً أحياناً تتطابق مع ما جاء في الجدول أعلاه وأحياناً أخرى تختلف فيذكر في سنة 1619م، كان الأسطول يحتوي على 80 سفينة، وهو عدد مطابق لما ذكره هايدو Haïdu، أما سنة 1623م فيذكر بوعزيز أنّ عدد وحدات الأسطول هي 175 سفينة وهو عدد يختلف كثيراً عما تم ذكره في رسالة المبعوث السلطان العثماني سليمان شاوش حين ذكر أنّ عدد وحدات الأسطول هي 61 سفينة، أما السنوات 1634م و 1659م و 1662م فيعطي يحي بوعزيز نفس الأرقام التي موجودة في الجدول أعلاه، ولكن ما يلاحظ في الأرقام التي أوردها يحي بوعزيز أنّ سنة 1670م عادت وحدات الأسطول لتشهد ارتفاعاً ملحوظاً فمن 22 وحدة سنة 1662م لتصل 70 وحدة سنة 1670م، أما جوليان كوربيت (Julien Corbett) فيذكر أن سنة 1671م كان في الجزائر 23 بارجة، بعد أن استطاعت إنجلترا تدمير سبع بوارج جزائرية، التي تحمل من 28 إلى 30 مدفعاً²، وهذا رقم قريب للصواب حسب ما أورده المصادر.

إنّ ما تمّ ذكره آنفاً يعطي انطباعاً أنّ أرقام الوحدات المكونة للبحرية الجزائرية، هي أرقام ضخمة، إلا أنّ الحديث عن الإحصائيات حول عدد سفن البحرية هي أرقام تقريبية مثل الكثير من الأرقام من هذا النوع في ذلك العصر، حيث لا يتم اعتبارها كمعطيات ثابتة، وإذا اعتبرنا أحد الأرقام أنها صحيحة فهي لا تعبر إلا على السنة التي تم ذكرها فيها³. وهذا بسبب التغيرات التي تحدث لوحدات الأسطول، فالزيادة والنقصان مرتبطان بأعمال البحرية أو بالتعزيزات والمساعدات التي كانت الجزائر تقدمها للباب العالي، حين يطلبها كدخول الجزائر في حرب كريت مع الأسطول العثماني من 1645 إلى 1669م التي ارهقت البحرية الجزائرية، كما كانت المراكب التي ترسل للأستانة، حيث التحقت عشرين سفين 20 بالأسطول العثماني سنة 1653م، كما التحاق 20 سفينة بأسطنبول 1666م⁴، تبقى في

¹ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص، ص

² Jullian S. Corbett, Op-Cit, p 359.

³ المنور مروش، المرجع السابق، ص 288.

⁴ ابن الشويهد المصدر السابق، ص 145.

مهامها لمدة ستة أشهر¹، وهناك من تبقى لمدة تفوق السنة، وهذا ما أشار إليه أحمد شريف الزهار، من أن السلطان مصطفى (1757م-1773م)² طلب من الجزائر مراكب جهادية، فأرسلت له خمس مراكب بقيت لمدة خمس سنوات هناك³.

من خلال ما تقدّم ذكره نلاحظ أن الفترة الممتدة من 1580م إلى 1640م عرف فيها الأسطول الجزائري أوج ازدهاره، حيث تراوح عدد السفن ما بين 60 و 80 سفينة أو أكثر في بعض الأوقات، أما بحلول سنة 1641م ستشهد وحدات الأسطول الجزائري تراجعاً كبيراً ليستمر طيلة النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي 17م، ففي سنة 1659م وصل العدد إلى 23 بارجة وبقي الرقم يتراوح بين 23 و 30 بارجة، ويرجع قوة البحرية الجزائرية خلال هذه الفترة إلى مجموعة من العوامل كانت لها السبب المباشر في هذه الريادة.

2- صناعة السفن والأسلحة:

تكوّنت البحرية الجزائرية من مكونات مادية رئيسية (سفن وأسلحة) يتم توفيرها إما بتصنيع أجزائها وتجهيزها وإصلاحها داخل الجزائر، وبالتحديد في ورشات لصناعة السفن والأسلحة، أو بالحصول عليها أو بعض أجزائها كبديل عن الإتاوات المالية المفروضة على بعض البلدان البحرية مثل هولندا والبلاد الاسكندنافية التي لا ترتبط مع إيالة الجزائر بمعاهدات سلم، وتسعى في نفس الوقت لحماية أساطيلها التجارية داخل البحر المتوسط، وفي ظلّ تزايد الحروب التي كانت تخوضها الإيالة ضدّ الأساطيل الأوروبية، كانت ورشات تصنيع وتركيب السفن والأسلحة تشتغل باستمرار لتوفير حاجياتها.

¹ علي خلاصي، المرجع السابق، ص 351.

² هو السلطان مصطفى الثالث، بن أحمد الثالث تولى الحكم بعد عمه السلطان عثمان الثالث، ينظر: أحمد شريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1168-1246هـ، تح. أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر

والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 19.

³ المصدر نفسه، ص 28.

2-1 صناعة السفن:

يدخل امتلاك أي دولة لبحرية قوية خلال الفترة الحديثة، ضمن استراتيجية من يملك البحر يملك اليابسة، خاصة في ظل التوسعات الاستعمارية، المنتهجة من قبل الدول الأوروبية، من جهة، وسعي الدولة العثمانية للحفاظ على ممتلكاتها الممتدة من آسيا إلى أوروبا الشرقية من جهة أخرى، لذا أولى أغلب الحكام العثمانيين سواء في الدولة العثمانية أو في الولايات التابعة لها، اهتماماً بالغاً بصناعة السفن الحربية لتوطيد سلطانهم في البحر، وللحفاظ على قوتهم البحرية، فكان لابد من إنشاء الترسانة¹ أو ما يسمى بدار صناعة السفن، لتوفير احتياجاتهم من مختلف أنواع وأحجام السفن².

أصبح لصناعة السفن الحربية في الجزائر مكانة كبيرة لما لها من أهمية، لذا كانت تتلقى الرعاية التامة من حكام إيالة الجزائر، حيث عملوا على توفير كل الامكانيات المادية والبشرية ليتمكنوا من امتلاك أسطول قوي يمكنهم من حماية بلادهم، وفرض سيطرتهم في البحر الأبيض المتوسط، وحتى في المحيط الأطلسي.

✓ دار صناعة السفن في الجزائر:

بضمّ الجزائر إلى ممتلكات الدولة العثمانية 1519م، سار خير الدين على نفس المنهج فبعد تحطيمه لحصن البنيون سنة 1529م³، وتأسيسه لميناء الجزائر، أولى اهتمامه لصناعة السفن البحرية⁴، فقام بإنشاء دار صناعة⁵ السفن أو الترسانة، مستعملاً حجارة البرج

¹ الترسانة هي دار صناعة السفن وهي كلمة باللغة التركية حرفت عن العربية وهي المكان المخصص لكل ما يتعلق بالأعمال البحرية سواء صناعة وتجهيز وتصلح السفن، أو تدريب الرياس واعطائهم التعليمات، ينظر، سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000، ص 73.

² محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 71؛ الأمين محرز، الجزائر في عهد الآغوات (1659-1671)، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 ص 181، سمير مشوشة، الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين 11-12هـ / 17-18م، أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف أحمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، 2018-2019، ص 81.

³ كوربين شوفالييه، المرجع السابق، ص 48.

⁴ عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص 299.

⁵ تأسست دار صناعة السفن بعد تحطيم حصن البنيون 1529م مباشرة أي قبل سنة 1535م، وهذا استناداً إلى تقرير جاسوس إسباني ذكره بريموديا (Primaudaie) ينظر: Primaudaie, Op-Cit, p 165. و كما اشارت لذلك كوربين شوفالييه حين قالت أنه يوجد في الميناء ورشة هامة لصناعة السفن ومن خلالها استطاع جواسيس الإسبان من معرفة عدد المدافع بالمدينة سنة 1533م، ينظر: كوربين شوفالييه، المرجع نفسه، ص 86.

الإسباني (حصن البنيون) المشيد على الصخرة الكبرى سنة 1510م¹، لتكون النواة الأولى لترسانة من أجل تصنيع السفن، وترميم وإصلاح القديم والمعطوب وتجهيز الجديد منها²، هذه الترسنة تقع على بعد 300 متر شرق رصيف خير الدين³، حين حفر حوض كبير شبه منحرف الشكل تقريبا يصل قطره إلى نحو 60 متر⁴، يفتح على البحر عبر بوابتان مقببتان في قاع السور، ولم يكن لهذه الترسنة إي منفذ مباشر للمدينة، كانت تستعمل أحد البوابتان لإخراج السفن في حين تستعمل الأخرى لدخول وخروج العمال، الذين كانوا يلتحقون بمقر عملهم بواسطة مراكب خفيفة⁵.

وسعيًا منه إلى تحسين أحوال الأسطول البحري، وحتى بعد تعيينه قائداً عاماً للأسطول الدولة العثمانية برتبة قبدان باشا⁶، عمل على مواصلة بلوغ هدفه، حين قام بتعيين مجموعة من الشباب الأناضول الراغبين في الذهاب إلى الجزائر، ليتدربوا في المصنع السلطاني لصناعة السفن: "... وأما الآخرون فقد عيّنتهم في مصنع بناء السفن لكي يتدربوا ويتعلموا هناك"⁷، من أجل الاستفادة من خبرتهم في صناعة السفن البحرية عند ذهابهم إلى الجزائر. عرفت دار صناعة السفن نشاطاً منقطع النظير، في ظلّ تزايد الحروب البحرية التي كان يخوضها الأسطول الجزائري، ضدّ أساطيل الدول الأوروبية، بمعية الدولة العثمانية أو بمفردها، تلبية للحاجة الملحة لتوفير أكبر عدد من السفن والمراكب مختلفة الأحجام والأدوار، لهذا ظهرت عدة ورشات لصناعة السفن، ومن أبرزها ورشة باب الواد (ترسانة الجزيرة) لصناعة الوحدات الكبيرة⁸ أقيمت في

¹ Henri Klein , *Feuillets d'eldjezair*, chaix editeur Alger, 1937, p 75.

² علي خلاصي، المرجع السابق، ص 207.

³ Devoulx, " A'lger Etude archéologique et topographique sur cette ville", *R.A*, 1876, p 251.

⁴ فهم لقوار، المرجع السابق، ص 52.

⁵ Devoulx, A'lger..., Op-Cit, p 251.

⁶ سمير مشوشة، المرجع السابق، ص 82.

⁷ خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص 212.

⁸ كانت في بادئ الأمر عن ورشة لصناعة السفن الجديدة، لتتحول تدريجياً بعد بناء مخازن للعتاد قريبا إلى ترسانة

لصنع السفن الدائرية الكبيرة، ينظر، لقوار فهم، المرجع السابق، ص 53؛ Henri Klein , Op-Cit, p 74

عهد أحمد عرب باشا¹، وورشة باب عزون (دار الصّناعة الصّغرى) التي أسّست في عهد خير الدين، لإنشاء الوحدات الأقلّ حجماً²، كما كان بالقرب من الورشتين المذكورتين أنفاً، ورشة شرشال التي أنشأها الأندلسيون، القادرة على بناء سفن من نوع البركانطي أو الفرقاطة، ذات 8 إلى 13 مقعداً، والغليوطة ذات 22 مقعداً، وكان في الجهة الشرقية من الجزائر ورشات أخرى لتصنيع السفن الصغيرة بميناء الأزقاق المجاور لساحة مدينة عنابة، وبميناء بجاية حيث يتوفر على دارين لصناعة السفن والمراكب البحرية المختلفة، وفي الجهة الغربية أيضاً كانت هناك ورشات لصناعة السفن مثل مركز هنين ومركز المرسى الكبير³.

غير أنّ ورشات مدينة الجزائر، بلغت من الأهمية والنشاط، ما لم تبلغه أيّ ورشات أخرى حيث ظلّت محافظة على نشاطها الصناعي، طيلة العهد العثماني، بسبب ما تلقاه ميناؤها من اهتمام من طرف الحكام، ونظراً لذلك النشاط وبسبب ضيق الترسانة الحقت بها ثلاث مواقع أخرى وأهمها التي توجد في الركن الشمالي من المرسى قرب برج المولى، حيث توجد بها مشاغل لصناعة الحبال والأشعة، ومخازن تمتد على طول رصيف خير الدين، بالإضافة إلى شاطئ الرّميّة بباب الوادي، وبعض الخلجان بباب عزون أين كانت تصنع بها المراكب الصّغيرة⁴.

¹ أحمد عرب باشا: هو عرب أحمد باشا تولى حكم الجزائر بعد معركة لبيان 1571م بعد تعيين علج علي قابودان الأسطول العثماني، من أصل عربي وكونه عربياً ألصقت باسمه أحمد اعراب لتفرقة بينه وبين اسماء أحمد الآخرين، ونظراً لتخوف أحمد اعراب باشا من هجوم محتمل على الجزائر من قبل التحالف المسيحي، عمل على تقوية حصونه، واعد قواته لصد أي هجوم ضده، كما قام بزيادة تحكيمات الميناء وتقويتها، قام بترميم القلاع والحصون واقام الأبراج = ونصب المدافع للمزيد ينظر، ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، تر. أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص، ص 177، 179؛ عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر. حمد علي عامر، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص، ص 235، 239.

² مولاي بلحميسي، "صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك"، مجلة الدراسات الأثرية آثار، مج.3، ع.1، 1995، ص 51.

³ سرحان حليم، المرجع السابق، ص، ص 96، 101.

⁴ أمين محرز، المرجع السابق، ص 182.

كانت حرفة صناعة السفن ضرورة ملحة على الجزائريين من أجل امتلاك أسطول قوي نظراً لواقع ذلك العصر وما للقرصنة (الحروب البحرية) من أهمية، لذلك لاقت رواجاً كبيراً داخل المجتمع الجزائري، فهي تعدّ العمود الفقري والممول الرئيس للأسطول الجزائري بمختلف المراكب ومستلزماتها، من أجل مواجهة الأخطار الخارجية، وتحقيق الأهداف المرجوة¹، وعرفت صناعة السفن تطوراً كبيراً، سأقوم بذكره في عنصر العوامل المساعدة في تكثيف نشاط البحرية الجزائرية وبالتحديد في جزئية العلاج والتقنية الحديثة، حين سينتج عنه التغيير المطلوب بما يتناسب مع الحفاظ على الوضعية التنافسية للسفن الحربية للإيالة الجزائر، ويختلف عن نظيرتها الأوروبية، مما مكن الأسطول الجزائري من المحافظة على فعاليته طيلة القرن السابع عشر الميلادي 17م، حيث سيتم تطوير القادس (Galère) أو كما تسمى الشواني خلال القرن السادس عشر الميلادي 16 م، بتدعيمه بالأشرعة اللاتينية المدعمة بصاريين، بعدما كان يعتمد في الأساس على المجداف، كما تم التقليل من حجمه، مما جعله أكثر يسراً في المناورة²، واعطاه إمكانية أفضل في التحكم بالمسارات تقدماً وتراجعا، فأصبح العامل الطبيعي (قوة الرياح) يشكل محركاً إضافياً لسرعتها³، ويستمر هذا النوع من السفن حاضراً وذا فاعلية محدودة طيلة القرن السادس عشر 16م، هذا ما اثبتته معركة ليبانت (Lépante) 1571م، حين لم ينج من السفن الإسلامية المشاركة فيها إلا السفن الجزائرية والطرابلسية التي كانت بقيادة علي⁴، رغم التطور الذي عرفته القوادس، إلا أن ذلك لم تنف عجزها عن مقاومة التيارات المائية، وعدم مقاومتها لرداءة الأحوال الجوية، وضعفها أمام الرحلات الطويل، مما جعلها موسمية الإبحار⁵، حيث تبحر صيفاً فقط ولم تغامر بالكاد خارج الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط⁶.

¹ عبد القادر حلمي، المرجع السابق، ص 299.

² حليم سرحان، المرجع السابق، ص 44.

³ Balhmissi MUOLAY, Op-Cit, p 103.

⁴ A. Devoulx, "la marine de la régence d'Alger", R.A volume 13, 1889, p 390.

⁵ P. Dan, op-cit, p 308.

⁶ Balhmissi MUOLAY, op-cit, p 104.

عرفت البحرية الأوروبية نهاية القرن السادس عشر الميلادي 16م، تطوراً كبيراً في مجال صناعة السفن خاصة بظهور الغلاسات (Gallèasses) الإسبانية والإيطالية¹، مما ستكون له تداعياته في مجال صناعة السفن في شمال إفريقيا، عموماً وإيالة الجزائر خصوصاً، حيث ستعرف دور الصناعة وورشاتها، تطوير وتحسين في طريقة صناعتها، فتم بناء وتجهيز السفن ذات الأشرعة اللاتينية، والأشرعة المربعة، ثم السفن المستدير، وظهرت عدة أنواع للسفن²، لكنها تختلف عن نظيرتها الأوروبية، بميزة الخفة والاعتماد على المجاديف في حالة عدم ملائمة الأحوال الجوية لعملياتهم، لتظهر³.

2-2 صناعة الأسلحة:

يقول ابن غانم الأندلسي صاحب مخطوط العز والمنافع: "... صناعة الحرب، هي من أشرف الصنائع وأعلاها وأحسنها، والتي يحتاج إليها في أمور السياسة أكثر من غيرها، وهذا القول ثابت برأي كثير من العلماء والحكماء..."⁴.

إنّ التطور الذي عرفته البحرية الجزائرية خلال الفترة 1580-1671م، أدّى إلى إلزامية رفع قوتها النارية وزيادة عدد المدافع⁵ المحمولة على متن السفن منها القولونبورنه⁶، والشاقيّة⁷، والشاقولوز⁸، خاصة مدافع

¹ هي عبارة قانس مجدافي ثقيل مجهز بثلاث صواري، تجمع في مواصفات بين القانس والغليون، وبمرور الوقت أصبحت تعتمد كلياً على الأشرعة، لها كفاءة قتالية عالية، وتتميز ببرجها العالي.

² تمت الإشارة لها في جزء المتعلق بإعداد السفن.

³ حسن إميلي، البحرية العثمانية...، المرجع السابق، ص 98.

⁴ غانم ابن محمد بن زكريا الأندلسي، العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، مخطوط في المكتبة الوطنية، تحت رقم 1511، ص 4.

⁵ للتوسع أكثر حول المدافع المستعملة في الحروب البحرية والبرية للإيالة الجزائرية ينظر، درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، إشراف مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 1989-1990، ص- ص 18-26؛ حلیم سرحان، المرجع السابق، ص، ص 202، 203.

⁶ من المدافع الطويلة المعروفة بالثعابنة يتراوح طولها 0.60م و 7 أمتار ومنها المدفع الذي يطلق عليه اسم الباز، هذا النوع من المدافع بمقدوره رمي كرة تزن 3 أرطال، تستعمل هذه المدافع في السفن نظراً لخفتها وسهولة تحريكها، ينظر: حلیم سرحان، المرجع نفسه، ص 203.

⁷ وهو نوع من المدافع ويطلق أيضاً على السفن التي تحمله ويطلق عليه أيضاً اسم المدفع الوسطي أو الجعب وحسب وزنه كورتها يسمى جعبة أو نصف جعبة وربع جعبة يستعمل لهدم الحصون والقلاع يوضع في مؤخرة السفينة، ينظر: ابن غانم الأندلسي، المصدر نفسه، ص- ص 12-14.

⁸ هذا النوع من المدافع هو مدفع خفيف يرمي بقذائف صغيرة من الحجارة، قصير في طوله، متسع الفوهة، يعتبر من أحسن المدافع التي استعملت على متن السفن الجزائرية خلال القرنين 16 و 17م، نظراً للخسائر التي تحدثها الكريات الحجرية التي يقذفها، ومن أهم خصائصها لا تحتاج إلى كميات كبيرة من البارود مثل باقي المدافع، ينظر: غانم بن زكريا الأندلسي، المصدر نفسه، ص 14.

المهراس¹، كما كان إلزاماً عليها أن تحاكي التطور الذي عرفتته صناعة الأسلحة في أوروبا، خاصة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين 16-17م، في فنّ الحرب عموماً².

وقد كانت المدافع³ والأسلحة تصنع محلياً، داخل دور صناعة الأسلحة أو دار النحاس⁴، هذه الأخيرة يعود تاريخ إنشائها إلى زمن مبكر من تاريخ الإيالة، يتوافق مع البدايات الأولى لوصول العثمانيين إلى الجزائر العاصمة، في القرن السادس عشر الميلادي 16م، الفترة التي كان فيها تطور صناعة المدفعية سريعاً ومتزايداً، مما أدى إلى ثورة في أنظمة الدفاع في البحر الأبيض المتوسط⁵، فأول إشارة إليها تعود إلى مارس 1534م⁶، وكانت تقع من جهة باب الواد، وهي عبارة عن مبنى ضخم يحتوى على فرن عالٍ وحيد لكنه جيد البناء لسبك المدافع، وكان لها ملحق يوجد به عدة أفران وكيران لصناعة القذائف من مختلف الأحجام والذخيرة الحية وبعض قطع الغيار، إضافة إلى صنع البنادق التي يوفرها البابلك للمجندين الجدد⁷.

¹ شاع استعماله خلال القرن 17م، يقال أنه تطور من مدفع الشاقولوز أي مدافع الحجارة ويعتبر من أثقل المدافع وقذائفه عبارة عن قنابل مملوءة بالبارود تعرف بالرمانات حتى أطلق عليه بمدفع الرومانات، ينظر: حليم سرحان، المرجع السابق، ص 204؛ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 187.

² كولان، البارود عند المسلمين، تر. دائرة المعارف الإسلامية، ط.1، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1984، ص 62.

³ استخدم المدفع لأول مرة في سنة 1505 لصدهجمات الإسبان على المرسى الكبير، أما الأسلحة النارية التي استخدمت بداية من القرن 14م، فتذكر المصادر التاريخية أنها ظهرت مع مجيء الأندلسيون في ذات القرنين من حروب الاسترداد ينظر: علي خلاصي المرجع السابق، ص 382.

⁴ أطلق عليها اسم دار النحاس لأن أغلب المدافع التي كانت تصب هناك معظمها صنعت من البرونز.

⁵ Safia Benselama-Messikh, Op-Cit, p 126.

⁶ Primaudaie, Op-Cit, p 275.

⁷ محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 72.

وعلى مقربة من دار النحاس، كانت توجد دار البارود¹، أين كان يصنع البارود من مزيج من ملح البارود، وفحم الدفلى، والكبريت الذي كان يستورد أو بالأحرى يهرب² من أوروبا كونه واقع تحت الحظر البابوي، وأما ملح البارود فكان يستخرج من طرف البايك بوطن يسير من مغارات عند سفح جبل أمال³.

ونظراً لضخامة كمية البارود الذي تحتاجه الإيالة وتنوعه، عمل الحكام على بناء مستودعات⁴ عديدة للأسلحة⁵، و كان أولها حسب كوربين شوفالييه مستودع الأسلحة الذي تم بناءه سنة 1573م، من قبل عرب باشا، كما كانت في الميناء ورشة هامة لإصلاح السفن، والتي من خلالها استطاع الجواسيس الإسبان، إحصاء عدد المدافع سنة 1533م، بـ 21 قطعة مدفعية منها 6 مدافع صغيرة مصنوعة من الحديد، أي قبل إنشاء دار النحاس بسنة، والسؤال المطروح هل كانت الأسلحة التي تنتجها دار النحاس، تستعمل مباشرة دون تخزين، وهذا يعتبر دليل على ضالة الإنتاج، أو كثرة الاستعمال، مما أدى إلى تأخر تأسيس مستودع الأسلحة حتى سنة 1573م، أم أن المواد الأولية لصنع الأسلحة لم تكن بالحجم الذي يسمح، ببناء مستودعات لتخزينها، وأيضاً إنشاء أعداد كبيرة من الأسلحة ليتم تخزين الفائض عن الحاجة، حتى تتأخر مستودعات تخزينها لمدة 39 من إنشاء دار

¹ هناك مجموعة من دور صناعة البارود منها مصنع بارود الجزائر، مصنع القصبية، مصنع باب الوادي، هذا بدار السلطان وهناك مصانع في الباليكات، كما كانت هناك مصانع خاصة للمزيد حول الموضوع ينظر: درياس لخضر، المرجع السابق، ص-ص 42-49.

² عملت المراسيم البابوية الكاثوليك وقرارات الملوك المسيح حضر وتحريم أي تجارة بمستلزمات ومواد البحرية بمختلف أشكالها لدويلات شمال افريقيا سعياً منهم لخلق أي صناعة تهدد أساطيلهم البحرية خاصة التجارية منها والوقوف حاجزاً أمام إي تجارة من هذا النوع، ومن هذه القرارات والمراسيم نذكر قرار ملك اسبانيا سنة 1560م، فرنسا 1688م، ينظر: مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 54.

³ محرز أمين، المرجع السابق، ص 182.

⁴ يذكر الأسير كاثكارت أن مستودع البارود كان تحت برج الفنار ولكنه تم نقل أثناء مدة اسره إلى القصبية حيث لم يبق منه سواء القليل للاستعمال الآتي، ينظر كاثكارت جيمس، مذكرات أسير الداى كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، تر. اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 70.

⁵ كانت هناك عدة مخازن للأسلحة كمخزن برج علي، ومخزن برج مولاي حسن (حصن الامبراطور)، مخزن الثغريين، مخزن القصبية أو دار البارود للمزيد حول الموضوع ينظر درياس لخضر، المرجع نفسه، ص 51.

صناعة الأسلحة؟، كما كانت هناك عدة كيران لصناعة القذائف من مختلف الأحجام، بالإضافة إلى البنادق التي كانت توفر للمجندين الجدد¹.

الجدول رقم(2): عدد المدافع في بعض فترات القرن 17م

السنة	عدد المدافع على متن السفن
1634	أكثر من 1750
1657	² 850
1663	³ 570
1668	856

وعلى العموم فإن صناعة السفن والأسلحة ظلت في تطور مستمر طيلة القرن السادس عشر إلى غاية القرن السابع عشر الميلاد، بسبب ما عرفت البحرية من نشاط كبير في حروبها ضد الأساطيل الأوروبية، وفي ظل تزايد الطلب وكثرت الإنتاج، يجعلنا نتساءل عن كيفية توفير احتياجاتها من المواد الأولية اللازمة لصناعاتها البحرية؟

2-3 مستلزمات صناعة السفن والأسلحة:

تتطلب صناعة السفن والأسلحة مجموعة من المواد المنجمية والغابية التي لا غنى عنها، والتي بدونها لن تكون هناك صناعة. ومن هذه المواد مادة الخشب حيث يدخل في صناعة هيكل السفن وكل مستلزماتها من صواري وأسطح ومجاديف...، وكذلك مادة الحديد والرصاص وملح البارود... وغيرها، وحتى يتم توفير هذه المواد اعتمدت إيالة على مواردها وفي حال عدم الكفاية كانت تلجأ إلى توفير احتياجاتها من خارج البلاد.

- كان الخشب متوفر في غابات بني صالح والقالبة⁴ وغابات شرشال⁵ وجبال الظهرة ومنطقة البابور والقل الغنية بأشجار الأرز، والصنوبر والبلوط⁶، وقد عملت حكومة الإيالة

¹ محرز أمين، المرجع السابق، ص 182.

² علي خلاصي، المرجع السابق، ص 388.

³ لخضر درياس، المرجع السابق، ص 195؛ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 187.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، وثائق جزائرية، المرجع السابق، ص 467؛ جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 192

⁵ Fernand Braudel, Op-Cit, 142.

⁶ مولاي بلحميسي، صناعة السفن...، المرجع السابق، ص 54.

من أجل ضمان التّموين الدّائم بهذه المادّة الاستراتيجية على أحداث نظام الكراسته¹ (لوحة الخشب باللغة العثمانية)²، مركزه مجانة³، يشرف عليها موظّف يعرف بقائد الكراسته، يعمل على تموين الجزائر بالأخشاب من الجهة الشرقية للبلاد، ورغم ما توفرت عنه الجزائر من مواد أولية إلّا أنّها غير كافية، من جهة ومن جهة أخرى فإن عملية التّوين كانت تنقطع أحيانا بسبب الظروف الاجتماعية والسياسية.

أمّا مادة الحديد⁴ والتي تدخل في صناعة المسامير والمراسي، وأدوات الإرساء كالسلاسل وغيرها و في صناعة الأسلحة⁵، فكان يستخرج على شكل حديد خام من منجمي برياشة قرب بجاية ومن جبل زكار⁶ قرب مليانة حيث كان يعالج بفحم الحطب، في فرن منخفض ثم يصب على شكل قضبان صغيرة ليحمل إلى اسواق بجاية والجزائر العاصمة⁷، كما أن ملح البارود موجود بكثرة خاصة في الجهة الغربية من البلاد ولسكان هاته المنطقة دراية كبيرة بكيفية استخراج هاته الخامات⁸.

• كانت الدولة العثمانية تقدم لإيالة الجزائر مستلزمات صناعتها الحربية، كلما دعت الضرورة لذلك، غير أنّ عملية الطلب تفوق بكثير عملية العرض، الأمر الذي جعل منطقة

¹ للاطلاع أكثر عن نظام الكراسته ينظر: حليم سرحان، المرجع السابق، ص 58؛ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 412؛ فهم لقرارة، المرجع السابق، ص 88.

² عزيز سامح التر، المرجع نفسه، ص 412.

³ فهم لقرارة، المرجع نفسه، ص 88؛ محرز أمين، المرجع السابق، ص 180.

⁴ يشير وليام سبنسر إلى وفرة مادة الحديد في إيالة الجزائر ونوعيته: "... الحديد موجود في الجبال المحيطة بمدينة بجاية والجبال الواقعة إلى الشرق من بلاد القبائل، وكان جزء منه يصدر إلى أجزاء من الإمبراطورية العثمانية، وذلك لما يمتاز به الحديد الجزائري من نوعية عالية الجودة وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 141.

⁵ يذكر جول كريكر في مخطوطه أن أول من استعمل المدفع في أوروبا عم الإنجليز، صنعوه في البداية من خشب الأشجار وعليه حلقة من حديد، ينظر: جول كريكر، الدرر الأوربوية في تاريخ أمة الفرنسيّة حكي فيه ما صار في فرانسة من قديم الزمان إلى الآن، الرباط، Filix Moncho 1926، المكتبة الوطنية للمكتبة المغربية، رقم 10004765، ص 67.

⁶ Shaw Thomas, *Voyage dans l'arégence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc.* Traduit de l'anglais. par Mac Carthy, Éditeur Paris, Date d'édition 1830, p 35,36.

⁷ فهم لقواوة، المرجع نفسه، ص 88؛ محرز أمين، المرجع نفسه، ص 181؛

⁸ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تع. محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005، ص 29.

شمال إفريقيا عموماً والجزائر خصوصاً تعرف احتياجاً كبيراً في الموارد الخام المحليّة المطلوبة في بناء السفن، السبب الذي أدى بها إلى السعي الدؤوب لتوفيرها من الخارج¹. ونظراً لأنّ عملية استيراد مستلزمات الصناعة الحربية والبحرية، خاصة مادة الخشب شبه مستحيلة، بسبب المراسيم التي أصدرها بابا الكاثوليك، وقرارات الملوك المسيحي، خاصة ملك إسبانيا سنة 1560م، وملك فرنسا 1688م، حيث كانت تقف حاجزاً أمام عملية استيرادها²، فالقائمين على البحرية الجزائرية، لم يقفوا مكتوفي الأيدي، بل دأبوا لكسر هذا الحاجز، عن طريق غنائم البحر، بكل ما تحتويه من مستلزمات لصناعة السفن وتجهيزها، من ألواح وصواري وأشرعة وأسلحة، ورغم ذلك فإن ما تجود به سفن الغنائم من مستلزمات، لا يغطي إلا جزءاً بسيطاً من مستلزمات صناعة السفن والأسلحة، وبما أن تكلفة صيانة السفينة الواحدة، حسب بروديل تتجاوز كلفة بناءها، ونظراً للطلب المتزايد على الخشب، اضطرّ المسؤولين إلى تفكيك السفن القديمة وأخذ كل ما يصلح لبناء مركب جديد³.

وكان للثروة التي جنتها إيالة الجزائر في الفترة (1580-1620م)، دوراً بارزاً في قيامها بتطوير الأسطول البحري، إمّا من خلال شراء السفن، أو من خلال اتخاذها لعدة تدابير، تضمن لها عملية استيراد مستلزمات صناعة السفن، بطرق ذكية غير معلنة، كاستقطابهم للعاملين والصناع المهرة المتخصصين في مجالات الملاحية والعسكرية بأثمان مغرية.

كما كانوا يفتحون موانئهم، أما التجارة الخارجية للتجار الدول المسيحية، كالفرنسيين والإيطاليين وعلى رأسهم الإنجليز والهولنديين، فيشترون البضائع التي غنمها الرياس، من الأساطيل الأوروبية، مقابل توريدهم للمستلزمات الحربية كالأشرعة، الرصاص، الصواري والحبال ومجاديف وغيرها⁴، استجابة لمطالب رياس البحر، ضاربين كل قوانين

1 برنيا كوستانزيو، طرابلس من 1500 إلى 1850، تر. التليسي، خليفة محمد، ط. 1، لدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة ليبيا، 1985، ص 123.

2 مولاي بلحميسي، صناعة السفن، المرجع السابق، ص 54.

3 فردناند بوديل، المرجع السابق، ص 148.

4 برنيا كوستانزيو، المرجع السابق، ص 156.

الحضر عرض الحائط، منشطين بذلك تجارة التهريب، خاصة في ظل التنافس التجاري داخل البحر الأبيض المتوسط، بين الدول الأوروبية لسيطر عليه¹، الذي لعب دوراً كبيراً في حصول إيالة الجزائر، على احتياجاتها من معدات وتجهيزات ضرورية لصناعتها الحربية البحرية والملاحية، فكانت بعض الدول الأوروبية تجلب للإيالة البوارج والأسلحة والذخائر²، وقد كانت هولندا وانجلترا في ظل هذا التنافس أكثر الدول استعداداً لتزويد الإيالة، فقد أرسلت عدد من السفن والمهندسين المختصين في هذا الجانب³، وبهذا تكون الإيالة قد كسرت حاجز الإحتياج النسبي للمواد والأدوات اللازمة لتفعيل ورشاتها الصناعية.

3- طائفة الرياس:

تكوّنت طائفة الرياس⁴ بداية من القراصنة المشاركة الذين التحقوا بالأخوين عروج وخير الدين⁵، ثم انضم إليهم الأندلسيون، والمهتدون الأوروبيون والأهالي⁶ الذين اثبتوا قدرتهم وكفاءتهم في المجال البحري⁷، كما ضمت الرياس مالكي السفن والبحار وعمال الصيانة⁸ والجلافطة⁹، وقد اتخذوا مرسى الجزائر قاعدة لنشاطهم البحري، تمثلت أهمية الطائفة في كونها القوة الأولى التي اعتمد عليها العثمانيون في فرض سيطرتهم على الجزائر والدفاع

¹ نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 66.

² يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 66.

³ وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع. إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 62.

⁴ كلمة الرياس تطلق على مجموعة البحارة الذين يعيشون على الجهاد البحري.

⁵ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس - الجزائر - المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، ج. 2، تع. محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 333.

⁶ Devoulx, La marine de la régence d'Alger, Op-Cit, p 388.

⁷ المنور مروش، القرصنة الاساطيل والواقع، المرجع السابق، ص 202.

⁸ D. Grammont, "études Alériennes la course les clavages et la rédemption, a alger, extrait", de la Revue historique, PARIS, 1885, p10

⁹ نعيمة بوخمشوش، "طائفة رياس البحر"، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 95.

عنها¹، وزادت أهميتها واعتبرت المحرك الأساسي للإيالة في ظل استمرار النشاط البحري وما ينجر عنه من موارد بحرية (غنائم، أسرى)، حيث ساهمة بشكل كبير في ثراء إيالة الجزائر².

3-1 قوة الرّياس

تجلّت قوة طائفة الرّياس بوضوح في السّنوات الأولى من الحكم العثماني للإيالة كون أنّ البيلربايات الذين حكموا البلاد³، باسم السلطان العثماني، كانوا من هذه الطائفة⁴، كخير الدين وابنه حسن، وصالح رايس وابنه محمد، وعلي، وحسن فنزيانو، وعرب أحمد... وغيرهم، كما كانوا يعينون باشوات تونس وطرابلس الغرب، ويعينون من سيخلفهم عن حكم الجزائر، إذا استدعوا من طرف السلطان العثماني⁵، ومن جهة أخرى إنّ اختيار القابودان باشا(أدمرال) الأسطول العثماني، أو وزير الحربية، من هذه الطائفة، كاختيار خير الدين، ومحمد رايس ابن صالح رايس وعلي، بسبب كفاءتهم في قيادة الأساطيل، لأكبر دليل على القوة والحنكة التي تمتع بها رياس البحر إيالة الجزائر⁶، هذا ما جعلهم طرفاً فاعلاً وأساسياً في كل القضايا المتعلقة بالسلطة في الإيالة، فما وجد ديوان يتخذ فيه القرارات إلا وكان من بين أعضائه عدداً من الرّياس⁷، وكانت غالباً من يتم ترجيح رأي مُمثل هذه الطائفة، كما كوّنوا ديواناً خاصاً بهم عرف بدوان البحرية.

وعرفت هذه الطائفة أوج قوتها في الفترة 1580-1640م، حيث قدر عدد أفرادها حسب دوماي (Dumay) بحوالي 4000 رجل بجنسيات مختلفة، وكان عدد رياس البحر خلال

¹ فهم لقوارة، المرجع السابق، ص 71، محرز أمين، المرجع السابق، ص 35؛ كمال فيلالي، تاريخ المغرب الحديث من فتح القسنطينية إلى سقوط قسنطينة 1453-1847 أساطير مؤسسة، هجرات، مؤسسات وثورات، ط.1، دار ألكسندر للطباعة والنشر، قسنطينة، 2016 ص 181.

² محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 82.

³ نعيمة بو خموش، المرجع نفسه، ص 101.

⁴ D. Grammont, Op-Cit, p 8.

⁵ جون ب وولف، المرجع السابق، ص- ص 108-110.

⁶ يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 21.

⁷ أوجان بلانتيت، المصدر السابق، ص 26.

العصر الذهبي للبحرية الجزائرية الإجمالي هو 420 رئيساً، منهم 216 مسلماً، و153 من العلوج، وواحد يهودي، و50 رئيساً، لم تحدّد الوثائق التاريخية أصلهم، حيث تمثّل نسبة المسلمين 58 % ونسبة العلوج 42%¹، غير أنّ تنوّع الأصول الثّنية للرّياس، ذابت بفضل الإسلام، وكونوا طائفة قويّة تدافع بشدّة عن مصالح البحرية الجزائرية وأعمالها².

لم تكن هذه الطائفة خاضعة خضوعاً تاماً لنظام الإداري³، بل كانت تخضع لحكم خاصة⁴، حيث شكلوا نقابة خاصة برياس البحر⁵، فلسفتها مبنية على كسب مودة الشعب، مما شكل ضغط كبير على القائمين على إدارة البلاد، وعلى رأسهم الباشا⁶، الذين كانوا مرغمين على تلبية رغبة طائفة الرياس، خوفاً من الهياج الشعبي، بسبب الأهمية الاقتصادية والاجتماعية⁷ التي كانت تمثلها هذه الطائفة، لدى فئة كبيرة من سكان مدينة الجزائر⁸، ورغم ذلك فقد كان هناك تعاون وثيق بين طائفة الرّياس والحكومة، فمثلاً عندما كانت الأستانة تمارس ضغوطات كبيرة على إدارة البلاد، كان الحكام يميلون ولأسباب دبلوماسية إلى إرجاع السفن والأسرى والغنائم للدول المتضررة، غير أنّهم يضطرون للتراجع على قراراتهم خوفاً من موقف الرّياس.

¹ المنور مروش، القرصنة الأساطيل....، المرجع السابق، ص 240.

² المرجع نفسه، ص 202.

³ محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق. محمد بن عبد القريم، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 42.

⁴ حيث نظموا أنفسهم في ديوان عرفت بدوان الرياس يترأسه وكيل الحرج.

⁵ D. Grammont Op-Cit, p 9

⁶ خلال هذه الفترة انتقل اتخاذ القرار النهائي في الأمور الهامة الخاصة بالبلاد إلى الديوان الكبير أو الديوان العام، الذي كان يضم قيادات الجيش والرياس، وكبار المسؤولين، يترأسه الحاكم العام لمناقشة المسائل الهامة كالحرب والسلام، كان للقبطان نفوذ قوي في هذا المجلس بحكم انه الممثل الأول لأعمال البحرية التي كانت في اوج ازدهارها ولها اهمية كبير لدى جميع فئات المجتمع، ينظر المنور مروش، القرصنة الاساطيل...، المرجع نفسه، ص 216.

⁷ حنيفي هلايلي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط.1، دار الهدى، عين مليلي الجزائر، 2007، ص 131.

⁸ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع نفسه، ص 203؛ محمد بن ميمون الجزائري، المصدر نفسه، ص 42.

إن الثروات الطائلة التي حققها الرّياس، من أعمالهم البحرية¹، مكّنتهم من السيطرة على السلطة الفعلية للبلاد، حيث سيطروا على الديوان الكبير، رغم وجود الباشا في منصبه، ففي رسالة مؤرخة في 20 جوان 1620م يذكر القنصل الفرنسي Chaix أنّ الرّياس² هم الذين يقفون ضدّ معاهدة السلام مع فرنسا، إنهم قد استولوا على أغلب صلاحيات الملك³، ويوضّح سلفادور بونو (Salvador Bono) أنّ خلال الفترة 1621-1645م، كان علي بتشين هو القائد الأعلى لطائفة الرياس، ولم يترك للحكّام الرّسميين سوى ظلّ الحكم⁴، أمّا جريدة لاغازيت la Gazette الفرنسية لسنة 1645م فأكدت أنّ علي بتشين رئيس طائفة الرياس، هو الحاكم الفعلي للبلاد "هو الرئيس وحاكم البلاد"⁵.

مما سبق يتّضح أنّ الثروة التي يتمتع بها رياس البحر، بفضل ارباح أعمالهم البحرية، كان لها دور كبير في تأثيرهم على نظام الحكم، في الفترة الممتدة من 1518-1671م⁶، وحتى البدايات الأولى لحكم الدايات 1671-1689م كانوا يختارون من رياس البحر، فقوة الرّياس كان لها تأثيراً في المجال الداخلي للإيالة ليس هذا فقط وكذا المجال الإقليمي⁷، بل تعدّتها إلى المجال المتوسطي⁸.

¹ للمعرفة المزيد حول ثروة الرياس ينظر: عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية-اقتصادية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف مولاي بلحميسي، الجزائر، 2001، ص 351.

² الرياس في هاته الفترة هم إبراهيم عراجي، وعلي بتشين (1637-1645م)، وسليمان رايس (1610-1620م).

³ D. Grammont. Op- Cit, p 97.

⁴ المنور مروش، القرصنة الأساطيل والواقع، المرجع السابق، ص 265.

⁵ La Gazette, De Marfielle, Le 4 juillet 1645, p 618.

⁶ كانوا في بعض الفترات يقومون بدفع أجور الانكشارية.

⁷ أرزقي شويّتام، المرجع السابق، ص 43.

⁸ للمزيد حول الدور الداخلي والخارجي لطائفة الرياس ينظر فهيم لقوارة، المرجع السابق، ص، ص، 77، 81؛ نعيمة خموش، المرجع السابق، ص، ص 101، 103.

3-2 إدارة طائفة الرّياس وتأطيرها:

لم تكن عملية الغزو البحريّ عملية عشوائية، إنّما كانت منظّمة لها هياكلها، ومؤسّساتها التي أضفت عليها طابع العملية الحكومية، ففي إطار إعادة التنظيم الأساسية، لبنية الحكم أنشئت هيئات قيادية في البحرية، والتي بدورها ستستمر إلى غاية 1830م، ولم تظهر هذه الهيئات من خلال قرار آن¹، بل مرت بعدة محاولات، حتى أخذت طابعها الرسمي، ومن هذه الهيئات نجد:

3-2-1 ديوان الرّياس

هو من الهيئات الجديدة المنبثقة من الديوان العام، يترأسه وكيل الحرج، أول إشارة إليه كانت في رسالة من القنصل الفرنسي مؤرخة في 23 أفريل 1687م، تذكر أنّ حسن مزومورتو، جمع ثلاث مرات مجلساً متكوناً من رياس البحر (ديوان الرّياس)، لمناقشة مسألة السلم مع فرنسا، قبل عرضها على الديوان العام²، من خلال هذه الرسالة نستنتج أمرين: أولهما أنّ الرياس كانت لهم نفوذ قوي ومأثر، في اتخاذ القرارات على مستوى السلطة، ثانياً أنّ هذا المجلس كان موجوداً قبل تاريخ الرسالة.

وثانياً أنّ ديوان الرياس متخصص بالشؤون المتعلقة بعملية الغزو البحري³، كما اختصّ هذا الديوان بتطبيق العدالة على جميع أفراد الطائفة، الذين تصدر منهم بعض الأعمال المخلة بالانضباط، أو التّعدي على القانون⁴، كان نشاطه الأساسي، يتركز حول البثّ في شرعية الغنائم واتخاذ القرار بخصوصها، وكذلك البحث في أهلية المرشحين لمنصب الرّيس، وهذه القرارات بدورها خاضعه لمصادقة الداي بالقبول والرفض⁵.

¹ المنور مروش، دراسات عن ..، ج.2، المرجع السابق، ص409؛ محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 80، محمد بن سعيدان، المرجع السابق، ص 128.

² المنور مروش، دراسات عن ...، ج.2، المرجع نفسه، ص 409.

³ نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 78.

⁴ L. Chaillou : textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII siècle ; Toulon, 1979, P24.

⁵ المنور مروش، دراسات عن ..، ج.2، المرجع نفسه، ص 410.

ولم يقتصر مهام الديوان على أمر الرّياس، بل تعادّها إلى أشمل من ذلك، حيث أصبح اختصاصه البتّ في كلّ الأمور التي تتعلّق بشؤون البحريّة، لهذا أصبح يدعى فيما بعد **بديوان البحريّة**، وكانت له من الأهمية بما كان، حيث يستشار قبل إقرار السلم أو الحرب مع دولة ما، وكانت أصوات الرّياس في الغالب، هي التي ترجح الكفة لأحد الخيارين¹، لهذا كان يستدعى جميع الرّياس، ويترأس جلساته القبطان، وأحكامه تصدر وفق رأي الأغلبية وبدون استثناء، وكان يحضره كبار موظفي الدولة وهم قائد المرسى²، ووكيل الحرج أو الخرج، خوجة الغنائم، باش ورديان باشي³.

3-2-2 مجلس تسيير طاقم السفينة:

كانت السفن الجزائريّة ولاسيّما الكبيرة⁴ منها تضمّ طاقماً معتبراً وحسن تنظيم يتكوّن من ثلاث مجموعات رئيسيّة⁵:

1 - مجموعة القيادة وتضمّ ضباط السفينة: وهم الرّئيس، قبطان السفينة، والباش ريس، ورايس العسّة، ناظر الطاقم، والخوجة، كاتب الرّئيس، والباش جراح، والورديان باشي، ناظر الأسرى، ورياس الطريق وهم المكلفون بقيادة الغنائم، وباش دمانجي، مدير الدفة.

2 - مجموعة المناورة: والتي كانت تضم ملاحى السفينة والعمال المتخصصين المكلفين بالمناورة والصيانة وهم: اليرفانجي والغارده كابو والبريتاجي، وهم من يتولون أمر الأشرعة في السفن الثلاثية الصواري؛ والدمانجي ملاح الدفة⁶؛ والصندال ريس ريس القارب؛ المستر داش معلم النجار؛ والقلفاط الذي يسهر على كتامة بدن السفينة؛ والعنبرجي مسؤول مخزن

¹ محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 80؛ Gramment , histoire d'Alger...,op.cit.p127

² Devoulx, Tachrifat, recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger, ALger imprimerie du gouvernement, 1852, 20, 22.

³ لتعرف أكثر حول مهمة هؤلاء الموظفين ينظر: محمد الأمين عطلي، المرجع نفسه، ص، 81، 82؛ محرز أمين، المرجع السابق، ص 40، فهيم لقوارة، المرجع السابق، ص 77؛ Devoulx, La marine de la régence d'Alger, Op-Cit, p 388.

⁴ المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع نفسه، ص222.

⁵ محرز أمين، المرجع نفسه، ص 36؛ نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 77؛ Devoulx, Tachrifat, Op-Cit, 29.

⁶ خليفة حمّاش، المرجع السابق، ص 141.

المؤن؛ والخزناجي¹ مسؤول مخزن الذخيرة؛ ووكيل الخرج مسؤول التموين... الخ، وهم ينقسمون إلى قسمين: بحارة مقدّمة السفينة ويسمّون بالبحريّة، وبحارة المؤخّرة ويسمّون بالصوتا رايس.

3 - المجموعة القتالية: وكانت تتكوّن أساسا من الوحدات الانكشارية² تحت قيادة آغا برتبة بولكباشي، إلى جانب طوبجية تتولّى أمر مدفعية السفينة. ممّا تمّ طرحه يتّضح أنّ طاقم السفينة، يتكون من مجموعات مختلفة في التكوين والمهام، وحتىّ يسود النظام والانضباط بينهم، كانت هذه المجموعات تسير من قبل مجلس يترأسه رايس السفينة وعدد من الضباط، وآغا وخوجة يعينهم الداوي³، مهمته اقرار العدل والنظام بين افراد طاقم السفينة وتقرير مصير المراكب المسيحية التي يصادف في البحر⁴.

3-3 انضباط و كفاءة طائفة الرّياس:

إنّ النّظام والانضباط الذي تمتّع به رجال البحر الجزائريّين على متن السّفن، راجع إلى التّكوين الجذّ صارم، الذي خضع له البحارة، من التّدريبات والاستعدادات المستمرة، مع نظام العقوبات القاسية⁵، الذي كان يسلط عند وقوع أي خطأ أو تراخ، لهذا اعتبرت البحرية الجزائرية مدرسة يحتذى بها في تكوين رجال البحر⁶. وعن هذه الجديّة والصّارمة يذكر التّمقروتي⁷ أحداث تمرد المسيحيّين الذين كانوا يعملون على متن السّفن العثمانيّة، التي

¹ جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، ط.خ، وزارة المجاهدين، الجزائر، 1987، ، 137.

² يعود دخول الجنود الانكشارية إلى صفوف البحرية ابتداء من عام 1568م حين أصدر حاكم الجزائر قرارا سمح بموجبه للانكشارية بالانضمام إلى البحرية والاستفادة من امتيازاتها ينظر: هايدو، المصدر السابق، 114.

³ كائتارت، المصدر السابق، ص 79.

⁴ محرز أمين، المرجع السابق، ص 37.

⁵ أوجان بلانتيت، المصدر السابق، ص 26.

⁶ فهم لقوارة، المرجع السابق، ص 75.

⁷ هو أبو الحسن بن محمد بن علي محمد التّمقروتي(1543-1594)م، نشأة وترعرع في أسرة متصفة بالصلاح ومتحلية بالعلم، قريبة من السلطة حيث عمل اخوه محمد استاذًا للأمرء السعدين، كما ارسل منم طرف عبد الله الغالب السلطان السعدي سفيراً إلى اسطنبول، كما كلف التّمقروطي من طرف السلطان السعدي أحمد المنصور بسفارة إلى اسطنبول، وخلال هذه الرحلة مرّ على الجزائر وبقي فيها لمدة شهرين من 8 ذي القعدة إلى 7 محرم، ينظر: حميد آية حبوش، "الرحلة وكتابة تاريخ بلاد المغرب رحلة التّمقروتي أنموذجاً"، مجلة الحوار المتوسطي، مج. 6، ع. 9-10، ص 42

كانت تحملهم إلى اسطنبول، وفشل الرياس في الحيلولة دون حدوث هذا التمرد، ويؤكد أنه مثل هذا العمل لا يمكن أن يحصل للرياس الجزائريين أبداً، فرياس اسطنبول متراخين، وهذا دليل على الصرامة والكفاءة والانضباط الذي تمتع به الرياس الجزائريين.

وكان الانضباط والصرامة كبيراً على متن السفن، حيث أن راييس السفينة يعتبر هو القائد الوحيد لها، سواء كان مورسكياً أو أسوداً أو كرغلياً، وكان الجميع يخضع لأوامره، حتى الضباط الانكشارية¹، فمن اللحظة التي تغمر فيه المياه مجاديف السفينة، كان ممنوعاً منعاً باتاً بل وتسلب العقوبة على من يقوم بأدنى حركة خشية الاخلال بتوازن السفينة، فتتقص سرعتها، ولا يتحرك سوى النادل من الأمام إلى الوراء لمراقبة طريق التجديف، أما الرياس ففي الجهة الخلفية للسفينة يقوم بعملية التسيير من خلال إصدار الأوامر²، إن القوة والكفاءة التي تمتع به رجال الطائفة، جعلتهم بحارة غير عاديين وهذا بشهادة من عاصروهم، فنجد هايدو يصف شجاعة وجرأة الرياس حيث يقول: "إن رجال البحرية الجزائرية، كانوا يجوبون البحر من الفجر إلى الغروب، خلال فصلي الشتاء والربيع، دون خوف، ويسخرون من السفن المسيحية وكأنهم يخرجون لصيد الأرناب"³.

أما السفير الإنجليزي كتونغهام (Kettingham) الذي وصف قوة وجرأة وكفاءة الرياس الجزائريين بقوله: "إن جرأة وقوة قراصنة شمال إفريقيا على هذا النحو من الضخامة سواء في البحر المتوسط أو المحيط الأطلسي، وأشهد أن لم أعرف في حياتي شيئاً قد جلب إلى البلاط الإسباني الأسى العميق والخراب الكثير غير هؤلاء"⁴.

¹ أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ص 25.

² D.Grammont, études, Op-Cit,p19,20.

³ Haedo, Op-Cit, p 45.

⁴ جيروم ب وايز، "المغرب وقراصنته المغاربة في القرن السابع عشر"، تع. طارق العسكري وعبد الهادي النازي، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، السنة 16، ع 29-30 الرباط، المغرب، 1979، ص، ص 14، 17؛ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 253.

أمّا غرامون (Grammon) فقد وصف رياس البحر الجزائريين، بأنّهم لا نظير لهم في الحرب التي يخوضونها، فقد أظهروا حماسة لا تتوقّف، وجسارة كانت تكفل في أغلب الأحيان بالنّجاح.¹

أمّا التّمقروتي²، فيصف الرّياس بالشّجاعة والكفاءة فيقول: «..ريّاس الجزائر موصوفون بالشّجاعة وقوّة الجأش ونفوذ البصيرة في البحر يقهرون النصارى في بلدانهم، فهم أفضل من رياس القسطنطينية بكثير وأعظمهم هيئة وأكثرهم رعبا في قلوب العدو».³

4- عوامل قوّة ونشاط البحريّة الجزائريّة

ساعدت عدّة عوامل البحريّة الجزائريّة في السّيطرة الشبه كاملة على الحوض الغربي للبحر المتوسط والانطلاق نحو المحيط الأطلسي وتكثيف أعمالها، هاته العوامل منها ما جاء نتيجة تعصّب ديني، ضمن اطار حرب الاسترداد التي مورست ضدّ الأندلسيين، ومنها ما جاء بسبب ظروف طارئة نتيجة أحداث ومتغيّرات على الساحة الأوروبية، كان لها من القوة بما كان في زيادة نشاط البحرية الجزائرية، ومنها ما هو متعلق بالحكومة ايالة الجزائر تفاعلت مع بعض لتكون عامل قوة للبحرية الجزائرية، ومن هذه العوامل:

4- 1 الوافدون من الشّمال

4-1-1 الأندلسيون:

تعزّزت قوّة البحريّة الجزائريّة، بهجرة الأندلسيّين بأعداد كبيرة إلى الجزائر⁴، منذ النّصف الثّاني من القرن الخامس عشر الميلادي 15م، حيث بدأت قبل سقوط غرناطة

¹ D.Grammont, études, Op-Cit,p156

² كتب التّمقروتي خلال رحلته إلى اسطمبول 1589-1591م إين مرة بالجزائر التي بقي فيها لمدة شهرين من 8 ذي القعدة إلى 7 محرم، رحلته المعنونة بالنفحة المسكية في السفارة التركية.

³ علي بن محمد التّمقروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589م، تح. محمد الصالح، ط.1، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2007، ص 159. مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 57.

⁴ جمال قنان، المرجع السابق، ص 33.

بحوالي 20 سنة، وطيلة القرن 16م وحتى بداية القرن 17م¹، لتنتهي بقرار الطرد النهائي من قبل الملك فليب الثاني في الفترة 1609-1614م²، حينها تم ترحيل أكثر من ربع مليون نحو شمال إفريقيا³، وقد أبل الأندلسيون بلاء حسناً حيث ساهموا في الفترة الممتدة من (1516-1541) م في الدفاع عن مدينة الجزائر ضدّ الغارات الإسبانية المتكررة.

كما أسهموا في أعمال البحارة الجزائريين، عند هجوماتهم على سواحل إسبانيا، وذلك من خلال عمليّة الإرشاد، لإحكام غاراتهم البحرية على الشواطئ الإسبانية⁴، وتزويدهم بالمعلومات والمؤن وحسن اختيار مواضع الرسو والإقلاع⁵، وفي هذه النقطة تذكر أحد المذكرات الإسبانية كيفية مساعدة الأندلسيين للبحارة شمال إفريقيا: «...كبرياء الأندلسي يقامر من أجل التفوق على المدارك التي حصل عليها بخصوص دولتنا ووضعيتها، فأصبح ينصب الحيل متخذاً ملابسنا وسلاحنا ولغتنا ليتمكن من خداعنا، متصرفاً كأنه صديق لنا»⁶، إذن قد لعب الأندلسيون دور جهاز مخابراتي مع من بقي من إخوانهم في إسبانيا، عن طريق عمليات التجسس، ومن ثم يقومون بإرشاد البحارة الجزائريين، متى وأين وكيف تتم عمليات الهجوم، مما مكنهم من لعب دور التنسيق والاستخبارات داخل البحرية الجزائرية.

كما دعمت طائفة الرّياس بالتحاق عدد كبير من البحارة الأندلسيين، الذين يتوفّرون على كفاءات عالية في العلوم البحرية والملاحية التي ساعدت في تطوير العمل الملاحى وآلياته، وتقنياته، وكفاءاتهم في فنون القتال في البحر، والشجاعة والإقدام، وكانوا يتقنون

¹ محمد حجي، المورسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير، ضمن ندوة المورسكيون في المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الندوة الثانية، 21-23 سبتمبر 2000، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2001، ص 65.

² ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي في الجزائر، ط.2، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص 16

³ بلقاسم قرياش، "الغارات الجزائرية في المحيط الأطلسي 1627-1631م آيسلندا، يالتيومور"، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 2، ع.2، مارس 2018، ص 65.

⁴ حنفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 46..

⁵ محمد عبد الله عنان، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط.4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998، ص، ص 389، 390.

⁶ حسن أميلي، البحرية العثمانية...، المرجع السابق، ص 112.

استعمال السيّف، والمدافع، وتوظيف البوصلة، والخرائط في مقصورات السفن والبوارج مثل الرّئيس "بلانكو"، "مراد الكبير"، "جواد بانو"¹.

وترجع المساهمة الفعّالة لعناصر الجالية الأندلسيّة في ميدان البحريّة، إلى مجال صناعة وتجهيز السفن، حيث استفادت البحرية من خبرتهم وكفاءتهم العالية في هذا المجال، ففي سنة 1606م جهز الجزائريون سفناً أخذت شكلاً دائرياً تشبه السفن الشراعية الكبيرة²، كما كان لهم الفضل في إنتاج مختلف أنواع المراكب، وليس هذا فحسب بل جهزوا كل المعدّات والأدوات، التي يحتاجها البحارة بشكل عام، نظراً لأن العمالة الأندلسية ذات خبرة كبيرة، وعارفين بعلوم الملاحة وفنونها، وماهرين في صناعة السفن، كما كانت لهم أدواراً بارزة في عملية مبادلة الأسرى، وفي مجال صناعة الأسلحة، حيث عملوا في دار النخاسة، وشارك أغنياء الجالية الأندلسية في تمويل مشاريع الجهاد البحري، سواءً بالمال أو بالسفن³.

4-1-2 العلوّج والتّقنيّة الحديثة

تميّز سواحل شمال إفريقيا عامّة والجزائر خاصة نهاية القرن السادس عشر الميلادي 16م، باحتضان المغامرين الأوروبيين، من مختلف الجنسيات، وقد أطلق عليهم اسم العلوّج وهم المهتدون الجدد للإسلام، أو كما يسمّونهم الأوروبيون بالمرتدين عن المسيحيّة، حيث شكّلوا حسب هايدو ثلثي (3/2) من الشخصيات القيادية داخل الأسطول البحريّ الجزائريّ، فمن بين 36 رئيساً بحريّاً كان 22 منهم من أعلاج⁴ الدّول المطلّة على البحر الأبيض

¹ فوزي سعد الله، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ج.2، ص 103؛

جون ب وولف المرجع السابق، ص 180-193.

2 أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 74.

3 فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص 103.

4 جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 183.

المتوسط، ومن 22 رئيساً نجد 18 منهم من مدن مختلفة في إيطاليا، اتخذوا من سواحل بلاد المغرب قواعد لوجستية لتوجيه الضربات للبحريات التجارية الأوروبية¹.

بدأت هذه العناصر تتسرب بقوة إلى بحرية إيالة الجزائر منذ العقد الأخير من القرن السادس عشر الميلادي 16م، على إثر زيادة سمعة المؤسسة البحرية، وتزايد شهرة الجزائر في العالم، حيث أصبحت لها قوة جذب كبيرة، لتتزايد فيما بعد نتيجة منع الملك جيمس الأول أعمال القرصنة والغارات في البحار، وذلك عندما توصل الإسبان والإنجليز إلى اتفاق ينهي الحرب البحرية بينهم سنة 1604م، ويلغي أعمال القرصنة الإنجليز ضد الإسبان²، فغير القرصنة الأوروبيين موانئهم، من إنجلترا وإيرلندا، واتجه الكثير منهم نحو سواحل شمال إفريقيا؛ ونفس الشيء عندما قام الهولنديون بطرد القرصنة من البحر الأيرلندي بداية من 1611م، اتجه هؤلاء صوب السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، خاصة للجزائر، وبما أن أغلب هؤلاء الأعلاج، كانوا من الطبقة الدنيا اجتماعياً في بلدانهم، حيث يعانون الفقر والقهر والتعسف، محرومون في الارتقاء من طبقتهم الدنيا إلى طبقة أعلى، ونظراً لما وفّرتهم لهم البحرية الجزائرية من تحقيق لأحلامهم، في الارتقاء إلى أعلى مراتب، و الانتفاع من مداخل البحرية³، سيكون لهم دوراً كبيراً بإحداث بعض التغييرات في الأسس والتشكيلات العامة للبحرية الجزائرية، ليعطوا فاعلية بالغة في إحياء قوة الإيالة وخاصة سمعتها البحرية⁴.

كانت البحرية الجزائرية مجال استقطاب للعناصر المهنية الأوروبية، هذه الأخيرة كانت تكفل لها مواكبة التطور التقني الملاحي، على مختلف المستويات، كما كانت البحرية الجزائرية في حاجة ملحة إلى تدبير وتوفير احتياجاتها التأطيرية، فكان الفضل في هذا

¹ Leila Maziane, " Étrangers et transferts techniques au Maroc à l'époque modern", **Cahiers de la Méditerranée**, N° 84 | 2012, le 15 décembre 2012, consulté le 02 mai 2019, p 173

² إبراهيم سعيود، المرجع السابق، ص 150.

³ حنفي هلايلي، بنية الجيش، المرجع السابق، ص 47.

⁴ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 280.

للعلاج¹، والرياس الذين أدخلوا تعديلات مفيدة على السفن، بما يملكونه من معلومات ومهارات بحرية، خاصة عند معرفتنا من أن كبار الصّناع والعمّال والمهندسين، كانوا أعلاجاً أو أسرى أوروبيين، فالرياس ساهموا مساهمة فعالة في طريقة بناء السفن، لأنهم يعرف وبالتحديد ما يحتاجونه²، ومن هؤلاء الأعلاج نذكر: الرياس مامي أرنووط، مراد ريس الايطاليين، ومراد ريس (يان يانسز) سليمان ريس الهولنديين، حسن قلفاط يوناني، سيمون سيمونس (دانسر) الذي درس لبحارة الجزائر طرق الإبحار على السفن الحربية وطريقة الولوج إلى المحيط الأطلسي³.

لعبة حروب القرصنة دوراً بارزاً في الاكتساب التدريجي للتطورات الخاصة في الضفة الشمالية وفي هذا يقول بروديل "كانت الحرب وسيلة قوية للحصول على السلع الضرورية أو الرجال أو التقنيات أو مستلزمات التقدم التقني"⁴، فاستفادة الرياس من الحروب في تطوير خبراتهم الملاحية، وتطوير وسائل عملهم، بسبب المواجهات البحرية المتواصلة للحفاظ على وضعيتهم التنافسية، مما جعلهم في إطلاع دائم على جل التطورات، والذي نتج عنه تطور هام في نوعية السفن وفي استغلال أفضل للتجهيزات، خاصة بالتمرس على استعمال الأشرعة اللاتينية أولاً، ثم إتقان التحكم في الأشرعة المربعة الأكثر سهولة⁵.

عرفت التقنية الحديثة طريقها لسفن أساطيل شمال إفريقيا، قبل معركة ليبانت 1571م، حيث تمّ إعداد سفن (القوادم) سريعة الحركة خفيفة الوزن، ممّا ساعدها على المناورة والحفاظ على فاعليتها أثناء المعركة، لتكون هي السفن الناجية أمام التحالف الأوروبي،

¹ Jeremy Black, **European Warfare, 1494-1660**, Routledge, London, 2002, p 3.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 193.

³ للاطلاع على العلوج الذين كانوا رياساً في الأسطول الجزائري ينظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر، ج.2، المرجع السابق، ص، ص 275، 300.

⁴ Fernand Braudel, **the mediterranean and the mediterranean world in the age of philip, VII**, translated from the french by sian reynolds, paris, 1972, p 802.

⁵ حسن اميلي، البحرية العثمانية، المرجع السابق، ص 98.

وأساطيله الحديثة¹، فالتغيرات التي تبناها علج علي في السفن شمال إفريقيا، ستجعله يطبقها في إعادة بناء أسطول الدولة العثمانية، بعد تعيينه أميرال البحر، أين تمكن في وقت قصير من إنشاء 250 قادساً، على النمط الجزائري ليخرج للبحر سنة 1572م².

عمل رياس البحر على الأخذ بالتقنيات الأوروبية الحديثة، والإضافة عليها بما يخدم مصالحهم، وطريقة عملهم المعتمد في الأساس على عدم المواجه المباشرة، مما زادة من فاعلية أساطيلهم، التي أصبحت تختلف على نظيرتها الأوروبية، فقاموا بتدعيم القادس المعتمد على المجاديف في الأصل، بالأشرعة ليكون أكثر يسراً في المناورة، وذا امكانية أفضل بالتحكم في المسارات تقدماً وتراجعاً، وعدم الخضوع للرياح، كما قاموا بالتقليص من حجمه ومن وزن مجاذيفه، حيث لا تشغل كل واحدة منها، إلا أسيراً واحداً فقط، حتى يخصص الحجم الباقي للعتاد العسكري ولطاقم الانقضااض، كما اقدموا على تجهيزها بنظام الأشرعة اللاتينية المدعمة بصاريين، لتكون قوة الرياح محركاً إضافياً لها³.

وفي هذا الصدد يذكر الأب دان (P. Dan): « قد فطنوا إلى جعل قوادسهم، على هذه الهيئة، حتى تتمكن وهي أكثر خفة من مطاردة السفن المهاجمة من طرفهم، ومن الفرار بسهولة، من اصابات القوادس المسيحية، التي يهابونها لكونها أحذق وأكثر قوة وأجود تسليحاً، وهذا ما يدفعهم إلى تفكيك غرفة الكوثل عندما يرون أن الريح تعاكسهم»⁴.

إلا أن هذا النوع من السفن سيعرف تراجعاً كبيراً خلال القرن السابع عشر الميلادي 17م، بسبب محدودية مقاومته للرياح، وصعوبة تحملها للرحلات الطويلة خاصة بعد دخول المحيط الأطلسي، وضعفها أمام التيارات المائية القوية، حيث أنه في سنة 1634م، لم يكن

¹ يرجع انتصار التحالف الأوروبي على الدولة العثمانية التطورات التقنية التي عرفتتها صناعة الأسلحة حيث تم الانتقال من استخدام مدافع البرونز إلى مدافع الحديد في بداية القرن السادس عشر الميلادي 16م، يليها تطور وتفوق صناعة المدافع الشمالية في كل من ألمانيا وفرنسا، ثم ظهور السفن المجهزة بالمدافع في البندقية، للمزيد حول الموضوع ينظر: فردنان بروديل، المرجع السابق، ص 147.

² محمد سي يوسف، قلع علي باشا ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1988، ص 141.

³ حسن اميلي، البحرية العثمانية، المرجع السابق، 96.

⁴ Dan, op-cit, p, 308.

في الأسطول الجزائريّ سوى أربع قوادم فقط، لتفتح المجال أمام الغالسات، وهي في الأصل قادم مجذافيّ ثقيل مجهز بثلاث صواري، جمع بين مواصفات القادس والخليون، لتتجه مع مرور الوقت إلى الاقتصار على قوة الأشرعة، وبرزت كفاءتها القتالية، مع تميز برجها بالارتفاع الذي كان يجعلها كجسر عائم على البحر، مجهزة بالكوات الضرورية للمدفعية والبنادق¹.

وقد كان للهولندي سيمون دانسر (Simon Danseur) دوراً بارزاً في تطوير مدارك الجزائريين، بتلقينهم فن الملاحة والتقانة الحديثة سنة 1606م، فعلمهم كيفية استعمال الأشرعة، وادخل إلى ورشات الصناعة في الجزائر أسلوب الاعتماد على السفن المستديرة، الأكثر ملائمة من خلال هيكلها للأسلوب الملاحي الحديث، بفضل تناسب أبعاد السفينة مع إمكانية المناورة والتحريك، وبفضل التوازن بين أبعادها بنسبة يصل فيها العرض إلى 3/4 الطول، زد أن الرياس أضافوا لها المجاذيف، لتمكنها هذه الأخير من الحركة المستمرة بدل الارتهان للعوامل الطبيعية، وتكسبها سهولة الملاحقات والانسحاب، وتمنحها فرصة الإبحار حتى في فصل الشتاء²، وهكذا انتقلوا من مرحلة استخدام السفن التي لا تصلح إلا للبحار في البحر المتوسط، كالقادس والغالية إلى استخدام السفن الشراعية Sailing Vessels المستديرة القادرة على مقاومة الأمواج العالية في الأطلسي، حيث امتلكت الجزائر 50 سفينة منها سنة 1617، ليتزايد العدد إلى 80 سنة 1625م، ليصل عددها إلى 120 سفينة في بعض المرات³.

لقد وفرّ العلوج بمداركهم الملاحية والتنظيمية للبحرية، الإمكانيات اللازمة لمواكبة التطور الحادث في أوروبا، في نقل المهارات الفنية والتكنولوجية إلى إيالة الجزائر في

¹ حسن اميلي، البحرية العثمانية، المرجع السابق، ص 97.

² Leila Maziane, Op-cit, p 175.

³ بلقاسم قرياش، الغارات، المرجع السابق، ص 66.

صناعة السفن، كصناعة السفن البالغة القوة، وتقليل عدد المجدفين¹ في السفن الحربية²، فكان منهم الرئيس، والزبان، والصانع الخبير، والنجار الدقيق، والدهان المجرب، ومختلف درجات الطاقم ومراتبه، سواء على متن السفينة، أو داخل أورش البناء، بفضل مؤهلاتهم وكفاءاتهم العالية المطلوبة مع تطور أشكال البناء وتعقيدها³.

شكل هؤلاء العلوج والأسرى، القوة الرئيسية لملاحة إيالة الجزائر، باعتبار أغالبهم بحارة منذ نعومة أظافرهم، تميزوا بمداركهم الملاحية التي يفتقدها بحارة شمال إفريقيا، وفي هذا يقول الأب دان Dan «العلوج والمغامرون الأوروبيون هم أول من لقن قراصنة برابريا كيفية الخروج للقرصنة بسفن البولاكرات والصنادل، والطريدات، والمراكب الأخرى المسماة مستديرة لتمييزها عن زوات المجاديف، لأن البارباريين بجهلهم باستعمالها ظلوا لا يتوفرون زمناً طويلاً إلا على قوادس وشرعايات»⁴. إذن فقد نتج عن ذلك كله التغيير المناسب في تركيب الأسطول الجزائري، مكّنت الأسطول من المحافظة على فاعليته ووضعيته التنافسية في القرن السابع عشر الميلادي 17م⁵.

إنّ تزايد عدد العلوج داخل بحريات شمال إفريقيا، أصبح عامل انتقال للتقنية الحديثة من شمال البحر المتوسط إلى جنوبيه، فكانت السبب الرئيس في تطوّر البحرية الجزائرية، ذلك أنّ الملاحة في عرض المحيط الأطلسي والتحكّم فيها، تتطلب تقنيات لم يكن بحارة الاسطول الجزائري الأوائل يملكونها، لأنّ عناصر البحرية الجزائرية خلال القرن السادس

¹ بدخول الرياس القادمون من بلاد الشمال تغيرت نظرة الجزائريين للمحيط الأطلسي، بحر الظلمات كما كان يسمى، وذلك بسبب دخول السفن العالية الجوانب المتعددة السطوح، التي حلت محل سفن التجديف، مما سمح لهم بالملاحة طيلة أيام السنة، ينظر: المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع السابق، ص 308.

² Gilbert buti, Op-cit, p 9.

³ Leila Maziane, Op-cit, p 174.

⁴ Dan, op-cit, p, 310.

5 وليم سينسر، المرجع السابق، ص 168، 169.

عشر وبداية القرن السابع عشر الميلادي 17م، كانت من سكان البحر المتوسط، لم يكونوا متعودون على هذه السفن وسلاحها البحري المتطور¹.

4-1-3 صراعات الدول الأوروبية (الصراع الديني والسياسي والتنافس التجاري)

كان للانقسام الحاصل في أوروبا²، وبداية حرب الثلاثين عامًا، دوراً كبيراً في تعزيز قوة الدولة العثمانية وإيالاتها في شمال إفريقيا³، فلعب الصراع الأوروبي - الأوروبي دوراً هاماً في خدمة مصالح الأسطول البحري الجزائري⁴، خاصة بعد استقلال الأقاليم المتحدة، ودخول إنجلترا للبحر الأبيض المتوسط، واندلاع حرب الثلاثين سنة، حيث اتخذت من إيالة الجزائر مع باقي بلدان المغرب الخلفية الاستراتيجية في هذه الظرفية التاريخية، ففرنسا ستنهك وتنشغل مؤقتاً في الدفاع بجدية عن مصالحها التقليدية، والمتمثلة في الامتيازات التجارية في أرجاء الدول العثمانية خاصة في الجزائر⁵، وفي هذا الصدد (صراعات وتنافس الدول الأوروبية وعدم تحالفهم ضد عدوه) يقول الأب دان "لو أن الأمراء المسيحيين الذين تعود إليهم المدن و الجزر الواقعة في البحر الأبيض المتوسط، و يمتلكون قواعد مضيق جبل طارق و باقي بحار الشرق، بتعاونهم كافة من أجل منفعة العالم المسيحي المشتركة، يتخذون بأهبة دائمة عدّة سفن جيدة التجهيز، مشحونة بالجنود المقاتلين قصد ملاحقة أولئك الجزائريين ومواجهة شذائدهم... ويجب الوثوق من أنه سيقضى عليهم في زمن وجيز...."⁶. مما جعلنا نتساءل عن التنافس التجاري وعن ظرفية الصراع الديني في أوروبا، اللتان مكنتا الأسطول الجزائري، من هاته الفرصة الذهبية ليتصدّر السيادة في البحر المتوسط؟

1 وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 170.

² يرى بروديل أنه رغم انضباط الأتراك، وامتياز سلاح الفرسان لديهم، إلا أنهم ليسوا قادرين على الصمود أمام الغرب المتطور، لولا الانقسامات والخلافات فيما بينهم، وخيانتهم لبعضهم من أجل المصالح، ينظر Fernand Braudel, Op-Cit, p 801.

³ Fernand Braudel, Op-Cit, p 802.

⁴ D. Grammont, Op-Cit, p,p 17, 18.

⁵ محمد أمين، الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني 1518 - 1830، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016، ص 51.

⁶ P. Dan, Op-Cit, p13.

✓ التنافس التجاري:

رغم تحوّل الأهميّة التجاريّة للبحر الأبيض المتوسط، بعد الكشوفات الجغرافيّة، نحو المحيط الأطلسي، إلّا أنّه لم يفقد أهميّته، خاصّة بعد سياسة الانفتاح التي اتّبعها الدّولة العثمانية، من خلال إبرامها لمجموعة من المعاهدات، كالتي أبرمتها مع البندقية سنة 1521م، ومع فرنسا سنة 1535م، وكان القصد منها تنشيط التجارة في البحر المتوسط، كما حرصت على تسهيل الملاحة فيه، وذلك بمنحها مجموعة من الامتيازات للأوروبيين، فكانت سبباً رئيسياً في اشتداد التنافس التجاري الأوروبي داخله¹، خاصّة وأن فرنسا وإنجلترا كانتا تسعيان للحصول على امتياز حماية تجارة الدول، التي لم تعقد معها الدولة العثمانية اتّفاقيات بهذا الخصوص، لما تدره عليهما من أرباح طائلة، وكان هذا التنافس يصل إلى درجة العداوة، وسعي كل دولة لإضعاف تجارة منافسيها بأي وسيلة.

وكانت هولندا في ظلّ هذا التنافس التجاري، من أكثر الدول استعدادا لتزويد الإيالة بالمستلزمات الحربيّة البحريّة الملاحية، طيلة القرن السّابع عشر الميلادي 17م²، كما وقفت إنجلترا إلى جانب الجزائر، في البداية من أجل الوصول إلى أهدافها، والمتمثلة في منافسة الفرنسيين³، إذاً فقد استعملت كل من فرنسا وإنجلترا وهولندا، استراتيجيات مختلفة للحفاظ على امتيازاتها ومنع منافسيهم الأوروبيين من الاستفادة منها داخل البحر الأبيض المتوسط⁴. ويرجع تاريخ التّواجد الفرنسي في سواحل شمال إفريقيا، إلى القرن الثالث عشر الميلادي 13م، حيث كانت تربطها علاقات تجارية ودبلوماسية خاصّة مع الجزائر، وتعرّز بعد معاهدة 1535م، حيث كانت فرنسا تسعى لكسب مكانة هامة في البحر الأبيض

1 أرزقي شويّتام، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519 - 1830، دار الكتاب العربي الجزائر، 2010، ص 72.

2 حسن اميلي، البحرية العثماني...، المرجع السابق، ص 108.

3 بن حميد فتيحة، الامتيازات الفرنسية وأثرها في المغرب والمشرق العربي (1535 - 1798)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف دويّدة نفيسة، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2014 - 2015، ص 170.

4 أرزقي شويّتام، المرجع نفسه، ص 78.

المتوسّط وبالأخصّ حوضه الغربي¹، وبموجب معاهدة الامتياز حصل تاجران من مرسيليا على امتيازات تجارية في الشّرق الجزائريّ سنة 1561م، وأسّسوا مركزاً تجارياً في القالة لصيد المرجان²

وبما أنّ البند الثالث من معاهدة سنة 1535م، ينصّ على إرسال ممثّلين فرنسيّين في مختلف ولايات الدّولة العثمانيّة، استغلّته فرنسا وأرسلت ممثّلين عنها بالجزائر، لتكون بهذا أوّل دولة أوروبيّة، حظيت بتمثيل دبلوماسي في الجزائر سنة 1580م، كان الهدف الأوّل والرئيس منه هو حماية تجارتها وتجارها³.

أمّا إنجلترا فقد برزت، كقوة بحرية كبيرة أثناء، حكم الملكة اليزابيث (1558-1603م)، وبعد هزيمتها للأرمادة الإسبانيّة في 30 جانفي 1588م⁴، اتّجهت إلى البحر الأبيض المتوسّط، لأخذ نصيبها من التجارة فيه، وتعود البداية الرسميّة للتواجد الإنجليزي في البحر المتوسّط إلى سنة 1579م، بعد المراسلات المتبادلة بين السلطان العثماني مراد الثالث (1546-1595م)، والملكة الإنجليزيّة إليزابيث (Elisabeth)، والتي تم بموجبها منح أولى الامتيازات التجاريّة لإنجلترا في أراضي الدولة العثمانيّة⁵، وبهذا تكون بداية تأسيس العلاقات الرسميّة بين الدّوليتين مما أعطى لإنجلترا دفعا قوياّ لدخول البحر المتوسّط⁶، ولتحقيق أهدافها في منافسة الفرنسيّين.

¹ للمزيد حول التمثيل الدبلوماسي وتأسيس أول قنصلية فرنسية في الجزائر ينظر: عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 11، 13.

² أرزقي شويّتام، المرجع السابق، ص 74.

³ عائشة غطاس، المرجع نفسه، ص 12.

⁴ Weir, William, 50 Battles That Changed the World, the conflicts that most influenced the course of history, Printed in the U.S.A. by Book-mart Press, 2001, p 153

⁵ Richard Hakluyt, The principal navigations, voyages, traffiques, and discoveries of English Nation, made by sea or over-land, South and south-East parts of the World, at any time within the compasse of these 1600 years... exc., 2nd, London: George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, 1599, p p 138, 139. <https://quod.lib.umich.edu/>

شاهد يوم 21 / 08 / 2021

⁶ بلقاسم قرباش، المرجع السابق، ص 34.

أما دول أوروبا الشماليّة الأخرى نيوزلاندا و(الأراضي المنخفضة-هولندا)¹ المتّحدة، لم يكن تواجدها في البحر الأبيض المتوسط، نهاية القرن السادس عشر الميلادي 16م، بشكل رسمي بل عن طريق بحارة خواص، عملوا في البحر الأبيض المتوسط²، تحت راية الفرنسيين، ثمّ تمكّنوا سنة 1612م من الحصول على امتيازات تجارية من طرف الدولة العثمانية شأنهم شأن الإنجليز والفرنسيين، ليرموا بكلّ ثقلهم في المتوسط من أجل انتزاع السيطرة عليه بشتّى السبل والوسائل³.

✓ الصّراع الديني والسياسي:

شهدت القارة الأوروبيّة أواخر القرن السادس عشر الميلادي 16م، تصاعداً كبيراً للثورات، كان سببها المباشر الإصلاح الديني⁴، والذي بلغ حدّه الأقصى سنة 1560م، حين خرج البروستانت من عزلتهم، وألقوا حزباً سياسياً قوياً، هذا الإصلاح مع التّضخّم الذي عرفته أوروبا بسبب تدفق سبائك الذهب، ساعداً في تغيير البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لجزء كبير من أوروبا⁵، وأثارت الكثير من الحروب المحلية والإقليمية⁶، واشتدّ الصّراع بين المذهبين البروستانت والكاثوليكي في كامل أنحاء أوروبا⁷ خاصّة بعد الإصلاح الكاثوليكي المضاد⁸.

¹ هولندا أو جمهورية الأقاليم السبعة المتحدة، تأسست خلال 1579م، بعد حرب تحرير اندلعت عام 1568م، للتخلص من الهيمنة الإسبانية، وكانت رغبتها في الولوج للبحر الأبيض المتوسط رغبة في تضيق الخناق على إسبانيا من جهة، ومن جهة أخرى حرصها على ايجاد موضع للجمهورية التجارية الناشئة، ينظر: محمد أمزيان، دبلوماسية البارود دراسات في العلاقات المغربية الهولندية (1610-1810)، منشورات باب الحكمة، المغرب، 2019، ص 19.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 243.

³ فردنان بروديل، المرجع السابق، ص 120.

⁴ بدأ الإصلاح الديني سنة 1518 عندما كانت الفرصة مواتية مارتن لوثر بإظهار عقيدته، على اثر ظهور بيع صكوك الغفران من طرف الراهب يوحنا نترول، ينظر عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 153.

⁵ Jeremy Black, **European Warfare, 1494-1660**, New-York: Routledge, 2002, p 15.

⁶ Jeremy Black, Op-Cit, p 32.

⁷ نور الدين حاطوم، تاريخ عصر النهضة الأوروبيّة، دار الفكر، سوريا، 1985، ص 195.

⁸ الإصلاح الكاثوليكي المضاد هو: حركة دينية استهدفت إصلاح الكنيسة الكاثوليكية وفي نفس الوقت مناهضة الإصلاح البروتستانتي، وقد بدأت مع مجلس ترنت (1545م- 1636م) وانتهت بنهاية حرب الثلاثين عاما عام 1648، ينظر Jeremy Black, Op-Cit, p 32.

أعطت الانقسامات الدينيّة حدّة جديدة للنزاعات بين القوى المسيحيّة وداخلها، حيث أصبح الدين الذي كان محورا أساسيا للتركيز والتماسك الاجتماعي والأيدولوجي، يلعب دورا رئيسيا في ثقافة العنف داخل أوروبا المسيحيّة، ومع معارضة الإصلاح التي لعبت دورا رائدا في الإصلاح الكاثوليكي المضاد، أصبح الصراع جزءا رئيسيا من الدين، وضعفت الموانع التي تؤثر على شن الحرب ضد الإخوة المسيحيين خاصة المدنيين وقتلهم، فكانت الهمجية ومعدلات الخسائر المادية والبشرية مرتفعة جدا نتيجة للدين والأزمات السياسية¹، فانتشرت ثورات عارمة، كذلك التي حدثت في الجزر البريطانية، والأراضي المنخفضة، وفي الحدود بين النمسا والإمبراطور الإسبانيّة، السويد وبولندا، ثورة الفلاحين في ألمانيا²، كذلك ثورة الفلاحين في النمسا 1594-1597م، والتي انتهت بقتل حاكمها وازيلوا، كما أزيحت ملكة اسكتلندا عن عرشها سنة 1567م³، أيضا استغلّ فليب الثاني ملك إسبانيا الصراعات والخلافات التي حدثت في البرتغال، ليرسل جيشا بقيادة فرديناندو الفريز دوق ألفا، ليواجه جيش الفلاحين بقيادة دون انطونيو، تواجه الجيشان وهزم الجيش البرتغالي بالقرب من حدود ألكانتارا، ليستمر الحكم الإسباني للبرتغال لمدة 60 عاما من 1580م إلى 1640م⁴.

وفي فرنسا أدّت الحروب الدينيّة⁵ إلى انهيار السلطة الملكية، وإلى الصراع الاجتماعي والتدخل الأجنبي، وخاصة من قبل إسبانيا وإنجلترا، واستمرت الحروب حتى صدور مرسوم نانت عام 1598م، كما قتل الملك هنري الثالث 1589م وهنري الرابع سنة 1610م⁶. وفي ألمانيا أدّى التنافس بين البروستانت والكاثوليك سنة 1581م، إلى لجوء الطرفين لطلب

¹ Jeremy Black, Op-Cit, p 97.

² عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992، ص 163.

³ بلقاسم قرياش، المرجع السابق، ص 31.

⁴ Tony Jaques, Dictionary of Battles and Sieges: A Guide to 8,500 Battles from Antiquity through the Twenty-first Century, 3Vol (Vol1 a-e), London, Greenwood Press, 2007 p-p 25-26 .

⁵ جول كريكر ، المصدر السابق، ص-ص 107-110.

⁶ Jeremy Black, Op-Cit, p 98.

المساعدة الخارجيّة، ممّا سبب القلق لإسبانيا، وشجّعها للتّدخّل في ألمانيا سنتي 1583م و 1587م من أجل حماية حدودها الاستراتيجية¹.

أمّا هولندا فقد تزامنت العوامل السياسية مع الدينية، حيث بدأت التمرد والمطالبة بحكم ذاتي من قبل النبلاء الهولنديين، بسبب التهميش المسلط عليهم من قبل الامبراطور، مع سيطرة الكالفينيون² البروستانت على الحياة الدينية والتي بلغت ذروتها في 1566م³، عندما دمروا الكنائس الكاثوليكية، إزاء هذا الخطر قرر فيليب الثاني، إرسال جيش كبير تحت قيادة دوق ألبا، المتمرس لاستعادة النظام، وذلك خوفاً من أن هذا الوضع، سيساعد على تعزيز مكانة البروستانت والأهداف الفرنسية في جميع أنحاء أوروبا⁴.

إنّ الحروب الدينية خلال منتصف القرن السادس عشر الميلادي 16م، إلى بداية القرن السابع عشر الميلادي 17م، رغم حدتها إلّا أنّها أخذت شكل غير معلن ولا صريح بين البروستانت الكلفينيين، والكاثوليك، والسبب هو خشية الدولة الوطنية الحديثة، من أن تؤدي هاته الخلافات والنزاعات الدينية إلى انقسامات داخلية وسياسية تعرض وحدتها إلى الزوال، فكان الصراع يقع تحت ستار رغبة الدولة في أن تجمع في يدها كل أسباب السلطة الكاملة، والمحافظة على التوازن الدولي في أوروبا، فامتزج النضال الديني بالنضال السياسي⁵.

ولم يأخذ الصّراع الديني شكل الحرب العلنيّة، إلّا في بداية القرن السابع عشر الميلادي، حين اندلعت حرب الثلاثين عاما (1618-1648) بداية في بوهيميا، على شكل نضال محليّ ثم أخذت تتّسع نطاقها حتّى شملت كل أرجاء أوروبا ، فكانت بمثابة نقطة وتّويجاً لنضالات بين الكاثوليك والبروتستانت، والإمبراطور الرّوماني المقدّس، وأمراء ألمانيا،

¹ Jeremy Black, Op-Cit, p 114 .

² تعود أصول هذا المذهب إلى مؤسسه جون كلفن ولد 1509 م في باريس، له مؤلف في تعاليم الدين المسيحي، هاجم الكاثوليك، حتى اعتبره البروستانت الفرنسيون زعيما لهم، ينظر: عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص، ص 186.

³ Hugh Dunthorne, **Britain and the Dutch Revolt 1560–1700**, permission of Cambridge University Press, 2013, p 177.

⁴ Jeremy Black, Op-Cit, p 115.

⁵ عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 205.

وفرنسا وإسبانيا، فهي جمعت بين الصّراعات المختلفة، حيث امتدّت من بوهيما إلى ألمانيا الجنوبيّة، ثمّ ألمانيا الشّمالية، ثمّ جذبت إليها كلّ الدّول البروستانتية، ثمّ أخذت دولة بعد أخرى تخوض غمار الحرب، حتّى تحوّلت من حرب أهليّة ألمانية، إلى حرب أوروبية، فكان النزاع في البداية ديني بين البروستانت والكاثوليك، ليتحول إلى نزاع سياسي بين الهابسبورغ والبريون ضمن إطار السّيّطرة على أوروبا¹.

ولم تنتهِ هذه الحرب إلّا بصلح فستاليا 1648م، الذي وضع حد للصراع الدامي في أوروبا بعد 30 عاما (1618-1648م)، انقسمت أوروبا بعدها إلى معسكرين، الكاثوليكية عملت على نشأة المكيّة المطلقة، مثلما حدث في فرنسا، والكلفينية ساعدت على نشأة الدولة الديمقراطية مثل إنجلترا وهولندا (نظام دستوري - برلماني)، لتنتهي المسائل الدينية بخسائر فادحة لأوروبا، وتحوّلت الأولويّة إلى المسائل التّجاريّة والقوميّة².

غير أنّ الحروب في أوروبا لم تنتهي بصلح فستاليا³، حيث استمرت الحرب بين فرنسا وإسبانيا⁴، وقامت الحرب بين السويد وبولندا (1655-1660م)، كما قامت حروب لويس الرّابع عشر التي بدأها سنة 1667م إلى 1668م وهي حرب الوراثة في الأراضي المنخفضة، حرب 1672-1679م مع هولندا⁵.

1 عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 244.

2 المرجع نفسه، ص 255.

3 جول كريكر، المصدر السابق، ص 125.

4 حيث استغلت فرنسا الاضطرابات الموجودة في المقاطعات الإسبانيّة، كانتفاضة كاتالونيا التي قادها الفلاحون نتيجة لأوضاعهم الاجتماعيّة، والاقتصاديّة ثم انتقلت الى سكان المدن معلّنين الحرب ضد فليب الثّاني، وفي 23 جانفي 1641م دخلت برشلونة تحت الوصاية الفرنسيّة، ينظر: Joana Fraga – Joan-Lluís Palos, "trois révoltes en images la catalogne, le portugal et naples dans les années 1640", EHESS, Paris – Universitat de Barcelona, p p 119, 120.

5 للمزيد حور حروب التي خاضها لويس الرّابع عشر في أوروبا حتى عقد صلح أوترخت 1713م، ينظر: Ibid, p256، عائشة غطاس، المرجع السابق، ص، ص 42، 45؛ خرنقة مبروكة، العلاقات التونسيّة الفرنسيّة خلال القرن السّابع عشر (1605-1705م) سياسيّا وتّجاريّا، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث، اشراف عمار بن خروف، المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012، ص، ص 42، 77.

المبحث الثالث: المداخليل من غنائم بحرية وعائدات افتداء الأسرى

تعتبر المداخليل المتحصّل عليها من أعمال البحرية الجزائرية في الفترة الممتدة من 1580-1671م، من العوامل المهمة في إنعاش الحياة الاقتصادية، حيث تجلّى بوضوح من خلال تحوّل البحرية إلى مؤسسة خاصّة، هدفها الربح والحصول على عائدات مالية، لأنّ أعمالها مرتبطة عضويّاً بالتجارة، من خلال تسويق الغنائم (السلع والأسرى) المتحصّل عليها، وكانت الإيالة تأخذ نصيبها من هاته المداخليل، والمتمثّل في البنجك (يتمثّل في خمس الغنائم مبدئياً لكنه في الواقع كان بين السبع والثمن)¹، كما تحصّلت الإيالة على مبالغ مالية بسبب ما تفرضه من رسوم على الصادرات والواردات².

وبما أن أعمال البحرية كانت توفر عائدات ومداخليل كبيرة، فإن المستثمرون في هذا القطاع شملت جميع أطياف المجتمع حتّى اليهود، الذين ساهموا بقسط في تجهيز السفن، وكان تنظيم الملكية النمطي يشمل التجار الرسميون في الحكومة، والضباط والإنكشاريون، وأصحاب الدكاكين، والحرفيون وحتى الموظّفون، كانوا يضعون في ذلك ما يتم توفيره من أموال.

1- عائدات افتداء الأسرى

شكّل الأسرى الأوروبيون أكثر السلع رواجاً في إيالة الجزائر خلال القرن السابع عشر الميلادي³، نتيجة النشاط المكثف للبحرية الجزائرية، وتحولت أهمية عملية الأسر خلال هذا القرن، من أسير لأجل التّجذيف والبحث على اختصاصيّين في البحرية والتّسليح³، إلى جلب أعداد هائلة من الأسرى بغية الحصول على مبالغ الفدية، و التي تكون في أغلب

1 المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 202.

2 فاطمة الزهراء سيدهم، المرجع السابق، ص 27.

³ غيرت البحرية الجزائرية خلال القرن السابع عشر الميلادي 17م اعتمادها على السفن التي تسير بالتجذيف إلى السفن الشراعية والمستديرة، مما جعلها تتخلّى عن الأعداد الهائلة من المجذفين، للتّغيير أهمية الأسر من أسر لأجل التجذيف إلى أسر من أجل أموال الفدية.

الأحيان حسب وولف بالعملة الأجنبية¹، ومما يؤكد أهمية الأسر من أجل الرّيح هو ظهور مؤسسات لاسترجاع الأسرى وافتدائهم²، كجمعية الرحمة والتّثليث، هذه الجمعية قامت بافتداء عدد كبير من الأسرى، فخلال الفترة الممتدة بين 1535-1696م، وحسب دراسة جوزي انطونيو ماتينيز (José Antonio Martinez Torres)، قدم خلالها إحصائية للعدد الأسرى المفتدين في الجزائر وتونس وهو 19299 أسير في 96 عملية افتداء³، إي أنّهم افتدوا 201 أسير في كل عملية خلال 161 سنة.

1-1 أعداد الأسرى

إنّ عملية إحصاء عدد الأسرى في الجزائر، خلال العهد العثماني من المواضيع الشّائكة التي تواجه الباحث، لأنّ عدّها لم يكن من قبل أهل الاختصاص فجاءت الأعداد تقريبية يشوبها نوع من التّضخيم خاصّة عند معرفة أنّ أغلب الإحصائيات كانت من رجال دين أو من عند أسرى، بغرض تسريع عمليات الفداء، لذلك لا يمكن التسليم بهذه التقديرات الرّقمية المطروحة والتي تعدّ أحاديّة الجانب، ورغم ذلك فإنّ الإحصائيات تعطي نظرة بأنّ الأسر في الجزائر بلغ أوجه خلال الفترة المدروسة، والجدول التالي يوضّح عدد الأسرى خلال فترة الدّراسة من بعض المصادر الأوروبيّة.

جدول رقم (3): عدد الأسرى في الجزائر ما بين 1619-1678⁴

السنة	مصدر الإحصاء	تعداد الأسرى
1619م	Jean-Baptiste Gramaye	أكثر من 35000
1625م	Giovanni Battista Salvago	25000
1640م	De Aranda	40000/30
1660م	Davity éd. De Rocoles	35000
1662م	Père Auvry (Miroir)	12000
1665م	Du Val	أكثر من 40000
1678م	De Fercourt	من 30000/20

¹ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 209.

² في هذه النقطة يؤكد فرناند بروديل أن القرصنة شكلت نشاطاً اقتصادياً مهماً في ذلك العصر فهي ظاهرة عالمية، آلت إلى ولادة مؤسسات لاسترجاع الأسرى وافتدائهم، فرناند بروديل، المرجع السابق، ص 153.

³ José Antonio Martinez Torres, Op-Cit, p p 18-19.

⁴ Cresti Federico, "Alger à la période turque. Observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale", *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°44, 1987, p 131.

ويشير وليام سبنسر أنه خلال الفترة 1607-1618 تم أسر أكثر من 12000¹، كما تشير بعض الإحصائيات أن عدد الأسرى في سنة 1621م، بلغ 32000 أسير، حيث أسر 980 أسير فرنسي بين سنتي 1628-1634م، كما تم الحصول على 2555 أسير إنجليزي بين سنتي 1628-1641م، وأكدت أحد التقارير الإنجليزية على وجود 20000 أسير سنة 1646م²، إن هذه الإحصائيات هي من مراجع ومصادر أجنبية، وهي لا تخلف في عدها عن ما أوردته الدراسات الجزائرية، فيعطي ناصر الدين سعيدوني أعداد الأسرى لسنة 1620م 35000 أسير، وكان عدد الأسرى لسنة 1634م هو 36331 أسيراً، بينما انخفض العدد إلى 21000 أسيراً سنة 1662م³.

من خلال الإحصائيات المقدمة آنفا نلاحظ أن الجزائر خلال الفترة المدروسة، كانت الإيالة الجزائرية، تحتوى على أعداد هائل من الأسرى، بسبب النشاط المكثف لبحريتها داخل البحر الأبيض المتوسط وخارجه، نتيجة تطور تقنية صناعة السفن، خاصة في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي 17م، مما جعلها تدرّ موارد مالية كبيرة للإيالة من خلال عمليات الفداء.

وكانت قيمة الأسير الاجتماعية ومبالغ الفدية، تشكل من أهم العوامل التي تتحكم في قيمة العائدات المالية للإيالة، فبالرغم من أن قيمة الفدية غير ثابتة، حيث تختلف من فترة إلى أخرى، حسب مبدأ العرض والطلب، والكثرة والندرة، فقد شكل بيع وتوزيع الأسرى، بإيالة الجزائر القسم الأكبر من مداخليل الخزينة العامة، وهذا ما أشار إليه الرحالة الألماني هابنسترايت «تشكل تجارة الأسرى المسيحيين أحد مصادر الدخل الرئيسية للخزينة، فكل أسير له قيمة محدّدة حسب مكانته، فالقابودان وهو قائد السفينة يتطلب إطلاق سراحه ألفين وخمسمائة قرش، بينما معاونيه وكذلك صانع السفينة أو الجراح، فيدفع عن كل واحد منهم ألف وخمسمائة قرش، أما البحارة فعليهم تسديد ألف قرش»⁴.

¹ وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 157.

² بلقاسم قرياش، المرجع السابق، ص 143.

³ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص 138.

⁴ هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ / 1732م، تر. ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 42.

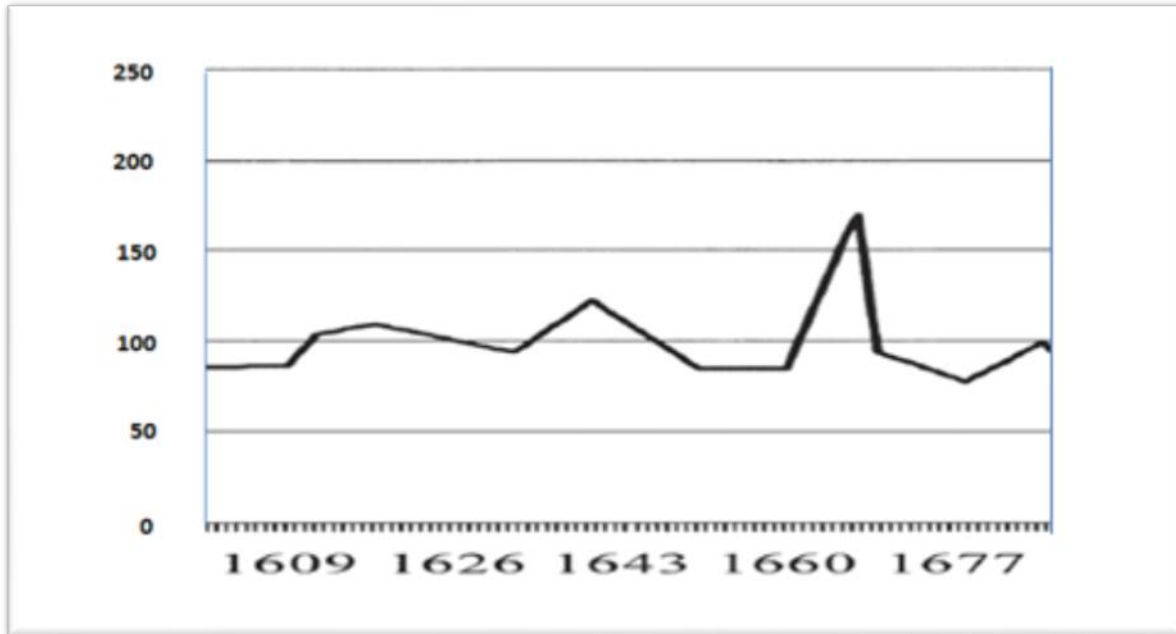
والجدول والشكل التاليين يوضحان قيمة فدية الأسرى في الجزائر خلال فترة البحث من مرجعين مختلفين وبعمليتين مختلفتين الجدول بالقرش الإشبيلي¹، والمنحنى بالإسكادوس الإسباني².

جدول رقم (4): يوضح أسعار بيع الأسرى الأوروبيين في إيالة الجزائر خلال الفترة 1656-1666م³

السنوات	1656 م	1663 - 1664م	1665-1666م
سعر الاسير	65 إلى 397	38 إلى 172	100 إلى 255

الشكل رقم (1) يمثل منحنى بياني لأسعار الأسرى وقيمة افتدائهم بإيالة الجزائر في الفترة 1694-1609

الاسكودوس الإسباني⁴



¹ القرش الإشبيلي، أطلق عليه اسم الريال، وهو متكون من 8 ريالات، كان عملة التداول في جزء كبير من العالم خلال القرنين السادس عشر، والسابع عشر، تدعى سكة 8، البوجو القوي، لتسمى فيما بعد بالقرش piastre، كان معدل الصرف بين القرش اشبيلي والدينار الخمسيني هو 4.64 في النصف الأول من القرن السابع عشر، حين كانت العملة الجزائرية مستقرة غاية 1685، لتظهر وحدات حسابية جديدة كالريال دراهم صغيرة والذي اختلف معدل الصرف حيث أن سنة 1691 ق إ يساوي 2000 رد ص، ينظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، العملة الاسعار والمداخل، ج.1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص، ص 41، 47.

² الاسكودوس الاسباني، هو عملة نقدية اسبانية، وهي عملة ذهبية، كانت تساوي 4 دينار خمسيني حسب ما اورده هايديو في الفترة 1595-1596م، ينظر: المنور مروش، دراسات عن ..، ج.1، المرجع نفسه، ص 40.

³ المنور مروش، دراسات عن الجزائر، ج.1، المرجع السابق، ص 300.

⁴ Thomas G. Woodward, " The Costs of State-Sponsored Terrorism: The Example of the Barbary Pirates ", National Tax Journal (NTJ) , Vol 57, N° 03, September 2004, p 605

نلاحظ من خلال الجدول رقم (2) والشكل رقم (1)، عدم استقرار قيمة فدية الأسرى بل هناك ارتفاع متذبذب، فأحيانا يكون هناك ارتفاع وأحيانا ينخفض قيمة الأسير، وكانت ذروة المنحنى خلال الفترة 1660-1677م حيث أنّ قيمة الأسير أصبحت أكثر من 170 اكسودوس إسباني، أما الجدول فيعطينا ارتفاع تدريجي لقيمة الأسير وهي محصورة بين 65-255 ق.إ، وبما أن معدل تعداد الأسرى في مدينة الجزائر خلال القرن السابع عشر 17م هو 35000 أسير؛ وبعملية حسابية نستطيع أنّ نحدد بها سعر الأسير الواحد، وهي تجمع أعلى قيمة في الجدول رقم (2) مع أقل قيمة وهي $255 + 65 = 320$ ق.إ، والمتوسط هو $2/320 = 160$ ق.إ، ويضرب عدد الأسرى في القيمة الوسطية للأسير نجد القيمة الفدية الإجمالية خلال فترة الدراسة، وهي كالتالي $160 \times 35000 = 5600000$ ق.إ¹، وبما أنّ القرش الإشبيلي يساوي 4,64 دينار خمسيني وعليه يكون قد دخل للإيالة $4,64 \times 5600000 = 25.984.000$ د.خ، والذي تأخذ منه خزينة الإيالة حق البنجق وهو الخمس وعليه تتحص على $1/5 \times 25.984.000 = 5196800$ د.خ.

كذلك بالنسبة للشكل رقم (1) بنفس الطريقة نجد $175 + 90 = 265$ ، والمتوسط هو 132.5 ضرب عدد الأسرى نجد القيمة الإجمالية لفدية الأسرى خلال هاته المرحلة $132.5 \times 35000 = 4637500$ الاسكودوس الإسباني، وبما أنّ الواحد منه يساوي 4 دينار خمسيني، فأية الجزائر، تكون قد تحصّلت حسب الشكل أعلاه على $4 \times 4637500 = 18.550.000$ د.خ، والذي تأخذ منه خزينة الإيالة حق البنجق أي $1/5 \times 18.550.000 = 3.710.000$ د.خ.

نلاحظ أنّ هناك اختلاف كبير، بين القيمة المالية التي يعطيها كل من الشكل رقم (1) والجدول رقم (2)، ويكون سبب هذا الاختلاف بسبب مصادر المعلومة التي أخذت منها المعطيات، وبالرغم من ذلك، فإن هذه المبالغ المالية الكبيرة التي تحصّلت إيالة الجزائر عليها من عمليات الفدية، والذي سينعكس بالرفاهية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها.

¹ سمير مشوشة، المرجع السابق، ص 240.

2- عائدات من غنائم البحر (السفن والسلع):

تكوّنت الغنائم البحريّة التي يتحصّل عليها البحارة الجزائريّون من السفن التجاريّة المحمّلة بمختلف السلع والبضائع، وهي موردا مهما من موارد النشاط البحري، الذي يعدّ العمود الفقري للاقتصاد الإيالة الجزائرية خلال الفترة المدروسة، موفّرة موارد مالية ضخمة، ممّا جعل الخزينة الجزائرية في انتعاش اقتصادي لمدة طويلة، والجدول التالي يعطي عينات من تلك العائدات.

جدول رقم (5): عدد السفن وقيمتها من 1611 إلى 1671 م¹

السنة	الغنائم من سفن و سلع	القيمة الماليّة
1611-1613م	أخذت سفينتين كبيرتين	700 ألف قرش
1620م ²	أخذت سفينتين إسبانيّتين 19 أبريل أخذت سفينة فرنسية محملة بـ 121 برميل 15 أوت أخذ قارب محمل 66 برميل من النبيذ 22 سبتمبر أخذت سفينة محملة بالملح مع عدد من الأسرى في شهر أكتوبر تم أخذ 4 سفن تحتوي كل منها على بضائع تختلف عن الأخرى فواحدة بها النبيذ وأخرى بها فيها عدة أنواع من التوابل كالفلل والقرفة وغيرها وواحدة بها السكر وهناك ما احتوت على الخمر والكحول في شهر نوفمبر تم أخذ سفينتين وقاربين محملة بسلع متنوعة	45000 ايكي 450000 ايكي 15000 ايكي 2000 ايكي قدّرت القيمة المالية لها بـ 385000 ايكي قدّرت بـ 420300 ايكي
1622-1623م	أخذت خمسة بوارج وسفن عظمي وكذلك على سفن إنجليزية وفرنسية وإسبانية وألمانية وإيطالية	بـ 1700000 قرش
1624-1625م	هجوم البحارة الجزائريين مع التونسيين عل ميناء بيراستو بالبندقية	100000 ايكي
1626م	أخذ البحارة الجزائريون والتونسيون على 18 سفينة كبرى من البندقية محملة بسلع ذات قيم عالية	بـ 160000 قرش
1628-1630م	تم أخذ على 20 سفينة فرنسية	بقيمة 380000 ايكي
1633-1634م	تم الاستيلاء على 80 سفينة فرنسية	4752000 ليرة تيرنو
1638م	أخذت عدة سفن مرسيلية	56000 قرش
1639م	أخذ البحارة الجزائريين سفينة إسبانية وصندلا يحتوي على 60 سبيكة	/

¹ تم إعداد هذا الجدول من قبل الباحثة اعتماداً على معطيات من مراجع متنوعة، أشير إليها داخل الجدول.

² D Grammont, Op-Cit , p,p 37,38.

من الفضة		
1640م	أخذ الجزائريون بارجتين وسفينة من إسبانيا كما اخذ الجزائريون سفينتين انجليزيتين محملة بالسلع واحدة تحتوي على سبائك الفضة وريالات إسبانية وكمية من القرمز	/ 32000 ايكي - مليون ليرة ترنو
1642-1644م	أخذ البحارة الجزائريون 5 سفن انجليزية	/
1651-1653م	أخذ سفينتين فرنسية أحدهما للرجال الدين	/
1654م	اخذ الجزائريون بارجتين وسفينة محملة بسلع ثمينة قادمة من الهند	80000 قرش
1655-1656م	دخلت إلى الجزائر 17 سفينة منها 6 سفن هولندية 4 سفن اسبانية	/ 100000 ايكي
1657-1658م	88 سفينتين من مالطا ومركبين صيد من جنوة	
1660-1661م	62 سفينة انجليزية -35 سفينة هولندية 1. بارجة فرنسية	/ 8.3 ملايين ليرة ترنوا
1662-1663م	33 سفينة من دول أوروبية مختلفة إسبانيا، الندوقية، فرنسا، نابولي، مالطة...	/
1664م	20 بارجة و 23 سفينة من انجلترا واسبانيا وهولندا	/
1665م	عدة صنادل وسفينة من البندقية سفينة اسبانية	2 مليون ليرة ترنوا
1666م	سفينتين و 4 صنادل وبارجتين	سلع أحد السفن 40000 ايكي
1667-1669م	7 سفن من اسبانيا ونابولي وهولندا	/
1670م	5 سفن انجليزية وبارجة هولندية	/
1671-1672م	8 سفن الدانمارك، والبندقية، جنوة، إسبانيا، هولندا، إحدى السفن الهولندية كانت تحمل 1500 برميل من الكحول المقطر ومن خمر بورديو ¹	/

من خلال الجدول رقم (5) المقدم أعلاه، نلاحظ الحجم الكبير للغنائم البحرية (سفن، سلع) المجلوبة لإيالة الجزائر خلال القرن السابع عشر الميلادي (17م)، نتيجة النشاط المكثف للأسطول البحري الجزائري، داخل البحر الأبيض المتوسط، والمحيط الأطلسي، ضدّ السفن التجارية للدول الأوروبية، التي هي في حالة حرب مع الجزائر، وبالرغم من أنّ هناك عدّة سفن و سلع لم نتحصّل على قيمتها المالية، فإن ومن خلال المبالغ المالية للسلع والسفن المبينة في الجدول أعلاه، نلاحظ أنّ هناك مبالغ مالية كبيرة دخلت لإيالة الجزائرية والمقدّرة

¹ المنور مروش، المرجع السابق، ص، ص 318، 341.

ب 2696000 قرش إ و 1564300 ايكي و 16052000 ليرة ترنوا، نقوم بتحويل هذه المبالغ إلى عملة الدينار الخمسيني وذلك بعد معرفة قيمة الصرف بينه وبين العملات الأخرى، 1 ايكي يساوي 4 دينار خمسيني في أغلب القرن 17م

1 قرش يساوي 4.64 دينار خمسيني في أغلب القرن 17م

1 ليرة ترنو تساوي 2 دينار خمسيني في أغلب القرن 17م¹.

$$12509440 = 4.64 \times 2696000 \text{ دخ}$$

$$6257200 = 4 \times 1564300 \text{ دخ}$$

$$32104000 = 2 \times 16052000 \text{ دخ}$$

إذاً لقد دخل إلى إيالة الجزائر 21977040 دخ ، حسب الجدول نلاحظ أيضا أن هذا المبالغ ليست هي كل الأموال التي تحصلت عليها البحرية الجزائرية، خلال الفترة المدروسة، بسبب قلة الوثائق الأرشيفية، التي يمكن أن يطلع عليها الباحث فأغلب هذه المعلومات أخذت من كتابات الأسرى، أو ممّا خطّه قناصل الدول الأجنبية من معلومات، وكما هو معروف أنّ أغلب المعطيات المأخوذة من مصادر ليست أرشيفية، لا تخلوا من الذاتية إما بالتضخيم أو التقليل من جهة، وأيضا نجد أن رياس البحر لا يسرحوا بكل الغنائم، خاصّة وأن خزينة الإيالة تأخذ البنجق، وتوزيع الغنائم الباقية حسب قواعد محددة كما أشرنا سابقا.

كما نرى أيضا من خلال الجدول رقم (5) هناك سفن وسلع لم تعط قيمتها المالية إذاً فالمعلومات المتوفرة لدينا ليست كلّ الحقيقة، إلّا أنّ ما توفر من معلومات تعطي انطباعاً كبيراً على الثراء الذي وفّره البحرية في فترة الدراسة، وبما أن الخزينة لها حق البنجق أي الخمس فبعملية حسابية نجد $21977040 \times 1/5 = 4397608$ دخ.

وعليه وممّا سبق ذكره تكون المداخل البحرية للأسطول البحريّ الجزائريّ في الفترة

1580-1671م (أسرى وسفن وسلع) التي تحصلت عليها الإيالة الجزائر هي:

¹ للمزيد حول معرفة العملات وقيمة الصرف خلال العهد العثماني ينظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر ، ج.1، المرجع السابق، ص، ص 40، 47.

• الأولى نتخذ قيمة الأسرى حسب الجدول الموضح أعلاه فنجد 25.984.000 د.خ نضيف لها القيمة المالية للسفن والسلع المقدرة بـ 21.977.040 د.خ فنجد ما دخل للإيالة من أموال هو 47.972.049 د.خ وقتذاك .

• الثانية نتخذ قيمة الأسرى حسب المنحنى فنجد 3.710.000 د.خ نضيف لها القيمة المالية للسفن والسلع المقدرة بـ 21.977.040 د.خ فنجد قد دخل للإيالة 14.521.248 د.خ وقتذاك.

خلاصة الفصل

إذن عرفت إيالة الجزائر منذ التحاقها بالدولة العثمانية، نشاطاً بحرياً منقطع النظير، بداية بالحروب الكبرى ضمن الأسطول العثماني، أو الحرب بالوكالة دفاعاً عن الدين الإسلامي، ضدّ الأسطول البرتغالي والإسباني حامل لواء المسيحية، وبعد توقيع الهدنة بين العملاقين الأسطول العثماني والأسطول الإسباني، فتح المجال للحروب الصغرى أو الحروب الاستنزافية، أو الحروب التجارية، التي كانت تخوضها البحرية الجزائرية ضدّ عدوّ الدين، وكان لهاته الحروب أثراً مادياً واضحة جعل من إيالة الجزائر محلّ استقطاب، للكثير من رياس البحر من جميع الجنسيات، الراغبين في العمل ضمنها، ممّا اكسبها تطوراً كبيراً في مهارات صناعة السفن والأسلحة، والمهارات الملاحية، مكنتها من خوض غمار الإبحار في المحيط الأطلسي، والاستفادة من الحركة التجارية النشيطة داخله، ممّا زاد في مداخلها البحرية (أسرى وسلع) حيث عرفت تجارة الأسرى أو العبيد البيض كما يحلو للبعض تسميتهم رواجاً كبيراً في الفترة الحديثة، أدت إلى ظهور مؤسسات لفديتهم، ممّا انعكس على الفترة الممتدة من 1580-1671م من تزايد مطرد في مداخلها كما أوضحناه سابقاً، هذه الغنائم البحرية جعلت من أسواق الجزائر وجهةً للتجار من مختلف المناطق، فكانت الحروب البحرية تغذي الأسواق التجارية بجميع أنواع السلع، فنشطت الأسواق وازدهرت البلاد حتى سُميت باسطمبول الصغرى.

الفصل الثاني :

أسباب تراجع مداخليل البحريّة 1671-1830م

المبحث الأول: أسباب متعلّقة بالوضع القائم في الإيالة

- 1- التّطوّرات السّياسيّة للإيالة وتأثيرها على أعمال البحريّة
- 2- ملكيّة الدّولة لوحدات الأسطول
- 3- تقييد أعمال البحريّة بقوة القانون
- 4- دور اليهود وتأثيره في تراجع مداخليل البحريّة

المبحث الثاني : عوامل متعلّقة بالدّول الأوروبيّة

- 1- تطوّر البحريات الأوروبيّة
- 2- فرض التّجارة الأوروبيّة في المتوسّط وطرق حمايتها
- 3- هجوم الأساطيل العسكريّة على مدينة الجزائر

المبحث الثالث: عوامل متعلّقة بالبحريّة الجزائريّة

- 1- تقلّص وحدات الأسطول
- 2- نوعيّة السّفن المستعملة واحتياجاتها
- 3- تقلّص عالم الرّياس المهرة

إنّ تغيّر الظرفية التاريخية، التي عرفها النصف الثاني من القرن السابع عشر 17م، كان لها آثارا بليغة على إيالة الجزائر، حيث كانت تشهد ازدهاراً كبيراً، نتيجة المداخل المتدفقة، بسبب الحروب البحرية التي كان يخوضها الأسطول، سواء في البحر الأبيض المتوسط أو المحيط الأطلسي، إلّا أنّ هذه المداخل ستشهد تراجعاً منذ النصف الثاني من ذات القرن، فما هي الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذا التراجع؟ وهل كانت هذه الأسباب داخلية أو خارجية، أم زاوجت بين الاثنين؟

المبحث الأول: أسباب متعلّقة بالوضع القائم في الإيالة

1- التطوّرات السياسيّة للإيالة وتأثيرها على أعمال البحريّة:

كان للاضطرابات الداخليّة التي عرفها عهد الآغوات 1659-1671م، وتعدّد الهجمات التي تعرّض لها الأسطول الجزائريّ من قبل أساطيل الدّول الأوروبيّة، خاصّة هجوم الأسطول الإنجليزي سنة 1671م، الذي دمر خلاله 12 سفينة من ميناء بجاية، ثمّ هاجموا ميناء الجزائر وأحرقوا 3 سفن، وأغرقوا وأخذوا سُنفاً أخرى، كان لها دوراً كبيراً في الغليان والفوضى، فحملت طائفة الرّياس علي آغا¹ مسؤوليّة هذه الأحداث، واتهموه بأنّه لا يهتم لأمر البحر؛ كما اتهمه الجند الانكشارية بتكديس ثروة شخصية²، ليتم قتله وانتشرت الفوضى، واستغلّت الطّائفة هاته الفرصة لانتزاع السلطة من الجند، فانتهى عهد حكم الآغوات (1659-1671م)، وعُيّن أحد زعماء الطّائفة، وهو محمّد التريكي³ ليكون أوّل داي⁴

¹ عين حاكم على الجزائر سنة 1665م، أوّل من جمع بين السلطين العسكرية والمدنية، أعطيت له حرية التصرف في مالية الدولة وخزينة، أوّل من ادعى بحكام الجزائر، أهم ما قام به هو توثيق العلاقات مع فرنسا، وفق في عقد معاهدة 1666م، اتصفت فترة حكمه بالثورات، كما تعرضت في عهده الجزائر إلى عدة هجمات من أساطيل الدول الأوروبية كفرنسا 1669م، وإنجلترا 1671م، اغتيل من طرف رياس البحر بعد اتهامه بالعجز والاختلاس، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط.7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج.3، 1994، ص، ص 165، 166.

² محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 69.

³ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 138.

⁴ الداي كلمة تركية تعني الخال، ولم تكن ذات دلالة وظيفية شرفية لرتب عسكرية داخل الجيش الانكشاري إلا في الجزائر وتونس، فقد نظّم سنان باشا الانكشارية وجعل على كل مئة منهم أمير يسمى (بالداي) وهو لقب يشعر بالعظمة ويمرور الزمن أصبحت على الحاكم، ينظر: ابن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط.2، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ج.2، د.س.ن، ص 121.

لإيالة الجزائر مدى الحياة¹، مع اشتراط أن يتم تفويض السلطة المطلقة للداي دون أن يشرف عليها الديوان، وهذا الأخير يجب أن تكون قراراته خاضعة لسلطة الداي²، مما أكسب إيالة الجزائر نظاماً حكومياً شبيه بالحكم الجمهوري الحديث، يمارس فيه الداي سلطة شبه مطلقة³، في عقد الاتفاقيات وإعلان الحرب وعقد الصلح، بالشكل الذي يراه مناسباً، ولا يبعث للسلطان إلا من باب إعلامه بما يحدث حتى لا تنقطع الروابط المعنوية التي كانت تجمع الإيالة بالدولة العثمانية⁴.

كان اختيار الدايات الأوائل (1671-1689م)، من بين صفوف الرياس، نظراً لنفوذهم وثروتهم، ومكانتهم بين المجتمع⁵، وكان أهم ما قاموا به هو تقليص نفوذ الديوان، مع عدم التقيد بقراراته إلا حينما تكون هذه القرارات مفيدة لهم، كما نشطت البحرية الجزائرية في عهدهم، مما أدى إلى عمليات انتقامية أوروبية ولاسيما من فرنسا كهجمات 1682-1683م، وسنة 1688م، وألحقت هذه الهجمات أضراراً كبيرة بالبحرية الجزائرية وبمدينة الجزائر، مما أضعف الطائفة⁶، وبعد تلك الهجمات ومع تناقص ثروات الطائفة، وقلّ نفوذهم إثر ضعف نشاط أعمال البحرية، مما أدى إلى تراجع مداخلها، فلم تعد كافية للإنفاق على الجهاز الإداري المحلي⁷، فاسترجع الأوجاق نفوذهم، فأصبح الداي يُنتخب من بين ضباط الانكشارية، الذين ظلوا يتقلّدون منصب الداي حتى نهاية الحكم العثماني (1689-1830م)⁸.

¹ لم تحدد فترة حكم الدايات بعدد سنوات كما كان عليه في عهد الباشوات والآغوات، مما دعم عملية استقرار الحكم.

² المنور مروش، دراسات عن الجزائر...، ج2، المرجع السابق، ص 336.

³ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، 1792، 1830، ط.3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 24؛ أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 417.

⁴ كمال بن صحراري، دور اليهود الدبلوماسية أواخر العهد العثماني وبداية الفترة الاستعمارية، ط.2، دار قرطبة للتوزيع والنشر، الجزائر، 2016، ص 79.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 15.

⁶ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 70.

⁷ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد التركي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 53.

⁸ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع نفسه، ص 15.

إنّ تركيز السلطة واستقرارها؛ اللذان انطلقا منذ قيام نظام الدّايات في 1671م¹، عرف دفعة جديدة في 1711م²، ذلك أنّ علي شاوش (1710-1718) بعد انتخابه دايّا على الجزائر رفض الباشا الذي أرسله الباب العالي، وحصل من السلطان على الجمع بين صفتي الداي والباشا، لتكون هذه نقطة تحول حاسمة، فكل الدايات الذين يُنتخبون من قبل الديوان تعترف بهم اسطنبول كبشوات للآيالة³، ليتم الجمع بين اللقب التنفيذي للداي، واللقب الشرفي للباشا، هذا وقد عرف عهد الدايات تعديلات جديدة، فحدد نشاط الديوان الكبير في نطاق احتفال شكلي كالاحتفالات الدينية⁴، والديوان الصغير اختفى وحل محله مجلس الموظفين الكبار⁵ أو الوزراء، وكان لهم دوراً كبيراً في تسيير شؤون البلاد⁶ (أصبحوا هم مراكز السلطة) وهم:

✓ **الخزناجي:** وهو الوزير الأول والمشرف على المالية، ويعتبر الخليفة الطبيعي للباي في منصبه⁷

✓ **آغا المحلة:** وهو الوزير الثاني المكلف بالشؤون العسكرية وقائد الجيش البري.

✓ **خوجة الخيل:** مكلف بالواردات من داخل البلاد وتزويد الدولة بالمؤونة وإدارة أملاك البايك.

¹ لقد حضرت فكرة الجمع بين المنصبين الباشا والداي لبابا حسن، خلال ثمانينات القرن السابع عشر الميلادي 17م، ورغم أن حسين ميزومورتو قد جمع بين الوظيفتين إلا أنّ هذا الجمع لم يُحدد بصفة نهائية إلا سنة 1711م، ينظر: محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 70.

² تعتبر سنة 1711م البداية الفعلية لاستقلال آيالة الجزائر عن الدولة العثمانية، حيث أصبحت بعد هذه السنة مستقلة في قراراتها الداخلية والخارجية، تعقد المعاهدات باسم الجزائر، مع إبقاء الارتباط الديني والوازع الادبي بالخلافة العثمانية، ينظر: أرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر. عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970، ص 26

³ المنور مروش، دراسات عن الجزائر.. ج.2، المرجع السابق، ص 377.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني..، ص 53.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، النظام...، المرجع السابق، ص 24.

⁶ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، الجزائر، ص 139.

⁷ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 390.

✓ **وكيل الحرج:** مكلف بالشؤون الخارجية مع الدول الأجنبية وعن كل ما له علاقة بالبواخر والتسليح والذخيرة، والتحصينات ومواجهة الخصوم في عرض البحر، كما يراقب النشاط البحري.

✓ **بيت المالجي:** هو المسؤول عن جميع المسائل المتعلقة بالوراثة وتحديد نصيب خزينة الدولة من الميراث أو من الأملاك التي تُصادر سواء بسبب عزل الموظفين أو وفاتهم، أو غيابهم الدائم عن الجزائر¹.

هذه المجموعة الضيقة التي تركزت بيدها السلطة كانت مرتبطة بالداي، ارتباطاً وثيقاً لأنه هو من يعينها، فمجلس الرياس الذي كان يترأسه وكيل الحرج، كانت أهم اختصاصاتها البحث في المشاكل التي تثيرها أعمال البحرية، وكانت القرارات التي يتخذها هذا المجلس تعرض على الداي الذي يبت فيها بصورة نهائية، لأن الداي هو مصدر السلطة السياسية والعسكرية مما سمح باتباع سياسة عامة أدت إلى تحجيم دور أعمال البحرية في السياسة العامة للإيالة إلا بما تقتضي به مصالحها².

1-1 ملكية الدولة لوحدات الأسطول:

أشرت في ما سبق بأن البحرية الجزائرية كانت عبارة عن مشروع خاص ومؤسسة ربحية ذات أسهم يشترك فيها الملاك، كل حسب مساهمته (سواء من حيث امتلاكهم للسفن أو من حيث التمويل أي المتطلبات المالية الكافية لتجهيز وصيانة السفن)، وكان يمكن لأعضاء الحكومة كالباشا والآغا ورجال الديوان أن يكونوا من المستثمرين في المؤسسة البحرية، وفي هذه الحالة يصبحون مستثمرين باسمهم الخاص وليس كممثلين عن الحكومة، غير أنه ومع نهاية القرن السابع عشر 17م، ومع تغيير النظام السياسي وسيطرت الموظفين الكبار على مقاليد الحكم، سيكون لهم وسائل معينة للسيطرة على البحرية، كمنح الرخص

¹ كليل صالح، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف علي اجقو، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006، 2007، ص 159.

² ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 17؛ المنور مروش، دراسات عن الجزائر...، ج.2، المرجع السابق، ص 378.

للإبحار، ومحاولاتهم لإجبار الرّياس على احترام المعاهدات، أو الحصول على الفوائد، ممّا دفع بممّولي البحرية وريّاسها بالعدول عنها، وجعل المستثمرين لا يرون في هذا المجال سوى ميدان للنّفقات والتكاليف الباهظة دون أرباح.

غير أنّ هذا النوع من التملك قد تغيّر خلال القرن الثامن عشر 18م، إذ أصبحت الحكومة أكثر استقراراً، وتدرجياً أصبحت حكومة الداوي تتحكّم في معظم سفن البحارة، ومع نهاية القرن الثامن عشر 18م أصبح الأسطول مملوكاً من قبل الحكومة والرياس تحت سلطة وزير البحرية¹، فالدولة خلال سنة 1717م لم تكن تملك سوى سفينة واحدة من مجموع تسعة عشرة 19 سفينة كانت في الخدمة، وفي سنة 1751م كان البايلك يملك 9 سفن من جملة 21 سفينة، لها 236 مدفعاً من العيار الكبير، بينما السفن الأخرى كانت تحتوي على 248 مدفعاً من عيار أصغر، وفي سنة 1752م، كانت للبايلك 7 سفن بها 190 مدفعاً، بينما 15 سفينة للخواص² ليس بها سوى 172 مدفعاً من عيار أقل³.

ولكن عند نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، أصبح امتلاك المستثمرين الخواص للسفن المخصّصة لأعمال البحرية نادراً جدّاً، فامتلاكها أصبح شبه حصريّ للداوي ووزرائه، ففي الفترة 1798-1816م، من بين 239 رئيساً المتحصّلين على جوازات سفر من القنصلية الفرنسية، كان 227 رئيساً سفنهم ملكاً للداوي، و12 الباقية كانت ملك للوزراء كالخزناجي وغيره، وعليه أصبحت أغلب وحدات الأسطول إن لم نقل كلّه ملكاً للبايلك تحت سيطرة وكيل الحرج "وزير البحرية"⁴.

وبتحوّل البحرية الجزائرية إلى ملكيّة عامّة للإيالة، حدث تطوّر في الدبلوماسية الخارجية للجزائر، فامتلكت الحرّية المطلقة في عقد المعاهدات، وإقرار السلام مع الدّول الأجنبية، وبهذا تكون قد تخلّصت من الضغوطات التي كان يمارسها الرّياس أصحاب السفن

¹ حنيفي هلاليلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 59؛ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 191 .

² المنور مروش، دراسات عن الجزائر...، ج.2، المرجع السابق، ص 406.

³ جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 191.

⁴ Daniel Panzac, **Barbary corsairs the end of a Legend 1800-1820**, translated from the French by VICTORIA hobson and COMPLETED by johne , hawkes brill leiden , BOSTON, 2005, p 57.

على الدولة في حالة إعلان الحرب والقطيعة ضدّ الدول الأجنبية من أجل المصلحة الاقتصادية، فأصبحت أعمال البحرية أكثر انتظاماً واحتراماً للقواعد الدوليّة عصر ذاك¹، لتتحوّل البحرية إلى أداة دبلوماسية في يد حكومة الإيالة، ورغم ذلك لم تنتهِ القرصنة بشكل نهائي، فقد كانت هناك بعض التجاوزات الفردية النادرة لبعض القراصنة، ومُقتَرِفِها يُعاقَبون بقسوة، تصل لحدّ الإعدام².

ولهذا كان نشاط أعمال البحرية يتأثّر بوضع الحكومة³، فكانت سفن البحارة تنقيد بسياستها وتعليماتها، فلا تهاجم إلّا السفن العدوّة، فتمارس حقّ الزيارة والتفتيش على السفن الصديقة لتتأكد من حقيقة جنسيّتها، أو من أنّها لا تحمل بضائع لدول معادية، وبهذا تحوّلت مهام البحرية الجزائرية إلى ضمان احترام الدول الأجنبية للمعاهدات التي أبرمتها مع إيالة الجزائر، ذلك لأنّ بعض سفن القراصنة المسيحيين تنسّرت تحت راية دولة صديقة، كفرنسا لتتخلّص من هجمات السفن الجزائريّة⁴.

1-2-1 تقييد أعمال البحرية بقوة القانون

1-2-1 إبرام المعاهدات والاتفاقيات:

كانت الجزائر إلى غاية 1661م تهاجم كل سفن الدول الأوروبية، غير أنّ مجال الغزو البحريّ تقلّص خاصة مع دخول القرن الثامن عشر (18م)⁵، أين تضاعفت مداخل البحرية

¹ إسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص 37.

² المنور مروش، دراسات عن الجزائر...، ج.2، المرجع السابق، ص 379.

³ ذلك أنّ إيالة الجزائر التي كانت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر تعمل من منطق قوة في مواجهة الدول الأوروبية، فإنها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ستعرف تغييرا في موقفها، فمن موقف المهاجم إلى المدافع عن الإيالة ومصلحتها ضد هجمات تلك الدول، ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط.2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 168.

⁴ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 93.

⁵ محمد الأمين عطلي، المرجع السابق، ص 114.

الجزائرية بشكل كبير، ويرجع ذلك إلى معاهدات¹ واتفاقيات² السلم والتجارة، التي سعت الدول الأجنبية لعقدها مع حكومة إيالة الجزائر، لتتعهد هذه الأخيرة بموجبها بحرية التجارة والملاحة وعدم التعرض لسفن الدول الصديقة، مع إطلاق سراح الأسرى أو مقايضتهم بالأسرى الجزائريين لديها³، مقابل إتاوات تُدفع في شكل عتاد حربي أو قيمة مالية⁴ سنوياً⁵، في هذا السياق يقول المؤرخ غارو: "وهكذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية، وهولندا والبرتغال، ونابولي، والسويد، والنرويج، والدانمارك تدفع الجزية كل سنتين، بل ان السويد والدانمارك والنرويج، كانت تزود الجزائر بدون مقابل زيادة على الجزية بالأسلحة والأسلاك والأعمدة وحدائد الإرساء والقنابل، ... هذا كله فضلاً عما كانت تقدمه جميع أصناف هذه الدول من هدايا لدى عقد معاهدة، وتغيير القناصل، وغيرها من المناسبات⁶."

بما أن السلم يخدم مصلحة الطرفين فهو ينهض بالتجارة والمبادلات التجارية، مما سيكون له تأثير إيجابي على الوضعية الاقتصادية لكليهما، خاصة عند معرفة أن أسواق أوروبا كانت مغلقة في وجه التجارة الجزائرية، وأن حالة السلم مع تلك الدول خاصة فرنسا ستخفف من حالة الحصار المفروض عليها، وتفتح أمامها نوافذ لتصدير منتوجاتها الزراعية⁷، لكن في الأخير قلما كانت التجارة من نصيب الجزائريين بل فتح المجال فيها

¹ المعاهدة: هي اتفاق رسمي بين دولتين أو أكثر، لإحداث نتائج قانونية معينة، لها عدة تصنيفات معاهدات شائعة، ومعاهدات تعاقدية كمعاهدات السلم والتجارة، وهي تحتاج إلى مراحل، مفاوضات، إبرام، وتوقيع. ينظر: شارل روسو، القانون الدولي العام، تر. شكر الله خليفة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص، ص 34، 37.

² الاتفاقيات: هي شكل مبسط للمعاهدات تعقد عادة دون تدخل الدولة، أي بواسطة وزراء الخارجية، أو ممثلين سياسيين، تمتاز بسرعة المفاوضات، العقد، والوقيع، ينظر: المرجع نفسه، ص 36.

³ شالر أندري جوليان، المرجع السابق، ص 371.

⁴ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 80.

⁵ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط.3، ج.1، دار البصائر، الجزائر، 2007 ص 248.

⁶ مراد كحلوش، المرجع السابق، ص 115.

⁷ جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص 68.

للأوروبيين¹.

وبما أنّ معاهدات السلم كرّست حرية التجارة والمبادلات، مع ضمان أمن التّجار وممتلكاتهم، مع تقديم التسهيلات والمساعدات المختلفة للسفن التجارية للدول الصديقة طوال سريان مفعول تلك المعاهدة²، وتعهّد حكام الجزائر أيضا بأنّ الرّياس الذين يتعرّضون لتجارة الدول الصديقة سوف ينالون عقابهم³، قد تصل تلك العقوبات لحد القتل، فكان للمعاهدات دوراً كبيراً في تراجع مداخل البحرية الجزائرية.

وتحوّلت مهمّة البحريّة الجزائريّة، في هذه المرحلة إلى مراقبة مدى تطبيق السفن التجارية للاتفاق المنصوص عليه في المعاهدات، خاصة أنّها نصّت على حمل جوازات سفر⁴ لبحارة الدول الصديقة⁵، هذا يعني وجود جماعة تصعد على ظهر السفن للمراقبة⁶ وفحص قائمة المسافرين وبضاعة السفينة الموقوفة في عرض البحر⁷، أي أصبحت تؤدي مهام شرطة البحر.

إنّ عقد المعاهدات مع الدّول الأوروبيّة، لم يكن يعني إلغاء نشاط المؤسّسة البحريّة، فقد كانت الحكومة الجزائريّة تستعمل البحريّة كصّمام أمان وورقة ضغط دائمة على أعدائها

¹ خديجة حالة، الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني 1700-1830م، شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف : عبد الكريم بوصفصاف، أدرار، 2012-2013، ص 30.

² جمال قنان، معاهدات، المرجع السابق، ص 29

³ جمال قنان، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1790-1830، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، الجزائر، 2005، ص 17.

⁴ جوازات سفر كانت تمنحها قناصل الدول الأوروبية للرّياس الجزائريين من أجل السماح لهم بتفتيش سفن الدول الصديقة، وكانت جوازات السفر هذه تهدف إلى حماية الحائز عليه من الهجمات المحتملة من السفن الحربية التابعة للدول الموقعة على معاهدات السلام، في المقابل لم يكن باستطاعة القراصنة تحت أي ظرف من الظروف مهاجمة السفن التجارية للدول القوية.

⁵ في هذه النقطة يؤكد الباحث جمال قنان وجود انتهاكات من قبل السلطات الفرنسية بمنح جوازات فرنسية لبلدان معادية للجزائر، ينظر: جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 17.

⁶ أن مهام البحرية الجزائرية في هاته المرحلة أصبح عبارة شرطة بحرية لمراقبة مدى تطبيق الدول للمعاهدات.

⁷ E. Rouard Card , *Traité de la France avec les pays de l'Afrique du Nord (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc)*, A.Pédone , Paris, 1906,p 14.

خاصة أولئك الذين لا تربطهم اتفاقيات سلم مع الجزائر¹

إن وقوع حوادث مقصودة أو غير مقصودة بين الطرفين يؤدي إلى زعزعت الثقة بينهما وهذا ما أكدته الهجومات² التي جُردت على مدينة الجزائر في فترة الدراسة، والتي باءت جُلها بالفشل الذريع³، كما جعلت حكام الجزائر يولون اهتماماً كبيراً لامتلاك أسطول بحري حربي قوي، فالإتاوات التي كانت تطلبها الإيالة مقابل الصلح كما أشرت أعلاه كانت متشكّلة في أغلبها من أسلحة وعتاد⁴ بحري⁵، وكان جلّ المعاهدات تخصّ السلم والتجارة، والاتفاق العام المشترك بينهم هو مشكل المضايقات المستمرة من طرف البحرية الجزائرية (القرصنة الجزائريين) التي تتعرض لها أساطيلهم التجارية في عرض البحر:

- إنهاء أعمال القرصنة وكل الأعمال العدائية بين الطرفين⁶.
- إطلاق سراح الأسرى⁷.

وفي ما يلي :

¹ محمد الأمين، مرجع سابق، ص 45.

² كالحملات الفرنسية خلال سنوات (1682، 1685، 1688م²، والحملات الانجليزية التي بدأت سنة 1620م، لتتجاوز العشر هجومات باءت كلها بالفشل إلا حملت اللورد أكسموث 1816م، كما قامت هولندا بهجومات على إيالة الجزائر ابتداء من سنة 1616م إلى غاية 1666م باءت كلها بالفشل ولم تفلح إلا في الهجمة المشتركة مع بريطانيا في سنة 1816م، والهجمة الإسبانية سنة 1661م، لم تحد من نشاط البحري للأسطول الجزائري، مما اضطر بالدول التي لها مصالح تجارية في البحر المتوسط إلى محاولة التوصل إلى معاهدات سلم وتجارة ينظر: Moulay blhamissi, Op Cit, T3, p 47.

³ في رأسية معاهدة 7 جويلية 1640م، يذكر فيها أن إمبراطور فرنسا يريد إنهاء حالة العدى القائمة بين إيالة الجزائر وفرنسا إلى حالة السلم، ينظر: جمال قنان، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص 269؛ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 45.

⁴ مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ط.2، ج.1، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 181.

⁵ محمد الأمين، المرجع السابق، ص 45.

⁶ Card (E. Rouard de), Op-Cit, p 14.

⁷ جمال قنان، نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص 77

جدول رقم(6) يوضح عدد المعاهدات المبرمة مع الولاية الجزائرية

الدولة	ع المعاهدات	الفترة الزمنية	نوع الاتاوة
فرنسا	¹ 40	1619-1818 ²	مبلغ شهري على كراء البستيون
إسبانيا	3	1786، 1790، 1792 ³	نقدا
البرتغال	4	1785-1793-1795-1811	نقدا
أمريكا	4	1795 ⁴ -1814 ⁵ جددت مرتين ⁶	نقداً، و عتاد حربي
بريطانيا	18	1655-1824 ⁷	عتاد حربي
ايطاليا	2	1763-1816 ⁸	نقدا
الامبراطورية الرومانية	2	1727-1748 ⁹	نقدا
الدانمارك	2	1746-1772 -	عتاد حربي
السويد	2	1729-1792 ¹⁰	عتاد حربي
هولندا	11	1652-1816 ¹¹	عتاد حربي

¹ نظراً لتعدد معاهدات السلم والتجارة بين فرنسا وولاية الجزائر مما جعل من الصعب إحصائها لذلك جاء تعدادها مختلف بين مؤرخ وآخر كل حسب الوثائق التي اعتمد عليها، فيذكر نايت بلقاسم أنه تم عقد سبعون 70 معاهدة بين فرنسا وولاية الجزائر بينما يورد جمال قنان أربعون معاهدة؛ أما يحي بوعزيز وعبد الرحمان الجيلالي فيذكران أنه تم توقيع 58 اتفاقاً ومعاهدة، ويذكر بلانتيت أن عدد المعاهدات هو 49 معاهدة أو ترسيم معاهدة ، بينما علي تابلت فيذكر أنه تم عقد 100 معاهدة بين الطرفين، ينظر: نايت بلقاسم، شخصية...، ج1، المرجع السابق ص 13، يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 25، عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج.3، المرجع السابق، ص 468؛ أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ج.1، ص 120، علي تابلت، "معاهدات السلام والصداقة بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية سنة 1795"، مجلة حوليات، مج.4، ع.1، 1/7/1989م، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر ص 101.

² جمال قنان، معاهدات...، المرجع نفسه، ص 263-350؛ نايت بلقاسم، شخصية الجزائر...، ج.2، المرجع السابق، ص 380-389؛ محمد الأمين ، المرجع السابق، ص 33.

³ نايت بلقاسم، ج.1، المرجع نفسه، ص 169.

⁴ وليم شالر، المصدر السابق، ص 11.

⁵ بينما حنفي هلايلي يقول أن هناك ثلاث معاهدات رئيسية تم عقدها بين الجزائر وأمريكا فقط، ينظر: حنفي هلايلي، العلاقات...، المرجع السابق، ص 23

⁶ نايت بلقاسم، ج.1، المرجع نفسه، ص 14، بينما علي تابلت فيذكر أن هناك 3 معاهدات فقط بين أمريكا والولاية والتي عقدت في 1795م، 1815م، 1816م، علي تابلت العلاقات...، المرجع السابق، ص 102.

⁷ أبو القاسم سعد الله، ابحاث...، ج.1، المرجع نفسه، ص 188؛ نايت بلقاسم، شخصية، ج.1، المرجع نفسه، ص، ص 188، 196؛ بينما يذكر يحي بوعزيز أنه تم عقد 27 معاهدة، ينظر: يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع نفسه، ص 25

⁸ نايت بلقاسم، شخصية...، ج.1، المرجع نفسه، ص 88.

⁹ نفسه، ص 97.

¹⁰ نفسه، ص، ص 102، 114.

¹¹ نفسه، ص، ص 118..

إنّ المتفحّص للجدول أعلاه يلاحظ أنّ فرنسا أخذت حصة الأسد من الاتفاقيات المبرمة مع إيالة الجزائر، حيث وصلت إلى أربعين معاهدة، منها ما هو خاص بحصن فرنسا¹، وأخرى عامة، كانت تعالج قضايا العلاقات المشتركة بين الطرفين، وكانت أغلب المعاهدات التي جاءت بعد المعاهدة المئوية 1689م، عبارة عن تأكيد لمضمونها، خاصة بعد انتقال السلطة من حاكم لحاكم آخر سواء في فرنسا أو في الإيالة، مما يدل على حجم التجارة التي تريد فرنسا المحافظة عليها في البحر الأبيض المتوسط وإيالة الجزائر.

كما نلاحظ أن طوال فترة القرن السابع عشر الميلادي 17م، كان عقد المعاهدات والاتفاقيات مقتصر على فرنسا، إنجلترا، وهولندا، لكن ما إن حلّ القرن الثامن عشر الميلادي، وبالتحديد الربع الأول منه حتى بدأت دول أوروبية أخرى في تحقيق معاهدات سلم وتجارة مع الجزائر كالإمبراطورية الرومانية (النمسا)، حيث كانت أول معاهدة سنة 1727م، وعلى غرارها وقعت السويد اتفاقية لحماية وأمن سفنها التجارية، سنة 1729م، وما أن حل منتصف القرن الثامن عشر 18م، حتى كانت غالبية الدول الأوروبية وحتى أمريكا في سلام مع إيالة الجزائر، وهذا يعطي انطباع أن إيالة الجزائر في هذه الفترة، أصبحت تسعى إلى بيع السلم مقابل معدات حربية أو مبالغ مالية سنوية (إتاوة أو جزية)، من أجل تعويض نقص مداخل البحريّة والتي سنأتي على ذكرها في الجزء المخصّص لها، مع ضمان سلامة المبادلات التجاريّة.

وهذا يعني أنّ الاستقرار السياسي للحكم في الإيالة جعل البحريّة الجزائرية أداة في يد

¹ حصن الباستيون: هو حصن ضخم مربع الشكل، يقع على ساحل البحر يتسع لـ 800 شخص، به كنيسة ومقبرة ومنازل للضباط، مخازن للبائع، محصن بسور ضخم مع مجموعة من المدافع، تابعة له عدد من المراكز الصغيرة من جيجل والقالمة، به مجموعة من الاطباع والصيدلة كما يحتوي على مكان لتحضير الادوية... ينظر: يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 70.

الحكومة تستغلّها لفرض سياستها الخارجية¹، التي أصبحت تجنّح إلى بيع السلم، لتعويض النقص في الإيرادات الناتج عن إيقاف أعمال البحرية الجزائرية، خاصة في ظلّ التغيرات التي طرأت على الساحة الدولية بعد ظهور قوى صاعدة تجارية تسعى لحماية تجارتها مقابل شراء السلم، مع وجود تنافس حاد بين القوى التجارية الكبرى من جهة تسعى لامتلاك موطئ قدم لها على الساحل الجزائري كالتنافس الفرنسي الانجليزي، ومن جهة تسعى لمنع قيام منافسة تجارية من الدول الصغيرة لمنتجاتها.

من خلال الجدول أيضا نلاحظ أنه ما كان يغتتمه البحارة الجزائريون من غنائم في ظل كل هاته المعاهدات هو ما يتركه هامش توتر العلاقات الثنائية بين الايالة والدول الاجنبية، حالة اللاتوازن بين القوى البحرية للدول الأوروبية التي تملك أساطيل بحرية متطورة، وأسطول البحرية الجزائرية الذي أصابه نوع من العجز الذي سنأتي على ذكره فيما بعد.

1-2-2 جوازات السفر أو رخص المرور

يُعتبر جواز السفر أو رخصة المرور، من بين أهم العوامل التي قيّدت أعمال البحرية الجزائرية، مما أثر على مداخلها²، ذلك أنّ سفن الدول التي أبرمت معاهدات سلم وتجارة مع إيالة الجزائر قد تمكّنت من تأمين تجارتها في البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، فبمجرد استظهار قبطان السفن التجارية المُبحرة في ذلك المجال البحري لجواز السفر، فإنّ السفن وبضائعها وركابها يصبحون محميين بقوة القانون، وقد اختلفت مدة صلاحية تلك الرّخص، فالجوازات المخصّصة للسفن المبحرة داخل المتوسط تكون مدّة صلاحيتها ستّة 6 أشهر أو

¹ سيطر العامل العسكري في خروج وحدات الأسطول، إي استعماله كوسيلة ضغط من أجل فرض الإتاوات وهي غرض اقتصادي.

² من جهة أخرى لقد حمى جواز السفر المستخرج من القنصلية الفرنسية أو الإنجليزية، الذي كان يحمله رياس البحر الجزائريين من مطاردة السفن الحربية لتلك الدول، كما منحهم حق الإرساء في موانئها، ينظر: Daniel Panzac, Op- Cit, p

أقل، أما السفن المبحرة خارجه تكون صلاحية جوازاتها من 8 إلى 10 سنوات¹. ونظراً للأهمية القصوى التي تمثلها جوازات السفر في حماية السفن؛ فقد تضمنت المعاهدات المبرمة مع إيالة الجزائر منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر 17م، كيفية الحماية التي تُمنح للسفن الحاملة لتلك الرخص، فالبند الثاني من المعاهدة المبرمة بين إيالة الجزائر وفرنسا في 29 فيفري 1661م أكد على تلك الحماية، " كل السفن والمراكب، فرنسية هي أم تابعة للأمم الأخرى يمكن لها التردد على هذا الميناء (الباستيون)، إذا كانت تحمل رخصة المرور مستخرجة من عند حاكم الباستيون، دون أن يعترض طريقها أو يعتدى عليها، ويمنع على كل التجار الآخرين مزاوله نشاطهم بهذه الأماكن بدون رخصة منه"²، وتم التأكيد على ما يتضمنه هذا البند في المعاهدات اللاحقة كمعاهدة 11 مارس 1679م الخاصة بالباستيون في البند 2، ونص البند 2 من معاهدة 23 أبريل 1684م الخاصة بالباستيون على نفس الترتيبات المنصوصة في معاهدة 1679م، وكذلك معاهدة 1686م³؛ أما المعاهدة المئوية المبرمة في 24 سبتمبر 1689م بين الجزائر وفرنسا، ففي بندها السابع وضعت الشكل الذي سيكون عليه جواز السفر الذي ستحمله السفن الفرنسية، والذي بموجبه تحمي تجارتها وسفنها، وهو على الشكل التالي:

من لوي ألكسندر دي بوربون، كونت مدينة تولوز، أميرال فرنسا، إلى كل من سيرى هذا المكتوب، نعلمهم بعد التحيّة أننا أعطينا رخصة وجواز سفر إلى.... قائد السفينة المسماة.... من ميناء.... للتوجه إلى ميناء....، محملة ب.... ومجهزة ب.... بعد تفحصها كما يجب. إثباتاً لذلك وضعنا توقيعنا وختامنا وشعارنا على هذا العقد كما وقع عليه الأمين العام للبحرية، حرّر في باريس يوم.... من عام ألف وست مئة وثمانين

¹ جما قنان، نصوص ..، المرجع السابق، ص 123؛ صرهودة يوسف، "جوازات مرور إيالة الجزائر ومكانتها في حور البحر الأبيض المتوسط"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج.7، ع.1، مارس 2021، جامعة قسنطينة. الجزائر، ص 297.

² جمال قنان، معاهدات..، المرجع السابق، ص 277.

³ المرجع نفسه، ص، ص 291، 302، 305

توقيع من لوي ألكسندر دي بوربون، كونت مدينة تولوز، أميرال فرنسا.
وفي الأسفل توقيع لوي ألكسندر دي بوربون، كونت مدينة تولوز، أميرال فرنسا
مونسينيور والختم¹.

من خلال ما سبق ذكره يتبين أنّ جواز السفر أو رخصة المرور توضّح كل
معلومات السفينة من حيث اسم القبطان، البضاعة التي تحملها، الميناء الذي ستتطلق منه
والميناء الذي ستتوجه إليه، كما تحتوي على توقيع وختم وشعار ملك فرنسا واليوم الذي
حررت به هذه الوثيقة؛ وهذا الشكل سيعتمد مستقبلاً في جميع جوازات السفر التي سيجعلها
قادة السفن الفرنسية.

لتكون معاهدة 1695م والتي جاءت بأكثر تفصيل حول أهمية جوازات السفر في حماية
السفن التجارية حيث يتضمن بندها الثاني ما يلي : " عندما تلتقي سفن الايالة داخلية أو
خارجة من ميناء الجزائر، بالسفن الفرنسية، وبمراكب صيد المرجان ذاهبة أو آتية، والتي
تخص تجارة الباستيون والقلعة، يُترك لها كامل الحرية إذا كانت مزوّدة بالرخص والجوازات
مستخرجة من الباستيون....، لا يجوز التعرض لها ولا لبحارتها تحت أي مبرر كان، وإذا
حدث أن مركباً من مراكب صيد المرجان مزوّد بجوازات، أُسيئت معاملته من طرف سُفننا
وأُسِر بحارته واستولى على أمتعتهم وحسب العادة فبمجرد قيام الوكيل الفرنسي المقيم في
مدينة الجزائر بالمطالبة بهذا المركب وحمولته فإنّه سترد له، كما سيطلقون سراح الأسرى
الذين كانوا على متنه"².

كما أكدت المعاهدة المبرمة بين إيالة الجزائر وإنجلترا سنة 1662م، على أهمية جوازات
السفر بالنسبة للتجارة البحرية³، حيث نصّ البند 15 على : " عندما تقوم السفن التجارية
باستظهار الجواز المستخرج من طرف أميرال إنجلترا الكبير ويتم فحصها من طرف الزائرين،

¹ علي تابليت، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص 63.

² جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص 319؛ علي تابليت، معاهدات الجزائر...، المرجع نفسه، ص 71.

³ Daniel Panzac., Op-Cit, p 31.

فإنهما سيخليان السبيل للسفينة المعنية في الحين¹؛ ونفس الفكرة أكدت عليها معاهدة ماي 1664م بين إيالة الجزائر وإنجلترا، في بندها الرابع عشر 14².

وحتى اتفاقية الصلح الموقع بين إيالة الجزائر وإسبانيا في 17 شعبان 1200هـ الموافق لـ 15 جوان 1786م، نصّت في بندها الثاني على عدم التعرض للسفن الإسبانية من قبل رياس البحر الجزائريين، ولا التعرض للسفن الجزائرية من قبل البحارة الإسبان، سواء التابعين للدولة أو الخواص، شريطة أن يستلموا جوازات سفر من قنصل إسبانيا في الجزائر حتى لا يُرتكب ضدهم أي أخطاء³.

ونظراً لمدى الحماية التي يمنحها جواز السفر لسفن التجارة، فقد عمدت بعض الدول للمتاجرة بتلك الجوازات، وبيعها لسفن بلدان معادية للجزائر كما فعلت فرنسا⁴، ففي سنة 1687م عُثر على سفينة مشبوهة تُبحر قرب ساحل مدينة الجزائر، وبعد التحقيق تبين أنها سفينة شرقية الصنع، مسلّحة من طرف مالطا وهي تابعة في خدمتها للبندقية، لكن الجواز الذي تحمله فرنسي موقع من طرف أميرال فرنسا؛ وقد كان رياس البحر الجزائريين يعثرون على جوازات فرنسية أو رخص للبحارة مستخرجة من قناصل فرنسا بين أيدي قباطنة السفن التابعين للدول المعادية للإيالة، ممّا يؤكد الخرق الواضح للمعاهدات⁵؛ كما قامت توسكانة ببيع رخص المرور لرعايا من نابولي سنة 1765م، مما أدى بإعلان الحرب عليها من قبل رياس البحر الجزائريين⁶. وقامت بعض الدول كفرنسا وإنجلترا بتزوير رخص المرور، ومنحها كذلك لدول عدوة للإيالة، حتى تتمكن هاته الدول من مزاوله تجارتها دون مخاطر، وهذا ما عبّر عنه ستيفن (Steven) في قوله: ".. نادراً ما كانت السفن الأمريكية تدخل البحر

¹ جمال قنان نصوص و...، المرجع السابق، ص 119.

² علي تابلت، معاهدات الجزائر...، المرجع السابق، ص 149.

³ يحيى بوعزيز، الموجز...، المرجع السابق، ص 89.

⁴ جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 17.

⁵ جمال قنان، معاهدات الجزائر...، المرجع نفسه، ص 111.

⁶ عزيز سامح التري، المرجع السابق، ص 522.

المتوسط قبل توقيع المعاهدة الجزائرية الأمريكية، وعندما تدخل فإنها تضمن سلامتها إما عن طريق جوازات مزورة، أو بشراء جواز متوسطي¹.

وعليه فقد كانت كل الدول التي هي في حالة سلم مع الجزائر، ولها قنصليات داخل البلاد تقدم نسخ من جوازات السفر للرياس البحر الجزائريين؛ كرخصة المرور التي منحها القنصل الفرنسي للقبطان عثمان قائد البحرية الجزائرية في 8 أبريل 1826م²، والتي يتم استخراجها من قبل الغرف التجارية لتلك البلدان، وتمنح لسفنها التجارية، وعند ملاقاتهم في عرض البحر يتم تقديم تلك الرخص، ومقارنتها مع الرخص التي هي عند الرياس³، للدلالة على أن تجارة هاته الدول بمأمن من هجمات رياس البحر الجزائريين، بقوة قانون المعاهدات المبرمة، وقد تم العثور على سفينة لرياس جزائري غرقت في الجزيرة الخضراء، تحمل عدة جوازات سفر تابعة لدول مختلفة في 16 أبريل 1780⁴.

وبالرغم من أن جوازات السفر تحمي بقوة القانون تجارة الدولة التي هي في حالة سلم مع الايالة، وبما أن هاته الأخيرة تابعة للدولة العثمانية، يعني أن الرخص المقدمة من قبل الباب العالي للسفن الأجنبية المتاجرة في البحر المتوسط، تكون تجارتها في مأمن من هجمات الرياس الجزائريين، غير أن الفرمان الذي أرسله السلطان محمود الثاني، إلى داي الجزائر، حيث أمره فيه بالإفراج عن السفينة الروسية، التي استولى عليها البحارة الجزائريين في البحر المتوسط، لأن قباطنتها يحملون رخصة مرور من الباب العالي⁵، مما يعطني انطباعاً بأن رياس البحر الجزائريون لا يعترفون إلا بجوازات السفر الصادرة عن قنصليات

¹ جيمس ولسن استيفن، المصدر السابق، ص 173.

² م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 1903، وثيقة رقم 66 ينظر ملحق رقم (1)

³ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، وثيقة رقم 228 من الملف رقم (1)، والتي توضح استيلاء رياس الجزائر على سفينة من نوع بلاندر (شبيك) إسبانية لم يجدوا لدى قبطانها رخصة المرور "تصادفنا مع

بلاندر صبنبول فوجدنا ناقص فتيسر الأخذ لتلك السفينة بحمولتها على حسب القائمة"، ينظر الملحق رقم (2)

⁴ انظر الملاحق رقم (3)

⁵ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3204، ملف رقم 1، الوثيقة رقم 7، والوثيقة رقم 28 بالملف رقم 1، بالمجموعة 3190. ينظر: الملحق رقم (4)

الأجنبية المتواجدة بالإيالة، أو الصادرة من قبل الديوان، ولا يخضعون لأوامر السلطان العثماني، وهو ما أكدته الرسالة التي أرسلها الداوي عمر للسلطان العثماني محمود الثاني المؤرخة في 7 جمادى الآخر 1230 هـ الموافق لـ 17 ماي 1815م، عندما احتجزت سفن فرنسية وأحضروها إلى الجزائر، حيث لم يكن لهم ما يثبت هويتهم، وعندما طلب السلطان الإفراج عنهم امتنع الداوي عمر مبررا أن هاته السفن لا تحمل جوازات سفر، وأكد ان نيتهم الحرب على السفن الجزائرية¹.

كما كانت جوازات السفر الجزائرية، تؤمن الحماية للسفن التي تحمل الأشخاص أو البضائع التابعة للإيالة المبحرة في المتوسط، لهذا كانت كل السفن التي تريد تأمين نفسها من مخاطر أي هجوم طارئ، تحمل رخص المرور فالداوي حسين² في 21 جمادى الأولى 1231 هـ الموافق لـ 3 فيفري 1823م، طلب من الديوان منح جواز سفر صالح لمدة 3 سنوات، لتأمين رحلة لأداء فريضة الحج لبعض العسكريين³.

وهكذا ساهمت رخص المرور مساهمة مباشرة في تراجع مداخل البحرية، عندما تفتنت أغلب الدول المبحرة في البحر المتوسط لأهميتها، في حماية التجارة البحرية ونقص تكلفتها مقارنة بالحماية التي توفرها الأساطيل الحربية، أو من خلال تسليح السفن التجارية.

¹ Abdeljelil Temimi, " Documents turcs inédits sur le bombardement d'Alger en 1816", *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°5, 1968, p 121.

² الداوي حسين (1773-1838م)، تولى الحكم في يوم 1 مارس 1818م بعد موت الداوي علي بمرض الطاعون، قبل قبوله منصب الداوي اشترط على الديوان انه يقوم بالتنازل على المنصب في أي وقت اذا اضطر إلى ذلك فقبل شرطه، هو آخر داوي تركي، ينتمي إلى أسرى كريمة، كان يتمتع بثقافة واسعة، وصفه عثمان خوجة بأنه شريف النفس كريمها، غير طماع، لا يميل إلى سفك الدماء، تميز بوفائه بالعهود حيث لم يكتب عليه خرقه للمعاهدات المبرمة مع الإيالة، قام بعدة اصلاحات مسة عدة ميادين كالإدارية، والعسكرية، والاقتصادية، حدثت في عهده ثورة التجانية، كما الح في طلب ديون الجزائر المترتبة على فرنسا، استفزه القنصل الفرنسي دوفال مما سبب حادثة المروحة، في عهده تعرضت الجزائر إلى الحصار منذ 1827م، ثم إلى احتلال الجزائر، ينظر: حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 135؛ أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص، ص 141، 159؛ وليام شالر، المصدر السابق، ص 176؛ De Grammont, Op-Cit, pp 381,

1-3 دور اليهود وتأثيره في تراجع مداخل البحرية:

لعب اليهود دوراً تجارياً كبيراً خلال القرن السابع عشر الميلادي 17م، في تجارة غنائم البحر وفدية الأسرى¹ حيث استحوذ عليها 2000 يهودي من الجزائر، فكانون يصدرون ما يشترون من سلع إلى أغلب دول أوروبا كليفرون²، وقد استفاد رياس البحر المغاربة عامة والجزائريون خاصة من تحمس عملائهم اليهود في معظم مدن أوروبا خاصة من أمستردام، وجنوة، وليفرون، وروتردام لتجارة غنائم البحر، حيث كانوا يزودون الرياس بأخبار تحركات الأوروبيين واستعداداتهم البحرية، ومواعيد خروجهم للغزو أو الإغارة، والأماكن التي سيتجهون إليها³.

لكن بعد تراجع مداخل البحرية، ومع تزايد عددهم ونفوذهم خلال القرن الثامن عشر ميلادي (18م)، وبعد توسع النشاطات التجارية لليهود على مستوى البحر الأبيض المتوسط، بشكل كبير، والتي شملت إيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وغيرها، يعني توطدت علاقتهم بيهود أوروبا خاصة يهود مرسيليا، أصبحت لديهم شبكة علاقات بصفقتهم وكلاء تجاريين، ولم يعملوا كوكلاء فقط بل عملوا أيضا كجواسيس، وهذا ما أشار إليه لومبير (Lemaire) في رسالته : " تواجد اليهود عن طريق الوكلاء في مرسيليا ليس كتجار فقط، بل كجواسيس، للحصول على معلومات للبحارة حولة حركة ونشاط الملاحة البحرية"⁴.

ويشير فلبيني (Philippin) أن الشركات التجارية في توسكانة، اعتمدت بشكل كبير في معلوماتها حول الملاحة البحرية على الشبكة الإعلامية اليهودية في تسريبهم للمعلومات حول قرصنة شمال إفريقيا. فكانوا المصدر الأساسي للمعلومات عن الجانب السياسي والاقتصادي للآلية وعن القرصنة وجميع المعلومات المتعلقة بها، من بيانات السفن وعدد

¹ The Case of many hundreds of poor English-captives in Algier together with some remedies to prevent their increase : **humbly represented to both Houses of Parliament**, London, 1680, p 1, <https://quod.lib.umich.edu/>

² كمال بن صحرابي، المرجع السابق، ص 62.

³ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 68.

⁴ لبليل رحمونة، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830، دار القدس العربي، 2017،

رياسها وغيرها، ومن هنا لم يعد هناك داعي للخوف بأي شكل من الأشكال من هجمات القراصنة المنطلقين سواء من طرابلس، أو تونس أو ميناء مدينة الجزائر¹.

كما كانت لليهودي يعقوب بكري شبكة إعلامية بفرنسا وبأهم العواصم الأوروبية، يتبادل مراسليهما المعلومات حول القضايا الأمنية²، هدفها ضمان أمن وسلامة عملية شحن سفنهم التجارية، وسلامة وصول سلعهم، ففي الفترة الممتدة من أبريل 1801 م إلى جويلية 1802 م تم تسجيل 309 رسالة وجهها يعقوب كوهين بكري من مكتبه في باريس إلى مراسلين ووكلاء اعتمدتهم في العديد من المدن والعواصم في فرنسا وغيرها من البلاد الأوروبية³.

والجدول التالي يوضح الرسائل المتبادلة بين مرسلوا ووكلاء شركة يعقوب بكري في فرنسا وأهم العواصم الأوروبية:

جدول (7) مراسلو ووكلاء شركة بكري بين مختلف العواصم الأوروبية 1801-1802 م⁴

البلد	المدينة	عدد الرسائل
فرنسا (134) رسالة	باريس	63
	مرسيليا	46
	ليون	15
	لوهافر	3
	بايون	2
	كاليه	2
	روان	1
	أفينيون	1
	بورديو	1
	مالقا	32
إسبانيا (90)	أليكانط	23
	قادس	16

¹ Filippini Jean-Pierre. Les négociants juifs de Livourne et la mer au XVIIIe siècle. In: **Revue française d'histoire d'outre-mer**, tome 87, n°326-327, 1er semestre 2000. Les Juifs et la mer. Pp 86,87.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 214.

³ محمد أمين، المرجع السابق، ص 276.

⁴ المرجع نفسه، ص 277.

12	مدريد	
6	برشلونة	
1	قرطاجنة	
27	لشبونة	البرتغال (27)
2	جنوة	إيطاليا (4)
2	ليفرون	
32	لندن	انجلترا (32)
5	جنيف	سويسرا (5)
5	أمستردام	هولندا (5)
4	إكس لا شيل (آخن)	ألمانيا (5)
1	هامبورغ	
1	أنفير	بلجيكا (1)

ولم يتوقف دور التجار اليهود في علمية الجوسسة حول أعمال البحرية الجزائرية، بل تعداه إلى أبعد من هذا، فبعد تزايد النفوذ اليهودي في الإيالة لاسيما نفوذ بوشناق¹ وبكري²، وخدمتهم للطبقة الحاكمة، فتمكنوا بفضل تقريهم من الحكام في لعب دور مميز، في الحياة الاقتصادية، ونجد أبلغ مثال هو ما ورد في رسالة بعثها ريتشارد اوبراين (Richard O'Brien) مؤرخة في 2 يونيو 1788م إلى وزير الخارجية الأمريكي يخبره بطلب الداي لمبالغ فدية الأسرى الأمريكان في الجزائر سنة 1789م والذي قدر بـ 38325 دولار، في نفس الرسالة يذكر عرضاً من طرف اليهودي بكري بـ 29415 دولار³.

كما نجحت فئة اليهود في النفوذ إلى موقع القرار السياسي والتأثير فيه بما يخدم

¹ بوشناق أو بوجناح، وهو حفيد لابن زقوط بكري بدأت تجارته تزدهر عام 1782م، وكسب ثقة الداي حسن ونتيجة للعبة بمصالح الدولة قتل على يد أحد الإنكشارية عام 1805م. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 178.

² بكري: وهو لقب لأسرة يهودية قدمت من ليفرون عام 1770م، حيث أسس أبناء هذه العائلة الأربعة وهم يوسف ومردوشي و يعقوب و سليمان شركة في 1782/11/14م و ذاع صيتها بعد أن كانت معدمة ينظر: محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ط.3، دار الحكمة، الجزائر، 2015، ص، ص 257، 258.

³ من محاضر مجلس الأمة الأمريكي، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة، ط.1، جمع وتر. منصور عمر الشتيوي، مؤسسة الفرجاني، طرابلس ليبيا، 1980، ص 18.

مصالحتها التجارية¹، مما جعلهم عنصراً ضرورياً للقناصل الأجانب لخدمة مصالحهم ومصالح بلادهم، خاصة فيما يتعلق بالشؤون الدبلوماسية، حيث أصبحوا يستقبلون الوفود الدبلوماسية الأجنبية باسم الدايات، كما فعل بوشناق مع قنصل السويد والدانمارك وهولندا سنة 1801م².

وكانوا يؤثرون في قرارات الدايات في عقد السلم أو الحرب مع الدول الأجنبية بما يخدم مصالحهم³، وقد استغل القنصل الانجليزي نفوذ بكري للتأثير في قرار الدايات لتسهيل عقد معاهدة صداقة وسلم مع البرتغال سنة 1813م، وحتى عندما أعلن وكيل الحرج في 1803م، بأن إسبانيا بلد عدو وأعلن عليها الحرب، وسمح للرياس باستباحة سفنهم التجارية، هنا القنصل الإسباني توجه إلى بوشناق من أجل التأثير على الدايات مصطفى⁴ للتراجع عن القرار⁵.

المبحث الثاني : عوامل متعلقة بالدول الأوروبية:

1- تطوّر البحريات الأوروبية:

عرفت البحريات الأوروبية تطوراً كبيراً في المجال الصناعي والتقني⁶، ويتضح ذلك من خلال امتلاكها لأساطيل بحرية تميّزت بالقوة سواء من حيث نوعية وحجم السفن أو من حيث

¹ محمد أمين، المرجع السابق، ص 277.

² كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 94؛ 219.

³ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في...، المرجع السابق، ص 134.

⁴ الدايات مصطفى (1797-1805م) : قامت في عهده عدة ثورات أشهرها ثورة الأحرش و درقاوة وقتل نتيجة ثورة اليهود عام 1805م ينظر : أحمد شريف الزهار ، المصدر السابق، ص- ص 71- 89 .

⁵ بليل رحمونة، القناصل...، لمرجع السابق، ص-ص 217- 218.

⁶ عرفت أوروبا خلال الفترة الحديثة، تطوراً كبيراً في جميع المجالات، حيث لم يعد الأمر يتعلق ببعض الجديديات التقنية، بل هي تحولات متوالية بلا انقطاع، مندرجة في ثورة حقيقية في البنى والذهنيات، فكانت هاته التطورات التقنية والعلمية هي نوع من الابداع الجماعي الواسعة الذي تقوم به فئة صغيرة، من المجتمع والتي تعتبر هي نواة التقدم فيه، حيث خلقت ثروات جديدة وتغير البنى التقليدية، ونظم الحكم، فتوّد إلى نضج الظروف الاجتماعية التي يبلغ فيها التطبيق العلمي نقطة الانطلاق الضرورية لاستمراره في النمو والازدهار، فكانت العلاقة التي ربطتها أوروبا بين العلم والتقنية تجاوزت مستوى المهارة الحرفية، فكانت علاقة مجرية متسائلة ناقدة مجددة، ليس في مجال العلم فقط بل حتى في مجال التاريخ والفلسفة والأدب والتفكير حول الدين... ينظر: المنور مروش، دراسات، ج.2، المرجع السابق، ص 195.

الأسلحة المستعملة فيها، مكنتها من تحدي البحرية الجزائرية، والتصدي لها بل الوقوف في وجهها، منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي (17م)، ولعلّ استيلاء الفرنسيين على 10871 غنيمة بحرية بمياه المتوسط ما بين 1793-1815م دليل على مدى التفوق البحري الذي وصل له الأوروبيون في الوقت الذي كانت فيه الجزائر تعاني من قلة التجهيزات البحرية¹.

1-1 السباق البحري نحو امتلاك سفن بحرية قوية ذات جودة عالية وتسليح قوي

لم تكن الدول الأوروبية خلال النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي 17م تملك بحريات قوية تسمح لها بالدخول في حرب مستمرة، مع عدو يعتمد في معاركه على المناورة والهجمات السريعة، كالمعارك التي تخوضها البحرية الجزائرية ضد أساطيلهم، باستثناء إسبانيا²، وما إن حلّ النص الثاني من القرن السابع عشر الميلادي 17م، وبالتحديد في بداية سبعينيات ذات القرن، بدأت تتصاعد التوترات والمواجهات من جديد، لكن في غضون نصف قرن، تغيرت الظروف بشكل كبير، فمنذ عام 1660م على وجه الخصوص، ألقت هولندا وإنجلترا وفرنسا بأنفسهم في سباق تسلح بحري شهد منذ سبعينيات القرن السابع عشر فصاعداً، تزويدهم بأساطيل أقوى بكثير من أساطيل العقد 1620-1630م، لم يزداد عدد السفن فحسب، بل تم تجهيز العديد منها بثمانين وتسعين وحتى مائة مدف، وبالتالي تفوقوا تماماً على السفن الجزائرية³

وكانت الأسبقية لإنجلترا في امتلاك سفينة الخط سنة 1610م، فبنت "الأمير الملكية" ذات 55 مدفعاً، لترد فرنسا سنة 1631م ببناء 40 سفينة تتراوح بين 200 إلى 900 طن، في نفس السنة بنى الانجليز 4 سفن ذات 800 طن، تحمل بين 34 إلى 40 مدفعاً، وفي السنة الموالية بنى الفرنسيين سفينة ذات 1400 طن، ليرد الانجليز سنة 1637م ببناء سفينة اسمها "ملكة البحار" من 3 طوابق ذات 1500 طن و 102 مدفعاً، لترد فرنسا سنة 1638م ببناء

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص 142.

² بلقاسم قرياش، المرجع السابق، ص 46.

³ Daniel Panzac, Op-Cit, p 32.

سفينة اسمها "كورون" (Coron) تزن 2000 طن ذات 72 مدفعاً، وكان طولها 28 قدماً وهي أطول من السفينة الإنجليزية¹.

وكان التّقدّم الثّاني في السّباق بناء السفن هو تطوير نوع الفرقاطة²، وكانت السفينة الأولى من هذه النّوع هي سفينة "ديكيرك" (Dikirk) والتي تزن 300 طن، وتحمل من 20 إلى 30 مدفعاً، وكانت سهلة جداً القيادة، ليكون فاتحة عهد جديد من السباق البحري في بناء السفن، كما سمح ظهور هذه السفن بتغيير مستقبل الحروب البحرية، خاصة أنّ هذا النوع من الفرقاطات لم تكن مفيدة فقط للقيام بالحراسة، ولكنها كانت أيضاً من أنجع الوسائل التي استعملها أصحاب السفن الخاصة (القرصنة).

وكان الهولنديون خلال الأربعينات من القرن السابع عشر الميلادي (17م) القوة البحرية الأعظم في أوروبا، وأساتذة لمجموعة متنوعة من التكتيكات البحرية، ففي عام 1639م استخدموا كلاً من خط المعركة والسفن النارية ضد سفينة إسبانية ضخمة قبالة الساحل الإنجليزي، كما تم استخدام سفن كبيرة تحمل 50 مدفعاً أو أكثر منذ فترة طويلة³.

وكانت سنة 1649م، هي نقطة الانطلاق الفعلية والتحويلات الكبرى للأساطيل البحرية، وذلك عندما قرّر البرلمان الإنجليزي، ببناء فرقة من 13 سفينة من نوع الفرقاطة المتطورة وهي سفن سريعة ومتوسطة الحجم والمسلحة تسليحاً جيداً، والتي يمكن أن تحمل 20 مدفعاً وأكثر، وكانت هذه السفن سفن تجريبية للسفن العالية والتي أطلق عليها اسم "السوبر كلاس"، وكانت جاهزة في الفترة 1650-1654م⁴.

وتبرز أهميّة هذه السفن المتطورة، أنها تزامنت مع اختراع نوع من المدافع، وهو مدفع الهاون، اخترعه الفرنسي "س. رينو ديليكاغاري" S.Renau d'Elicagaray، والذي يصل

¹ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 282.

² يجب عدم الخلط بين سفينة الفرقاطة المدفوعة بالمجاديف، وفرقاطة القرن الثامن عشر التي كانت تحمل من 20 إلى 40 مدفعاً، ومجهزة بالأسرعة، ينظر: جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 181.

³ Jonathan R. Dull, *The Age of the Ship of the Line, The British & French Navies 1650- 1815*, London: University of Nebraska Press, 2009, p 2.

⁴ Jonathan R. Dull, Op-Cit, p 4.

مداه إلى نقاط بعيدة وبقذائف ضخمة، مما جعل قصف المدن والحصون الساحلية على مسافة تقدر ب 700 تواز (Toises) أي حوالي 1.350م، بعد أن تم دمج هذا المدفع في السفينة¹، ثم توال تطوير صناعة المدافع خاصة في الفترة 1765-1774م أين ظهرت عيارات جديدة مثل عيار 12، 10، 8، 6، 4 رطل، وكذلك المدافع المعروفة باسم الجريوفال (Gribeauval)، تطلق مواسير بعيار 8، 6 بوصة، وتتميز بالخفة في الوزن، مما زاد من اعتبار السرعة والقدرة على الحركة أثناء المناورات والحروب، وقد دُمجت هاته المدافع في الأسطول البحري الفرنسي، وكانت سفينة لوريان بها 120 مدفعا لهذا كانت تعتبر أكبر السفن تسليحاً في العالم في ذلك الوقت².

وقد كان مراحل دمج المدافع مع السفن العالية، تمثل آخر ما وصل اليه التطور في مجال الصناعة الحربية البحرية، حيث شهد تطوير هذه المدافع ودمجها مع السفن، تنافساً حاداً بين الانجليز والفرنسيين، خاصة أن هذه المدافع ثقيلة جداً، تحتاج إلى منافذ للأسلحة أي وجود فتحات في جوانب السفن يمكن للمدفع إطلاق النار منها، كما أن السفينة يجب أن تكون كبيرة جداً حتى تكون قادرة على نقل عدد كبير من المدافع التي تزن عدة أطنان، كما احتاجت السفينة إلى قوة لتحمل تأثيرات كرات المدافع والتي يصل وزنها أحياناً إلى 42 رطلاً.

وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي (18 م) ، طور الإنجليز فوهة المدفع لتزن كرتة 68 رطلاً، والفرنسيين صنعوا مدفعاً تصل كرتة إلى 36 رطلاً، يزن أربع 4 أطنان ويحتاج 14 رجلاً لإعدادة، وبما أن هاته السفن تحتاج إلى عدد كبير من المدافع بشكل متساوي من الجهتين، اليمنى واليسرى، ولهذا احتاجت إلى عدد كبير من أفراد الطاقم، كما كانت هاته السفن تحتوي على أماكن للذخيرة ومختلف قطع الغيار والإمدادات، هذا ما جعلها

¹ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 343.

² نابليون بوناپرت، مبادئ الحرب، تر. هشام البطل، ط.1، مكتبة النافذة، مصر، 2011، ص، ص 220، 221.

كبيرة الحجم فهي عبارة عن قلاع عائمة¹، ومع ذلك فالسفينة الفرنسية المكوّنة من 80 مدفعاً لها تقريباً نفس حجم وقوة السفينة البريطانية المكوّنة من 100 مدفعاً².

ومن مميّزات سفينة الخطّ أنّها كانت تستطيع أن تطلق النار من جوانبها الأربع اليمين واليسار الأمام والخلف، لتكون آخر ما وصلت إليه تطورات صناعة السفن في ذلك الوقت، مقارنة بالسّفن التي كانت تقصف فقط من اليمين واليسار، وبما أنّها تحمل كمّاً هائلاً من المدافع جعلها هذا ذات قوة تدميرية كبيرة، غير أنّها كانت عرضة للهجوم الغادر خاصة من الفرقاطات الحديثة، التي كانت أقلّ حجماً وأكثر سرعة، مما أدخل تكتيكاً دفاعياً جديداً في الحروب البحرية³.

كان التكتيك الدفاعي الجديد الذي يسمى خط المعركة إضافة جديدة في الحروب البحرية، وهو سلسلة من السفن البحرية تتبع بعضها البعض، وهي أفضل طريقة للاستفادة من قوّة سفينة الخط، حيث كل سفينة يمكن أن تقدم الدعم للسفينة المجاورة، وبهذا الجمع بين تطوير هاته السفن والتكتيك الدفاعي الجديد أعطى قوة كبيرة للحروب البحرية، وقد كان الهولنديون السّباقين لها، أي أول من استعمل هذا التكتيك سنة 1639م، ضد سفينة إسبانية ضخمة في الساحل الإنجليزي⁴، ورغم ذلك لم تهيمن سفينة الخط على الحروب البحرية خلال القرن السابع عشر الميلادي (17م)، بل فرضت نفسها تدريجياً بسبب قوتها النارية المتزايدة، ففي عام 1651م واجهت سفينة صغيرة تحمل 26 مدفعاً، 11 قادساً لمدة 4 ساعات قبل أن تغرق، ورغم ذلك بقي القادس يعب دوراً رئيسياً في ذلك الوقت⁵.

ومن أجل حماية السفن التجاريّة للدول الأوروبية من الحملات البحريّة التي تتعرّض لها من قبل قراصنة الدول الأوروبيّة نفسها، أو من هجمات ريّاس البحر المغاربة خاصّة

¹ Jonathan R. Dull, Op-Cit, p 4.

² Jonathan R. Dull, Op-Cit, p 7

³ Ibid, p 5

⁴ Ibid, p 1.

⁵ Patrice Grimald: **une galere a versailles reconstitution de la reale du grand canal construite en 1685**, these de doctorat en Histoire-Dominante Histoire des techniques avales soutenue en 2013-Universites D'evry, de PARIS 1, de rennes et de montbeliard-belfort patrice grimald, liver 2/2, p 281,282.

الجزائريين، سعت جاهدة لتسليح السفن التجارية بأعداد معتبرة من المدافع¹، حيث أصبحت على حدّ تعبير دي غرامون (D Grammont) السفن التجارية جيّدة التسليح والقيادة، دافعت عن نفسها بأفضلية²، كما قامت بعض الشركات بكراء سفن حربية لتبحر جنبا إلى جنب مع سفنها التجارية من أجل حمايتها ضدّ أيّ هجوم مباغت، فقد قامت فرنسا بإرسال سفن ذات 74 مدفع، لتحمي قافلة تجارية متّجهة إلى جزر الكاريبي³.

1-2 البحرية الفرنسية كنموذج للبحريات الأوروبية المتطورة

كغيرها من البحريات الأوروبية لم تكن البحرية الفرنسية مطلع القرن السابع عشر الميلادي 17م، ذات اعتبار يذكر، رغم محاولات الزّاهب ريشيليو (Richelieu) (1616-1642م) للتهوؤ بها وتطويرها، فلم يتعدى حجم أسطولها قبيل وفاته سوى 63 سفينة من الحجم الصغير (قادسا) و22 بارجة (سفينة خط)، لتعرف فيما بعد ضعفاً واضحاً مطلع حكم لويس الرابع عشر، فلم تتضمّن سوى 20 بارجة، لكن البحرية الفرنسية ستعرف عهداً جديداً بحلول سنة 1661م، بفضل المجهودات الجبّارة التي قام بها الوزير كولبير (Colbert)⁴، والذي لم يكن يعجبه حالة الضّعف التي وصلت لها البحرية الفرنسية، وهذا يتّضح من تقريره المؤرّخ في 1664م : " إنّ قوّة الملك البريّة لا تضاهيها أيّة قوّة أخرى في أوروبا لكن قوّته البحرية ضعيفة"⁵.

¹ ينظر المحق رقم (6)

² D Grammont, Op-Cit, p 236.

³ Gay Jacques, Op-Cit, . p 57.

⁴ جان بابتيست كولبير (Jean-Baptiste Colbert) (1619-1683) هو وزير الدولة للبحرية في عام 1669 ، اتبع كولبير السياسة البحرية التي بدأها ريشيليو من أجل حماية التجارة لمسافات طويلة ، نحو بلاد الشام وعبر المحيط الأطلسي ، وتطوير الإنتاج المحلي لضمان الاستقلال الوطني ، وتأكيد قوّة ملك على البحر وكذلك على الأرض. لمدة 20 عامًا ، يمثل عمله الكبير الولادة الحقيقية للبحرية الفرنسية: تأسيس أو إعادة تنظيم الترسانات الثلاث الكبرى للمملكة، وهي بريست وتولون وروشفور ؛ إنشاء شبكة من التحصينات الدفاعية على الشاطئ ، بناء وصيانة أسطول دائم من 120 سفينة بما في ذلك 80 سفينة من الخط ، إنشاء صناعة حرب وطنية (الحدادة ، الحبال ، إدارة الأخشاب)، إنشاء نظام توظيف الطاقم السفين، شهد ترشيد أساليب بناء السفن وأنواع السفن، تحت قيادته ، شاركت جميع القوى الحيوية للمملكة في بناء البحرية لويس الرابع عشر، ينظر: جول كريكر، المصدر السابق، ص 128؛ Musée national de la Marine, Auteurs Repères La construction navale en bois aux XVIIe et XVIIIe siècles, Service culturel, Paris 2005, p 4

⁵ عائشة غطاس، العلاقات... المرجع السابق، ص 28

وقد تجلّت سياسة كولبير للنهوض بالبحرية بشكل واضح في أنّه كان يرسل عملاء يحدّد لهم بوضوح مهمّتهم، وهي نقل المعلومات الفنية والتقنيات حول صناعة السفن الهولندية والانجليزية إلى الترسانات الفرنسية، بحكم أنّ الإنجليز والهولنديين كانوا السّباقين في امتلاك تقنيات صناعة السفن، فيعتبر كولبير هو من قرّر تأميم بناء السفن، حيث وضع القاعدة الأولى سنة 1671م، وفي عام 1678م صاغ مرسومًا¹ يطلب إنتاج نماذج دقيقة لجميع أنواع السفن المبنية في ترسانات المملكة، ومع ذلك لم تتخذ الخطوات الحاسمة إلا مع موريباس (Maurepas) وزير الدولة للبحرية (1723-1749م)، والذي اتبع نفس الشئ تقليدًا لطريقة التجسس² التي قام بها كولبير³، كما اقترح المفتش العامّ للبحرية دوهاميل دو مونسو (Duhamel du Monceau)⁴ إنشاء مدرسة لبناء البحرية سنة 1741م.

وبقيت صناعة السفن في تطور حتى قررت فرنسا سنة 1782م الاعتماد فقط على السفن ذات 74 و 80 و 118 مدفعًا، وفي سنة 1786م تمّ الاعتماد على مشروع ساني (Sané)⁵ لسفن ذات 74 و 80 مدفعًا، والسفن 118 مدفعًا سنة 1787م، وتستند هذه النماذج

¹ مرسوم كولبير المؤرخ 31 أكتوبر 1678 "تية الملك هي أنه ينبغي أن تكون هناك، في كل ترسانة، نماذج صغيرة للسفينة [...] ويجب أن يتم صنع هذه النماذج بقدر من الدقة والدقة العالية، حيث أنها تستخدم بشكل دائم للقياسات والنسب لجميع السفن التي سيتم بناؤها في المستقبل» ينظر: Musée national de la Marine, Op-Cit, p1

² يشير الباحث سيلفيان ليناريس أن فرنسا قد قلّدت نفس تقنيات المعمول بها في البحرية البريطانية سواء من حيث تقنيات ونماذج تصنيع السفن أو من حيث تدريب الضباط وتوعيدهم على الانضباط، وكذا كل عمال البحرية سواء موظفين أو عمال أو مهندسين وغيرهم، من أجل الوصول لنفس تفوّق البحرية البريطانية، ينظر: Sylviane Llinares, marine, propulsion et technique: **L'évolution du système technologique du navire de guerre français au XVIIIe siècle**, V. II, librairie de l'indépendant 20, Paris, 1994, p 3.

³ Musée national de la Marine, Op-Cit, p 2

⁴ هنري لويس دوهاميل دو مونسو (1700-1782) Henri-Louis Duhamel du Monceau هو أحد أكثر الرجال تعليمًا في عصره عالم زراعي متخصص في علم النباتات، عين رئيس أكاديمية العلوم في السنوات 1743 و 1756م و 1768م، كما أن ارتباطه وعمله المتعلق بالبحرية كان رائعًا أيضًا، خاصة أنه عمل مستشار لوزير البحرية ابتداء من عام 1730م، أنجز في هذا المجال عملاً بارعًا ومبتكرًا مدعومًا بالأعمال الأساسية بما في ذلك معاهدة تصنيع مناورات للسفن أو فن الحبال المتقنة، وعناصر العمارة البحرية، وقطع الأشجار ... ثم عين مفتش عام للبحرية الفرنسية في عام 1739م، كان منشئ مدرسة باريس، وضمن الهيئة المؤسسة لمدرسة الهندسة البحرية في عام 1748م، ترك اللويس الخامس عشر مجموعة من نماذج السفن، مؤسس المتحف البحري الوطني، Musée national de la Marine, Op-Cit, p 4.

⁵ جاك نويل ساني (1740-1831) Jacques-Noël Sané هو مهندس سفن اعتمدت البحرية الفرنسية كثيرًا على مشروعه لصناعة السفن، حيث دخل للعمل في ترسانة بريست في سن 15، تم تعيينه طالبًا في البناء عام 1758، وأصبح مهندسًا في عام

إلى جميع المواصفات التي وضعها ساني في مشروعه¹، ليس هذا فقط بل تم ابتكار تكنولوجي آخر يتمثل في استبدال أجزاء من الخشب المخصص لبناء هيكل السفينة بالحديد خاصة في السفن كبيرة الحجم أو المسمّاة سفن من الدرجة الأولى، وكانت هذه الطريقة الجديدة هي الأنسب للمضي قدماً في غياب الخشب اللازم لبناء السفن الكبيرة، هذه الطريقة المبتكرة الجديدة من طرف الفرنسيين جعلت الإنجليز سنة 1747م، عندما استولوا على سفن فرنسية ذات 74 مدفع كانت تحمي قافلة تجارية متجهة إلى جزر الكاريبي، يفحصون تلك السفن بعناية من أجل استغلال تلك الطريقة في صناعة السفن لديهم، وعليه يجب الإشارة إلى أن استخدام الحديد للسفن الحربية كان أصل العديد من الابتكارات التكنولوجية في الصناعات المعدنية².

وفيما يلي سنضع جداول ومنحنى بياني لتوضّح بشكل دقيق مدى التطوّر الذي عرفه مجال الصناعة البحرية الفرنسية، من حيث أعداد السفن التي يتمّ تصنيعها كل سنة، نوعيتها وعدد مدافعها ونسب الحديد فيها خلال القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين 17 و 18م.

جدول رقم(8): عدد سفن الخطّ وعدد مدافعها³

السنة	عدد السفن	عدد المدافع
1678	5	110
1723	33	118
1744	23	124
1744	24	116
1786	34	110

1774، وكان مسؤولاً عن بناء السفينة ذات 64 بندقية ، Sphynx ، ثم وضع الخطط لسفينتين من 74 مدفعًا ، أنيغال (1778) ونورثمبرلاند (1780)، . Musée national de la Marine, Op-Cit, p 4.

¹ Ibid, p 4.

² Gay Jacques, Op-Cit, . p 57.

³ Sylviane Llinares, Op-Cit, p 319.

جدول رقم (9): سفن القرن 17 والتي تحمل بين 30 إلى 80 مدفع¹

السنة	عدد السفن	عدد المدافع
1678	9	44
1678	7	60
1678	6	68
1679	8	56
1683	15	36
1683	14	46
1683	13	56
1683	12	74

جدول رقم (10): سفن القرن 18 التي تحمل من 30 إلى 80 مدفع²

السنة	عدد السفن	عدد المدافع
1723	21	30
1723	15	36
1723	18	46
1723	19	60
1743	22	64
1744	28	56
1767	32	64
1778	7	60
1786	33	64

كما ملكت فرنسا عدّة أنواع من الفرقاطة من عيار 8، 12، 18، بأعداد مختلفة حيث كان:

✓ 8 فرقاطات من عيار 8، مكونة من 28 إلى 32 مدفع، خلال الفترة 1728-1784م

✓ 34 فرقاطات من عيار 12 مكونة من 26 إلى 38 مدفع، خلال الفترة 1748-1785م

✓ 8 فرقاطات من عيار 18 مكونة من 34 إلى 54 مدفع، خلال الفترة 1782-1817م³.

✓ غير أنّه بحلول 1779م ستبدأ فرقاطات 8 و 12 في الاختفاء ليحلّ محلّها السّفن ذات 74 مدفع⁴.

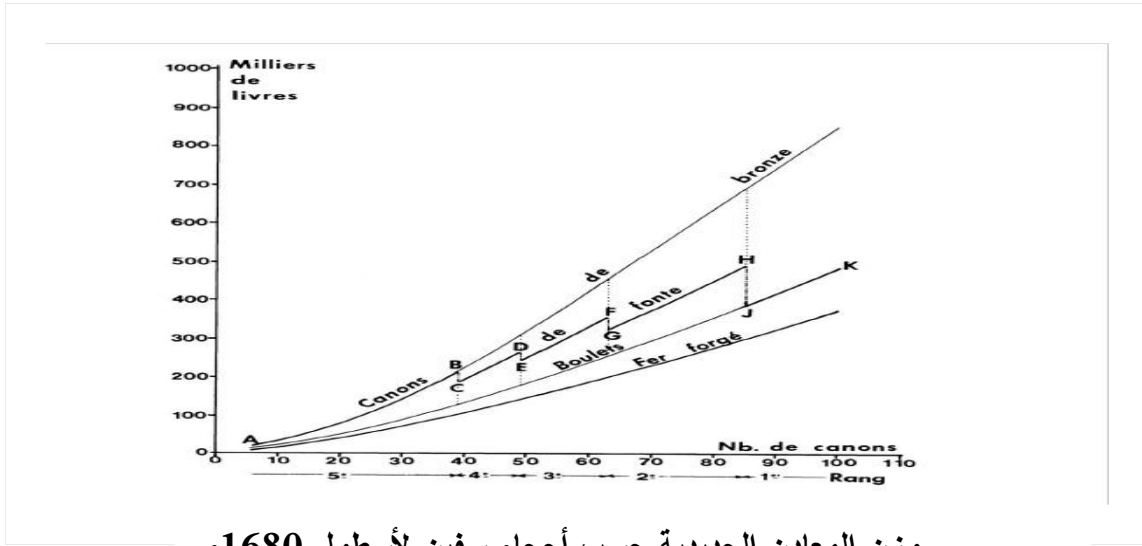
¹ Sylviane Llinares, Op-Cit, p 319.

² Ibid, p 319.

³ Ibid, p 280, 281.

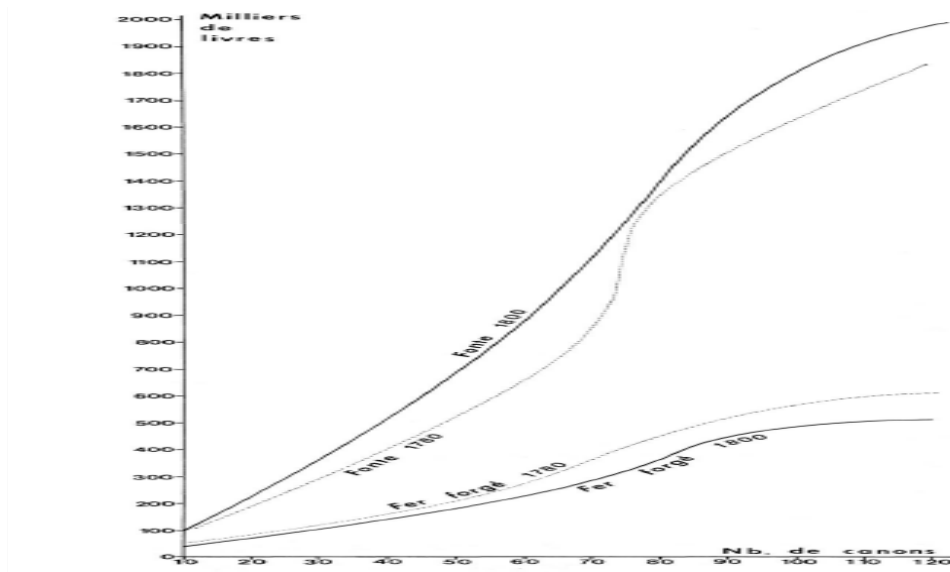
⁴ Gay Jacques Gay Jacques, Op-Cit, ,p 78.

شكل رقم (2): يمثل منحنى لتطور استخدام الحديد في سفن اسطول 1680¹



وزن المعادن الحديدية حسب أحجام سفن لأسطول 1680م

شكل رقم (3): منحنى يوضح وزن المعادن الحديدية في اسطول 1800 حسب مستوى السفن²



منحنى وزن المعادن الحديدية حسب أحجام سفن أسطول 1800

نلاحظ مما تمّ طرحه في الجداول (8) و (9) و (10) التّحوّل المستمر في امتلاك أعداد كبيرة في عدد السفن وأعداد مدافعها، مما يوحي بأهمية امتلاك أساطيل بحرية كبيرة لدى الدول الأوروبية، والتّسابق فيما بينهم في امتلاك كلّ أسباب التّطوّر التقني والتّكنولوجي لذلك

¹ Gay Jacques, Op-Cit, p 68.

² Ibid, p 70.

الوقت، والأبحاث التي بين أيدينا تظهر مدى الإمكانات الضخمة المسخرة من أجل تطوير الدراسات والأبحاث التجريبية من خلال دراسة الطول والعرض والتجوييف المناسب لكل نوع من السفن وحسب عدد مدافعها، ودراسة طريقة وضع المدافع والفراغات التي يجب أن تكون بين كل مدفع وآخر داخل السفينة، وكذلك أنواع المدافع المخصصة لكل نوع من السفن فرقاطة، بارجة (سفينة خط) كل حسب حجمه، وتطور استعمال المعادن في صناعة السفن بين البروز والحديد هذا الأخير طغى بقوة في أساطيل 1800م¹.

وقد مكّن التقدم الصناعي والتقني، الدول الأوروبية من تحدي القوة الجزائرية، والوقوف في وجهها، منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي 17م، ولعلّ استيلاء الفرنسيين على 10871 غنيمة بحرية بمياه المتوسط، ما بين 1793-1815م دليل على مدى التفوق البحري الذي وصل إليه الأوروبيون في الوقت الذي كانت فيه الإيالة تعاني من قلة التجهيزات²

2- فرض التجارة الأوروبية في المتوسط وطرق حمايتها:

إنّ التطور الذي عرفته الدول الأوروبية في جميع الميادين، خاصة في الجانب التجاري، والتنافس فيما بينها من أجل الاستحواذ على التجارة العالمية، خلق منطق تجاري تنافسي، سارت عليه كل الدول الأوروبية، حيث يصفه بروديل وصفاً دقيقاً حين يقول: " إنّ ما تفتأ السياسة والحياة الهولندية تدافع عنه... هو مجموعة من المصالح التجارية وهذه المصالح تتحكم في كل شيء وتغطي كل شيء"، كما كان التجار الهولنديون يستثمرون أموالهم في القرصنة، والتي كانت تهاجم السفن الهولندية نفسها، وكانوا يتاجرون في الأسلحة ويبيعونها لأعداء وطنهم، ومن أهم مظاهر تحكم المنطق التجاري في السياسة العامة للدول الأوروبية، حرب الأفيون التي شنتها إنجلترا ضد الصين لإجبارها على فتح أسواقها لتجارة

¹ للمزيد حول المعلومات الدقيقة لتطور صناعة السفن الفرنسية، ينظر رسالة الدكتوراه "البحرية، الدفع، والتقنية: تطور النظام التكنولوجي للسفينة الحربية الفرنسية في القرن 18"، لـ Sylviane Llinares " والتي درس فيها بالتدقيق تطور الأحجام المناسبة مع نوع المدافع لكل أنواع السفن خلال القرنين 17 و 18، أيضا الدراسة التي اعدّها المتحف الوطني البحري الفرنسي، حول تطور الصناعات البحرية خلال مراحلها المختلفة.

² ناصر الدين سعيدوني، البحرية الجزائرية...، المرجع السابق، ص 32.

الأفيون الإنجليزية باسم حرية التجارة العالمية¹.

كما فرض تجّار مرسيليا منطقتهم التجاري على تجار البلاد الإسلامية عامة وشمال إفريقيا خاصّة في البحر المتوسط، من خلال الاستعانة ببعض القراصنة الماطيين بمنحهم تحفيزات مالية كبيرة، للسطو على التجّار المسلمين، من أجل بقاء الاحتكار الفرنسي لمهمّة الشحن ونقل المسلمين وبضائعهم على السفن التجارية الفرنسية، وهدفهم من هذا هو إقناع المسلمين أنّهم لا يمكن ممارسة أيّ تجارة إلّا على متن سفنهم، ففي عام 1775م دفع باي تونس 400.000 جنية لسنة الواحدة مقابل نقل تجارته إلى بلاد الشام².

وهذا ما أكّدته رسالة لشوفالبيه دي سيتريس كومون (Chevalier de Citrus Commun) مسؤول الشؤون الفرنسية في مالطا في سنة 1790م يقول فيها: " إنّ تجارة مرسيليا التي منحها النظام درجات كبيرة من الاهتمام³، جعلت منفعتنا الرئيسية تتمثل في منع الأتراك من حمل بضائعهم على سفنهم وحافظوا على تبعيتهم لنا"⁴.

كما أنّ القنصل الفرنسي في الجزائر فالير (valier) يؤكد هذه الحقيقة حيث يقول: " كانت غرفة مرسيليا التجارية تتابع عن كثب نشاطات الجزائريين فكانت تلجأ إلى استعمال الذرائع المختلفة لإفشال مجهودهم،... وقد استعملت غرفة مرسيليا كل الحيل والعراقيل لإبعاد الجزائريين ومجهزي المراكب عن مياهاها، وهذا ما دفعهم للتنازل عن التجارة الخارجية لصالح الأوروبيين "⁵ وبالتالي فإن المنطق التجاري الفرنسي في محاولة السيطرة على التجارة الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، من خلال تعقيبهم للسفن التجارية الإسلامية، ومحاولتهم لمنع أيّ نشاط تجاريّ ثابت لا غبار عليه.

¹ المنور مروش، دراسات عن الجزائر.. ج.2، المرجع السابق، ص 380.

² Mathiex Jean, "Sur la marine marchande barbaresque au XVIIIe siècle", *Annales Économies, Sociétés, Civilisations*, 13^e année, N. 1, 1958, p 88.

³ مما أكد تلك الأهمية لتجارة مرسيليا هو المرسوم الذي أعلنه الوزير كولبير سنة 1669م من أن ميناء مرسيليا هو مرفأ حر.

⁴ Mathiex Jean, Op-Cit, p 90.

⁵ أرزقي شويّتام، دراسات...، المرجع السابق، ص 60.

ومما يؤكد تغلب المنطق التجاري لدى تجّار مرسيليا وأن تجارتهم فوق كلّ اعتبار حتّى ولو كان من جنسيّتهم، هو حقدّهم على نجاح سانسون نابوللون (Sanson Napollon)، في استثمار مراكز القالة، وإقرار السّلم مع الجزائر، فاعتدوا على ثلاث مراكب جزائريّة، واستولوا على ركابها، وباعوهم رقيقاً، فرد الجزائريّون، على ذلك بقتل القنصل الفرنسيّ ريكو وكلّ الفرنسيّين المقيمين بالجزائر¹

وخلال القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، منعت كل الدول الأوروبية السفن التجارية الجزائرية من الاقتراب من موانئها، مستعملين كل أساليب التعذيب والقتل والحرق، مما جعل من المستحيل التعامل معها، كما أنّها خلال الفترة (1792-1830م)، حاربت جميع المحاولات الرامية إلى تكوين أسطول تجاري جزائري، هذا الأمر أضّر بمصالح التجّار الجزائريين وأجبرهم على التخلي عن ميدان التجارة الخارجية².

وبما أنّ إيالة الجزائر في ظل احتكار الأوروبيين عامة وفرنسا خاصة، للتجارة المتوسطية، من خلال التدابير المتخذة للتضييق على التجارة الجزائرية³، حيث أنه في الفترة الممتدة من 1690-1784م، لم يتجاوز عدد التجار بين الجزائر وفرنسا هو 11 تاجراً فقط⁴، إذن لم تكن للإيالة تجارة ذات باع كبير، ومنطقياً إذا كانت للإيالة تجارة كبيرة، فستصبح صداقة جميع الدول الأوروبية ضرورية، ورغم ذلك فقد أصبحت الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، تتحلّى بسلوك فيه تقيّد بالقواعد الدبلوماسية، إلا أن طبيعة الدولة كدولة قرصنة لم تنته تماماً، فالقرصنة مازالت تشكل جزءاً من سياستها العامة، وتؤثر فيها، والتي تسعى من ورائها إلى المردود المالي "الإتاوات"، "الرسوم التجاريّة"، "التزويد بالعتاد

¹ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 70.

² حنفي هليلي، العلاقات الجزائرية...، المرجع السابق، ص 38.

³ لقد تعرضت الجزائر طيلة الفترة العثمانية إلى ما يزيد عن عشرين 20 حملة بحرية منظمة استهدفت تحطيم قوتها الدفاعية، في ظل هذه الحملات يستحيل على الجزائر ممارسة التجارة أو امتلاك اسطول تجاري أو حتى القدرة على حمايته، لأجل هذا كان اللجوء إلى خدمات السفن الأوروبية التي تربطها مع الجزائر معاهدات سلم عن طريق الاستئجار لتجنب مضايقات القرصنة الأوروبية، ينظر: محمد أمين، المرجع السابق، ص، ص 163، 165.

⁴ محمد أمين، المرجع نفسه، ص 80.

الحربي" مقابل السلم والامتيازات التجارية، وفدية الأسرى¹.

هذه الأخيرة كانت نتائجها وخيمة على الإيالة الجزائرية، حيث تعرّضت لهجمات حربية من قبل أساطيل الدول الأوروبية، في ظاهرها إطلاق سراح الأسرى الأوروبيين وتوقيف الأعمال العدائية ضدّ الأساطيل التجارية، وباطنها السعي إلى فرض منطقها التجاري، إمّا لحماية تجارتها كهولندا وأمريكا، بريطانيا...، أو من خلال دعم وجودها مثل فرنسا²؛ وهذا ما نستشفه من كلام كولبير حين وجهه رسالة للملك قال: "إن إرهاب اسلحة الملك في المشرق وما تفعله إرادته لمعاقبة معاندة الجزائر ستضع تجارة المشرق... جميعها تقريباً في أيدي رعايا الملك... إن الارهاب سيفرض على جميع الأطراف على تنفيذ المعاهدات بدقة..."³، مما يؤكد الحقيقية من كل هاته الهجمات والمفاوضات التي تمحورت ظاهرياً بعملية إطلاق سراح الأسرى والقضاء على القرصنة، والهدف والغاية الحقيقية منها هو تثبيت منطقهم التجاري، ورغم أن تلك الهجمات لم تقض تماماً على مدينة الجزائر ولا على أسطولها البحري، إلا أنها فرضت واقعاً تجارياً.

وكانت معاهدات سلم وتجارة غالباً ما تصب لصالح الدول الأوروبية، وهذا ما نستشفه من رسالة بعثها الحاج حسن باشا إلى الماركي دي سنيلاي (Marche de Senlay) كاتب الدولة للبحرية الفرنسية مؤرخة في 27 جويلية 1687م حيث يقول: "... إن سعادتك يعرف أن السلم يجب أن يكون متبادلاً، وبناء على ذلك، فكل ما طلب منا حتى الآن من طرفكم، قد أرضيناه، ومع ذلك فإن مطالبنا لا تجد أذانا صاغية عندكم، ونحن لم نتلق عنها جواباً أبداً، وكلامنا كان بدون جدوى، هل هذه هي دلائل السلم الجيد؟"⁴

3- هجوم الأساطيل العسكرية على مدينة الجزائر:

كان للهجمات البحرية، التي شنتها أساطيل الدول الأوروبية وأمريكا، خلال عهد

¹ المنور مروش، دراسات عن الجزائر.. ج.2، المرجع السابق، ص، ص 380، 381.

² محمد أمين، المرجع السابق، ص 38.

³ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 343.

⁴ جمال قنان، نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص، ص 155، 156.

الدّايّات، على المدن السّاحليّة، وميناء مدينة الجزائر، وما نتج عليه من تدمير للمدّن وحرّق لوحّدات الأسطول، قصد القضاء على القرصنة وإطلاق سراح الأسرى، دوراً كبيراً في تراجع مداخل البحريّة، خاصّة مع إضطرار الحكومة الجزائريّة إلى الخضوع لعقد اتّفاقيات مجحفة، غير متكافئة الفرص، والاستفادة لطرفين حسب مستوى القوّة والضعف.

تعرّضت مدينة الجزائر في الفترة الممتدّة من 1634-1789م إلى عشرة 10 هجومات من قبل أغلب الدول الأوروبيّة، رغم أن هاته الهجومات لم تحقّق أغراضها المباشرة، إلاّ أنّها ألحقت أضراراً كبيرة بالبحرية الجزائرية، كادت أن تقضي عليها لولا جهود البايك المستمر في تجديد الأسطول والمحافظة عليه، كما تسببت في خسائر بشرية وعمرانية كبيرة، مما أدى إلى تناقص عدد البحارة الجزائريين حيث لم يعد عددهم يتجاوز 5300 بحار عام 1769م، وانخفض عدد السفن الحربية إلى 6 بواخر مسلحة 1738م¹.

كما كان للحملة الأمريكيّة على الإيالة صدى قوي، بسبب النجاح الدبلوماسي الذي حقّقه، حيث أرغمت الداوي والديوان على إمضاء معاهدة لصالح أمريكا، تضمن لها أمن سفنها التجارية، وأعفيت على إثرها أمريكا، من دفع الإتاوة، هاته الأخيرة التي كانت ترى فيها أمريكا، أنّها تخلو بالشرف الأمريكي².

أمّا الحملة الإنجليزيّة الهولنديّة بقيادة اللورد اكسموث³، والتي كان لها أثراً كبيراً

¹ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر خلال العهد ...، المرجع السابق، ص 158.

² جيمس ولسن ستيفن، الأسرى الامريكان في الجزائر 1785/1797م، تر. على تابليت، ثالة، الجزائر، 2007، ص 95.

³ اكسموث (Exmouth) : قائد الأسطول الانجليزي بالمتوسط في الفترة 1811-1816م، قاد حملته الشهيرة ضد ما سمي بالقرصنة المغاربية ، حيث عمل على إتباع الأسلوب الحربي والدبلوماسي لتحرير العبيد من سردينيا ونابولي و غيرها، هدد الجزائر اثر ادعائه إهانة إحدى السفن البريطانية لكنه في الأخير هادنها وفضل عدم المغامرة ضد أسطولها البحري ، وحرر 1500 من العبيد بلا فدية . واتجه نحو تونس مستعرضا أسطوله إلى حلق الوادي، وحضي باستقبال رسمي ودخل في مفاوضات مع الباي محمود وأملى اللورد شروطه التي خضع لها الباي فعلا أمام ضعف أسطوله والتهديد التركي، ادت الى إلغاء استعباد الأوروبيين، وأمضى معاهدات مع سردينيا وصقلية . ينظر : خليفة شاطر، التبعية وتحولات ما قبل الاستعمار إيالة تونس من سنة 1815 الى سنة 1857، تر . إبراهيم بلقاسم، ط.1، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2015، ص ص 227-236.

على البحرية الجزائرية سأقوم بدراستها في الفصل الرابع؛ نظراً لأنها جاءت نتيجة لتحالفات ومؤتمرات أوروبية.

3-1 الحملات الفرنسية:

سنحاول هنا التركيز على حملتي الأميرال دوكين¹، وحمل الماريشال دستري² لأن بسببهما تمت عقد معاهدة المئوية والتي أصبحت نموذجاً لكل معاهدة أبرمت بعدها.

3-1-1 حملة الأميرال دوكين (1682-1684م) ومعاهدة تروفييل:

إنّ تعطش الفرنسيين وعلى رأسهم الملك لويس الرابع عشر إلى المزيد من الامتيازات، جعلهم يبيحون كل الأساليب سواء استعمال، القوة أو الدبلوماسية، أو زاجوا بينهما أثناء المفاوضات، من أجل تحقيق أهدافهم، ففي سنة 1682م كلف الأميرال دوكين باستعمال القوة لتدمير مباني إيالة الجزائر، وحرقت أسطولها حتى يسهل خضوعها، حيث خرج من طولون في 12 جويلية 1682م على رأس 33 مركبة بحرية وعدد كبير من الجنود³، هجم على شرشال، ثم وصل إلى المدينة في 29 جويلية، رافضاً لأي تفاوض، كان قد اقترحه الديوان، طالباً مندوباً رسمياً من الحكومة، قام بقصف المدينة لعدة ليالي، وعند اضطراب الأحوال الجوية في 12 سبتمبر من نفس السنة، قفل راجعاً دون تحقيق أي شيء من أهداف الحملة، سوى تهديم حوالي خمسين 50 منزل، وعدد من القتلى⁴.

في السنة الموالية 1683م رجع دوكين وهو مصمم على النصر، وصل إلى مدينة

¹ أبراهام دوكين ماركيز دويوشي، شغل منصب إحدى وحدات الاسطول الفرنسي سنة 1637م، ثم قائداً للأسطول الفرنسي سنة 1650، وملازماً عاماً للقوات البحرية للملك لويس الرابع عشر سنة 1667م، ينظر: خرنق مبروكة، المرجع السابق، ص 74.

² جان كونت دستري، ابن فرانسو أنيبال، ولد سنة 1624م، قام بحملة أولى سنة 1644م، رقي لمرتبة كولونيل في مقاطعة نافار سنة 1670م، شارك في حروب لويس الرابع عشر مع هولندا، افتترك جزيرة تاباكو (Tabago) منهم حصل على لرتبة الماريشال سنة 1681م، ينظر: خرنق مبروكة، المرجع نفسه، ص 74.

³ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 85.

⁴ بن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص 130.

الجزائر في 18 جوان، طلب من الداي بابا حسن¹، بأن يفرج حالاً على جميع الأسرى الفرنسيين والأوروبيين دون إستثناء وبدون دفع أي رسوم²، وحين رفض الداي، أخذ في قصف المدينة بدون انقطاع، فأحدث أضراراً كبيرة³، عندها أرسل إليه مبعوث لتفاوض، فاتفق معه على إطلاق جميع الأسرى الفرنسيين الذين يصل عددهم إلى 550 أسير، وعدد من الرّياس كرهائن، وعقدت هدنة لمدة 24 ساعة، وبعد تنفيذ طلبه، أذعن لعقد الصّلاح، وطلب تعويض مادي كبير لخسائر فرنسا في هذه الحملة، حينها رفض الرّياس طلبه وثاروا على الداي وقتلوه، وعيّن مكانه حسين ميزومرتو⁴، الذي رمى الأسطول الفرنسي بالقذائف، كما اتّهم الباشا القنصل لوفاشي بالخيانة فحكم بإعدامه بقذيفة مدفع، استمرّ رمي المدينة بالقذائف حتى شهر أكتوبر حين ساءت الأحوال الجوية ليعود دوكين إلى فرنسا⁵.

بعد رحيل دوكين قرر الداي حسين ميزومرتو أن يجنح لعقد الصّلاح حتى لا يتجدّد قذف المدينة التي تضرّرت كثيراً⁶، إتصل بمدير شركة الباسطيون، طالباً منه التّوسّط من أجل التّوصّل لإبرام صلح لا يكون على غرار صلح دوكين، وصل الطّلب إلى مجلس الدّولة الفرنسيّة، التي رحبت بالعرض، وأرسل تروفيل لمباشرة المفاوضات والتي أسفرت على إبرام معاهدة عرفت باسم معاهدة تروفيل يوم 25 أفريل 1684م، أصبحت نموذجاً لكل المعاهدات التي ستبرم بعدها بين الطّرفين، ونصّت على أن تكون معاهدة مؤيّهة (صالحة لمئة سنة)،

¹ هو حسن شاوش أول من لقب بـ "بابا" تولى الحكم خلفاً لصهره حسن قبطان التركي سنة 1682م، اغتيل بعد فترة وجيزة من حكمه، لم تتجاوز السنة 1683. ينظر: ابن المفتى حسين بن رجب شاوش، تقييدالت ابن المفتى في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ج. فارس كعوان، ط.1، بيت الحكمة، 2009، الجزائر، ص 55.

² جمال قنان نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص 147.

³ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 43.

⁴ جمع بين المنصبين الداي والباشا سنة 1684م، تولى عن منصبه 1688 ورحل إلى القسطنطينية حين عين قبدان باشا وحافظ على ذلك المنصب إلى أن وافته المنية، ينظر: ابن المفتى، المصدر نفسه، ص 56.

⁵ أحمد توفيق المدني، محمد عثمان...، المرجع نفسه، ص 44.

⁶ للمزيد حول الأضرار التي لحقت بالمدينة، ينظر: جون ب وولف المرجع السابق، ص، ص 344، 346.

تحتوى على 24 بند، عالجت مشاكل سياسية واقتصادية¹.

3-1-2 حملة المارشال دستري:

وصل دستري للجزائر في شهر جوان 1688م على رأس 31 مركباً وسفينة، تبادل الطرفین الرسائل والتّهدیدات، التي لم تجد أذاناً صاغية، فشرع في قذف المدينة بحوالي 10 آلاف قذيفة، من 1 إلى 16 جوان، دمر على إثرها أكثر من 5000 منزلاً، كما قام بإغراق 5 سفن جزائرية كانت في الميناء²، ليرد الداي والديوان بقتل 43 فرنسياً من بينهم القنصل، وعندما فشل دستري في تحقيق هدفه قفل راجعاً إلى فرنسا³، على إثر هذا الحادث أطلق العنان لرئيس لمجابهة السفن الفرنسية في عرض البحر، عندها طلبت فرنسا الصّلاح، وأرسلت نائب البحرية الفرنسية مارسيل قيوم (Marcel Guillaume) في 19 سبتمبر 1689م، وأمضى معاهدة جديدة عرفت باسمه، نصّت على تطبيق معاهدة تروفييل السابقة مع إعادة فتح الباستيون بنفس المبالغ السابقة⁴.

كانت حملة دستري ككلّ الحملات الفرنسية تطلب بوقف أعمال البحرية الجزائرية ضدّ السفن الفرنسية والتي تعطل مصالحهم التجارية، وإطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، وحتى معاهدة 1689م لا تعدو كونها تجديداً لمعاهدة سابقة لا غير، ممّا يعطى انطباعاً لشراهة الحكومة الفرنسية وتعطّشها لمزيد من الامتيازات التجاريّة.

3-2 حملة الدانمارك 1770م:

رغم أن الحملة التي وجهتها الحكومة الدانماركية إلى أيالة الجزائر شهر جويلية 1770م بقيادة الأميرال كاعس (Caas)، لم تحقق أهدافها بالتعويض عن الخسائر الدانماركيين التي ألحقت بهم جراء أعمال البحرية الجزائرية ضدّ سفنهم التجاريّة، وذلك بصمود المدينة

¹ يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر..، المرجع السابق، ص 84.

² محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 22

³ الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح. يحيى بوعزيز، ج.1، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1990، بيروت، ص 70.

⁴ المصدر نفسه، ص 89.

وتصدّي محمد بن عثمان باشا¹ لمواجهتهم²، وعند طلبهم للصّح رفضه هذا الأخير وفتح الباب على مصرعيه للرّياس لمواجهة السفن الدانماركية أينما وجدت لمدة سنة كاملة ممّا جعل المداخل ثمينه جدّاً، خاصة بعد الهجوم الدانماركي الثاني سنة 1772م³، لكن هذا الحال لم يستمر ليعقد الصّح بين حكومة الجزائر والدانمارك، للتعهّد بعدم التّعرّض للسفن الدانماركية ولا لأسر الدانماركيين مقابل تعويض اشترطته حكومة الجزائر وقبلته الدانمارك⁴

3-3 الحملات الإسبانية:

1-3-3 حملة أورولي (O'Reilly)

شنت إسبانيا على مدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي 18م وبعد احتلال وهران 1732م، ثلاث حملات على التوالي 1775م⁵ بقيادة الكونت أوريلي⁶ (O'Reilly)، ودون أنطونيو (Don Antonio) سنة 1783م، 1784م⁷ بأمر من ملك إسبانيا شارل الثالث⁸، هدفها

¹ هو محمد بن عثمان باشا تولى الحكم خلفا للداي بوصباغ 1765م، اشتهر بعدله وانصافه والتزامه بالأحكام الشرعية وحبه للجهاد، وزهده في الدنيا، قام ببناء العديد من الأبراج في مدينة الجزائر، لرصد تحركات النصارى، كان له الفضل في صناعة اللنجور الذي استطاع بفضل رد جميع الحملات الأوروبية على مدينة الجزائر في فترة حكمه، أوصى للحكم من بعده لحسن الخزناجي، توفي 1790، للتفاصيل أكثر ينظر: أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان .. المرجع السابق، ص- ص 102-123؛ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر .. المرجع السابق، ص ، ص 325،338، أوجان بلاننيت، المرجع السابق، ص 181.

² أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 25.

³ ناصر الدين سعيدوني، "صفحات من ماضي الجزائر المجيد البحرية الجزائرية: ظروف نشأتها وعوامل تطورها وأسباب ضعفها"، مجلة الدراسات التاريخية، مج. 7، رقم، 1، 1/1/1997، ص 45.

⁴ أحمد توفيق المدني، تاريخ الجزائر .. المرجع السابق، ص، ص 239، 240؛ ابن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص، 134، 138.

⁵ مؤلف مجهول، فقرة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران رحمة الله عليه، مخطوط من المكتبة الوطنية الفرنسية، ص

6، قسم المخطوطات عربي 5022، / 12148 / btv1b10030740w، تاريخ النشر 2017/11/19، <https://gallica.bnf.fr/ark:/12148/btv1b10030740w.image>

6 الكونت اورولي (Le Comte Oreilly) إيرلندي الأصل حاكم مدينة مادريد.

⁷ ناصر الدين سعيدوني، صفحات من تاريخ...، المرجع السابق، ص 45.

⁸ ملك إسبانيا سنة 1759-1788م، من أسرة آل بربون التي كانت تحكم فرنسا وإسبانيا، سمي بالطاغية المستتير بسبب الإصلاحات التي ادخلت حياة جديدة على الجماعة الإسبانية، أول مشكل واجهه هو ايجاد مخرج لا يضر بالمملكة الإسبانية من حرب السنوات السبع (1755-1763) ينظر: محمد أمين، المرجع السابق 41.

إسقاط حكومة الدّاي، القضاء على الأسطول الجزائريّ ورياسه، من أجل تأمين الخطوط الملاحية في المتوسط¹

كانت حملة أوريلي ضخمة جداً، فضمت وحدات المشاة متكوّنة من 20 ألف رجل، وحوالي 800 فارس، و 900 مدفعي مع مدافعهم، كما حملت السفن 3500 بحّاراً، وأكثر من 500 من السفن المختلفة، منها 50 باخرة حربية ذات طاقة نارية كبيرة جداً²، أبحرت من إسبانيا يوم 26 جوان لتصل إلى الجزائر في الفاتح من شهر جويلية³، ونظراً لحجم الحملة فقد وصلت أصدائها إلى إيالة الجزائر منذ بداية الاستعداد لها⁴، مما جعلهم يستعدون لها أحسن استعداد، وفي اليوم السابع من شهر جويلية تبادل الطرفين إطلاق النار واستمر الحال على ذلك إلى أن انسحبت السفن الإسبانية، وعندما توجّهت العمارة الإسبانية لإنزال الجنود في الضفة اليسرى لواد الحراش، تصدى لهم المدافعون الجزائريون، فلم يتمكنوا من إحراز أي نصر، وقُتل منهم حسب أورده يحي بوعزيز 600 جندي، وجرح 2300 آخرين، ولم يفلحوا في قذف المدينة وأرغموا على انسحاب، مخلفين ورائهم 5 سفن كبيرة من أجل حمايتهم من ملاحقة البحارة الجزائريين لهم⁵.

وكان لهزيمة إسبانيا صدى كبير على المستوى الداخليّ للإيالة وعلى السّاحة الخارجيّة سواء الإسلاميّة أو الأوروبيّة، حيث اهتزّت مكانتها كدولة كبرى، وعلى إثر هذه الهزيمة حاول الإسبان عدّة مرات وبوسائل مختلفة التّواصل مع الدّاي لعقد الصّلح، أو اتفاقية سلام، إلّا أن الدّاي رفض رفضاً قاطعاً، ما داموا محتلين وهران والمرسى الكبير، رغم المساعي

¹ فتيسي نادية، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766-1839م/ 1179-1245هـ) الأوضاع السياسية والاقتصادية نموذجا، ج.1، كوكب العلوم، الجزائر، 2021، ص 232.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 403.

³ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة..، المرجع السابق، ص 487.

⁴ للمزيد حول مجريات المعركة انظر: ابن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص، ص 139، 145 ؛ أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة..، المرجع نفسه، ص، ص 489، 494؛ جون ب وولف، المرجع نفسه، ص، ص 402، 406؛ أحمد شريف الزهر، المصدر السابق، ص، ص 24، 26.

⁵ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر..، المرجع السابق، ص 101.

الكبيرة لحسن وكيل الحرج والباب العالي، لتعود البلدين للحرب من جديد¹.

3-3-2 الحملة الإسبانية الثانية والثالثة 1783-1784م:

انطلقت من قرطاجنة في 13 جويلية 1783م بقيادة دون انطونيو (Don Antonio)، مع اسطول ضخم يتكون من 76 قطعة منها 4 بوارج حربية سفينة الخط²، و 6 سفن من نوع فرقاطة و 40 زورق مدفعي، وصلت هذه العمارة في الفاتح من شهر أوت، وكانت الايالة من جهتها مستعدة اتم استعداد، فتم تحضير المدافع والمهاريس، وبعض السفن، 20 مركبا وزورقا، كما كان هناك امدادات من بايلك الشرق والغرب³، تبادل الطرفان رمي القنابل بمدة 9 ايام رمى خلالها الإسبان حوالي 4000 قنبلة، ومثلها من عدد الكور، ورغم أنّ هاته المعركة لقي فيها الإسبان شرّ هزيمة، إلّا أنّها عرضت مدينة الجزائر إلى خسائر كبيرة حيث هدم أكثر من 100 منزل بما في ذلك قصر الداوي، وقتل حوالي 400 شخص منهم 100 بحار⁴.

وفي السنة الموالية 1784م، ظهرت عمارة إسبانية من جديد أما الإيالة الجزائرية، في محاولة منها لقنبلة المدينة؛ لكنّ التّحصينات التي أجراها الدّاي محمد عثمان لتيقنه من عودة الإسبان مرة أخرى، سواءً على الحصون من حيث إصلاح كلّ تخريبات الحملة السابقة، أو من حيث صنع 500 زورق جديد على الطراز الإسباني، ذلك أنّهم قاموا بتقليد زورق إسباني محطما خلفته المعركة السابقة⁵، حالة دون تحقيق الحملة لهدفها المنشود، فالطلقات المتبادلة بين السفن الحربية الإسبانية، والتّحصينات الجزائرية لم تتسبّب إلّا في خسائر طفيفة للطرفين⁶.

ونظراً للهزائم المتكررة للحملة الإسبانية على الجزائر؛ فقد سعت إسبانيا إلى عقد

¹ فتيسي نادية، المرجع نفسه، ص 235.

² D Grammont, Op-Cit, pp 334, 335

³ فتيسي نادية، المرجع نفسه، ص 236.

⁴ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 407

⁵ أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 32.

⁶ جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 408.

الصّالح، وبفضل مساعي القنصل الفرنسي سنة 1785م، تمكّن الاسبان من إرسال بعثة للتفاوض مع الحكومة الجزائرية، وبعد سنة من التفاوض، وافقت حكومة الإيالة على عقد معاهدة سلام يوم 14 جوان 1786م، كانت تحتوي على 25 بنداً في نسختين، واحدة بالإسبانية والأخرى بالتركية، وكان أهم ما تحتويه بالنسبة لطرف الجزائري، هو التنازل عن وهران ودفع سنوي¹.

3-4 الهجوم الأمريكي على الإيالة 1815م

إن تأخر أمريكا عن جلب الاتاوة، المتمثلة في معادات حربية سنة 1813م، المتفق عليها في اتفاقية 1795م، بدأت إيالة الجزائر تمارس ضغوطاً كبيرة على أمريكا بمختلف الوسائل²، وعلى إثر انتهاء النزاع بين الإنجليز وأمريكا³، وذلك بعقد معاهدة غنت Ghent فيفري 1815م⁴، قد أصبحت حرة في تجنيد كل قواها ضد الجزائر⁵، مما اضطر الرئيس الأمريكي ماديسون (Madison) في يوم 13 فيفري 1815م، يلقي خطاباً في الكونجرس يتضمن عدم تحمل أمريكا دفع الضريبة للجزائر، وإعلان الحرب ضدها، وبعد الموافقة على إعلان الحرب⁶، أرسلت أمريكا قطعتين بحريتين إلى المتوسط، بقيادة العميد أو الضابط البحري وليام بينبريدج (W. Bainbridge) والأخرى بقيادة الأدميرال ستيفان ديكاتور (S. Decatur)⁷.

¹ يحي بوعزيز، الموجز تاريخ الجزائر، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج.2، 2009، ص 87.

² هنا يذكر جون ب وولف أن الداي والديوان قد اعلنوا الحرب على أمريكا، بينما المعاهدة المبرمة بينهما، نصت في بندها 22 أن العلاقات مهما وقع توتر فيها لن يلجأ أي طرف الي الحرب، ويذكر ابو القاسم سعد الله في هذا الصدد أن الإيالة مارست كل أنواع الضغط ولم تلجأ إلى الحرب، أما أمريكا فبمجرد أن سمحت لها الظروف لجأت إلى الحيلة والحرب، مما يعطي انطبعا بان الاتفاقيات تسري عندما تكون في حالة ضعف أما عندما تصبح في حالة قوة فإنها تتملص منها، ينظر: جون ب وولف، المرجع السابق، ص 443.

³ هي معاهدة انتهت الحرب البريطانية الأمريكية، حيث وقعتا الدولتان معاهدة صلح في مدينة غنت البلجيكية في 24 ديسمبر 1814م، وكانت التصديق عليها من قبل الطرفين في 17 فيفري 1815، ينظر: معاهدة غنت في موقع أرشيف

شوهذ 2022 / 12 / 2 <https://www.archives.gov/milestone-documents/treaty-of-ghent>

⁴ جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 444.

⁵ أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، ج.1، المرجع السابق، ص 297، عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 604.

⁶ علي تابلبيت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830م، ج.2، مطبعة ثالة، الجزائر، 2013، ص 217.

⁷ وليام شالر، المصدر السابق، ص 147.

وبعد اجتياز ديكاتور جبل طارق يوم 17 جوان 1815م، التقى بالرائس حميدو على متن سفينته، وبما أنّ القطعة البحرية، التي قيادة الضابط ديكاتور، تتكون من 8 سفن، فمن الطبيعي أن تكون النتيجة لصالحهم، رغم ذلك فقد حاربت السفينة الجزائرية، بكل بسالة رغم استشهد قائدها الراس حميدو¹، وبعد ساعات استسلمت السفينة الجزائرية، كما طاردت السفن الأمريكية سفينة جزائرية أخرى، تمّ حجزها دخل المجال الإقليمي للمياه الإسبانية².

على إثر ما وقع للرائس حميدو، اعتقد ديكاتور أنّ الفرصة، أصبحت مواتية لعقد سلام مع الداوي والديوان بالشروط الأمريكية، فاتجه إلى الجزائر التي وصلها في 28 جوان، في غياب الأسطول الجزائري، رافعاً علم الهدنة، ثم تقدمت سفينة أمريكية إلى الميناء، وطلبت الداوي على توقيع هدنة جديدة، على الشروط التي تملّوها أمريكية³، لكن الداوي رفض الدخول في المفاوضات، إلّا بعد إرجاع السفينتين الجزائريّتين، وبعد قبول هذا الشرط، دخل الطرفين في المفاوضات بشرط دفع أمريكا الجزية للإيالة، لكن هذا الشرط رُفِضَ من قبل المفاوضين الأمريكيان، وبقيت المفاوضات بين مدّ وجزر⁴.

ولكن ظهور الأسطول الإنجليزي الهولندي في ميناء الجزائر، بجانب السفن الأمريكية أعطى انطباع لدى الجزائريين، بوجود مؤامرة لاحتلال الجزائر، ممّا أدى بالداوي والديوان إلى الخضوع لشروط أمريكا، وتم توقيع المعاهدة في 30 جوان 1815م، والتي تحتوي على اثنين وعشرين (22) بنداً⁵، وكانت هذه أول مرة توقع فيها الجزائر معاهدة بهذا الشكل.

¹ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 118.

² أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، ج.1، المرجع السابق، ص 299؛ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 119.

³ الشروط الأمريكية هي 1- رفض تقديم الجزية في أي شكل من الأشكال، لكنها تدفع الهدية القنصلية كتقليد متعارف عليه عند كل الامم، 2- دفع تعويضات عن الضرر الذي أصاب المواطنين الأمريكيان الذين ارغموا على الرحيل من الجزائر سنة 1812م، 3- تحرير الأسرى الأمريكيان دون فدية، ينظر: فتيسي نادية، المرجع السابق، ص 172.

⁴ علي تابليت، العلاقات...، ج.2، المرجع السابق، ص 219.

⁵ للمزيد حول ما تحتويه بنود هاته الاتفاقية ينظر: الجيلالي شقرون، "العلاقات بين إيالة الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية خلال العهد العثماني 1776-1830م"، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع.40، مارس، 2018، ص 103.

لتكون هاته الحملة وما نتج عنها من شروط، ورغم محاولات الداي للتملص من هاته المعاهدة، بحجة عدم وفاء الولايات المتحدة، بالشروط الملزمة لتوقيعها، المتمثلة في إعادة السفينتين الجزائريتين، مما يؤدي إلى إلغائها، لكن بحكم وجود السفن الأمريكية في ميناء الإيالة، وبعد أخذ ورد، أدى بالداي لقبول المعاهدة مؤقتًا، على أن يكتب للرئيس الأمريكي شكواه في 1816م، وينتظر منه الرد، وعليه أعاد لقنصل شالر وظيفته¹.

وبعد ردّ الرئيس الأمريكي على رسالة الداي في 21 أوت 1816م، وأنّ وعد ديكاتور برد السفينتين، قد نُفذ وما تأخرهما إلّا بسبب أنّ إسبانيا حجزتهما في مياهها الإقليمية، لكنها وعدت بتسريحها، وأعلمه بتعيين شيلر وقائد الوحدات البحرية الأمريكية كمفاوضين، وأرسل للداي شروط الاتفاقية الجديدة، التي لا تختلف في مضمونها على الاتفاقية الموقعة مع ديكاتور، خاصة في عدم دفع الإتاوة في أي شكل من الأشكال، وبعد مدّ وجزر وقع الداي على المعاهد في 22 ديسمبر 1816م، لتكون أرضية لما ستقوم به دول أوروبية أخرى كسردينا وهوندا بأبرام معاهدة كالتى أبرمتها أمريكا².

المبحث الثالث: عوامل متعلقة بالبحرية الجزائرية:

من جملة العوامل التي أدت إلى تراجع مداخل البحرية الجزائرية خلال فترة الدراسة هي تقلص عدد وحدات الأسطول وأسلحته، رغم سعى الحكومة المتواصل لتعويضه، عن طريق فرض إتاوات في شكل معدّات بحرية، تصل حتّى إلى سفن حربية، وتقلص عالم الرّياس ذوي الخبرة، بسبب عدّة عوامل سنأتي على ذكرها في جزئها المناسب.

1. تقلص وحدات الأسطول:

عرفت عدد وحدات الأسطول خلال فترة البحث، تأرجحًا بين الانخفاض والارتفاع حسب الظروف والمتغيرات الخارجية، كما سبق وأن درسنا التكاليف الأوروبية (الهجومات) على إيالة الجزائر، في محاولة لتحطيم قوّتها البحرية، والمحليّة المتعلقة بالإيالة الجزائرية، وسنقوم في

¹ وليام شالر، المصدر السابق، ص 152.

² علي تابليت، العلاقات الجزائرية...، ج.2، المرجع السابق، ص 224.

هذه الجزئية بمحاولة لمسح جميع وحدات الأسطول خلال فترة الانخفاض والارتفاع ومعرفة أسبابه.

إبتداءً من النّصف الثاني من القرن السّابع عشر الميلادي (17م)، بدأت قطع الأسطول الجزائري في الانخفاض والانكماش، إذ بلغ عدد السفن من 22 إلى 42 سفينة مسلّحة من 40 إلى 50 مدفعاً¹، وحسب لوجي دي تاسي (Laugie de Tassy) فإنّ الحكومة الجزائرية، حافظت خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، على معدل 20 سفينة كبيرة مجهزة من 40 إلى 50 مدفعاً، وإذا تحطمت لها سفينة تقوم ببنائها أو شرائها فوراً².

وفيما يلي سنقوم بعرض بعض الإحصائيات من مراجع مختلفة، وللملاحظة أنّ هذه الإحصائيات، تحتوي على بعض الثغرات، يرجع ذلك إلى المصادر التي أُخذت منها هاته المعطيات، خاصة ما أورده "البير ديفو"، فحسب المنور مروش إن ثغرات التي وجدت عنده ترجع إلى أخذه لتلك المعطيات من ملفات جوزات البحريّة، التي كانت القنصلية الفرنسية تمنحها للبحارة الجزائريين، واعتبرها هي مجموع سفن الأسطول³.

يذكر ديفو (Devoulx) أنه سنة 1674م يوجد لدى الجزائريين 26 سفينة في البحر مفصلة كالتالي، 2 قارب، 3 فرقاطات و 21 سفينة غير محددة، وفي عام 1675 م كانت هناك 35 سفينة، وفي عام 1676 م كانت هناك 28 سفينة، وعام 1677م كان هناك 11 سفينة⁴. وفي تقرير للمبعوث الفرنسي هاييت (Haut) حول القوات البحريّة الجزائريّة لسنة 1681م، هو 19 سفينة مجموع مدافعها 564 مدفعاً⁵، وفي سنة 1686م كانت هناك 21 قطعة حسب تقرير القنصل بيول (Piolle)، بالإضافة إلى 11 مركّب صغير، وفي سنة 1687م كان هناك 18 سفينة بها 291 مدفعاً⁶.

1 فتيسي نادية، المرجع السابق، ص 94.

² Lougier de Tassy, Op-Cit, p 262

³ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 402.

⁴ Devoulx, , la marine...; Op-Cit, p 392

⁵ جمال قنان، نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص 136.

⁶ علي خلاصي، المرجع السابق، ص 352.

تعتبر الفترة (1671-1689م) هي فترة حكم الدايات من طائفة رياس البحر، والذين أولوا اهتماماً كبيراً بالبحرية وزاد نشاطها، مما أدى إلى قيام عمليات انتقامية أوروبية خاصة من فرسا كما أشرت إليها سابقاً، فألحق أضراراً كبيرة بالبحرية وأدى إلى تراجع عدد وحداتها، ورغم ذلك نلاحظ حسب هاته المعطيات أن سنة 1677م كانت توجد بالجزائر فقط 11 سفينة، هاته السنة لم تتعرض الإيالة لأي هجوم بحري، أو حادث أدى إلى تحطيم أسطولها مما يؤكد ما أورده الباحث المنور مروش، وفي السنوات التي تعرضت خلالها الإيالة الى الهجوم الفرنسي 1681م، 1683م، 1684م كان الأسطول في المتوسط يحتوي حسب الإحصاءات المقدمة 19 سفينة.

أما عدد وحدات الأسطول في الفترة (1689-1830) فترة حكم الدايات الباشوات من الأوجاق، فهي في سنة 1717م كانت توجد 20 سفينة جيدة ذات 40 إلى 50 مدفعاً وفي سنة 1718م كانت توجد 19 سفينة، بمجموع مدافع تقدر بـ 544 مدفعاً¹، وفي سنة 1724م كان الجزائريون يحتفظون بـ 24 سفينة بعضها ذات 50 مدفعاً، والبعض الآخر من 30 إلى 40 مدفعاً، وبعضها ذات 10 مدافع فقط، وهذا ما أكدّه لوجي دي تاسي (Lougier de Tassy)، أنه توجد 24 سفينة لسنة 1724م، وقد عرضها في جدول مفصل حول سفن يحتوي على بلد الصنع والسنة التي صنعت فيه السفينة وعدد مدافعها ونوعيتها².

أما في سنة 1732م تراجعت عدد السفن، فإذا استثنينا القوادم والمراكب الشراعية فليدهم 6 سفن كبيرة فقط ذات 36 إلى 50 مدفع³، وهذا ما أكدّه توماس شو (Thomas Shaw) بأنّ الجزائر في هذه السنة تحتوي على نصف دزينة من السفن الكبرى الحمالة بـ 30 و 50 مدفعاً، أما سنة سنوات 1740-1742م وحسب تقرير فرنسي أورده المنور مروش كانت هناك 18 سفينة منها 4 سفن ذات 40 مدفعاً، و 2 ذات 24 مدفعاً، وفي سنة 1743م

¹ المنور مروش، دراسات عن ... ج.2، المرجع السابق، ص 400.

² Lougier de Tassy, Op-Cit, p 265.

³ Devoulx, la marine..., Op-Cit, p394.

يذكر دوفو أن أسطول الجزائر يتكوّن من 6 سفن، غليوطتين و 4 أشباك¹، وفي سنة 1769م كان هناك 17 سفينة 9 منهم للبايك و 8 للخواص²، وفي ما يلي سأقوم بإدراج جداول تظهر اختلاف كبير لعدد سفن المكوّنة للأسطول الجزائري لنفس الفترة الزمنية.

جدول(11): يوضّح عدد السفن حسب إحصائية دوفو(Devoulx)³

السنة	عدد السفن	السنة	عدد السفن	السنة	عدد السفن
1737م	17	1767م	21	1796م	23
1738م	18	1768م	18	1797م	13
1739م	14	1769م	15	1798م	27
1741م	18	1770م	13	1799م	15
1742م	11	1771م	5	1800م	16
1743م	6	1772م	7	1801م	5
1744م	6	1773م	8	1802م	20
1745م	8	1774م	15	1803م	17
1746م	7	1775م	9	1805م	10
1747م	7	1776م	19	1806م	15
1748م	7	1777م	15	1807م	9
1749م	9	1778م	18	1808م	20
1750م	12	1779م	18	1809م	8
1751م	13	1780م	28	1810م	11
1752م	8	1781م	18	1811م	7
1753م	22	1782م	23	1812م	15
1754م	22	1783م	19	1813م	7
1755م	21	1784م	13	1814م	9
1756م	18	1785م	22	1815م	10
1757م	22	1786م	18	1816م	15
1758م	23	1787م	13	1817م	7
1759م	30	1788م	17	1818م	11
1760م	27	1789م	12	1820م	14
1761م	27	1790م	4	1821م	15
1762م	43	1791م	7	1823م	4
1763م	26	1792م	10	1824م	9

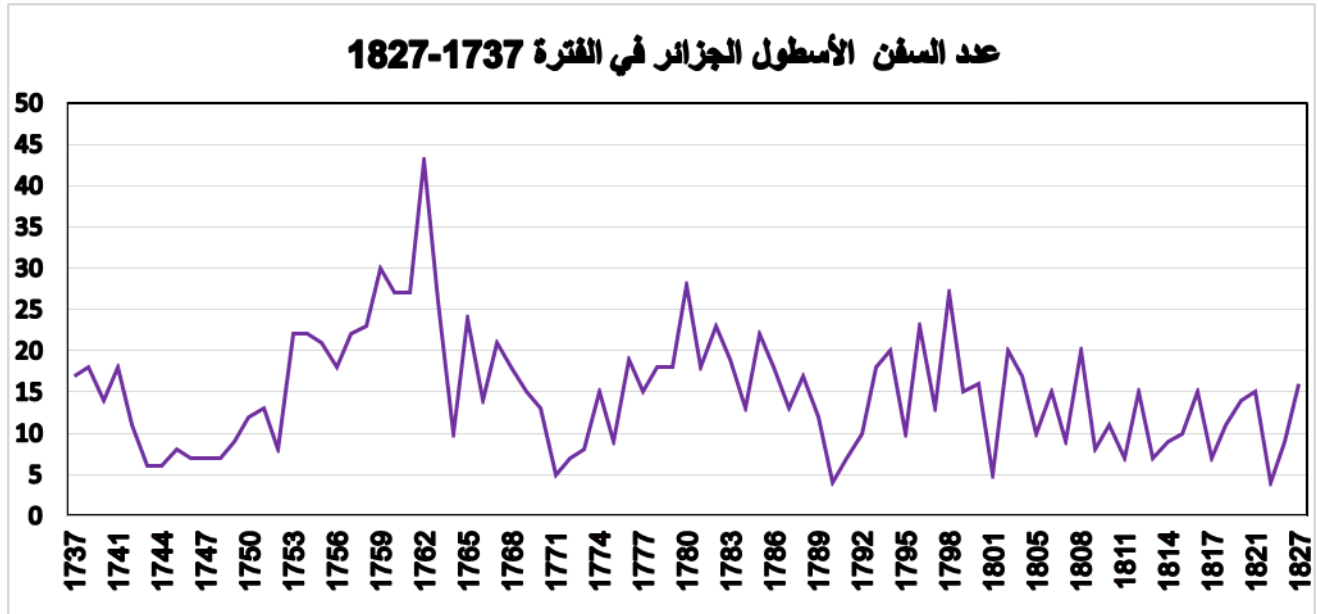
¹ المنور مروش، دراسات عن الجزائر...، ج.2، المرجع السابق، ص 401.

² D. Grammont, Op-Cit, p 241.

³ Devoulx, la marine..., Op-Cit, p p, 396, 419 .

16	1827م	18	1793م	10	1764م
/	/	20	1794م	24	1765م
/	/	10	1795م	14	1766م

الشكل رقم (4) منحني يوضح عدد سفن الأسطول الجزائري في الفترة 1737-1827 حسب دفتر التّشريفات

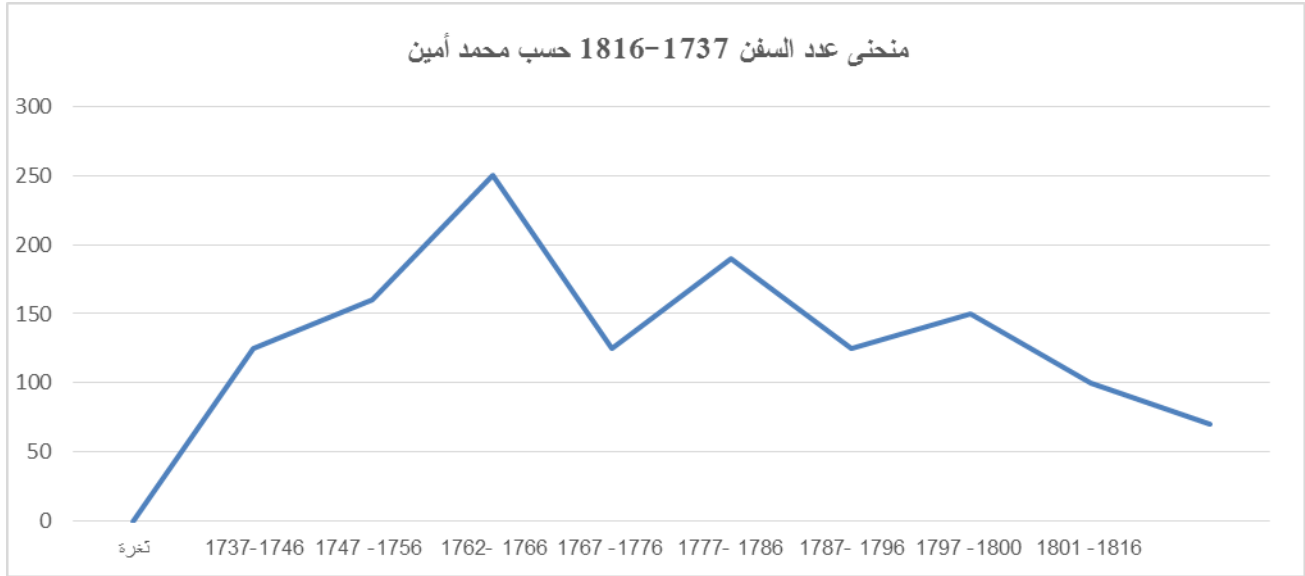


جدول رقم: (12) يوضح عدد السفن حسب محمد أمين¹:

عدد السفن	الفترة الزمنية
125	1746-1737
160	1756-1747
250	1766-1762
125	1776-1767
190	1786-1777
125	1796-1787
150	1800-1797
100	1816-1801
70	1827-1817

¹ محمد أمين، المرجع السابق، ص 46.

الشكل رقم (5) منحنى يوضح عدد سفن الأسطول الجزائري في الفترة 1737-1816م حسب محمد أمين



نلاحظ من خلال الجدولين (11) و (12)، هناك فرق كبير جداً بين المعلومات التي قدّمها "البير دوفو" والمعلومات التي قدّمها الباحث محمد أمين، ويرجع ذلك لأن البير دوفو استند في معلوماته حول عدد سفن الإيالة، على عدد الجوازات الممنوحة من قبل القنصلية للبحارة الجزائريين، أي السفن الحربية الكبرى التي تخرج للقرصنة في تلك السنة، هذا يعني أن هاته الأعداد لا تطابق بالضرورة مجموع السفن التي تملكها الجزائر في تلك السنوات، أما السفن الصغيرة والتي كانت تقوم بعمليات في البحري لكنها ليست ذات باع كبير، فهي لم تدخل في أعداد السفن الحربية لأنه ليس لها قيمة عسكرية¹، ولا تمنح لها جوازات مرور، لكن القنصليات الأجنبية تسجلها في تقاريرها، هذه التقارير هي التي اعتمد عليها الباحث محمد الأمين في دراسته الإحصائية، وهذا هو السبب المؤدي لهاته الفوارق الكبيرة للجدولين المذكورين أعلاه.

كذلك أنه بعض السفن تذهب أحياناً إلى إسطنبول عند الحاجة إليها، ففي سنة

¹ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 404.

1183هـ/ 1774م يذكر أحمد شريف الزهار أن السلطان مصطفى¹ بعث يطلب المراكب الجهادية سنة 1183هـ فامتل محمد بن عثمان لأمره وأرسل خمس مراكب اقاموا هناك خمسة أعوام، ثم رجعوا إلى الجزائر²، يعني 22 سفينة المذكورة في الجدول أعلاه نضيف لها 5 سفن فيصبح العدد 27، نفس الشيء بالنسبة لسنة 1779 نضيف لها 5 السفن التي رجعت من اسطنبول فيصبح العدد 17 بدل 12 سفن مخصصة للقرصنة.

أما بالنسبة سنة 1802، يذكر دوفو أنه في يوجد في الجزائر 20 سفينة، ويذكر في دراسة ثانية له كانت في الجزائر في بداية القرن التاسع عشر 19م، 30 سفينة، بما في ذلك 3 فرقاطات ذات 44 مدفع³ وبعض الكوربيطات والسفن الكبرى من نوع البريك، بينما يذكر تقرير قنصلي أمريكي عن القوة البحرية الجزائرية في ذات السنة، بأنها تتألف من 13 سفينة لها بين 12 إلى 44 مدفعاً، وأنه توجد إلى جانبها 60 قارباً مسلحاً بالمدافع، للدفاع عن الميناء، وتملك نحو 150 من السفن الشراعية ذات الحمولة من 25 إلى 50 طن⁴.

أما محمد أمين فقد اعتمد في رصده للمعطيات التي قدمها حول عدد سفن الأسطول الجزائري، المخصص للعمليات البحرية، على أرشيف القنصلية الفرنسية، والتي كانت ترصد كل ما يتعلق بالبحرية الجزائرية⁵، أي السفن التي تخرج للقرصنة والتي تبقى في الجزائر، مثلاً في مطلع للقرن الثامن عشر 18م، تقدم المراسلات القنصلية الفرنسية معلومات جزئية، حيث تشير إلى أنه عشرة 10 سفن خرجت للقرصنة من مدينة الجزائر، وأن أهم السفن بقيت في الميناء لتقديم المساعدة عند الضرورة للقوات المرسله لمحاربة، جيوش تونس والمغرب الأقصى. وفي نهاية سنة 1701 يذكر ذات المصدر أنه خرجت 4 سفن من ميناء الجزائر،

¹ وهو السلطان مصطفى الثالث، (1717-1774م)، تولى الحكم سنة 1757م، هو السلطان السادس والعشرين من سلاطين الدولة العثمانية، خاضت في عهده الدولة العثمانية الحروب مع روسيا، ينظر: أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 19.

² أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 28.

³ A. Devoulx, "un exploit des Algériens en 1802", *Revue africaine*, N 50, MARS 1865, p 126.

⁴ المنور مروش، دراسات عن ...، ج.2، المرجع السابق، ص 403.

⁵ محمد أمين، المرجع السابق، ص 46.

و8 سفن ما تزال في المشرق¹، هذا ما يوضح الاختلاف في التعداد بين المرجعين.

إن ما أورده دوفو عن عدد سفن البحرية الجزائرية في الفترة 1766-1791 م عدد ضئيل بالنسبة لسياسة الداي محمد بن عثمان، الرامية إلى الاهتمام بالبحرية، لكن الهجمات المتعددة، التي تعرضت لها الإيالة، كالهجمة الدنماركية 1770م، والهجمات الإسبانية (1775، 1783، 1784)م، حالت دون تكوين أسطول قوي يصل عدد سفنه لما وصلت إليه سفن سنة 1762م، حتى لا نقول أسطول النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي 17م.

هذا بالنسبة لأوجه الاختلاف، أما بالنسبة لأوجه التشابه فإنّ الدراستين أكدت على أن سنة 1762م من حكم الداي علي باشا بوصبع (1754-1766م)، والتي بلغت فيها البحرية أوج قوتها حيث تصل عند "دوفو" 42 سفينة مخصصة للقرصنة، في حين تصل عند محمد أمين في فترة 1761-1766م إلى 250 سفينة.

الدراستان تتفقان في التراجع المستمر لعدد وحدات البحرية، رغم محاولات البايك اليائسة للنهوض بها، خاصة في الفترة التي قاد فيها الرئيس حميدو الأسطول الجزائري، لتعرف بعد تلك الفترة تراجع مستمر، حتى سنة 1816م والتي يقضى فيها على كلّ الوحدات الموجودة في الميناء والتي قدرت بـ 9 سفن جراء حملة اللورد اكسموث الهجوم الهولندي-الانجليزي، (والتي سنأتي على ذكرها بالتفصيل فيما بعد)، حتى يختفي الأسطول تماماً أثناء الهجوم الفرنسي على الجزائر 1830.

وبالعودة إلى الدراسات الجزائرية² حول الوحدات المكونة للبحرية الجزائرية، تظهر

¹ المنور مروش، دراسات عن ..، ج.2، المرجع السابق، ص 400.

² إن الدراسة التي أوردها يحي بوعزيز في كتابه الموجز الجزء 2، في الصفحات 210، 212، لما اطلعنا عليه وجدنا هناك الأرقام مغايرة تماماً ولكن بعد التدقيق وبالعودة إلى أغلب الدراسات وجدنا أن يحي بوعزيز اعتمد في أخذه لعدد وحدات الأسطول كل أنواع السفن حتى انه يذكر أن سنة 1784 كان في الجزائر 560 سفينة ويفصلها بأنها 60 سفينة كبيرة من احجام مختلفة و 500 لنجور، بالعودة إلى ما كتبه أحمد شريف الزهار في الصفحة 32 وجدنا أن الداي محمد بن عثمان قام بالاتفاق مع وكيل الحرج، بعد معاينة معلم السفن (مهندس) لذلك اللنجور الإسباني، بإعطاء امر بصناعة 500 لنجور، وكان في أغلب هاته الدراسة يذكر أعداد مرتفعة من اللنجور ففي 1802 ذكر أن العدد 266 منها 200 لنجور.

الدراسة التي قدمها ناصر الدين سعيدوني¹ حول السفن المكوّنة للأسطول، والتي اعتمد في رصدها على مصادر أوروبية معاصرة، بأعداد مختلفة على ما قدمته الدراستين السابقتين لكن تتفق معهما في التراجع المستمر للبحرية، رغم المحاولات المستمرة للرفع من وحداتها، وتتفق هاته الدراسة مع الدراسة التي قدمها حنفي هلايلي² حول نفس الموضوع، لكن تختلف في بعض السنوات حيث أنّ هلايلي³ يعطي عدداً مغايراً لما ورد عند ناصر الدين سعيدوني سنة 1760م بحث وصل عدد السفن 60 سفينة، أما سنة 1825 فقد اتفقا على أنّه يوجد في الجزائر 14 سفينة وبالرجوع إلى ما كتبه وليام شالر نجد أنّه كان في الجزائر 14 سفينة أوردها مفصلة بأسمائها وعدد مدافعها، كما ذكر أنّه يوجد 3 سفن في احواض بناء السفن سيتم إنجازها وإخراجها للبحر في الصيف مع وجود 30 زورق حربي⁴، وكانت في الجزائر سنة 1830م 14 سفينة حربية، متواجدة في الميناء وسفينتين توجهتا سنة 1827م، إلى الاسكندرية اي مجموع السفن هو 16 سفينة⁵

جدول رقم (13): حول عدد السفن حسب الدراسات الجزائرية:

السنة	عدد السفن حسب ن. د. سعيدوني	عدد السفن حسب ح. هلايلي
1724م	24	25
1734م	14	14
1759م	21	/
1760م	30	60
1766م	24	/
1799م	12	12
1815م	30	30
1822م	12	12
1825م	14	14
1830م	15	15

¹ ناصر الدين سعيدوني، ورقات... المرجع السابق، ص 137.

² حنفي هلايلي، بنية الجيش... المرجع السابق، ص 61

³ يذكر حنفي هلايلي في ذات المرجع أن الجزائر سنة 1805 كانت تملك 163 سفينة مسلحة ب 121 مدفع، من بينها 149 شالوب (زوق).

⁴ وليام شالر، المصدر السابق، ص، ص 69، 70.

⁵ خليفة حمّاش، الجزائر والحرب اليونانية العثمانية 1236 - 1243هـ / 1821-1827م، ط.1، دار الباحث، الجزائر، 2020، ص 83.

وفي الأخير تبقى المعلومات حول عدد وحدات الأسطول غير مضبوطة بشكل دقيقة، لأنّ المصادر المتوفرة عنها هي فقط تقديرات أوروبية، في غياب إحصائيات رسمية، أن القول بتراجع السفن البحرية الجزائرية، هو في حد ذاته إشارة إلى تراجع مداخلها، إذ لم تعد من مصادر الدخل الهامة، خاصة بتزايد المضايقات الأوروبية بشكل كبير لشّل هذا النشاط.

1- نوعية السفن المستعملة واحتياجاتها:

كان الأسطول البحري الجزائري، خلال القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، يضمّ عدة أنواع من السفن البحرية، الكبيرة منها الفرقاطة والكوربيطة، و البيرك، وكانت هي السفن التي تشكل القوة البحرية الأساسية، للأسطول الجزائري، نظراً لمتانتها، وقوتها النارية¹، لهذا فإن أغلب الدراسات التي اهتمت بالبحرية الجزائرية خلال هاته الفترة، تركّز على هاته الأنواع من السفن، مثلاً نجد أن ألبير دوفو يذكر أنه في سنة 1732م، أن القوة الجزائرية آخذة في التدهور، وذلك إذا استثنينا القوادم والمراكب الشراعية الخاصة بهم، فإنه لديهم 6 سفن كبيرة فقط، تحمل من 50 إلى 60 مدفعاً. ومازال الجزائريون خلال 25 سنة الأولى من القرن الثامن عشر الميلادي (18م) حسب أرشيفات القنصلية الفرنسية، يعبرون إلى المحيط الأطلسي²، وكانت هاته الأنواع من السفن يتم شرائها أو يتحصلون عليها كهداية كالتّي اهدتها الولايات المتحدة للجزائر، وعندما أعجبت الدّاي بها طلب شراء فرقاطتين، أما صناعتها في الجزائر فهي قليلة نظراً لنقص المستلزمات الخاصّة بها³.

رغم أن الدّاي محمد بن عثمان، أولى اهتماماً كبيراً بتنظيم الأسطول، إلا أنّ رمز البحرية في عهده ورأس حريتها هو الشبيك، باعتبارها سفن خفيفة وسريعة في عرض البحر وبكثرة مجاديفها وأشرعتها، وكانت مجهزة من 12 إلى 30 مدفعاً، ومع نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، فضل البحارة نوع الشظية التي كانت تتميز بطولها وسرعتها لكنها

¹ المنور مروش، دراسات عن...، المرجع السابق، ج2، ص 403،

² A. Devoulx la Marine..., Op-Cit, p394.

³ D. Grammont, Op-Cit, p 236.

مكيفة للإبحار قرب السواحل¹.

أنّ التحوّل المستمر الذي عرفه الأسطول نحو استعمال السفن الصغيرة الشبيكات والشظيات، التي كانت طاقتها بين 12 و 30 مدفعاً، باعتبارها الشكل القياسي لسفينة البحارة، هذه السفن لا تستطيع أن تقف في وجه السفن الحربية الأوروبية، أو السفن التجارية الكبيرة والمسلحة بعدد معتبر من المدافع وذات قيادة جيدة²، رغم سرعتها وسهولة قيادتها، حيث يمكنها أن تسبق السفن الحربية، لكن بما أنها سفن خفيفة ومجوفة، فهي لا تستطيع أن تصمد أما الأسلحة القوية للسفن الحربية الأوروبية، وكانت هذه الأنواع من السفن يمكنها فقط أن تترصد سفن الصيد الصغيرة، أو السفن التجارية المحلية التي تنتقل عبر سواحل البحر الأبيض المتوسط³، مما حدّ من فاعلية الأسطول البحري الجزائري.

كما عانت إيالة الجزائر، من قلة التجهيزات ومستلزمات صناعة السفن، الشيء الذي جعلها رهينة انتظار الإمداد الخارجي⁴، لهذا كانت جلّ معاهداتها المبرمة مع دول أوروبا الشمالية وأمريكا، على أنّ يكون جزء من إتاواتها من مادة الخشب، ولوازم البحرية، مثل الصواري والحبال والأشرعة وغيرها⁵، أو ما يوجد به الباب العالي من مستلزمات بحرية وحربية، وقد تم ذكر هاته المستلزمات في مرات عديدة وعبرة فترات مختلفة في دفتر التشريفات⁶

¹ حنفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 61.

² D Grammont, Op-Cit, p 236.

³ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 392.

⁴ في عام 1689م عند توقيع على المعاهدة مع فرنسا، كان هناك اشتراط شرط إضافي بأن فرنسا ستوفر مجاناً، أربع قذائف هاون و 9000 قنبلة ومدفع للجزائريين لاستخدامه في حصار وهران بحجة أن وهران كانت إسبانية وبالتالي عدو فرنسا.

⁵ أرزقي شويتم، دراسات ووثائق...، المرجع السابق، ص 47.

⁶ في سنة 1696 وصلت بعثة إلى الجزائر بها 3 مدافع نحاسية من عيار 22، و 3 براميل نحاسية قياس 12، و 1000 قنطار من المسحوق، و 2000 رطل من الكبريت 200 لوح؛ وفي سنة 1766، وصلت بعثة من اسطمبول محملة على سفينة هولندية تحتوي على: 2 مدافع هاون عيار 200، و 2 هاون عيار 100، مدفعان نحاسيان من عيار 32، مدفعان نحاسيان من عيار 4، 19 صواري طويل و 28 صواري قصير، 250 مجذاًفاً صغيراً، و 250 قضيباً للحمل، و 22 الحارث، و 60 عجلات مدفع، و 200 مجذاًف كبير، و 1577 قنبلة، و 100 قنطار من الصنوبري، ينظر: A. Devoulx Tachrifat, Op-Cit, p 57,59

لكن هاته الإمدادات ستشهد تناقصاً، خاصة عندما قامت السلطات المركزية لدول أوروبا الشمالية، وكذلك انجلترا بتقنين عمليات إمداد إيالة الجزائر، بالمستلزمات الحربية والبحرية، إلا بما يحافظ على مصالحها التجارية¹، ورخص للبوارج العسكرية بتفتيش السفن، ومصادرة المراكب غير الممتثلة لقرار الحظر، بالرغم أنه فيما سبق كانت هذه الدول محايدة لقرارات ومراسيم الحظر المفروض على إيالات شمال إفريقيا التي ذكرناها سابقاً، لتنتقل بعدما تعرضت تجارتها للخسائر إلى دول مؤيدة له².

أما التموين المحلي من المادة الخشب الاستراتيجية، فقد تعطل بسبب القرار الذي أصدره الدي مصطفى³، عام 1799م والذي منح بموجبه حق استغلال الغابات الواقعة بين بجاية والقل، لليهود، هذا الاحتكار سمح لهم بشراء الخشب من الأهالي بأثمان أقل مما كانت عليه سابقاً، فترك الأهالي هذا النشاط، فنتج عنه تلف للأخشاب بسبب تكديسها في الموانئ، وعدم نقلها لورشات الصناعة⁴.

لقد أدت هذه العوامل إلى شلل نشاط ورشات الصناعة، إما لاحتياجها لمادة الخشب، وحتى إن وجدت، فيقتصر العمل على انشاء الهياكل دون تكملة باقي التجهيزات، انتظاراً لما تجود به الاتفاقيات، وأحياناً تصنع السفن دون المواصفات المطلوبة مما يعرضها للتلف أو الغرق⁵، إذن فمحاولات إنتاج السلاح والسفن في الجزائر ضلّت خجولة مقارنة بما وصلت له الدول الأوروبية من تقدم.

¹ محمد أمزيان، المرجع السابق، ص 57.

² حسن أميلي، العثمانيون و البحر المتوسط...، المرجع السابق، ص 109.

³ الداوي مصطفى (1797-1805م) : قامت في عهده عدة ثورات أشهرها ثورة الأحرش و درقاوة وقتل نتيجة ثورة اليهود عام 1805م . ينظر : الحاج أحمد شريف الزهار ، المصدر السابق، ص، ص 71.

⁴ أرزقي شويثام، دراسات ووثائق...، المرجع السابق، ص 59.

⁵ حليم سرحان، المرجع السابق، ص 48.

2- تقلص عالم الرياس المهرة:

إنّ التطور السياسي الذي عرفته الإيالة خلال القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، حدث معه تدهور تدريجي للأسطول البحري، فعدد الرياس ذو الكفاءات، قد هبط بدرجة كبيرة خلال هاته الفترة¹، إمّا تحت ضربات الأساطيل الأوروبية، التي أودت بأعداد كبيرة من الرياس، عند تعرضهم للقصف، فلم يعد عدد البحارة يتجاوز 5300 بحار خلال سنة 1769م²، أو بسبب المواجهات مع قراصنة الدول الأوروبية³ كقراصنة مالطا⁴.

فالأصول الثنية في هذه الفترة لم تعد كما هو الحال في القرن السابق، مما يعطي انطبعاً بالتحول المهم الذي عرفته البحرية خاصة في هوية المشاركين فيها⁵، حيث بدأ عدد الرياس من العلوج يتناقص منذ العقدين الأولين للقرن الثامن عشر (18م)، إلى حد الاندثار في القرن التاسع. ذلك أن أعمال البحرية في الجزائر لم تعد تجذب الأجانب، خاصة أن أوروبا بعد نهاية الحروب الدينية والطائفية، وزوال القمع على تلك الأقليات، وكذا تحسن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية داخلها، مع قوة الجذب الي كانت تمثلها أمريكا بما فيها من معادن الذهب والفضة، والأراضي الخصبة، والتي كانت تجذب كل المغامرين، كل هذا فتح آفاق جديدة لهجرة الأوروبيون⁶، مما أدى إلى تدهور نوعية الرجال الذين يحسنون قيادة الأسطول، فنتج عنه بطبيعة الحال تدهور في الأرباح، حيث أن رأس المال الخاص لم يجد فائدة من الاستثمار في الأعمال البحرية⁷.

ومن بين أسباب تناقص عدد الرياس أيضا، عدم احترام البنود المنصوص في

¹ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 391.

² ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 45؛ شارل اندري جوليا، المرجع السابق، ص 371؛ اسحاق زيتوني، المرجع السابق، ص 36.

³ Tal Shuval, *La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle*, Population et cadre urbain, Éditions via Open Edition CNRS, 1998, p 235.

⁴ D. DE Grammont, *Op-Cit*, p 236.

⁵ Tal Shuval, *Op-Cit*, p 235.

⁶ المنور مروش، دراسات عن الجزائر...، ج.2، المرجع السابق، ص 412.

⁷ حنفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 59.

المعاهدات خاصة عندما يتعلق الأمر بالرياس، ففي قضية غرق السفينة الجزائرية بالقرب من الساحل الفرنسي، تم اعتقال 16 بحاراً جزائرياً جيء بهم إلى مرسيليا وذبّحوا في الحال، وعندما يتعلق الأمر بفدية الأسرى للسفينة الجزائرية التي أسرها الضابط دي رازاللي (Razelli De)، فقد سمح بفدية جميع الأسرى، إلا الرياس رفض تحريرهم بأيّ ثمن¹

كما اتخذت الدول الأوروبية سياسات مختلفة، للتقليل من عدد العلوج العاملين في الأسطول البحري الجزائري، بصفتهم القوة الفعالة والرئيسية في البحرية من خلال ذكائهم وتكتيكاتهم، وتحكمهم في الملاحة داخل البحر الأبيض المتوسط أو عرض المحيط الأطلسي، ومعرفتهم لسواحل الدول الأوروبية، كالأجراءات الردعية التي اتخذها حكام الدول الأوروبية ضدهم، فكلما وقع أحد الرياس الأعلاج في الأسر²، يكون مصيره الحرق أو الشنق، بحجة أنه مرتدّ عن المسيحية³.

مثلاً حصل لجورج كور (George Core) الرياس الجزائري الإنجليزي الأصل حين أسر من طرف مواطنيه، وحكم عليه بالإعدام وخنق سنة 1622م، أو عن طريق سياسة الإغراء بالمناصب كما وقع للعديد من الرياس كالرياس Mainwaring "مايوارنج" حيث تم الاحتفال به عند عودته إلى إنجلترا، وحصل على رتبة النبالة وأصبح عضواً في البرلمان⁴، أو تخصيص منح مالية للبحارة الأوروبيين، مقابل أسر البحارة الجزائريين، ويذكر صاحب التحفة المرضية في هذا الصدد: "لقد خصص وزير البحرية الفرنسية جوائز ثمينة لكل بحار فرنسي يأتي بأحد القراصنة من الجزائر"⁵

كما أدّت الأوبئة أيضاً بعدد كبير من الرياس ومهندسي ومجهزي السفن، مثلاً حدث في وباء سنة 1787م، فمن 16721 فقيدهم كان بينهم 613 مسيحياً، وفي سنة 1788، يذكر

¹ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 248.

² المرجع نفسه، ص 221،

³ أرزقي شويثام، دراسات ووثائق...، المرجع السابق، ص 45.

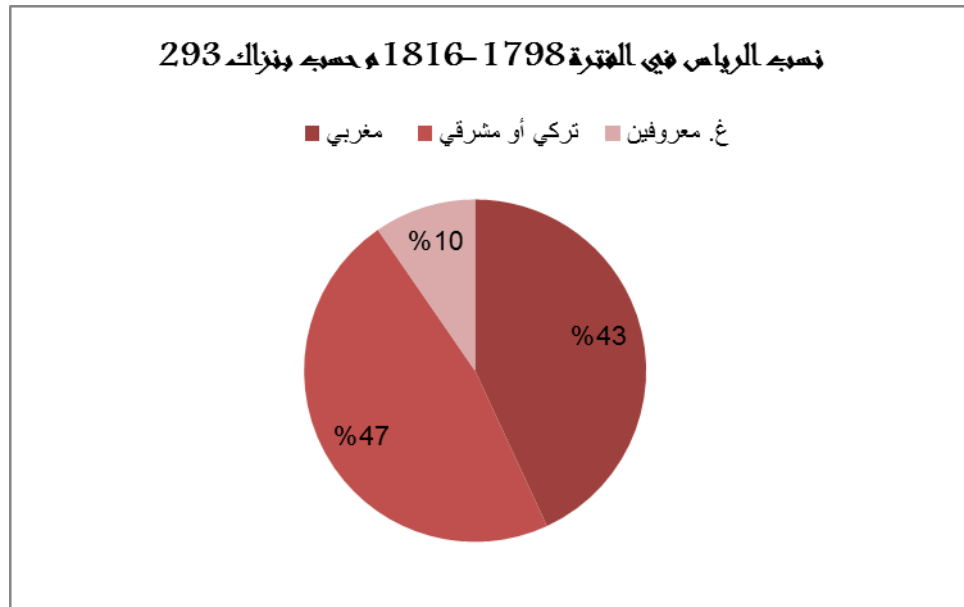
⁴ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 281.

⁵ محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 22

القنصل الفرنسي برادي (brady) أن الديوان كان يضم نحو خمسين من الرياس، ثم يضيف أن الوباء الذي كان منتشراً في هذه البلاد قضى على نحو 50 أو 60 منهم¹.

وقد لاحظ القناصل الأوروبيين تناقص عدد الرياس، فالقنصل الإنجليزي جيمس (James) يذكر أنه سنة 1764م، أثناء اجتماع الديوان حضر فقط 44 ريساً، بينما يذكر القنصل الفرنسي دي كيرسي (De Kersey) سنة 1791م، حسب وصف لا يوجد في المدينة، من الرياس سوى نحو عشرين 20 رئيساً، وهم أكثر عدداً بنسبة قليلة في وهران، وكلهم من الإسبان، ويرى بنزك أنه خلال الفترة 1798-1816م كان هناك 239 ريس حصل على جوازات سفر وكان منهم 103 من أصل مغربي و 113 من أصل تركي أو مشرقي².

شكل رقم(6): يوضح نسب الرياس من أصول المختلفة 1798-1816م³



وفي موقع آخر من دراسة بنزك حول نفس الموضوع يلمح إلى تغير عالم الرياس، حيث أن المغامرين الذين اجتذبهم إغراء الكسب، تراجع عددهم، وأفسحوا المجال، لنوع من المهنيين من بلاد الشام والمشرق، وبشكل رئيسي من الأهالي، حيث شكلوا نسبة 8% من

¹ محمد أمين، المرجع السابق، ص 55.

² Alain Blondy Université de Paris IV, "Panzac Daniel, Les corsaires barbaresques ,La fin d'une épopée, 1800-1820" Paris, CNRS Éditions, 1999 (Collection Méditerranée), p 130.

³ Daniel Panzac, Barbary..., Op-Cit, pp 61, 62.

البحارة في بداية القرن الثامن عشر 18م، وفي الفترة 1786-1792 شكل الأهالي نسبة 24٪ من البحارة، وفي الفترة 1799-1803 شكلوا نسبة 24٪ من البحارة¹، مما ساعد على إعطاء الحروب البحرية بُعداً اقتصادي "وطني"، ويذكر أنه خلال نهاية القرن كان ربع أو نصف الرياس من بلاد الشام، ونصيب الأسد من أصول الرياس قد اقتطعه الأهالي أو من شمال إفريقيا²، هذا ما أكدّه العربي الزبيري بقوله: "وكانت أسمى مرتبة يصلها مجاهد البحر هي مرتبة ريس، وهذه المرتبة بلغها عدد كبير من أبناء المغرب العربي"³، هؤلاء الرياس، كانوا يكتفون بامتلاك بعض المفاهيم العملية والأساسية الضرورية التي تساعدهم، على أن لا يتيهوا في المغامرات بمجرد الابتعاد عن السواحل وتعدّر رؤيتها، هذا ما جعلهم لا يبتعدون كثيراً على اليابسة، ولم يخرجوا ابداً من البحر الأبيض المتوسط، وحتى بعض الرياس الذين تجرأوا على القيام برحلة إلى المحيط، سرعان ما عادوا إلى المضيق، ودخلوا مناطق أكثر معرفة بالنسبة إليه وأكثر استغلال⁴، من بينهم الرياس حميدو⁵.

كما أصبح الرياس لا يستمرون في مهنتهم مدة طويلة، رغم تشجيع الإيالة للرياس حيث استحدث راتب قار للبحارة قدر حسب الزهار ب 4 بجة⁶، وزيادة مكافأتهم والتي تمنح لهم عند الانطلاق في رحلاتهم، فقد تمت الإشارة في دفتر التشرifications إلى الحصص المالية التي

¹ Tal Shuval, Op-Cit, p 235.

² المنور مروش، دراسات عن الجزائر .. ج.2، المرجع السابق، ص، ص، 413، 415.

³ ألبير دوفال، الرئيس حميدو، تع. محمد العربي الزبيري، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1972، ص 4.

⁴ علي تابليت، الرئيس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815م، ثالة، الجزائر، 2006، ص 4.

⁵ الرئيس حميدو: ريس من أصل جزائري، ولد سنة 1770 بالعاصمة الجزائرية، من أسرة متواضعة أراد أبوه ان يصبح خياطاً، غير أن حب المغامر حال دون ذلك عرف بذكائه الحاد والموهبة والشجاعة، بدأ نشاطه نوتيا (بحار) على متن سفينة أحد القراصنة، ثم عمل بالناحية الغربية في قوات باي وهران، حيث اسندت له قيادة ثلاث سنايك، هاته السفن هي التي قام بها الرئيس حميدو بدخول مواجهة غير متكافئة مع سفينتين حريتين لجنوة وتمكن من اجبارهم على الابتعاد بجراته وحنكته القيادية، مما أدى بالداي بإستدعائه للعاصمة وقد تدرج في مناصب العمل البحري، فاصبح بحار ثم ضابطاً، ثم رايسا، ثم قبطانا وقائدا عاما للأسطول الجزائري من 1815-1997م، يعتبر استيلاءه على فرقاطة برتغالية من 44 مدفعا واسره ل 282 بحارا وجنديا كانوا على متنها، وهي من أهم الانجازات التي نال بها شهرة كبيرة، ينظر أحمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 74؛ علي تابليت، الرئيس حميدو، المرجع نفسه، ص 6؛ ألبير دوفال، المرجع السابق، ص 19؛ يحي بوعزيز، الوجيز في..، المرجع السابق، ص 177.

⁶ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 72.

خصصت للرياس تسمى بـ Komania قومانية، توزع على طاقم السفينة¹ تعويضاً لهم عن قلة الربح في أعمالهم البحرية، بالإضافة إلى الأسهم المقررة كنصيب لهم من كل غنيمة²، كما أضيفت الرياس العاملين، ضمن من تقدم لهم الهدايا من القناصل والبايات والقياد في مناسبات معينة³

ورغم كل تلك الإجراءات المتخذة من قبل الإيالة لتشجيع الرياس، لكن بقائهم في هاته المهنة لم تدم طويلاً، فبعضهم لم يذكر له خروج للبحر إلا مرة أو مرتين، وقادة الأسطول لا يستمرون مدة طويلة في منصبهم، بسبب قلة مردود الأعمال البحرية، خلال القرن الثامن عشر الميلادي 18م، عكس القرن السابع عشر الميلادي 17م، حيث كان قائد الأسطول يستمر في منصبه من 15 إلى 20 سنة، كمراد رايس، وعلي بنشين، إلا أنه هناك ستة قباطة تكرر أسمهم في جوازات السفر هم: شارك أحمد الحداد في الإستيلاء على 11 سفينة أوروبية، بين 1798م و 1815م، والرايس حسن نا حيث ظهر اسمه عام 1797م، وظل نشطاً حتى عام 1815م، كما كان حمدان في البداية قائداً في تونس في 1797-1798 قبل أن ينتقل إلى الجزائر العاصمة، حيث كان حاضراً حتى عام 1812م، وكان صلاح الذي ظهر في عام 1802م، من النادرين الذين استمروا في أنشطة القرصنة بعد كارثة 1816م، وورد في السجل الغنائم حتى 1818، وهكذا استمرت مسيرته كقائد للقرصنة في المتوسط من خمسة عشر إلى عشرين عاماً، وأحياناً أكثر من ذلك، كما في حالة الحاج سليمان، الذي يمكن متابعة سيرته من عام 1788 إلى عام 1812م⁴ وكان القائد الجزائري الأكثر شهرة وتميزاً هو الرايس حميدو، ويعتبر استثناء، فازدهار أعمال البحرية في عهده كانت نتيجة متغيرات دولية⁵.

خلاصة الفصل:

عرفت إيالة الجزائر في فترة الدّايات استقراراً في الحكم، نتج عنه استحداث لمناصب وزارية، مكوّنة مجلساً تنفيذياً ليقوم بتنفيذ القرارات التي يصدرها هذا المجلس، بعد عرضها

¹ Devoulx, Tachrifat, Op-Cit, p 40.

² نادية فتيسي، المرجع السابق، ج.1، ص 375.

³ المنور مروش، دراسات عن ...، ج.2، المرجع السابق، ص 461.

⁴ Daniel Panzac, Op-Cit, p 63.

⁵ المنور مروش، دراسات عن...، المرجع نفسه، ج.2، ص 407.

على الدّاي والبت فيها، خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، وتزامن هذا التطوّر بالتّدهور التدرّجي للأسطول الجزائري، وتراجعاً لمداخله، خاصّة مع التطورات التي حدثت في الساحة الدولية، من اختلال في موازين القوى، بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط. الشمالية بتقدمها الصناعي والتقني، والتسابق نحو امتلاك أساطيل حربية وتجارية قوية مسلحة بأسلحة متطورة، ساعيين من خلاله للاستحواذ على التجارة العالمية واحتكارها؛ خاصة في ظل التنافس الكبير بين الدول الكبرى كفرنسا، إنجلترا هولندا، وفيما بعد أمريكا، ساعيين لحماية تجارتهم أو فرض منطقهم التجاري بكل الأساليب حتى لو كانت غير شرعية؛ كاستغلال فرسان القديس يوحنا لضرب تجارة الإيالة، وفرض معاهدات تصب لصالحهم، حيث زاجوا بين استعمال القوة، الهجومات البحرية كما سبق وأن ذكرت، والوسائل الدبلوماسية أثناء مفاوضاتهم، في مقابل الضفة الجنوبية بجميع بلدانها خاصة إيالة الجزائر، والتي عرفت في ظل هذه الظروف الخارجية، تقلصاً لوحدة الأسطول، ورياسه، نتيجة لعدة أسباب كالأوبئة، شح التجهيزات الحربية والبحرية، نقص مادة الخشب...، والسياسة الممنّهة التي اتبعتها الدول الأوروبية للتقليل من عدد الرياس الماهرة، لمنع انتقال التقنية للإيالة، كل هذه الظروف والعوامل ساعدت بشكل مباشر أو غير مباشر في تراجع مداخل البحرية الجزائرية، فما هي مظاهر هذا التراجع؟ وهل كان تراجع بوتيرة مستمرة أو حدث تناوب بين النزول والصعود للمداخل؟ وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل المقبل.

الفصل الثالث :

مظاهر تراجع مداخل البحرية الجزائرية

المبحث الأول: الأسرى

1- أعداد الأسرى

2- التوزيع الجغرافي للأسرى

3- فدية الأسرى

المبحث الثاني: الغنائم المتحصلة عليها من الحملات البحرية

1- غنائم البحرية في الفترة 1671-1699م

2- الغنائم البحرية في الفترة 1700-1764م

3- غنائم البحرية في الفترة 1765-1830م

المبحث الثالث: الإتاوات والهدايا

1- الإتاوات

2- الهدايا

شاهدنا في الفصل الأول كيف أنّ الأسطول البحري الجزائري كان في أوج قوّته، خاصّة في الفترة 1580-1640م (وهي فترة الغنائم القصوى)، يجوب عباب البحار والمحيطات، جالباً غنائم في أشكالها المختلفة من أسرى، سلع، معدات حربية،... إلخ، إلّا أنّه منذ النّصف الثّاني من القرن السّابع عشر الميلادي (17م)، تتفاعل عدّة متغيّرات داخلية وخارجية، تؤدّي إلى حتمية التّراجع لهاته المداخل والتي تأتي من ثلاث مصادر (حمولات السّفن بالغنائم التي تؤخذ من البحر، مبالغ افتداء الأسرى، الإتاوات والهدايا).

فما هي مظاهر تراجع المداخل البحرية؟ وهل كان التّراجع بوتيرة مستمرة أم تخلّله انتعاش في بعض الفترات؟ ماهي أسباب هذا الانتعاش؟ وكيف سيكون إنعكاسه على الإيالة؟

المبحث الأول: الأسرى

كانت لعملية الأسر وأموال الفدية من بين المداخل المهمة التي جلبت للإيالة، خاصّة خلال العصر الذهبي للبحرية الجزائرية، إلّا أنّ أعداد الأسرى سيعرف تراجعاً منذ النّصف الثّاني من القرن السّابع عشر الميلادي (17م)، مع تقلّبات بين الفترة والأخرى، وهذا التراجع له مظاهر متعدّدة، عبر فترات زمنية مختلفة، وسنقوم في هذه الجزئية بدراسة وصفية لتراجع أعداد الأسرى في هاته الفترات.

1- أعداد الأسرى

1-1 الفترة 1671-1699م

عرفنا أنّ هاته الفترة، هي بداية حكم الدّايات، والتي افتتحت عهدها بالدّاي الحاج محمّد تريك، وهو من رياس البحر كما سبق ذكره، كانت سياسته الخارجية تهدف إلى تحسين العلاقات مع فرنسا، حيث استمرّ السّلم بين فرنسا والإيالة حتّى سنة 1683م، ومع إنجلترا حتّى سنة 1677م، خلال هاته الفترة ستشهد البحرية نهوضاً مؤقتاً يستمر إلى عهدة ميزومرتو (mezomerto)، ليعرف بعدها أي في الربع الأخير من القرن السّابع عشر الميلادي (17م)، وبالتّحديد عندما قصف أسطول لويس الرّابع عشر لمدينة الجزائر، 1683م،

ومعاهدة السلام التي تلتها؛ انخفاضاً ملحوظاً، في أرقام الأسرى ليستمر رغم بعض الانتعاش حتى إلى القرن التاسع عشر الميلادي (19م)¹.

إنّ احصائيات الأسرى في إيالة الجزائر، له من الصعوبة بما كان، خاصّة أنّ التقديرات المقدمة غير محددة المجال هل هاته الأرقام هي لمدينة الجزائر؟ أو للمدينة مع ريفها؟ أو للإيالة كاملة²؟ في هاته الحالة يذكر فيديريكو كريستي (Federico Christi)، دراسة لأندرية ريموند (André Raymond) يدعو فيها لعدم الوثوق في التقديرات المقدمة من طرف الوثائق المكتوبة التي تذكر عدد الأسرى في مدينة الجزائر (السجلات المحلية، أو الوثائق القنصلية، أو جوازات السفر، وما إلى ذلك)، ويدعو إلى اللجوء لحقائق الهيكل الحضري والمعالم الأثرية³.

تشير الاحصائيات أنه كان يوجد بالجزائر في الفترة الممتدة من 1578-1680م ما بين 12.000 و 40.000 أسير، أما خوسيه أنطونيو مارتينيز (José Antonio Martinez) فيشير إلى أنّه خلال الفترة 1582-1690م، أسر البحارة المغاربة ما مجموعه 49460 أسيراً (حوالي 458 في السنة)، معظمهم من سواحل إيطاليا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وإنجلترا⁴، بحيث استطاع البحارة الجزائريون بين سنتي 1672-1682م، أخذ ما لا يقل عن 353 سفينة إنجليزية، هذا يعني أسر ما بين 290 و 430 أسير جديد كل سنة⁵.

وفي 16 فيفري 1676م يذكر القنصل الفرنسي، جيء بـ 1.500 أسير مسيحي إلى الجزائر⁶، أما توماس هيس (Thomas Hesse) فيذكر أنّه في سنة 1677م، كان في الجزائر 590 أسير هولندي، 420 من الجمهورية، والآخرين هم من البحارة الألمان والإسكندنافيتين،

¹ Cresti Federico, Op-Cit, p 128.

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ José Antonio Martinez Torres, Op-Cit, p 73.

⁵ Robert Davis, *Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans, L'esclave Blanc en Méditerranée 1600-1800*, Tr. Manuel Tricoteau, p. aris: Ed. Jacqueline Chambon, 2006, p 4

⁶ المنور مروش، دراسات عن ..، المرجع السابق، ج.2، المرجع السابق، ص 342.

أخذوا على متن 70 سفينة هولندية¹، ويذكر جوزيف مورجان (Joseph Morgan)، ما بين جوان 1677م إلى أكتوبر 1680م، أسر الجزائريون 160 سفينة إنجليزية أو تابعة للمملكة البريطانية، وإذا أخذنا متوسط عدد الركاب في السفينة 10 ركاب (عدد الركاب فيها ما بين 8-12) راكب فإن عدد الأسرى في هاته الفترة هو 1.600 إنجليزي²، وهذا ما تناولته عريضة مقدمة للبرلمان الإنجليزي سنة 1680م حيث تتناول أوضاع الأسرى وعدده وكيفية الحد من هذه الظاهرة، " لقد أخذ الجزائريون منذ تصدع علاقاتنا معهم ما لا يقل عن 140 سفينة شراعية وسفن أخرى، والكثير منها محملة ببضائع ثمينة، كما يوجد في الجزائر في هذا الوقت 1.500 انجليزي، إلى جانب العديد من المئات الذين ماتوا هناك بالطاعون"³، وفي رسالة كتبها القنصل الفرنسي في جويلية 1690م يذكر فيها أن عدد الأسرى الفرنسيين في الإيالة هو بين 700 و 800 أسير⁴.

ما نلاحظه من التقديرات المقدمة أعلاه، أن أعداد الأسرى في هاته الفترة مرتفع جداً، مما يعطي انطباعاً بالنشاط الكبير والمتواصل لأعمال البحرية الجزائرية، ولتوضيح أكثر نضع هذان الجدولان بهدف توضيح أعداد الأسرى حسب دراستين مختلفتين:

جدول رقم (14) يوضح أحصاء عدد الأسرى في الفترة 1675-1698م⁵

السنة	عدد الأسرى	المصدر
1675م	12000 - 6000	Arvieux, Vol 06,225
1678 م	30.000 - 20.000	De Fercourt in Vresti 159
1681 م	5.000 أو أكثر	CPF/ SOCG-, P 503
1682 م	17.000	Barbarella
1683 م	40.000-35.000	Pétis de la Crox, 21
1687 م	10.000	Bombard, vol 02, p 78
1691م	36.000 من مختلف الجنسيات	Planet, p 251
1693م	أكثر من 4.000	CPF/SOCG-03, p.144
1694 م	أكثر من 10.000 منهم 2.000 يوناني	CFP/SOCG-01, p.54
1698 م	2.800	CFP/SOCG-03, p.377

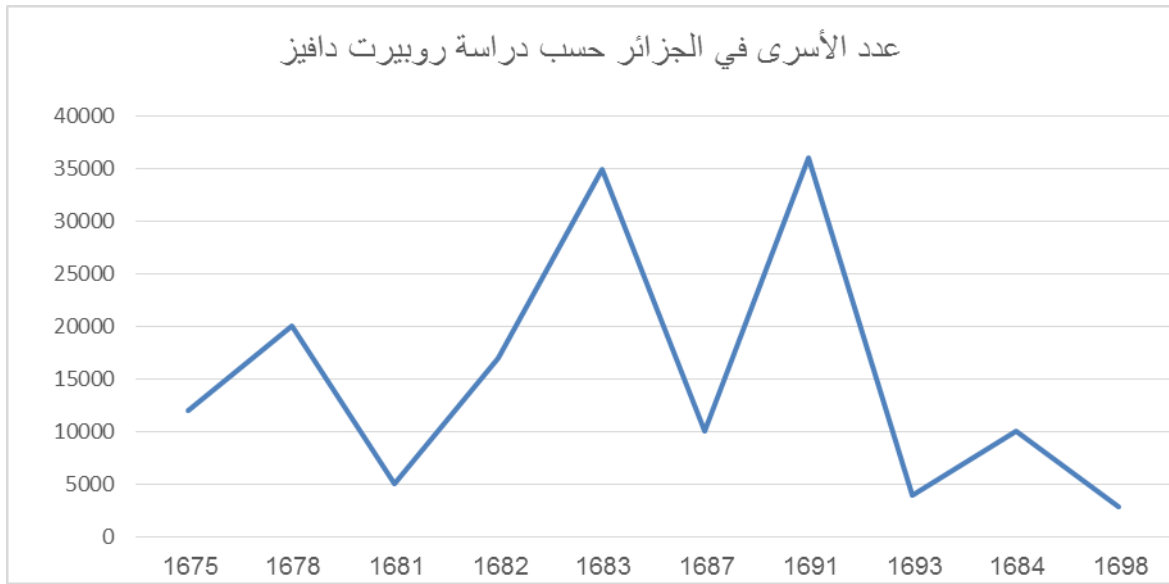
¹ GÉRARD Van Krieken , **Corsaires et Marchands Les relations entre Alger et les Pays-Bas 1604 – 1830**, EDItIoNS BouchENE, , 2002,p 70.

² Robert Davis,Op –Cit, p 23

³ The Case of many hundreds of poor English-captives in Algier together with some remedies to prevent their increase : **humbly represented to both Houses of Parliament**, London, 1680, p 1, <https://quod.lib.umich.edu/>

⁴ المنور مروش، دراسات عن... المرجع السابق، ج.2، ص 347.

⁵ Robert Davis, , **Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans, L'esclave Blanc en Méditerranée 1600-1800**, Tr. Manuel Tricoteau, p.aris: Ed. Jacqueline Chambon, 2006, p-p, 314-315.

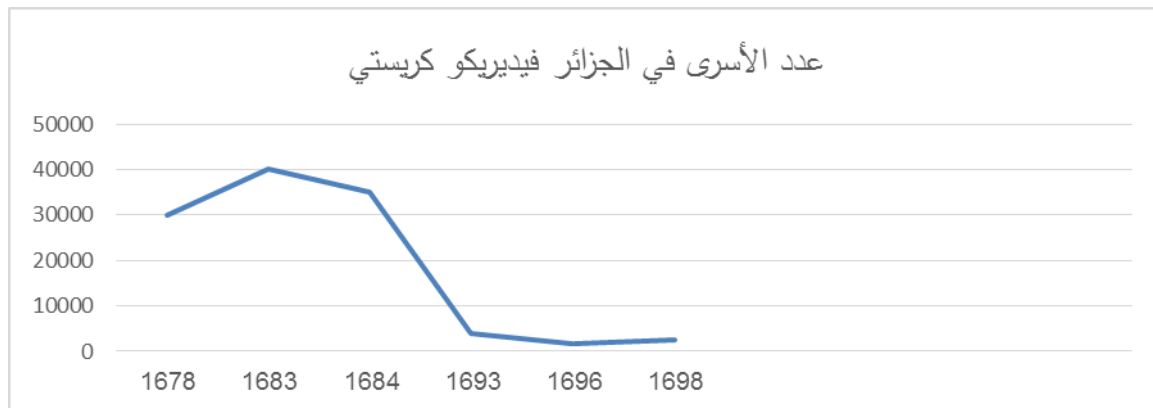


الشكل رقم (7) منحنى يوضح عدد الأسرى في الجزائر في الفترة 1675-1698م

جدول (15): يوضح عدد الاسرى حسب دراسة فيديريكو كريستي¹ 1678-1698م

السنة	تعداد الاسرى	مصدر الاحصاء
1678	من 20/30000	De Fercourt
1683	35/40000	A. Manesson Mallet
1684	35000	Pétis de la Croix
1693	4000	Lorance (Arch. «De Propaganda Fide»)
1696	1600	Lorance (idem)
1698	2.600	Lorance (idem)

الشكل رقم (8) منحنى يوضح عدد الأسرى في الجزائر في الفترة 1678-1698م



¹ Cresti Federico, Op-Cit, p 131.

ما نلاحظه من كلا الجدولين (14) و(15)، والشكليين (7) و(8) أن سنة 1683م، كانت سنة مفصلية، بحيث كان عدد الأسرى هو 35.000 أسير، وبعدها يبدأ عدد الأسرى في التراجع، ويرجع ذلك إلى الحملة الفرنسية للأدميرال دوكين 1682-1683م والتي طلب فيها من الداى بأن يفرج حالاً على جميع الأسرى الفرنسيين والأوروبيين دون استثناء وبدون دفع أي رسوم¹، وأفرج الداى وقتها على 550 أسير فرنسي². غير أن منحى روبيرت دافيز يظهر أن عدد الأسرى عاود الارتفاع في سنة 1691م ليصل إلى 35.000 أسير، ثم ترجع الأرقام لتتخفّف في كلا المنحنيين وذلك في سنة 1698م، وهي السنة التي اتّفقاً فيها تقريباً في عدد الأسرى حيث أعطي منحى دافيز 2.800 أسير ومنحى كريستي 2.600 أسير وهي أرقام مقارنة نوعاً ما، ذلك يذكر القنصل الفرنسي Durand أنّه في 4 أوت 1698م، ضرب وباء الطاعون وكان مدمراً حيث كان عدد ضحاياه 24.000³، أما دي غرامون (De Grammon) فيذكر أنّه في هاته السنة انتشر وباء الطاعون واستمر لمدة أربع سنوات كان يؤدي الي موت من 25 ألف إلى 45 ألف شخص في السنة⁴، وكان الداى الحج احمد (1695-1698م)⁵، من بين ضحايا هذا الوباء، وعلى العموم فإن عقد الثمانينات من القرن السابع عشر الميلادي 17م شهد إضافة إلى وباء الطاعون، حدوث مجاعات كبيرة، وسُميت بعض السنوات منه بسنوات الشّر⁶، كسنة 1687م، وسنة 1688م⁷.

إنّ تراجع عدد الأسرى في الإيالة له عدة تفسيرات، منها ما هو متعلّق بالوضع الصّحّي في الجزائر حيث يذكر التقرير الانجليزي أن خلال سنة 1680م مات المئات من الأسرى الإنجليز في الجزائر بسبب الطاعون، أيضاً منها ما هو متعلّق بأعمال البحرية

¹ جمال قنان نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص 147.

² أحمد توفيق المدني، محمد عثمان...، المرجع السابق، ص 43.

³ محمد أمين، المرجع السابق، ص 54.

⁴ De Grammont, Op-Cit, p 269.

⁵ عائشة غطاس، الدولة الجزائرية...، المرجع السابق، ص 56.

⁶ سنة الشّر هي أن الوفيات تتراوح بين العشرة والعشرون بالمئة من السكان.

⁷ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 158.

الجزائرية، وتقيدتها بالمعاهدات حيث أن خلال الربع الأخير من القرن السابع عشر (17م)، كانت الإيالة قد عقدت معاهدات سلام مع كل من فرنسا، إنجلترا، وهولندا.

ومنها ما هو متعلق بالمعاهدات، حيث أن كل معاهدات السلم والتجارة، التي تعقد مع إيالة الجزائر عالجت في طياتها ظاهرة الأسر، وطريقة الافتداء، حيث خصصت بنود في المعاهدات المبرمة، لتحرير أو لتبادل الأسرى، كالمعاهدة الموقعة بين الجزائر وفرنسا في 24 أبريل 1684م، والتي تطرقت إلى وضعية الأسرى الفرنسيين في الجزائر، فالبند 4 منها نصّ على ضرورة تبادل الأسرى الموجودين في كلا البلدين، أمّا البند 7: نص على اطلاق سراح كل الأسرى الفرنسيين الذين أسروا من قبل أعداء فرنسا، واقتيدوا إلى الجزائر، أمّا البند 9: نص على جمع كل الأسرى الفرنسيين المتواجدين بجميع أنحاء الجزائر، ونفس التسهيلات تتم في فرنسا¹، هذا ونفس الموضوع عالجته معاهدة السلم المئوية 1689م، في البند 4 و 10 و 11، شراء وتبادل الأسرى².

أيضا عمليات الفداء بدأت في تصاعد كبير، مما كان له دورا في تناقص عدد الأسرى بالجزائر حيث تمّ في الفترة الممتدة من 1670-1702م، فدية 2401 أسير إسباني في الجزائر أي بمعدّل 76 أسيراً في السنة³، هذا ما يفسّر تراجع عدد الأسرى منذ سنة 1698م.

1-2 الفترة 1700-1789م:

في هاته الفترة ستشهد عدد الأسرى تراجعا كبيرا⁴، ذلك أن بحلول منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، غالبية الدول الأوروبية هي في سلام مع إيالة الجزائر⁵، من خلال عقدهم لمعاهدات سلم وتجارة، ووُجّهت أعمال البحرية في هاته الفترة ضد إسبانيا، البرتغال، مملكة نابولي، جمهورية البندقية، فرسان مالطا، ومع ذلك هاته الدول قد بدأت تشهد تنامي وانتعاش كبير لتجاريتها كالبندقية، وكانت في حاجة إلى السلام للمحافظة عليها،

¹ جمال قنان، معاهدات... المرجع السابق، ص 99.

² جمال قنان، نصوص و وثائق... المرجع السابق، ص ص 158، 159.

³ Attila Ambrus, "Pirates of the Mediterranean: An Empirical Investigation of Bargaining with Transaction Costs", Harvard University Press, 2011, p 17.

⁴ De Grammont, Op-Cit, p 269.

⁵ لقد أشرت في الفصل السابق إلى تواريخ المعاهدات التي أبرمتها الدول الأوروبية مع الإيالة

فسعت إلى عقد معاهدة سلام وتجارة مع إيالة الجزائر في 1764م، ثم بحثت البرتغال أيضا عن تأمين تجارتها فعقدت معاهدة في 1785م، وأخيراً العدو للدود للإيالة إسبانيا تعقد معاهدة بعد فشل حملاتها العسكرية كما أشرنا سابقاً، سنة 1786م¹.

إنّ الالتزام باحترام المعاهدات المبرمة سيؤدّي حتماً إلى تقيّد أعمال البحرية، مما سينعكس على أعداد الأسرى، خاصة أن المعاهدات تنص في بنودها على تقييد أعمال البحرية ومعالجة ظاهرة الأسرى وكيفية افتدائهم.

أمّا عن عدد الأسرى في هاته الفترة سنقدمه في جداول ومنحنيات من مأخوذ من دراسة دافيز وكريستي ودفتر التّشريفات:

جدول رقم (16) يوضح أحصاء عدد الأسرى في الفترة 1700-1789م²

السنة	عدد الأسرى	المصدر
1701م	أكثر من 20.000 مسيحي	CFP/SOCCG-03, p 408
1710م	أقل من 3.000 مسيحي	CFP/SOCCG-03, p 414
1719م	4.000	Gueludville in Cresti, 159
1721م	أقل من 5.000	CFP/SOCCG-04, p.491
1729م	أكثر من 5.000	CFP/SOCCG-06,p 210
1734م	أكثر من 4.000	CFP/SOCCG-05,p 516
1738م	حوالي 2.000	Shaw in Christi
1749م	7.000	Bombard, vol 02, p.210
1749م	7.000 - 6.000	CFP/SOCCG-06, p.210
1763م	3.000	CFP/SOCCG-07, p.122
1773م	2.000 يحتمل أنهم كاثوليك	CFP/SOCCG-06, p.210
1774م	1.900 كاثوليك	CFP/SOCCG-07, p.653
1779م	3.000	Thédenat, p 1591785
1785م	1.800 كاثوليك و أكثر من 100 يوناني أرثوذكسي	Bombard, Vol 02, 584
1785م	315 أسير فرنسي حرروا من الجزائر	Trinitaires
1787م	2.000	Venture de Paradis, 154
1788 م	800	Von Renhinder et Rynal in CRISTI, p,159
1789 م	500	Venture de Paradis, 154

¹ Daniel Panzac, Op-Cit, p 39.

² Robert Davis, Op-Cit, p, 314-315.

جدول(17): يوضح عدد الأسرى بداية القرن 18م حسب دراسة فيديريكو كريستي¹

السنة	تعداد الأسرى	مصدر الإحصاء
1700 م	10.000 /8	Comelin et De la Motte
1701 م	3.000	Lorance (Arch. «De Propaganda Fide »)
1719 م	4.000	Gueudeville (Atlas)
1729 م	10.000/9	Fau
1729 م	أكثر من 5.000	Vander Aa
1738 م	حوالي 2.000	Shaw
1785 م	2.000	Von Rehbinder (cit. Lespès)
1787 م	2.000	Venture de Paradis
1788 م	800	Von Rehbinder
1788 م	800	G.T. Raynal
1789 م	500	Venture de Paradis

جدول رقم (18): يوضح أعداد الأسرى حسب دفتر التّشريفات²

السنة	عدد الأسرى	السنة	عدد الأسرى
1736 م	1063	1763 م	1900
1737 م	931	1764 م	1920
1738 م	705	1765 م(مكرر)	1944/1904
1739 م	569	1766 م	2004
1740 م	412	1767 م	2062
1741 م	499	1768 م	1131
1742 م	530	1769 م	1226
1743 م	582	1770 م	1323
1744 م	793	1771 م	1320
1745 م	741	1772 م	1190
1746 م ³	783	1773 م	1326
1747 م	821	1774 م	1376
1748 م	1003	1775 م	1373
1749 م	950	1776 م	1468

¹ Cresti Federico, Op-Cit,p 131.

² A devoulx, **Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de L'ancienne régence D'alger**, Conservateur des archives arabes des Domaines,Alger, imprimerie de gouvernement, 1852,p 86.

³ مكتوبة 1716 ونظرا لتوالي السنوات صححت 1746.

1501	1777 م	1063	1750 م
1369	1778 م	1773	1751 م
1481	1779 م	609	1752 م
1494	1780 م	632	1753 م
1586	1781 م	591	1754 م
1532	1782 م	564	1755 م
1507	1783 م	964	1756 م
1520	1784 م	1561	1757 م
1372	1785 م	1571	1758 م
1426	1786 م	1753	1759 م
572	1787 م	1941	1760 م
574	1788 م	1993	1761 م
659	1789 م	1902	1762 م

من خلال الجداول (16) و(17) و(18) الموضحة أعلاه نلاحظ الاتفاق العام على الانخفاض الكبير والمستمر في عدد الأسرى، بالرغم من تخلل هذا الانخفاض بعض الانتعاش لكنه، سرعان ما يعود لتراجع. الجدول رقم(16)، والجدول رقم(17) يتفقان أن بداية القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، كان عدد الأسرى مرتفع، ويحملان تناقض كبير بحيث الجدول (16) يتناقضان في سنة 1701م عن الجدول (17)، فالجدول الأول يذكر أن سنة 1700م كان عدد الأسرى 20.000، وبعد سنة أي 1701م أصبح العدد 3.000، أمّا الجدول الثاني فيذكر أن عدد الأسرى سنة 1701 هو 10.000، إنّ هذا التناقض يعود لمصدر المعلومة التي اعتمدت عليها كلّ دراسة في معطياته، وتعتبر الفترة من 1702-1714م هي حروب ولاية العهد الإسبانية¹ والتي أسرت خلالها البحرية الجزائرية 6 سفن بالنسبة

¹ هي حرب اندلعت في بداية القرن الثامن عشر 18م، بسبب مشكل ولاية العهد الاسباني، ذلك أن الملك كالوس الثاني لم يكن له وريث، وعند موته ادعى أميران عرش إسبانيا، الأول فليبي الخامس البربوني، والثاني كالوس الثالث الهامبسيورغي، كان فليبي مدعوم من قبل فرنسا، وكالوس الثالث مدعوم من قبل النمسا والمملكة الانجليزية، وهولندا، أدخلت هذه الحرب الدول الأوروبية، في صراعات كبيرة هدفها الحيلولة دون اتحاد فرنسا وإسبانيا، حفاظا على توازن القوى، امتدت الحرب من 1700 إلى 1714م، بتوقيع معاهدة أوترخت هاته المعاهدة التي حصلت إنجلترا بموجبها على السيطرة على مضيق جبل طارق، وضمنت عدم اتحاد إسبانيا وفرنسا، ضعفت خلال هاته الحرب هولندا وبرزت إنجلترا كقوة بحرية عالمية، ينظر: جون ب وولف، المرجع السابق، ص، ص 374، 347. وأيضا

Albareda Salvadó, Joaquim, *La Guerra de Sucesión de España (1700-1714), Cuadernos de Historia Moderna, Reseñas bibliográficas*, Virginia León Sanz Universidad Complutense de Madrid, 2011, 36, pp 237,239.

لبروفانس¹، و13 سفينة بالنسبة لدول أوروبية أخرى²، كما تزامنت مع الحروب بين إيالة الجزائر وإيالة تونس، ومع المغرب الأقصى، وكذا حرب استرجاع وهران والمرسى الكبير 1708م، والتي تم خلالها أسر 2000 جندي أسباني³.

نلاحظ أنه في الفترة 1756-1763م، وحسب الجدول رقم (18) وصل عدد الأسرى تقريبا إلى 2.000 أسير، رغم تزامن هاته الفترة بانشغال كل من إنجلترا وفرنسا في حرب السبع سنوات⁴، هذا يؤدي إلى انفراج في أعمال البحرية الجزائرية، حيث استطاعت خلالها من أسر 28 سفينة أوروبية من مختلف الجنسيات بما فيها 10 لمقاطعة بروفانس⁵، ورغم ذلك فعدد الأسرى كما قلنا لم يتجاوز 2100 أسير فقط مما يعطي انطبعا باحترام الإيالة للاتفاقيات المبرمة مع الدول الأخرى.

وكانت الفترة الممتدة من 1770-1786م فترة الحملات البحرية على الإيالة الحملة الدنماركية 1770م، والحملات الإسبانية⁶ 1775، 1783، 1784م، خلال هاته الفترة اطلق العنان للرياس، لمزاولة اعمالهم ضد سفن هاته الدول، والتي انتهت بتوقيع معاهدة مع إسبانيا

¹ يرى المنور مروش في هاته النقطة أن ادراج الجزائر ضمن قائمة البريارسك الذين اخذوا خلال هاته الفترة سفن للمقاطعات فرنسية انما هو خلط لان الإيالة في هاته الفترة هي في حالة سلام معهم، وان البريارسك المقصودة انما هي مدينة سلا لأنها كانت في حالة حرب مع الفرنسيين، ينظر: المنور مروش، دراسات عن .. المرجع السابق، ج.2، المرجع السابق، ص 340.

² محمد امين، المرجع السابق، ص 40.

³ De Grammont, Op-Cit, p 274.

⁴ هي أحد أعظم الحروب في التاريخ، شملت هذه الحرب عدة معارك كبرى في أوروبا، وأميركا الشمالية، وكذلك الوسطى، والجنوبية، بالإضافة إلى معارك في جنوب آسيا، وجنوبها الشرقي، وأيضاً في غرب إفريقيا. شاركت معظم القوى الكبرى - باستثناء الدولة العثمانية، والصين، في هذه الحرب العالمية، كانت الحرب في الأساس بين بريطانيا وفرنسا للتنافس على الصدارة العالمية؛ ولكن سرعان ما تطور الأمر لحرب عالمية كبرى. تُعتبر هذه الحرب من أشد الحروب تعقيداً؛ حيث تغيرت فيها التحالفات التقليدية بشكل مفاجئ، إلى درجة أن كثيراً من المؤرخين يعتبرون ما حدث فيها هو "ثورة دبلوماسية" Diplomatic Revolution على الأعراف المعتادة، ينظر: J. O. Lindsay, The New Cambridge Modern History, The Old Regime, 1713-1763, Cambridge University Press, Cambridge, UK, 1957, vol. 7, pp 440-464, <https://books.google.je/books>

⁵ Daniel Panzac, Op-Cit, p40.

⁶ مؤلف مجهول، فقرة في سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران، ص 6.

14 جوان 1786م، وعليه تنتهي عملية الأسر لسفن الإسبانية، وتصبح جميع الدول في حالة سلام مع الإيالة مما يؤدي حتما لتناقص أعداد الأسرى، وهو ما وضحه الجدول رقم (18) بعد سنة 1787م تتراجع الاعداد إلى أقل من 1.000 أسير خاصة أن هاته الفترة حدث فيها وباء الطاعون الذي حصد عددا كبيرا من أرواح الأسرى¹.

بالرغم من أن الفترة 1766-1791م هي فترة حكم الداوي محمد بن عثمان وقد عرفنا أن هذا الداوي أولى اهتمام كبير بالبحرية الجزائرية، لهذا نلاحظ رغم الحملات الأوروبية، غير أن أعمال البحرية لم تتوقف وكان أعداد الأسرى يتراوح بين الألف والنصف في أغلب هذه الفترة.

1-3 الفترة 1790-1816م

عرفت هاته الفترة عدة متغيرات دولية، وتطورات داخلية، كان لها أثرا ظاهرا على أعمال البحرية الجزائرية، خاصة بعد اندلاع الثورة الفرنسية 1789م، والحروب النابليونية 1802-1815م²، في القارة الأوروبية والتي انشغلت بها الدول الكبرى، وظهر قبطان وطني ذاع صيته بالانتصارات التي حققها (الرايس حميدو)، إن هذا الوضع الاستثنائي، سيجعل من عمليات الأسر تعرف انتعاشا مؤقتا، والجداول التالية تعطي لنا فكرة حول الارتفاع التدريجي، للأسر والذي سيكون بين مدّ وجزر، حسب الأوضاع الدولية.

جدول رقم (19): عدد الأسر حسب دفتر التّشريفات

السنة	عدد الأسرى	السنة	عدد الأسرى
1790م	715 ³	1803م	901
1791م	762	1804م	901
1792م	832	1805م	1022
1793م	755	1806م	1228

¹ كركاث، المصدر السابق، ص 59.

² هناك من يجعل تاريخ تولي نابليون الحكم هو تاريخ بداية الحروب النابليونية، 1799.

³ يذكر اوبراين وهو أسير امريكي في الجزائر في رسالة وجهها إلى توماس جيفرسون في 12 يوليو 1790 أنه كان في الجزائر 3000 أسير من إسبانيا ونابلي ودول أخرى، ينظر: محاضرات مجلس الأمة الأمريكي، المصدر السابق، ص 28.

1267	1807م	779	1794م
1422	1808م	896	¹ 1794م
1545	1809م	730	1795م
1357	1810م	659	1796م
1345	1811م	546	1797م
1475	1812م	1168	1798م
1656	1813م	1019	1799م
1525	1814م	² 860	1800م
1450	1815م	545	1801م
1016	1816م	772	1802م

جدول رقم (20): عدد الأسرى في الفترة 1795 - 1816 حسب بنزك³

السنة	عدد الأسرى
1795م	630
1799م	1050
1802م	937
1811م	1494
1813م	1645
1815م	1487
1816م	1065

من خلال الجدولين (19) و (20) نلاحظ اختلاف في أعداد الأسرى في كل سنة ويرجع هذا إلى مصدر المعطيات، فدفتر التشريعات هو وثيقة رسمية، كانت تسجل بها كل كبيرة وصغيرة، أما دراسة بنزك فقد اعتمد على مصدر مهم في دراسته، وهو سجلات القنصلية الفرنسية، أما أوجه الاتفاق في الجدولين هو إستعادة نشاط الأعمال البحرية، من خلال الارتفاع الملحوظ في عدد الأسرى بدأ منذ أن اعتلى نابليون الحكم ليستمر إلى غاية حملة اللورد اكسموث.

¹ العام الموالي من الأشهر الهجرية أي الأولى في شعبان 1208هـ والثانية في السنة الموالية أي 1209هـ.

² يذكر وليام سبنسر انه في سنة 1800 كان هناك 1200 أسير في مدينة الجزائر ينظر: وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 160.

³ DANIEL PANZAC, Op-Cit, p 114.

إذا فرغ الانتعاش النسبي الذي عرفته البحرية إلا أنه يعطي انطباعاً أن هذا الانتعاش لم يكن إلا هامش ترك بسبب إهتمام الدول الأوروبية، بالحروب التي يشنها نابليون ضد الملكية، ما نلاحظه أيضاً أنه رغم الأعداد الضئيلة لأسرى البحر إلا أن أعداد الأسرى حسب الجدولين رقم (19) و (20) لم تنزل على الألف، رغم عمليات الفداء، وما يفسر هذا هو أسرى الحروب خاصة حروب استرجاع وهران 1708م، كما ذكرنا وقع خلالها 2.000 جندي إسباني، أو الجنود الفارين من التكنات الإسبانية حيث وصل عددهم حسب كاتكارت 1.000 من مختلف الجنسيات¹، وإعادة احتلالها من قبل الإسبان سنة 1732م، وقع عدد كبير من الجنود في الأسر، ولذا فمنور مروش يذكر أن أسرى الحروب والجنود الفارين من التكنات هم الذين يشكلون معظم الأسرى في الجزائر².

وحتى أستطيع إعطاء صورة أوضح حول مسار تراجع عدد الأسرى قمتُ بمحاولة دمج كل من الجداول رقم (14) و (15)؛ واللذان يمثلان جدولاً لقيم الأسرى؛ مأخوذ من دراسة روبيرت دافيز خلال الفترة 1675-1789م وسأطلق عليهم في هذه الفقرة جدول رقم (1). والجدولان رقم (16) و (17) وهما جدولان لقيم الأسرى مأخوذان من دراسة فيديريكو كريستي (Federico Christi) للفترة 1678-1789م وسأطلق عليهم جدول رقم (2). والجدولان رقم (18) و (19) مأخوذان من دفتر التشريفات لألبير ديفو للفترة 1736-1816م، وسأطلق عليهم جدول رقم (3). أما الجدول رقم (20) والذي يمثل قيم الأسرى للفترة 1775-1816م حسب دراسة بنزاك والذي سيبقى يحمل رقم (20).

عملية تركيب الجدول الجديد أو الجدول رقم (21)، تكون كما يلي:

عند مقارنة الجدول رقم (1) والجدول رقم (2) نجد أن هناك اختلاف بين قيم الجدولين، إلا في الثلث سنوات التالية 1787-1788-1789م. وبما أن الجدولين يغطيان بداية فترة الدراسة، وعليه يمكن اعتماد قيمة متوسطة بينهما، ولكن أفضلية اتخاذ قيم الجدول رقم (1)؛

¹ مذكرات كاتكارت، المصدر السابق، 111.

² المنور مروش، دراسات عن... المرجع السابق، ج.2، ص 396.

ابتداءً من سنة 1775م إلى غاية 1698م. وفي سنة 1700م نأخذ قيمة الأسرى من الجدول رقم (2) ليكون العدد 1000 أسير، ثم نرجع لقيم الجدول رقم (1) إلى غاية 1734م، وفي سنتي 1736 و 1737 أخذ قيمتها من الجدول رقم (3) وهما على التوالي 1063-931 أسير. ثم أرجع في أخذ قيمة الأسرى لسنة 1738م من الجدول رقم (1). ثم نرجع إلى وضع قيم الجدول رقم (3) ابتداءً من 1739م إلى غاية 1816م، أما سنة 1749م فنأخذ قيمة الأسرى من الجدول رقم (1)، وكذلك قيم الأسرى للسنوات 1763-1773-1774-1779م. أما قيم الأسرى التي ستعتمد لسنوات 1787-1788-1789م فهما متطابقتان في الجدولين رقم (1) و (2) كما ذكرت أعلاه. وقيم الأسرى للسنتين 1785م و سنة 1796م فنأخذ قيمتهما من جدول رقم (2). لنكمل الجدول إلى غاية 1816م من قيم الجدول رقم (3).

ويكون الجدول المركب كالتالي:

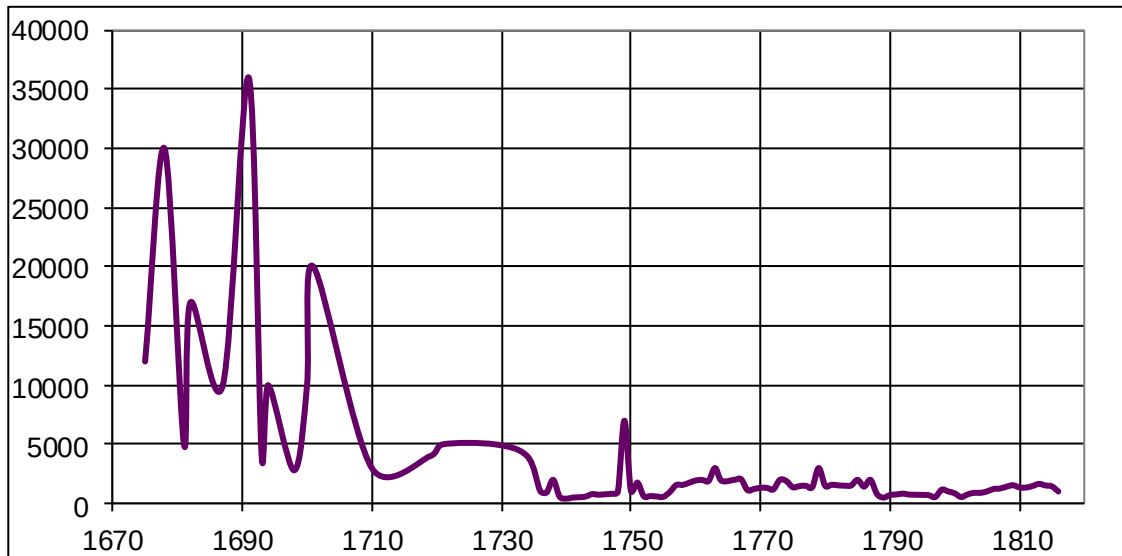
جدول رقم (21) يوضح أعداد الأسرى من 1675-1816م

السنة	عدد الأسرى	السنة	عدد الأسرى	السنة	عدد الأسرى
1675م	12000	1752	609	1785م	2000
1678م	30000	1753	632	1786م	1426
1681م	5000	1754	591	1787م	2000
1682م	17000	1755	564	1788م	800
1687م	10000	1756	964	1789م	500
1691م	36000	1757	1561	1790م	715
1693م	4000	1758	1571	1791م	762
1694م	10000	1759	1753	1792م	832
1698م	2800	1760	1941	1793م	755
1700م	10000	1761	1993	1795م	730
1701م	20000	1762	1902	1796م	700
1710م	3000	1763	3000	1797م	546
1719م	4000	1764	1920	1798م	1168
1721م	5000	1766	2004	1799م	1019
1729م	5000	1767	2062	1800م	860
1734م	4000	1768	1131	1801م	545
1736م	1063	1769	1226	1802م	772
1737م	931	1770	1323	1803م	901
1738م	2000	1771	1320	1804م	901
1739م	569	1772	1190	1805م	1022

1228	1806م	2000	1773	412	1740م
1267	1807م	1900	1774	499	1741م
1422	1808م	1373	1775	530	1742م
1545	1809م	1468	1776	582	1743م
1357	1810م	1501	1777	793	1744م
1345	1811م	1369	1778	741	1745م
1475	1812م	3000	1779	783	1746م
1656	1813م	1494	1780	821	1747م
1525	1814م	1586	1781	1003	1748م
1450	1815م	1532	1782	7000	1749م
1016	1816	1507	1783	1063	1750م
/	/	1520	1784	1773	1751م

من خلال معلومات الجدول رقم (21) نستطيع رسم منحنى بياني يعطي فكرة أوضح عن تراجع عدد الأسرى خلال فترة الدراسة 1671-1830م.

الشكل رقم(9): منحنى بياني لعدد الأسرى من 1675-1816م



من خلال هذا الشكل رقم (9)، نلاحظ مسار التراجع الذي عرفه عدد الأسرى. والذي شهد في بداية الفترة تذبذبا بين الانخفاض والارتفاع، إلى غاية سنة 1710م، ليعرف أعداد الأسرى تراجعا كبيرا رغم تذبذبه؛ ثم يستمر في التراجع المتذبذب إلى غاية 1816 سنة تحرير الأسرى من قبل اللورد اكسموث.

2- التوزيع الجغرافي للأسرى:

بالرجوع لدفتر التّشريفات نجد هناك فقرات توضح التّنوُّع الجغرافي أو جنسيات الأسرى من 1774م إلى سنة 1816م وهي السّنة التي تمّ فيها إطلاق سراح كلّ الأسرى وكان عددهم حسب دفتر التّشريفات دائما هو 1606 أسيرا، عند إلقاء نظرة متفحص لهاته الجنسيات نجد إنّ أغلب أعداد الأسرى في هذه الفترة هي تابعة للدّول التي تمثّل الأعداء التّقليديين للإيالة، إسبانيا، البرتغال، المالطيين النبولتانيين...، كما نجد الحلفاء التّقليديين للإيالة وهم الفرنسيون بأعداد متفاوتة ويظهر أيضا أسرى أمريكيان ابتداء من 1787، والجدول التالي يوضّح هذا:

جدول رقم(22): يوضّح أعداد الأسرى وتوزيعهم الجغرافي من 1774-1816م¹

السنوات	اسماء بلدان التي ينتمي إليها الأسرى													المجموع
	الإسبان	البرتغال	لفرون	فرنسا	اليونان	جنوة	النمسا	روما	كوسيك	سردينيا	مالطا	ش خ	ايطاليا	نابولي
1774م	656	144	7	221	4	34	42	5	15	11	4	23 ²	29	191
1775م	666	161	3	218	3	34	42	5	14	14	3	47 ³	29	286
1778م	781	155	55	248	4	32	38	4	20	13	2	63 ⁴	25	195
1780م	830	15	0	248	0	0	38	0	1	0	0	5 ⁵	42	161
1785م	885	15	32	246	4	64	48	1	10	16	3	75 ⁶	55	167
تغيّر بعض البلدان														
	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ن	ش خ	ن	ن
1787م	886	0	0	0	0	18	54	8	2	0	21	11 ⁷	40	0
1795م	217	40	12	74	11	59	54	1	2	8	28	71 ⁸	40	0

¹ A. devoulx, Tashrifat..., Op-Cit, p p 86, 88.

² بالما 5، طبرقة 17، الدوبرا 1،

³ بالما 5، أهل طبرقة 42.

⁴ 5 من هولندا، 40 من صقلية، 12 من طبرقة، 6 من بالما.

⁵ 3 من صقلية، 2 من بروسيا.

⁶ الهولنديون 5، فلمنجس 4، أهل طبرقة 9، البروسيون 5، 44 من صقلية، 5 من بروسيا، 8 من بالما،

⁷ البروسيون 9، صقلية 3

⁸ البروسيون 10، الدانمارك 8، الفلمنك (Flamands) 40، أهل الدوبرا (gens de Doubra) 2.

									جنوة						
1799م	193	95	0	64	377	95	44	4	25	4	مالطا 77	172	0	0	1050
1802م	33	366	0	0	8	89	47	5	16	0	0	28	0	365	937
1811م	49	360	0	0	116	0	6	53	0	34	أمريكا	242 ³	صقلية	634	1494
1813م	8	0	0	52	372	0	10	52	0	34	24	183 ⁴	285	625	1645
1814- 1815م	مايوركا	0	0	0	30	0	26	174	0	33	10	196 ⁵	325	693	1487
1816م	4	0	0	0	19	0	21	158	0	10	0	185 ⁶	234	434	1065

من خلال الجدول رقم (22) نلاحظ أن أغلب الأمم كان لها أسرى في إيالة الجزائر، حتى الدول التي بينهما علاقات طيبة كفرنسا، أيضا نلاحظ أن الأرقام المرتفعة في البداية كانت من نصيب اسبانيا، فرنسا، البرتغال، نابولي؛ والمُحير في الأمر أن اليونانيين كانوا من رعايا السلطان العثماني منذ 1579م، وكان ظهورهم منذ سنة 1774م، لكن الظهور بشكل ملحوظ كان في عام 1795م، حيث ظهر 11 أسيراً يونانياً فقط، ولكن بحلول عام 1799م وصل العدد إلى 372 أسيراً⁷، وبعد ذلك الوقت انخفض العدد إلى 8 في عام 1802، وعاودوا الظهور بعد عشر سنوات، فبلغ عددهم 116 عام 1811، ثم 372 عام 1813م، على الرغم من أنهم هذه المرة كانوا يونانيين عثمانيين، أي من رعايا السلطان مثل الجزائريين، كان فرمان السلطان في أغسطس 1815م فعالاً بشكل واضح، حيث أصبح هناك 30 أسيراً فقط في نهاية ذلك العام⁸.

• البرتغاليون سنة 1774م كان هناك 144 أسيراً، بعد سنة 1775م يرتفع العدد إلى 161 أسيراً، في سنة 1778م ينزل العدد إلى 155 أسيراً، وفي سنة 1780م نزل العدد إلى 15 أسيراً، يعني أن الأسرى البرتغاليون تم فديتهم خلال هذه الفترة، بعد خمس سنوات يبقى العدد

¹ البروسيون 72

² 8 من صقلية.

³ 242 من صقلية.

⁴ 5 دويرا ، مليلة 159، فلمنك 19

⁵ من مليلية 159، ومن مايوركا 6، فلمنك 26، تبولسا 5

⁶ 5 من طرابلس، 26 من فلمنك، 154 من مليلية.

⁷ من المحتمل أن يكونوا أيونيين، الذين كانوا رعايا البندقية السابقين.

⁸ Daniel Panzac ,Op-Cit, p 115.

نفسه 15 أسير، سنة 1787م، لا يوجد أي أسير برتغالي، وفي سنة 1795م بدأت من جديد البرتغاليون يظهرون من بين الأسرى لتلك السنة، فكان هناك 40 أسيراً، في سنة 1799م ارتفع العدد إلى 95 أسيراً¹، في 1802م، وفي هاته السنة انتصر اليريس حميدو على الفرقاطة البرتغالية ارتفع العدد إلى 365 أسير، وفي سنة 1811م وهي السنة التي وقعت فيها معاهدة سلم بين الإيالة والبرتغال كما أشرنا إليها سابقا كان العدد أسير 360، وبعدها سيبدأ العدد في التنازل حيث سنة 1813م لم يذكر في السجل إي برتغالي².

• **الإسبان:** في سنة 1774م كان هناك 656 أسيراً، حيث شكّلوا نسبة 47% من العدد الإجمالي للأسرى، بعد سنة 1775م زاد العدد بعشرة 10 أسرى، وفي سنة 1778 يرتفع العدد إلى 781 أسيراً، سنة 1780م يرتفع العدد إلى 830 أسيراً، ليشكل نسبة 61% من العدد الإجمالي، بعد خمس سنوات أي سنة 1785 يرتفع العدد بـ 55 فأصبح 885 أسيراً، وفي سنة 1787م، زاد فقط بأسير واحد فقط، في سنة 1795م نزل العدد إلى 217 أسيراً، وفي سنة 1799م انخفض العدد 193 أسيراً³، وفي 1802 أصبح العدد 33 أسيراً، في سنة 1811م كان هناك فقط 49 أسيراً، أما سنة 1813م كان هناك 8 أسرى، وفي 1814م اختفى الأسرى الإسبان في قائمة دفتر التشريعات. بالرغم من عقد معاهدة الصلح بين الطرفين إلا أن الأسرى الإسبان لم يختفوا من قائمة الأسرى⁴.

إن أعداد الأسرى تعطي انطباعاً بنوعية العلاقات بين البلدين، ورأينا في الفصل السابق طبيعة العلاقة بين الإيالة الجزائرية وإسبانية، وكيف أن الهجمات التي شنتها إسبانية على الإيالة سنوات 1775 و 1783 و 1784م، والتي بائت كلها بالفشل، زادت من توتر العلاقات بينهما، لترضخ في الأخير إسبانيا لعقد الصلح، حيث تم بعد مفاوضات طويلة انتهت بعقد معاهدة في 14 جوان 1786م⁵، ثم معاهدة 1790، والانسحاب من وهران 1792⁶، اطلق خلال تلك الفترة العنان لرياس للقيام بأعمالهم البحرية ضد السفن الاسبانية، وبعد تحسن

¹ A. devoulex, Tachrifat., Op-Cit, p p 134, 136.

² Daniel Panzac, Op-Cit, p 114.

³ A. devoulex, Tachrifat., Op-Cit, p p 134, 136.

⁴ كاتكارت، المصدر السابق، ص 111.

⁵ يحي بوعزيز، العلاقات... المرجع السابق، ص

⁶ حنيفي هلايلي، شروط افتداء... المرجع السابق، ص 245.

العلاقات نجد أنّ العدد أنخفض سنة 1795م إلى 217 أي بسنبة 17.44% من العدد الإجمالي، بعدما كان 886 أسيراً سنة 1787م، وكان لعمليات فدية الأسرى دوراً كبيراً في إنقاص العدد.

• **الأمريكان:** بدأ ظهور الأسرى الأمريكيين¹ سنة 1787م فكان هناك 11 أسيراً، في سنة 1795م كان هناك 28 أسير أمريكي منهم 16 أسرههم الرئيس حميدو². ومنذ هاته السنة لم يظهر أيّ أسرى لأمريكا وذلك لأنه تمّ اطلاق سراح كل الأسرى على إثر عقد معاهدة سنة 1795م، لكن بعد 8 سنوات ظهر هناك 24 أسير أمريكي في الجزائر، ثم في 1814-1815 كان هناك 10 أسرى، تم تحريرهم بعد عقد معاهدة 1814م.

• **الفرنسيون:** لاحظنا من الجدول أيضاً وجود أسرى فرنسيين في الإيالة ففي سنة 1774م كان عدد الأسرى 221، وبقي العدد يتراوح بين 218 إلى 248 في الفترة 1775-1785م، في سنة 1787م لم يعد يوجد هناك أي أسير فرنسي، ثم تعود أعداد الأسرى لتظهر من جديد فكان هناك 74 أسيراً سنة 1795م، وانخفض العدد بعشرة أسرى أي أصبح 64 أسير سنة 1799م، ثم يختفي العدد مجدداً، ليعود لظهور سنة 1813م، حيث كان هناك 52 أسير ليختفي العدد نهائياً بعد هذه السنة. إنّ ظهور أسرى فرنسيين في إيالة الجزائر لا يعني هناك أعمال بحرية جزائرية ضدّ البحرية الفرنسية، إنّما قد يكون هؤلاء الأسرى قد أسروا نتيجة تواجدهم في سفن دولة عدوة، أو أنّهم جنود يشتغلون في الثكنات الإسبانية³ فروا من وهران كما حدث سنة 1774م، حيث فرّ 50 جندي فرنسي منها، وفي سنة 1786م افتدى القنصل الفرنسي 317 جندياً فارّاً من وهران⁴، مما جعل سنة 1787م لا يوجد أيّ أسير فرنسي في الجزائر، إنّ ظهور أسرى فرنسيين 1795م رغم العلاقات الجيدة في هاته الفترة والموقف

¹ كان أول استلاء على سفينة أمريكية من قبل الجزائريين سنة 1785، ينظر G. Thomas, The Costs of State-Sponsored Terrorism: The Example of the Barbary Pirates, Woodward, Tax Analysis Division, Congressional Budget, Office, Washington, National Tax Journal Vol. LVII, No 3, September 2004, p 601.

² هناك تضخيم لعدد الأسرى الأمريكيين خاصة سنة 1793، حيث يذكر انه كان في الجزائر 115 أسير أمريكي في الجزائر، ينظر CHARLES summer, Mutato nomine, White Slavery In The Barbary States, low and company, London, 1853, www.gutenberg.net، وهناك من يذكر أنه في سنة 1786 كان هناك 2200 أسير أمريكي، تتناقص عددهم بسبب الوباء، وعملية الفدية، ينظر: محاضر الأمة الأمريكي، المصدر السابق، ص 39.

³ كاتكارت، المصدر السابق، ص 111.

⁴ المنور مروش، دراسات عن... ج. 2، المرجع السابق، ص 395.

التأييد والتعاون الذي اتخذته الجزائر من الجمهورية الفرنسية (كان هناك تعاون من حيث الغذاء، تعاون عسكري)¹، يعطي انطباعاً أنّ الأسرى يتمّ اخذهم كركّاب أو عمّال في سفن لدولة عدوة كما حدث حين تمّ الاستيلاء على طاقم السفينة دولفين فيلادلفيا الأمريكية، في 30 يوليو 1785م حيث كان من بين الركاب جاكوب تيساننيه (Jacob Tessanier) فرنسي الأصل طلب لافتيائه 2000 دولار².

• **النابوليتانيون:** كان عددهم يتراوح بين 161-286 في الفترة 1771-1785م، لكن منذ توقيع اتفاقية سنة 1787م بين إيالة الجزائر ونابلي³، ليتوقّف أسر سكان نابولي ولم يظهروا إلا سنة 1802 فكان العدد 365 أسيراً، وبقي العدد في الارتفاع فوصل إلى غاية 693 كأقصى عدد سنة 1815م، حيث مثّلوا نسبة 46.60 من العدد الإجمالي للأسرى، وهم رعايا ملك الصقليين الذي رفض إتخاذ أي خطوات دبلوماسية لإرجاعهم، كما لم يبذل أي جهد مالي لتحرير رعاياه إلى غاية تحريرهم سنة 1816م على إثر حملة اللورد اكسموث⁴.

3- فدية الأسرى

3-1 طرق افتداء الأسرى

كما أشرتُ في الفصل الأوّل أنّ عملية افتداء وتحرير الأسرى تتمّ بعدّة طرق إمّا عن طريق المؤسسات الدينيّة أو جهود القساوسة أو مفتدي الأسرى⁵، أو عن طريق الافتداء الذاتي⁶، والذي يكون أكثر تكلفةً من الافتداء الجماعي خاصّة لما يكون الأسير ثرياً جداً⁷، أو الحملات البحريّة، حيث حرّر في القصف الذي تعرّضت له الجزائر سنة 1683م إلى تحرير 142 أسيراً فرنسي مع الوعود بتحرير الباقين، أو من خلال التّدخل القنصلي⁸، كما

¹ ميلود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر، ج.2، المرجع السابق، ص، ص 147، 150.

² Charles summer, Mutato nomine, Op-Cit, , www.gutenberg.net

³ من محاضر مجلس الأمة الأمريكي، المصدر السابق، ص 15.

⁴ Daniel Panzac, Op-Cit, p 116.

⁵ خشمون حفيظة، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي، اشراف كمال فيلاي، جامعة قسنطينة، 2006/2007، ص 28؛ كما فصل بلقاسم قرياش منظمات الفدية الدينية بوضوح ينظر: بلقاسم قرياش، المرجع السابق، ص، ص 188، 120

⁶ بلقاسم قرياش، المرجع نفسه، ص 204.

⁷ Daniel Panzac, Op-Cit, p 118.

⁸ وليام سبنير، المرجع السابق، ص 158، بليل رحمونة، القناصل والقنصليات...، المرجع السابق، ص 235.

وقع لإبنة¹ السيدة بورك عندما أسرت في منطقة جبال كوكو، حيث تدخل القنصل لفديتها، أو عن طريق الوساطات التي يقوم بها التجّار أو قناصل الدّول الأوروبيّة²، أو التجّار اليهود³، أو عن طريق المعاهدات⁴، فكلّ المعاهدات التي أبرمتها إيالة الجزائر مع الدّول الأوروبيّة إلّا وكانت تحتوي على بنود لتحرير الأسرى بقيم ماليّة معيّنة، أو تبادل الأسرى⁵ كما أشرتُ إليه أعلاه.

ويقسّم بنزك الأسرى المُحرّرين إلى ثلاثة أنواع:

✓ **الأسرى الأغنياء:** وهؤلاء يتمّ إطلاق سراحهم بسرعة مقابل فدية عالية، حيث التّفاوض يكون بشكل فرديّ من قبل الأفراد، أو من قبل عائلات الأسرى أو مؤسّسات، ويعتبر هؤلاء الأسرى مصدراً حقيقياً للثروة.

✓ **الأسرى الفقراء:** كالصّيّادين والبحّارة والفلاحين الذين حصلوا على حرّيتهم بعد سنوات طويلة قضوها في مكان أسرههم، وهؤلاء يستفيدون من الإفراج الجماعي الذي حصلت عليه حكوماتهم، عن طريق دفع مبلغ مالي متفق عليه بين الحكومتين، في هذه الحالة يكون السعر المدفوع للفرد (500-1000) نوعاً ما منخفض على سعر الشراء (600-1700) فرنك.

✓ **الأسرى المُحرّرين دون دفع الفدية:** هؤلاء يكون بعد تبادل الأسرى بين الدّول، أو احتراماً للاتفاقيات المبرمة السّابقة، أو في نهاية حرب خاسرة كحملة اللورد أكسموث 1816م، حيث أطرق سراح 1606 أسيراً⁶.

¹ حنفي هلايلي، شروط افتداء...، المرجع السابق، ص 247.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 214.

³ بليل رحمونة، دور العمل...، المرجع نفسه، ص 24.

⁴ ميلودي قاسم نايت يلقاسم، شخصية ..، ج.1، ص 252، 253.

⁵ كما وقع سنة 1787م عندما أراد الإسبان عقد معاهدة مع الإيالة، فقاموا بجلب الأسرى الذين عندهم واستبدلوهم بالأسرى الإسبان الموجودين في الإيالة حيث كانوا حسب أحمد توفيق المدني بناء على رسالة موجه من ملك المغرب ألف وستمئة ونيف أسير، والذين بقوا من الاسرى تمت فديتهم ب ألف دورو على الأسير، ينظر: احمد شريف الزهار، المصدر السابق، ص 34؛ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ ..، ج.3، المرجع السابق، ص 235.

⁶ Daniel Panzac, Op-Cit, p 120,121.

3-2 أثمان الأسرى:

اختلفت أثمان الفدية طوال فترة الدراسة، حسب عدة متغيرات، كأهمية الأسير المهنية، فالقبطان ليس كالبَحَّار، والبَحَّار ليس كالرَّكَّاب العاديين¹، أيضا المرتبة والمكانة الاجتماعية والصَّحيَّة له، مقدار الثَّروة المحتملة لدى الأسير، جنس الأسير فقيمة فدية المرأة تساوي ضعف قيمة الرِّجال والعمر كذلك .. إلخ. ويستفيد من هاته المبالغ مالك الأسير سواء كان حاكم الجزائر، أو المَلَّاك الخواص. وقد كانت هناك تكاليف إضافية تفرض على المؤسسات الدينيَّة عند عمليَّة الفداء² والتي سنأتي على ذكرها لاحقا.

ويظهر اختلاف ثمن الفداء جليا حين تمَّ تحرير طاقم سفينة غدانسك وعددهم 24 بحارا في سنة 1724م وأثمانهم كالتالي: قبطان سفينة ثمنه 2000 قرش، نائب القبطان وكاتب السفينة كل واحد بـ 1000 قرش، النجار 700 قرش والبحار بـ 500 قرش³. وبقيت هاته التفرقة في الأثمان طيلة القرن الثامن عشر الميلادي 18م، ففي رسالة التي أرسلها ريتشارد أوبراين مؤرخة في 2 يونيو 1788م إلى وزير الخارجية الأمريكي يخبره بطلب الداي سنة 1789م بمبالغ فدية أسراهم حيث اختلف ثمن الأسرى باختلاف مهنة الأسير وجاء فيها كالتالي:

جدول رقم (23) يوضح فدية طاقم سفينة أمريكي بالدولار\$⁴

الأسرى	قيمة الفدية للفرد	قيمة الفدية الاجمالية	العمولة	ثمن الاجمالي للفدية
2 ضابط	6000	12000	1825	38325
2 مساعد	4000	8000		
11 بحاراً	1500	16500		
15 أسيراً		36500		

¹ بناء على رسالة ملك إسبانيا للسلطان محمد بن عبد الله ملك المغرب التي يطلب فيها التوسط له لدى داي الجزائر لتحرير الأسرى الإسبان الموجودين بالجزائر، عن طريق المبادلة بين أسرى البلدين، حيث يشترط أن تكون المبادلة رأساً برأس على حسب الرتب والمنزلة، في الأطر السياسية والعسكرية، ومن بقي لديه عدد من الأسرى يفتديها بالمال، فالبحري بـ 500 ريال، والرئيس بـ 1000 ريال، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ ..، ج.3، المرجع السابق، ص 235.

² خمسون حفيظة، المرجع السابق، ص 67

³ المنور مروش، دراسات عن ..، ج.2، المرجع السابق، ص 397.

⁴ من محاضر مجلس الأمة الأمريكي، المصدر السابق، ص 18.

تعتبر هاته الأسعار الثمن الأولي أثناء التفاوض حيث أُرست في النهاية على أن يكون ثمن البحار الواحد هو 1400 دولاراً¹ أما المساعد والقبطان فبقيت أسعارهم كما هي موضحة في الجدول وهي نفس الأسعار لسنتي 1786م و 1787م².

حرّر الإنجليز 139 أسيراً سنة 1675م بمبلغ قدره 56.248 قطع من نوع الثمانية أو قرش³، أي بمعدل 405 قطعة ذات الثمانية للأسير الواحد⁴، وفي 16 مارس 1675م تم اقتداء 600 أسير إسباني من قبل تنظيم إخوة الرحمة بمبلغ إجمالي 136000 قرش، بمتوسط قدره 226,67 للفرد⁵، وعليه يكون فدية 1500 أسير بمبلغ إجمالي قدره 340000 قرش، كما دفع الهولنديون سنة 1720 لتحرير 909 هولندي أسروا سنة 1714م، بمبلغ قدر بـ 545.400 قرش إسباني إي بمعدل 600 قرش لكل أسير، كما كلفت فدية 18 أسيراً مسيحياً سنة 1729م 10.000 قرش أي بمعدل 555,56 قرش لكل أسير⁶.

وفي دراسة قدمها جون ماتيوكس (Mathiex Jean) حول أسعار تحرير الأسير المسيحي في مدينة الجزائر يذكر أنه في سنة 1690م، كان متوسط سعر الأسير هو 400 جنيه(134قرش)⁷. وفي عام 1710م ارتفع إلى 200 قرش، ثم إلى 500 قرش في عام 1729م. وفي الفترة 1778-1782م ارتفع السعر بين 4200 إلى 4500 جنيه (1400-1500 قرش) للتعويضات الفردية، و 1800 إلى 2000 (600-667 قرش) للتعويضات الجماعية؛ وفي عام 1785 استمرت الأسعار في الارتفاع حيث وصل السعر ما بين 3000 و 12000 جنيه (1000-4000 قرش) وهذا سعر استثنائي. وفي عام 1789م تراوح السعر بين 2500 إلى

¹ G. Thomas, The Costs of State-Sponsored Terrorism, Op-Cit, p 606.

² CHARLES summer, Mutato nomine, Op-Cit, , www.gutenberg.net

³ ان قطعة ذات الثمانية أو القرش الاشبيلي البياستر (Piastre)، وقد اعطية اسم الريال وهي القطعة التي جاء منها الدولار، وهي العملة الأساسية المتداولة عالمية طول القرن 17م والعملة الرئيسية المتداولة في الجزائر، ينظر: المنور مروش، دراسات عن .. ج.1، ص، ص 41، 42؛ عبد القادر فكار، "العملات الإسبانية المتداولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية"، مجلة عصور جديدة، ع. 5، جامعة وهران 2، الجزائر، 2012، ص 117.

⁴ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 331.

⁵ المنور مروش، دراسات عن... ج.2، ص 342.

⁶ المرجع نفسه، ص 397.

⁷ 3 جنيهات تساوي واحد قرش.

3000 جنيهه (834-1000 قرش)؛ وفي عام 1793م وصل السعر إلى 4500 جنيهه (1500 قرش)¹.

والجدول الموالي يعطي متوسط ثمن الفدية للفترة 1798-1809 وهو مكمل للطرح السابق لكنه بالفرنك، ورغم ذلك فهو يعطي فكرة واضحة عن ارتفاع أثمان الفدية لبقية فترة الدراسة. جدول رقم(24) يمثل متوسط قيمة فدية الأسرى في الفترة 1798-1809م بالفرنك²

السنة	ع الأسرى	الثلث بالفرنك	السنة	ع الأسرى	سعر العبيد بالفرنك
1798م	1168	637	1803م	901	3664 ³
1799م	1019	758	1805م	1022	4734 ⁴
1800م	860	823	1807م	1267	5973 ⁵
1801م	545	718	1809م	1545	553
1802م	772	665	/	/	/

يتراوح سعر بيع الأسرى في إيالة الجزائر حسب الجدول أعلاه، بين 553 و 973، بمتوسط قدره 763 فرنكاً، وهو رقم تقريبا يساوي ثمن فدية أفراد طاقم الفرقاطة البرتغالية التي استولى عليها الرئيس حميدو 1802م، بمعدل 722 فرنكاً⁶؛ ما نلاحظه هنا أن ارتفاع الأسعار ليست ذات طابع منتظم، بل هو مرتبط بمتغيرات وظروف خاصة.

وبما أن أغلب الأسرى في إيالة الجزائر هم إسبان وهذا ما لاحظناه من خلال الجدول رقم (22)، وعليه فقد لعبت منظمات الفدية دوراً كبيراً في عملية الفداء والجدول رقم (25) و (26) يوضحان أعداد الأسرى الذين تم اقتنائهم من قبل منظمات الفدية:

جدول رقم(25): عدد الأسرى المفتدين من قبل المنظمات الدينية.

السنة	عدد الأسرى المفتدين	السنة	عدد الاسرى المفتدين
1670م	192	1713م	197
1675م	519	1718م	284
1678م	488	1723م	424

¹ Mathiex Jean. " Trafic et prix de l'homme en Méditerranée aux XVIIe et XVIIIe siècles". In: **Annales. Economies**, sociétés, civilisations, 9^e année, N. 2, 1954, P 162.

² Ddaniel Panzac, Op- Cit, p 117.

³ هي نفس القيمة موجودة في سجل غنائم البحر ينظر: A. devoulex, le Registre., Op-Cit, p 82

⁴ كان سعر الأسير في سنة 1805 حسب سجل غنائم البحر 354 فرنك للفرد ينظر: Ibid, p 85.

⁵ كان سعر الأسير في سنة 1805 حسب سجل غنائم البحر 519 فرنك للفرد ينظر: Ibid, p 85.

⁶ Ibid, p 78.

1679م	165	1724م	275
1686م	320	1729م	272
1690م	162	1730م	354
1692م	156	1739م	435
المجموع	4574 أسير خلال هاته الفترة		

جدول رقم (26): عدد الأسرى وثمان فديتهم من قبل رجال الدين بالقرش¹.

السنة	عدد المفتدين	كلفة (فدية ورسوم)	متوسط كل فدية
1678م	450	1317013,5	2926,7
1686م	320	1195761,6	3736,8
1692م	156	52410,6	336
1702م	482	208076,55	431,7
1711م	280	191020,5	682,2
1723م	414	214707,9	518,61
1730م	345	199869,45	579,33
1739م	394	183582,3	466

بلغ مجموع تكلفة (فدية والاموال الملحقة بها) 3562442.4 قرشاً للفترة 1678-1739م، إي بمتوسط 1254 قرشاً لكل أسير، كما افتدوا منظمات الفدية (رهبان أخوت التثليت) الإسبان 334 أسيراً في الفترة 1750-1751م، ودفعوا مبلغاً يقدر بـ 30.000 قرش عن 8 ضباط، أي 3750 قرش عن كل ضابط؛ كما افتدوا الحرفيين من الأسرى بـ 600 قرش للفرد، والمعطوبين وغير المؤهلين كان ثمن افتداء الفرد بـ 400 قرش، كما افتدوا 8 نساء بـ 18.000 قرش أي بمتوسط قدره 2250 قرش للواحدة².

أما سنة 1768م دفعت منظمة التثليت 3.500.000 جنيه (1.166.666,67) قرشاً، مقابل فدية 1006 أسيراً في الجزائر أي بمتوسط 3479.13 جنيه (1159.7) قرشاً للفرد³.

¹ أن الجدول الذي اورده المنور مروش في دراسته هو بعملة البوزو وبما أن البوزو الواحد يساوي 1.65 قرش وعليه تم تحويل الاثمان كلها بالقرش، ينظر المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع السابق، ص 397.

² المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع السابق، ص 398.

³ Robert Davis, Op-Cit, p 58.

وفي سنة 1769م تم تحرير 819 أسير إسباني بمبلغ 1.591.364 قرش، أي بمتوسط 1943 للفرد، كما تم في سنة 1786م تم اقتداء 317 جندي فار من وهران بمبلغ 400 قرش للفرد بمبلغ إجمالي قدره 126800 قرش، في نفس السنة اقتدى القنصل الفرنسي 12 جنويا بقيمة 587,55 قرش للفرد، كما دفع الإسبان وأهل نابولي مليون قرش لفدية 750 أسير. وفي سنة 1796م اقتدى 195 من كورسيكا 600 قرش إسباني للفرد، وفي سنة 1810م اقتدى البرتغاليون 200 أسير بمبلغ 240000 قرش بمتوسط 1200 قرش للفرد¹.

إنّ الأرقام الموضّحة أمانا لا تمثّل افتداء كل الأسرى خلال السنة، بل افتداء البعض فقط منهم، مما يوحي بحجم الأسرى الإسبان الموجودين في الإيالة خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، وقد أوضح دفتر التّشريفات أعداد الأسرى الإسبان خلال الربع الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي 18م وكيفية تراجع أعدادهم بعد معاهدة 1786م.

3-3 الحقوق المالية أو التّكاليف الملحقة (مستحقّات البيك والهدايا) بثمن الفدية:

إنّ تحرير الأسير من طرف منظمات الفدية، يتطلّب ليس فقط دفع ثمن الفدية، بل تكون هناك نفقات أخرى تحدّدها قوانين الدولة، أو بما يسمّى بالتّكاليف الملحقة بها، (تستفيد من هاته المبالغ أجهزة الدولة المختلفة وتكون في شكل حقوق أو هدايا)، فهي تعتبر إذن صفقة تجارية تتطلب دفع مجموعة من الحقوق والرسوم، وقد تكرست هذه العادات والأعراف منذ عهد بابا حسن (1672-1682م)، والداي شعبان (1693-1695م)، وحافظ على هاته الأعراف من جاء بعدهم².

ففي البداية³ يتم اختيار 10 أسرى من بين المسنين والمعاقين، بعدها يختار 15 أصحّاء، وبعد المعلومات التي يقدّمها المراقبون، يتمّ دفع مبلغ 1000 صائمة⁴، عن كلّ أسير حسب التّقاليد القديمة.

¹ المنور مروش، دراسات عن..، ج.2، المرجع السابق، ص 398.

² حفيظة خمسون، المرجع السابق، ص 66.

³ يتطرق أيضا وليام سبنسر إلى طريقة الفداء من قبل منظمات الفدية وإلى المبالغ الملحقة بعد دفع ثمن الفداء، ينظر وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 158، 159.

⁴ 1000 صائمة تساوي (60 و 70 ريال إسباني) وتساوي 36 فرنك فرنسي، بليل رحمونة، المرجع السابق، ص 25.

بعد دفع ثمن الفدية¹ التي يعطى للأسير بعدها شهادة الحرية، تأتي تكاليف الملحقة، فعلى كل 10 بوجو يدفع للخزينة 1 بوجو إلى 10%، وعلى وصل الافتداء (ورقة الخروج) 12 quittance ريال (7 فرنك و 50 سنتيم) بالنسبة لأسرى البايك، يدفع نصف هذا المبلغ للخزينة، والباقي يمنح للعمّال.

يدفع الآباء الإسبان للباشا 1000 صائمة، عن كل 6 أسرى يتم تحريرهم، (من العشرة الأقوائل المُسنّين والعجزة)؛ يمنح أيضا لآغا الجيش المسؤول عن السّجن 1000 صائمة؛ وعن كلّ 4 أسرى يمنح الآباء لكل من خوجة الدّفتر؛ وأمينان المقتاضجي وخوجة الروقمانجي 1000 صائمة

يتلقّى أمين خزانة القصر عن كلّ أسيرٍ 1000 صائمة؛ تتلقّى خزينة الدولة 2000 صائمة عن كلّ أسيرين في مقتبل العمر، واحد يشتغل بالقصر والثاني في القصبة؛ يتلقّى قادة البحر 1000 صائمة عن كل أسير؛ يتلقّى خوجة الديوان 1000 صائمة عن كل أسير². واختصاراً فكل أسير يكون مطالبٌ بدفع 43 ريال كهدايا قبل أن يخرج من القصر، وتقديم هدايا للياياباشي³ المسؤول عن الذهاب للسفن أربعة أمناء الديوان: خوجة المكتبجي، خوجة الدفتر، وخوجة الروقمانجي، وإلى قائد الميناء، أمين الغنائم، كتاب البحرية وقائد المدينة.

يتلقّى الباشا ريالين كبيرين عن كلّ أسير، كما يتلقّى أمينو المجلس (المقتاضجي)، وأمينان يُلقبان بخوجة الدّفتر ريال عن كلّ أسير.

يتلقّى قائد الميناء وكتاب الميناء، بالترتيب نصف ريال، و 8/1 ريال عن كلّ أسير؛ ويمنح الآباء لكلّ مترجم انجليزي وفرنسي ريال واحد؛ يتلقّى حراس الأسرى هدية من الآباء عن كلّ أسير؛ يتلقّى الياياباشي ريال عن كلّ أسير؛ يتلقّى أمين الغنائم و الحراس الموافقون، وقائد المدينة، كلّ منهم 4/1 ريال عن كلّ أسير.

¹ كان الذي هو من يحدد قيمة فدية الأسير .

² A. devoulex, Tachrifat., Op-Cit, p p 57, 59

³ بليل رحمونة، المرجع السابق، ص 24

تكفل الدولة حراسة خاصة للآباء لحراستهم بالليل وبالنهـار وحمايتهم في مهمّتهم، وعند إنتهاء المهمّة، تمنح الآباء لكلّ فرد من إفراج مجموعة الحراسة 4/1 ريال.

أمّا بالنسبة لأسرى الخواصّ عند تحريرهم، تدفع أثمان الفدية للمالك، بينما تستفيد أجهزة الدولة من الأثمان الملحقة في شكل حقوق أو هدايا.

حقوق قفطان الباشا، حقوق أمناء الدولة، حقوق رئيس الميناء، حقوق حارس الأبواب، وعادة ما تساوي هذه الحقوق ثمن فدية أخرى، كما قدّمت هذه الحقوق في شكل نسب من قبل لوجي دي تاسي 10% للجمارك، 15 بياستر قفطان الباشا، 7 بياستر لقائد الميناء¹.

إنّ ارتفاع أسعار الفدية بشكل مضاعف خلال القرن (18م)، جاء كانعكاس للنقص الكبير والملحوظ في عدد الأسرى، الناتج عن انكماش الأعمال البحرية، أي أنّ هناك علاقة عكسية بين عدد الأسرى وثمان الفدية؛ وهذه عبارة عن سياسة مالية منتهجة لتعويض النقص المالي الناتج عن تراجع إيرادات الأعمال البحرية، ورغم هذا الارتفاع الملحوظ في الاسعار فإنّ لم يحقق الهدف المرجى منه بسبب النقص الكبير في أعداد الأسرى، فكما لاحظنا أنّه طوال القرن الثامن عشر وحتى بداية القرن 19 لم يفوق عدد الاسرى عن 2000 أسير.

كما أنّ اختلاف أسعار الافتداء، جاء كنتيجة لطبيعة العلاقات السياسيّة بين الإيالة والدول، التي تريد تحرير أسراها، كإسبانيا التي غلب في علاقتها طابع العداء، فانعكس على الشروط المفروضة على الطرف الإسباني في عمليات الافتداء²، عكس الفرنسيين التي جاءت أثمان فدية رعاياهم منخفض مقارنة بإسبانيا والبرتغال، ويرجع هذا إلى طبيعة العلاقات الحسنة بين الطرفين، وإنّما وقوع رعايا فرنسيين في الأسر جاء كنتيجة للانضمام في الجيش الإسباني أو كركّاب في سفن الغير.

المبحث الثاني: الغنائم المتحصّلة عليها من الحملات البحريّة

كنت قد أشرتُ في الفصل الأول، إلى أنّ الغنائم المتحصّلة عليها من خلال الحملات البحريّة (سفن تجاريّة وسلعها)، وكيف ساهمت هاته الغنائم في ثراء مدينة الجزائر حينها، غير لأنّ هذا المورد سيشهد عبر فترات متلاحقة، تراجعاً متفاوتاً بسبب تفاعل عدة عوامل

¹ خشمونم حفيظة، المرجع السابق، ص، ص 67، 68، بلقاسم قرياش، المرجع السابق، ص 194، سمير مشوشة، المرجع السابق، ص، ص 235، 236، بليل رحمونة، المرجع نفسه، ص 26.

² حنفي هلايلي، شروط افتداء...، المرجع السابق، ص 247.

(أشرتُ إليها في الفصل الثاني)، فهذا التراجع سيتخلّله بعض الانتعاش المؤقت في فترات زمنية معينة، يكون نتيجة متغيرات دولية وظروف داخلية، ورغم كون البحرية في فترة الدراسة أصبحت أداة دبلوماسية تحاول من خلالها الحكومة فرض منطقتها على أغلب الدول الأوروبية، الرغبة في حماية سفنها التجارية، مقابل تعويضات مالية، فقد ظلت من بين الموارد المالية الهامة للإيالة.

كانت هناك علاقة طردية بين حجم الأسطول البحري الجزائري، وحجم غنائه، فكلما كان حجم الأسطول كبيراً وقوياً؛ كانت الغنائم ضخمةً، وبترجع قوّته وعدد وحداته، ستشهد غنائه تراجع أيضاً، وفي هاته الجزئية سنقوم بدراسة مظاهر تراجع مداخل البحرية في الفترة 1671-1830م.

إنّ باحث يريد التّطرق لمثل هذه المواضيع يجد نفسه أمّا عقبة المصادر الموثوقة، خاصّة وأنّ سجّل غنائم البحر، وهي أهمّ وثيقة يعتمد عليها الباحث ولا غنى عنها في مثل هذه الدراسات، لا يغطي إلاّ الفترة 1674-1677¹، والفترة من 1765-1827، حيث تناول خلال الفترتين معلومات هامة عن السفن التي تمّ أسرها والقيمة الإجمالية للغنائم حسب السنوات².

1- غنائم البحر في الفترة 1671-1699

ما تم طرحه حول أعداد الأسرى في هاته الفترة، ينطبق على حجم الغنائم، حيث سيكون حجمها عموماً في بداية الفترة ضخم، بسبب الاهتمام الكبير الذي حظيت به البحرية من قبل الحكّام خاصة في الفترة 1671-1699م، لتعرف بعدها الغنائم تراجعاً ملحوظاً، ويكون هذا التراجع في علاقة مطردة مع حجم وحدات الأسطول.

تعرّض الأسطول البحري الجزائري خلال سنة 1671م، إلى هجوم من قبل البحرية الانجليزية³ حيث دمّرت في شهر مارس 12 سفينة في ميناء بجاية، وفي شهر جويلية 9 سفن في ميناء الجزائر من نفس السنة⁴، ونظراً لما تم طرح جاءت الغنائم البحرية خلال الفترة 1671

¹ A, Devoulx, "le registre des prises maritimes", R.A, Vol. 15, 1871, pp 78, 79.

² محمد أمين، المرجع السابق، ص 116.

³ كما تعرض الأسطول البحري الجزائري في سبتمبر من سنة 1670م إلى هجوم من قبل التحالف الهولندي الإنجليزي حيث دمروا سفينة جزائرية من الحجم الكبير بالقرب من جبل طارق، كما دمروا 7 سفن أخرى، وقتلوا 2200 جزائري،

ينظر: Ddaniel Panzac, Op- Cit, p 32.

⁴ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 398؛ محمد خير فاس، المرجع السابق، ص 69؛ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 138.

1672م، وحسب ما أوردته بعض المصادر قليلة في بداية الفترة، حيث أسر رياس البحر 8 سفن من الدانمارك، البندقية، جنوة، إسبانيا، هولندا، وكانت إحدى السفن الهولندية تحمل 1500 برميل من الكحول المقطر، ومن خمر بوردو، ثم لتعرف الغنائم فيما بعد انتعاش نوعياً¹، والجدول رقم(27) يظهر حجم الغنائم البحرية في الفترة 1674-1677م مستخرج من دراسة ديفو (Devoulx)، والجدول رقم(28) يظهر حجم الغنائم في الفترة 1681-1699م

جدول رقم (27): غنائم البحر في الفترة 1674-1677²

السنة	حجم الغنائم	قيمة الغنائم
1674م	38	89108.37 فرنك
1675م	83	312988 فرنك
1676م	58	97387 فرنك
1677م	12	9143 فرنك

جدول رقم(28): غنائم البحر في الفترة 1681-1699³

السنة	حجم الغنائم	قيمة الغنائم
1681م	29 سفينة فرنسية	750000 ايكي
1684م	24 سفينة لدول مختلفة، سفينتان برتغاليتا	40000 قرش
1685-1686م	60 سفينة بعضها من أكبر البوارج لدول اوروبية مختلفة	/
1687م	23 سفينة من بينها 3 سفن تجارية هولندية	/
1688-1689م	19 سفينة فرنسية من المحيط الأطلسي و 1 سفينة فرنسية محملة بالكحول في البحر المتوسط، ومركب صقلي، وآخر جنوي، وعدة سفن ايطالية	/
1690-1692م	22 سفينة منها برتغالية والجنوية والهولندية أغلبها سفن صغيرة	/
1895م	9 سفن منها 4 سفن انجليزية	/
1697م	5 سفن منها سفينة هولندية تحمل 10000 قنطار من الحديد وسفينة برتغالية تحمل 4000 قنطار من السكر	/
1698م	6 سفن منها سفينة هولندية وأخرى برتغالية بسلع عالية القيمة	/
1699م	5 سفن هولندية، برتغالية ⁴ ، جنوية	/

¹ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، ص 340.

² Devoulx, A. le registre, Op- Cit, p p 9-10.

³ تم إعداد هذا الجدول من قبل الباحثة اعتمادا على معطيات من مراجع التالية D. Grammont, Op-Cit, pp37-38، المنور مروش، دراسات عن...، المرجع نفسه، ج.2، ص، ص 339، 349.

إن أخذ نظرة متفحّصة في الجدولين (27) و (28) يتراءى للقارئ التراجع المستمر بطريقة متذبذبة، والذي يظهر جلياً خلال العقد الأخير من القرن السابع عشر الميلادي 17م، ليستمر هذا التراجع طوال القرن الموالي في تذبذب حتمي.

ما نلاحظه أيضاً في ذات الجدولين رقم (27) و (28) أنّ الغنائم في بداية فترة الدراسة، كانت كبيرة، ممّا يعطي انطبعا بكثافة الأعمال البحرية، وبحجم السفن المخصّصة لها، لكن نجد هناك اختلافات في إحصاء عدد السفن المتحصّل عليها كغنائم سنة 1677م، خاصّة من ناحية تضخّم الخسائر، حيث يكون إمّا من قبل أصحاب السفن من أجل التّأمين، أو من قبل المتنافسين، لإظهار خسائر خصومهم.

وعن اختلاف تقديرات القناصل نذكر أنّ توماس هيس يذكر أنّه سنة 1677م أخذ الجزائريّون 70 سفينة هولندية¹، ويذكر جوزيف مورجان Joseph Morgan، ما بين جوان 1677م إلى أكتوبر 1680م أسر الجزائريّون 160 سفينة انجليزية أو تابعة للمملكة البريطانية²، وهذا العدد لا يختلف عن ما قدّمه روبير كول قنصل إنجلترا بالجزائر للفترة 1677-1682م بأنّ الجزائريّين أخذوا 157 سفينة إنجليزية بقيمة 1,5 مليون قرش، في الفترة 1677-1682م³، وهو نفس العدد الذي ذكره وولف نقلا عن القنصل مارتان في عهده أخذت 157 سفينة انجليزية كغنائم من قبل رياّس البحر⁴.

هذا العدد لا يختلف كثير عما وردة في العريضة المقدّمة للبرلمان الإنجليزي سنة 1680م، " لقد أخذ الجزائريّون منذ تصدّع علاقاتنا معهم ما لا يقلّ عن 140 سفينة شراعية وسفن أخرى، والكثير منها محملة ببضائع ثمينة، " ⁵، غير أنّ توماس هيس يذكر أنّ الجزائريّين خلال 1678 أخذوا 50 سفينة إنجليزية⁶، يفسرها السفير الفرنسي بأنّها سفينة

¹ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 70.

² Robert Davis, , Op-Cit,, p 23

³ محرز أمين، المرجع السابق، ص 212

⁴ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 336.

⁵ The Case of many hundreds of poor English-captives in Algier together with some remedies to prevent their increase , , Op-Cit,p 1, <https://quod.lib.umich.edu/>

⁶ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 70.

جنوبية، وسفينة إنجليزية غالية القيمة، و10 سفن إنجليزية أخذت قبل إعلان القطيعة سنة 1677م، لأنها كانت تنقل جنود إسبان¹؛ نلاحظ أنّ هاته الأعداد التي ذكرت خلال سنة 1677م لا تتوافق مع ما جاء في سجل غنائم البحر 12 سفينة بقيمة 8.127 قرشاً إسبانياً. ويرجع كثرة السفن المحتجزة للإنجليز من طرف الجزائريين لسنة 1677م، لكون أنّ الفرنسيين كانوا في حرب مع الهولنديين (1672-1678)² والإسبان، من أجل الاستحواذ على جزيرة صقلية، وحينها انتهز الإنجليز الفرصة واستحوذ على جزء هام من التجارة في البحر المتوسط، خاصة في عمليات الشحن، وعليه أصبحت السفن الإنجليزية تنقل بضائع لركاب ينتمون لدول معادية للإيالة، كما كانت تمنح لهم جوازات سفر مزورة من قبل القيادة البحرية الإنجليزية، وكان الضباط يرفضون تسليم الركاب وبضائعهم، فكانت النتيجة احتجاز السفن الإنجليزية كغنائم، ورجالها كأرقاء³.

في سنة 1680 يذكر توماس هيس أنّ الجزائريين أخذوا 23 سفينة هولندية بعد عقد المعاهدة في نوفمبر 1679م⁴، وأخذوا 50 سفينة للإنجليز⁵، ويذكر دافيز أنّ الجزائريون في 1677-1780م أسروا الجزائريون 160 سفينة انجليزية في مدة 40 شهر⁶، وفي سنة 1681م، أخذ الجزائريون 29 سفينة فرنسية بقيمة 750.000 إيكي⁷، وفي الفترة 1688-1689م تم أسر 20 سفينة فرنسية، من 19 في المحيط الأطلسي، وواحدة في البحر المتوسط.

إنّ ظهور السفن الفرنسية من بين السفن المأخوذة كغنائم، بداية من سنة 1681م، كان سببه مشكل الأسرى الجزائريين في فرنسا، الذين تم أسرهم أو شرائهم من أسواق مالطا وفرونا لاستعمالهم كمجدين في البحرية الملكية الفرنسية، وعندما طالب الجزائريون بتحريرهم طبقاً لما نصّت عليه اتفاقية ماي 1666م، على إعادة الجزائريين والأترار ومبادلتهم

1 المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 343.

² Daniel Panzac, Op- Cit, p 32.

3 جون ب وولف، المرجع السابق، ص 334.

4 المعاهدة الهولندية الجزائرية المبرمة في 9 نوفمبر 1679 لم تطبق إلّا في ماي 1680.

⁵ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p p 70, 72.

⁶ Robert Davis, Op-Cit, p 313.

⁷ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع نفسه، ص 343.

بالفرنسيين¹، وفي ظل تماطل ورفض الفرنسيين، أدى الي توتر العلاقات الثنائية وتصدعها، ولم ترجع العلاقات بين البلدين إلا بعد عقد معاهدة 1689م².

إنّ الحجم الكبير للسفن المأسورة سنة 1685-1686م سببه أنّ الجزائر في هذه الفترة أصبحت في عداوة مع كل الدول الأوروبية، ففي سنة 1684 أعلنت كل من هولندا وإنجلترا الحرب على الجزائر، بحجة انهما يتلاقيان معاملة سيئة من الديوان، فرد الرياس عليهما وبدأوا بمهاجمة سفنهما مهاجمة عنيفة، كما هاجموا السفن الإسبانية والإيطالية وسواحلهما، مما أدى إلى الحصول على غنائم كثيرة³، ففي سنة 1686م تم أسر 24 سفينة هولندية⁴.

نلاحظ أنّه في العقد الأخير من القرن السابع عشر الميلادي (17م)، بدأت عدد السفن كغمائم يتضاءل، بشكل واضح في السنوات 1695م أخذ الرياس فقط 9 سفن، منها السفينة الهولندية سانتا كلارا، المكونة من 63 رجلاً و 24 قطعة مدفع، وسنة 1697 أخذوا فقط 5 منها السفينة البرتغالية نوسترا سيغنورا دي جلوريا سانت أنطونيو Nostra Segnora de Gloria StAntonio، المأسورة في المحيط الأطلسي في 2 نوفمبر⁵، والسنة الموالية 6 سفن، وفي نهاية العقد كانت الحصيلة فقط 5 سفن، وهو راجع إلى التطورات السياسية التي عرفت الإيالة على الصعيد الإقليمي (المغربي)، حيث دخلت في صراع مع المغرب الأقصى (1692) وإيالة تونس (1694)⁶، وكان الأسطول البحري منشغلاً، إلى جانب الجيش البري في هذه الحروب، من خلال نقله للعتاد، والجنود⁷.

¹ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 396.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 319؛ محمد أمين، المرجع السابق، ص 52، بليل رحمونة، القناصل والقنصليات...، المرجع السابق، ص 240.

³ عزيز سامح التر، المرجع نفسه، ص 428.

⁴ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 81.

⁵ A. devoulx, la marine., Op-Cit, p 393.

⁶ محمد بن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 25.

⁷ خصص الداوي شعبان 1689- 1694 م أثناء المعارك التي دارت بين الجيش الجزائري والجيش المغربي 1692م، والجيش التونسي 1694 عدد من السفن لنقل العتاد الحربي والخيم للجيش، ومن هنا يظهر انشغال البحرية الجزائرية بالحروب الدائر بين الايالة وجرانها، ينظر: A. Devoulx, Tachrifat, Op-Cit, pp 8, 11.

2- الغنائم البحرية في الفترة 1700-1764م

إنّ المصادر التاريخية حول الغنائم في بداية هاته الفترة نادرة للغاية إلى غاية سنة 1765م وهي السنة التي يتم خلالها بداية تسجيل الغنائم في السجل الرسمي للإيالة، حيث تم تسجيله في الفترة 1765-1827م، ولدرء النقص وضع المنور مروش قائمة بالغنائم التي تم أخذها من قبل البحارة الجزائريين، في الفترة 1701-1764م، من الصفحة 426 إلى الصفحة 445، مأخوذة من مصادر أوروبية مختلفة وأهمها مراسلات القنصلية الفرنسية، وجريدة لاغازيت La Gazette.

عرفت الغنائم في بداية هاته الفترة ركوداً كبيراً، وذلك لانشغال البحرية بالحروب التي تخوضها الإيالة مع جيرانها، كما ساهمت أيضاً في حصار وهران، من خلال مطاردتها للسفن البحرية الإسبانية¹، التي تنقل العتاد والذخير والغذاء للحامية في وهران، كما دخلت البحرية في معارك واصطدامات مع الأسطول الإسباني، في معارك بحرية، عند الهجوم الذي نفذه الجيش البري الجزائري، والذي نتج عنه تحرير وهران من الإسبان 1708م².

كما تزامنت بداية هذه الفترة بالحروب الذي خاضتها الدول الأوربية ضد بعضها في حرب ولاية العهد الإسبانية (1702-1714م)، حين غنمت 19 سفينة منها 6 سفن فرنسية و13 سفينة بالنسبة لدول أخرى³، غير أنّه بعد نهاية حرب الخلافة، وتموقع الإنجليز في جبل طارق⁴، وتوقيع المعاهدة مع هولندا 1708م، والقصف الذي وقع على إيالة الجزائر من قبل فرنسا، ورغم محاولات الداوي علي شاوش للنهوض بالبحرية حيث قام ببناء أسطول

¹ انشغلت البحرية بمطاردة السفن التي كانت ترسلها مالطا (7 سفن) محملة بالمدد الحربي والجنود خاصة الفرنسيين لمساندة الجيش الاسباني المحاصر في وهران، ينظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة..، المرجع السابق، ص 457.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص، ص 374، 378-399.

³ محمد أمين، المرجع السابق، ص 40.

⁴ في هاته النقطة يرى ألبير ديفو أن حكومة إيالة الجزائر لم تكن بمعزل عن الأحداث الخارجية، خاصة حرب الخلافة الإسبانية بل قررت الاستفادة منها خاصة بعد تموقع إنجلترا في جبل طارق، وذلك بإخراج إسبانيا من وهران لتكون صاحبة

السيادة على هاته النقطة البحرية المهمة ينظر: A. devoulex, Tachrifat, Op-Cit, p15.

بحري¹، إلا أنه في عرض حصيلة الغنائم بعد توقيع هولندا لمعاهدة 1712م، ستصبح هوية الغنائم الجزائرية هي إسبانية وبرتغالية وإيطالية واسكندنافية وألمانية².

2-1 الغنائم 1700-1729م:

وفي ما يلي عرض لبعض الغنائم في بداية القرن الثامن عشر الميلادي 18م، أسر الرياس الجزائريون في سنة 1701م، ثمانية 8 سفن منها 4 إيطالية، وسفينتين تابعة للبندقية، وسفينة هولندية، وسفينة برتغالية بها 101 أسير، ومما يوحي بضعف أعمال البحرية هو أنه عند خروج 5 سفن جزائرية كما حدث سنة 1702م و1703م، لا يرجعون إلا بسفن صغيرة تابعة للصيادين³.

1704م تم أسر سفينة تابعة للبندقية، وسبعة جنوبيين، 1706م⁴ تم أسر 3 سفن، واحدة محملة بالكحول فرّ طاقمها، والثانية تابعة لمملكة جنوة محملة بالسكر والصوف، ولم يؤسر منها سوى 3 من طاقمها، والثالثة تابعة للدانمارك، وفي 1707م ووفقاً لجريدة لاغازيت خرجت 13 سفينة جزائرية للقيام بأعمال البحرية، وكانت غنائمها فقط 3 واحدة هولندية⁵، وأخرى للبندقية، والثالثة همبورغية⁶، وبين 1708-1709م أسر رياس البحر الجزائريين 7 سفن هولندية رغم توقيع معاهدة السلام معها في ديسمبر 1708م⁷.

¹ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 383.

² Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 88

³ جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 427.

⁴ تم الاستيلاء على سفينة هولندية مريا حمولتها 120 طن، مناصفة بين الرياس الجزائري أحمد الطويل والقرصان الفرنسي جيرارد Girard، ينظر: A Devoulx, 1869, p 394.

⁵ كانت السفن البحرية في هاته الفترة مشغولة بحصار وهران حيث يقول بن عودة المزاري في كتابه " وصارت الجنود البحرية تنزل بمرسى ارزيو ثم تذهب إلى وهران، فرارا من المانع بالبحر من المراكب المشحونة بالعديان (كذا) فحاصروا وهران وضايقوها... "، ينظر: الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح. يحيى بوعزيز، ج.1، دار الغرب الإسلامي، ط.1، 1990، بيروت، ص 235.

⁶ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 428.

⁷ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 86.

في سنة 1710م اغتنم الرياس 5 سفن منها 3 سفن تجارية تابعة للبندقية، وسفينة برتغالية تحمل 500 صندوق سكر، وسفينة جنوية¹، وفي سنة 1711م اغتنم الرياس سفينتين واحدة تابعة للبندقية على ظهرها 113 شخصاً والثانية، تابعة لجنوة. وفي 1712م جلبت بعض الغنائم من إيطاليا. وفي 1713م اغتنم الرياس الجزائريون سفينتين تجاريتين للبندقية واحدة تحمل السكر والتبغ، والأخرى محملة بالصوف. وفي 1714م حسب لاغازيت أستولى القراصنة على سفينة برتغالية، ومن لشبونة أسروا 300 شخص. في سنة 1715م وقع زلزال كبير في مدينة الجزائر كانت له آثاراً بالغة على المدينة والسكان وحتى على البحرية لما انشغل الجميع بهذا الزلزال²، مما جعل الغنائم ضعيفة جداً، حيث أسر مركب إسباني به 24 شخصاً، وأسّر مركب تابع لروما محمل بالنبيذ³.

في سنة 1716م تم قطع العلاقات مع هولندا بسبب عدم وفاء هولندا بالتزاماتها اتجاه الإيالة وعليه فقد تم في الفترة 1715-1720م أسر 37 سفينة هولندية عليه أكثر من 300 بحار أي ما بين 7 إلى 8 سفن في السنة⁴؛ وفي دراسة أخرى أن الهولنديين بسبب القطيعة مع الجزائر في الفترة 1718-1720م خسروا 25 سفينة و550 بحاراً⁵.

وبين 1716-1717م تمّ أسر 10 سفن منها سفينتين برتغاليتين، محملتين بالسكر والتبغ، و7 سفن إيطالية، مع 40 شخص، سفينة فرنسية بها 120 إسباني.

1719-1720م تمّ أسر 8 سفن منها 2 سفن تجارية تابعة للبرتغال، وسفينتين هولندية⁶، 4 سفن همبورغية، إحداهما تحمل 1500 ألواح لبناء السفن، ومعهم 5 قباطنة و34 بحاراً⁷، بينما روبيرت دافيز يذكر أنّ الجزائريين بين سنتي 1712-1720م أخذوا 74 قارباً⁸.

¹ A. Devoulex, la marine..., Op-Cit, p 395.

² أحمد توفيق المدني، محمد بن عثمان...، المرجع السابق، ص 48.

³ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص، ص 431-432.

⁴ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 93.

⁵ Magnus Ressel, "The Dutch-Algerian War and the Rise of British Shipping to Southern Europe (1715-1726)", *Cahiers de la Méditerranée [Online]*, 90 | 2015, Online since 01 December 2015, p 5 .

⁶ A. devoulex, la marine..., Op-Cit, p 395.

⁷ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع نفسه، ص 433.

⁸ Robert Davis, Op-Cit, p 313.

1721م تمّ الاستيلاء على 3 سفن هولندية بها 196 بحاراً¹، و3 سفن برتغالية وعلى عدة سفن في خليج قادس²، من 1721-1724 خسر الهولنديون 25 سفينة و 137 بحاراً، وتمكن الهولنديون من تدمير 4 سفن جزائرية وأسر 167 بحر³.

وفي الفترة 1724-1726 أخذ الجزائريون 30 سفينة من جنسيات مختلفة وبأحجام مختلفة أغلبها مراكب صغيرة الحجم⁴؛ إلا أن روبيرت دافيز يذكر أن الجزائر خلال الفترة 1714-1727م جلبوا 36 سفينة تجارية⁵، بينما في الفترة 1725-1726م، أخذ رياس البحر الجزائريون للهولنديين وحدهم 15 سفينة، منها 10 سفن تجارية من الحجم الكبير و5 سفن تجارية هولندية صغيرة، و76 بحاراً، في ديسمبر 1726م تم التوقيع على معاهدة السلام بين هولندا والإيالة⁶، ومنذ ذلك الحين ستصبح الحصول على الغنائم الثمينة نادرة وبشكل مستمر وينحصر مجال غنائمهم في الأعداء التقليديين وبعض الدول الصغيرة من الشمال، وهذا ما توضحه لائحة الغنائم لسنة 1727-1728م.

والعينات التي سيتمّ تقديمها تثبت أنّ مجال الأعمال البحرية للجزائريين سيكون منصب على الأعداء التقليديين، وبعض الدول الصغيرة من الشمال، فحسب وليام سبنسر فالجزائر تحسن اختيار أهدافها حتى لا تترك أي تجمع أوروبي ضدها⁷، وسنة 1727م هي أحد العينات حيث تمّ أسر 25 سفينة و 249 أسيراً، جاء نصف الأسرى 50% من إسبانيا، أربعون بالمائة 40% كانوا من البرتغال وإيطاليا، والباقي من ألمانيا والدول الاسكندنافية⁸، في 1728م أسرت 24 سفينة من الممالك الإيطالية، 3 سفن من لشبونة أخذت مع بحارتها، سفينة نمساوية، و 23 صياداً إسبانياً و 7 جنود لإسبانيا⁹.

¹ Magnus Ressel, Op- Cit, p 10.

² المنور مروش، دراسات عن...ج.2، المرجع السابق، ص 433.

³ Magnus Ressel, Op- Cit, p 11.

⁴ المنور مروش، دراسات عن...ج.2، المرجع نفسه، ص 434.

⁵ Robert Davis, Op-Cit, p 313.

⁶ Magnus Ressel, Op- Cit, pp 11, 13.

⁷ وليام سبنسر، المرجع، ص 167.

⁸ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 99.

⁹ المنور مروش، دراسات عن...ج.2، المرجع نفسه، ص 434.

2-2 الغنائم 1730 - 1747م

يرجع نقص الغنائم في هاته الفترة إلى استرجاع وهران وما نتج عنه من تضيق للعمليات البحرية الجزائرية من قبل الإسبان، ذلك أنّ السفن الحربية لإسبانيا ومالطا ونابولي أصبحوا يراقبون ويقومون بعمليات ضدّ السفن البحرية الجزائرية، وضدّ بعض سواحل الإيالة انطلاقاً من وهران حتّى مالطا¹.

ومع هذا فقط كانت العمليات البحرية الجزائرية، تقوم بأسر بعض السفن والمجيء بالغنائم، فتم سنة 1730م أسر سفينتين للبرتغال، وسفينة تابعة لمملكة نابلي، كما تم أسر 4 من الإسبان، و أربع سفن تابعة لفرسان مالطا كان عليها 22 فرنسياً²، وفي سنة 1731م تم أسر عدد من السفن الإسبانية، وبعض السفن نابولية، وسفينة همبورغية عليها 8 أشخاص، كما أسر 8 أشخاص من البرتغال وسفينة فرنسية، وأسر 14 شخصاً من صيادي السمك الفرنسيين³؛ وسنة 1732م حسب لاغازيت 7 أو 8 سفن أخذت في مياه البندقية، 3 صنادل من نابولي، و 2 سفن من نابولي محملة بالموونة، وسفينة من البندقية، و 7 مراكب لصيادين المرجان.

في سنة 1732م لم تكن هناك غنائم تذكر بسبب أنّ السفن في هاته السنة لم تغادر المرسى تحسباً لأيّ هجوم إسباني، نظراً للاستعدادات الإسبانية في ميناء مالقا لمهاجمة الجزائر من أجل استرجاع وهران والمرسى الكبير، ورغم ذلك فقد ظهرت 4 سفن كغنية، وفي مجملها سفن إسبانية⁴، غير أنّه في سنة 1733م بدأت تظهر السفن الفرنسية والإنجليزية كغنائم، نظراً لأنّ هاته السنة صادفت استرجاع وهران والمرسى الكبير من قبل الإسبان، وعندما كان الجيش الجزائري يقوم بحصارهم، وطوال مدة الحصار كانت السفن الإنجليزية

¹ جون ب وولف، المرجع السابق، 402.

² سبب هذا الحادث توتر في العلاقات بين الإيالة وفرنسا، ينظر يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 97.

³ جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 433.

⁴ هابنسترايت، المصدر السابق، ص 44.

والفرنسية تنقل الجنود والسلاح والذخير والمؤونة لهم، ولهذا حصلت البحرية على غنائم كثيرة وعدد من السفن الأوروبية، كما أسر العديد من الجنود الفارين من وهران ذوي الأصل الفرنسي¹.

وفي سنة 1734م كانت حصيلة الغنائم سفينتين فقط واحدة من همبورغ والثانية من سان ريمو، وفي سنة 1735م احتجّزت سفينة واحدة هولندية مع طاقمها، أعيد الطاقم فيما بعد، وفي سنة 1736م تم احتجاز عدة غنائم من مياه صقلية، 3 سفن 2 لجنوة وأخرى لإسبانية. اعتبرت غنائم سنة 1737م ثمينة مقارنة بالسنتين الماضيتين حيث تم أسر سفينة من الدانمارك وأخرى من همبورغ قدرتا بحو 20.000 قرش، وغنيمة أخرى دانماركية قدرة ب 8000 قرش، وفي سنة 1738م تم أسر سفينة برتغالية عليها 38 رجلاً و 10 نساء و 6.400 قطعة ذهبية من قيمة 3 سلطاني، وسفينة أخرى حمولتها تقدر ب 18.000 قرشاً، كما أسر 50 أسير في المياه الإيطالية منهم رجل دين وامرأة وطفل، وفي 1739م تم أخذ سفينة معها 28 شخصاً "صندل" بصيادين من مياه توسكانة غنائم طفيفة أحرزت من قبل سفن صغيرة جزائرية، أسر 7 أشخاص تم بيعهم في عنابة ب 1.200 قرشاً².

في سنة 1740م شحّت الغنائم بسبب تعرض الإيالة لهجمات قراصنة نابولي وقراصنة مالطا، مع انشغال الأسطول الجزائري، بالوضع السياسي من خلال مساعدة علي باي تونس، حين قام الأسطول الجزائري بمطاردة السفن المالطية التي تساعد حسين بن علي في صراعه على العرش التونسي، وفي سنة 1741م أسر الجزائريون 7 سفن فرنسية كانت راسية في الميناء، مع أسر طاقمها³، وفي سنة 1742م تم أخذ 6 سفن منها سفينتين برتغاليتين واحدة بها 28 شخصاً وبضائع ثمينة، والثانية بها 26 شخصاً، سفينتين جنويتين واحدة بها 28 شخصاً، وأخرى بها 40 شخصاً، سفينة إسبانية بها 70 شخصاً، سفينة بيعة

¹ D.Grammont, Op- Cit, p 291.

² المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع السابق، ص 437.

³ يحي بو عزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 98.

في جبل طارق بقيمة 400 قرش كما تمكن الرياس من أسر 12 بحاراً إسباني و34 قطلاني¹.

سنة 1743م تم أخذ 4 سفن منها بريغنتين إسباني بهما 54 شخص، شبك برتغالي به 18 شخص، سفينة لمالقة بها 50 شخص، وفي سنة 1745م حجم الغنائم هي 4 سفن سفينتين همبورغية بقيمة 40.000 قرش، وأخرى بيعت بـ 2.000 قرش، سفينة دانماركية بها 29 رجلاً، سفينة توسكانية بيعت بـ 17.000 قرش؛ وفي سنة 1746م تم أخذ 6 سفن منها 4 تابع للهمبورغ واحدة بها 24 رجلاً، أخرى بها بضائع ثمينة بيعت بـ 80.000 قرش، وواحدة برتغالية وأخرى إسبانية بها 24 رجلاً، 10 أشخاص أسروا في البر.

وفي 1747م هاته السنة كانت الغنائم كبيرة نوعاً ما مقارنة بالنسبة لسنوات التي سبقتها ذلك لأنّ خلالها تم أخذ 13 سفينة منها 4 سفن تابع لهمبورغ، و4 سفن برتغالية، وسفينة جنوبية، سفينة إسبانية، وسفينة تابعة لدانمارك، سفينتين تابعة للملكة نابولي واحدة قدرت بـ 24.000 قرش، والثانية بـ 1.000 قرش².

2-3 الفترة 1748-1764م

عرفت هاته الفترة تجاذبا بين غنائم باهضة وأخرى متواضعة حسب الظروف الداخلية والخارجية كانتشغال الدول الأوروبية بحرب السبع سنوات 1755-1763م، وظهور رياس ذو كفاءات عالية...الخ ومع ذلك سوف يبقى مجال أعمال البحرية الجزائرية محصور في الأعداء التقليديين للإيالة وأحيانا حسب نوع العلاقات تظهر سفن تجارية هولندية أو إنجليزية أو فرنسية³.

وفيما يلي طرح لأهم الغنائم ففي سنة 1748م 4 سفن برتغالية و165 شخص، 7 سفن إسبانية مع 170 شخص، سفينة جنوبية، سفينة من لوبك مع 25 شخصاً، سفينة بروسية، مركب قطلاني مع 121 أسيراً، منهم النساء والأطفال، سفينة نرويجية (لم تكن تحمل جواز

¹ المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع السابق، ص 438.

² المرجع نفسه، ص 439.

³ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 101.

سفر دانماركي)، 3 سفن إنجليزية، الحصيلة 19 سفينة من مختلف الأحجام وبيضائع مختلفة، و 481 أسيراً¹.

وفي سنة 1749م تمّ خلالها جلب 11 سفينة كلها سفن بغنائم ثمينة جداً مع 260 أسير، خاصة السفينة دانتزغ وهي بارجة حديثة الصنع ذات 56 مدفعاً، عليها 36 شخص، لها حمولة 12 ألف قنطار، والأهم من ذلك كانت تحمل 70 ألف ضلع برميل، 12 ساري للبوارج الكبيرة و15 بالة من الأقمشة، سفينتين برتغاليتين عليهما 144 شخصاً، وبعض البضائع حمولة أحدهما 200.000 قرش، سفينة بندقية عليها 80 بحار وبيضائع عالية القيمة، سفينة إنجليزية، محملة بسبائك ذهب و 209 من الماس وكثير من النقود الفضية، حوالي 200.000 قرش، أعتبرت هذه السفينة غنيمة شرعية بالنسبة للرياس البحر الجزائريين، مقابل مطالبة الإنجليز بإرجاعها، لتكون فيما بعد محل نزاع بين البلدين، 6 سفن إسبانية، نابولية، برتغالية وجنوية، بقيم مختلفة².

بلغت غنائم سنة 1750م 22 سفينة من مختلف الجنسيات، سفينة من لوبك مع كل طاقمها، تحمل شحنة كبيرة من مواد بناء السفن، سفينة برتغالية بحمولة 2.000 من السكر، سفينتان إسبانيتان أحدهما بحمولة 200.000 قرش، خمسة سفن من جنوة وأسر على إثرها 40 رجلاً، وسفينة تابعة للبندقية تحمل حمولات ثمينة جداً³؛ أما سنة 1751م بلغت غنائمها 14 سفينة منها 2 من البندقية، 4 سفن جنوية، 6 نابولي، سفينة مالطية ومركب من مراكب البريد.

وفي سنة 1752م بلغت عدد الغنائم 34 غنيمة، منها 5 سفن قدرت حمولة كل واحدة منها بـ 140.000 قرش، وسفينة تابعة لمالطة قدرت بـ 4.000 قرش، سفينة بيعت في تطوان

¹ المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع السابق، ص 440.

² المرجع نفسه، ص 440.

³ La Gazette, du 7 Fevrier 1750, p 63.

ب 1.000 قرش، بعض السفن لصيادين بحريين تابعين لمالطا، سفن أخرى متوسطة الحجم يبلغ عدد ركبها 25 راكباً، منهم 6 نساء، 3 سفن إسبانية عدد أسراهم 27 أسيراً¹. وفي 1753م خرجت مجموعة مكونة أربعة عشرة سفينة شرعية وثلاث فرقاطات، قاموا بأخذ 12 سفينة إسبانية، على متنها 209 شخصاً، تجاوزت قيمة الأسرى قيمة السفن لأنه بينما جلبت سفينة تحمل شحنة متواضعة حوالي 20.000 فرنك، كان العبد يدفع بسهولة فدية قدرها 1.400 فرنك²، أما عن غنائم سنة 1754م فهي شحيحة وذات قيم منخفضة حيث أخذت الرياس فقط 7 سفن من إسبانيا ومالطا ونابولي.

وفي سنة 1755م اغتنم الجزائريون 13 سفينة منها (إيطالية، إسبانية، برتغالية) و3 سفن هولندية، كان على متنها 29 شخصاً، ومن أهم هاته السفن الهولندية هي السفينة التجارية مارا لويزة المكونة من 14 مدفعاً وعليها 14 رجلاً، كما تم الاستيلاء على قادسين من نابولي بالتعاون بين الأسرى الجزائريين والمجدفين المسيحيين³.

غير أن هاته الإنجازات صادفتها خسائر بالجملة حيث خسر الجزائريون خمس سفن و ما لا يقل عن 800 جزائري، بين بحارة وجنود، ذلك لأن الدول الأوروبية أصبحت تستعين بالسفن الحربية في تنقلاتها البحرية، كما قامت إنجلترا بإغلاق مضيق جبل طارق في وجه الرياس الجزائريون، وفي أفريل من نفس السنة وقعت مواجهة بين الأسطول الجزائري وسفن حربية إسبانية، نتج عنها 200 قتيل جزائري كما أسر حوالي 500 شخصاً؛ في سنة 1756م، لم تكن هناك غنائم تذكر، ماعدا ما جلبوه من أسرى عند مهاجمتهم لتونس في 2 ديسمبر من نفس السنة، فكان عدد الأسرى هو 930 أسير مسيحي⁴.

في سنة 1757م غنم الرياس 5 سفن وبعض من الأسرى، من بينها سفينة من نابولي بقيمة 100.000 قرش، وفي سنة 1758 غنم الجزائريون 5 سفن منها سفينتين إسبانيتين

¹ المنور مروش، دراسات عن .. ، ج.2، المرجع السابق، ص 441.

² Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 110.

³ Ibid, p p, 112, 113.

⁴ Ibid, p 114.

وسفينة من نابولي مركب قطلاني، وطرطن به 14 شخص¹، وفي سنة 1759 توتر علاقة الجزائر مع معظم دويلات أوروبا بسبب اشتداد قراصنتهم على البحارة الجزائريين، والسواحل الجزائرية، فتصدى لهم الرياس وأسروا حوالي 700 أوروبي من مختلف الجنسيات²، وجملة السفن هي 20 سفينة بين سفن ذات قيمة ضعيفة وسفن باهضة الثمن منها 12 سفينة إسبانية، و3 سفن من جنوة، و3 سفن من نابولي³.

وفي سنة 1760م غنم الجزائريون 9 سفن منها 5 إسبانية، و2 من نابولي، سفينة جنوبية وأخرى برتغالية، أما سنة 1761م غنم الجزائريون 23 سفينة (نابولية، جنوبية، إسبانية، مالطية) و 59 أسيراً، ومن بين أهم هاته السفن السفينة الإسبانية 100.000 قرش كان عليها 21 شخصاً، وسفينة برتغالية كانت متوجهة إلى البرزيل؛ وفي 1762م وصلت إلى الجزائر 7 سفن منها سفينة بندقية بقيمة 60.000 قرش، سفينة تابعة للنمسا وسفينة نابولية، و4 سفن من مياه بروفانس.

في سنة 1763م فقد وصلت إلى الجزائر 15 سفنة منها 5 في ميناء عنابة و 10 دخلت لمدينة الجزائر، منها 4 سفن قطلانية؛ وفي سنة 1764م وصل عدد الغنائم 15 سفينة، من إسبانيا جنوة نابولي، أهم هاته الغنائم سفينة نمسوية فيها قيمة بضائعها 12.000 قرش، ومركب إسباني يحمل نقودا بقيمة 7.000 قرش، وسفينة جنوبية قدرت بقيمة حوالي 6.000 قرش، وسفينة برتغالية فيها 37 رجلاً⁴.

إنّ الغنائم التي تم الاستحواذ عليها بين 1756-1763م هي غنائم وقعت في فترة توتر حيث سادة حرب السبع سنوات بين الدول الأوروبية، وحينها ألقى العنان لجميع القراصنة ومن مختلف الجنسيات لحرية أعمال القرصنة، فلم يتجاوز غنائم الرياس الجزائريين حسب محمد أمين سوى 29 سفينة من مختلف الدول الأوروبية، في حين بلغت خسائر فرنسا

¹ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 443.

² يحي بو عزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 99.

³ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع نفسه، ص 444.

⁴ المرجع نفسه، ص، ص 444، 445.

لوحدها 298 قطعة لبروفانس، و418 لجهات فرنسا أخرى، أما خسائر الدول الأوروبية الأخرى فوصلت 39 قطعة¹، ومن خلال حجم الغنائم الجزائرية التي غنيمتها خلال هاته الظرفية التاريخية المواتية، يظهر الضعف الذي أصبحت عليه البحرية الجزائرية مقارنة بالبحريات الأوروبية الأخرى، ورغم ذلك فهذا الوضع أدى بطبيعة الحال إلى مزيد من التوترات بين الإيالة والدول الأوروبية والتصديق الضروري على معاهدات السلام السابقة².

3- غنائم البحر في الفترة 1765-1830م

كانت الغنائم في هذه الفترة، مسجلة في سجلات الغنائم البحرية، وهي وثيقة رسمية، قيّدت فيها نتائج بيع الغنائم بالمزاد العلني بانتظام طيلة الفترة 1765-1815م، بالسنوات وعدد السفن المأسورة، ونوع حمولتها، وقيمتها المالية، والرئيس الذي جلب الغنيمه. هاته الفترة كما لاحظنا سابقاً، هي فترة طويلة تصل إلى 65 سنة، وبما أنّ السجل بعد سنة 1815م دون فقط بعض الغنائم، ونظراً لأن ألبير ديفو Albert Devoulex، قد عمل على ترجمة هذا السجل إلى الفرنسية³. ولتكملة النقص حاول الاستعانة بوثائق رسمية أخرى حتى يعطي حوصلة كاملة لغنائم هاته الفترة، التي حدثت خلالها عدّة ظروف تاريخية داخلية وخارجية، كان لها دوراً مؤثراً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على مداخيل البحرية.

إنّ تقييد قيمة الغنائم في السجل كانت بريال دراهم صغيرة، وهي العملة الرسمية للإيالة في ذلك الوقت، حيث كانت تقيد بها المداخيل والمصاريف في كل سجلات الإيالة الجزائرية، وقد عرفت استقراراً طيلة المدة 1765-1818م حسب ديفو⁴، وكان معدّل الصّرف الذي اعتمده هذا الأخير هو 1.125 فرنك⁵.

¹ محمد أمين، المرجع السابق، ص 41.

² Ddaniel Panzac, Op-Cit, p 40.

³ لقد ترجم ديفو سجل الغنائم البحرية إلى الفرنسية، انطلاقاً من ترجمة عربية، قام بها بعض الموظفين الجزائريين، المتمكنين من اللغة التركية العثمانية.

⁴ في هذه النقطة يرى المنور مروش أن الاستقرار الذي عرفته العملة يمتد من 1765-1815م، ينظر المنور مروش، دراسات عن...، المرجع السابق، ص 448.

⁵ أي أن 1 ر د ص يساوي 1.125 فرنك، A. devoulex, le Registre..., Op-Cit, p8.

عند تفحص وقراءة سجل غنائم البحر، لديفو، نجده كان يعطي رقماً مكرراً لحسابات غنائم سنة كان قد ذكره في حسابات غنائم سنة قد مضت، كتكرير حسابات سنة 1789م، في حسابات سنة 1791م، والتي كانت النتيجة الإجمالية لحساب كلا السنتين هو الرقم 463159,23 فرنك¹، وفعلاً عندما قمت بجمع قيم الغنائم لسنة 1791م، وجدت أن مجملها هي 180548,74 فرنك، وفي هذا السياق يذكر المنور مروش أن الخطأ الذي وقع فيه ألبير ديفو هو من باب زلة القلم، والتي رغم أنها تؤدي إلى تشويه الحسابات إلا أنها غير مقصودة.

أما عن خطأه، الذي أرجعه المنور مروش إلى عدم التأني في العمل، وذلك من خلال وضع رقماً تسلسلياً لكل غنيمة، وأن ديفو قد كرر في بعض الأحيان تسجيل إحدى الغنائم كأنها غنيمة جديدة، وأعطاهما رقماً مختلفاً، وهنا يقصد الغنيمة المسجلة تحت رقم 331 المجلوبة في 30 أوت 1799م، والتي قيمتها حسب منور مروش 46663 فرنك، والغنيمة رقم 332 لنفس التاريخ والتي قيمتها 46269 فرنك، في هاته النقطة وحسب ما وجدت في سجل الغنائم بالتركية العثمانية الغنيمين فعلاً موجودتين وتحت نفس التاريخ، إلا أن منور مروش في عملية الحسابات عند رجوعه لسجل الغنائم الذي عمله ديفو خاصة غنيمة المسجلة تحت رقم 331 أخذ جملة المال بعد المصاريف أي المال الصافي، وهو رقم يقترب كثيراً من قيمة الغنيمة رقم 332، أما القيمة الفعلية للغنيمة رقم 331 هي 55099,87 فرنك، وهنا الخطأ وقع فيه مروش وليس ديفو.

إن اعتماد التسلسل في الغنائم مع حدوث أخطاء عند ديفو فمثلاً من رقم الغنيمة 423 ينتقل ديفو إلى غنيمة رقم 434، ثم يعود إلى غنيمة رقم 425 وهذا قد يكون خطأ مطبعياً، وقد يكون هذا الخطأ ناتج عن الشطب المتكرر للأرقام الغنائم في السجل الأصلي المكتوب بالعصمالية.

¹ المنور مروش، دراسات عن...، المرجع السابق، ج.2، ص 448.

إن إبراز القيمة الإجمالية لثمن الغنيمة بعد المصاريف، ونصفها وعدد الأسهم (الباي) وقيمة السهم أو الباي هدفهم منها هو توضيح القيمة المالية التي سيأخذها صاحب السفينة وهي نصف المال الصافي للغنيمة، وعدد الأسهم وثمان كل سهم أو الباي هو من أجل توضيح ما سيأخذه كل من رايس السفينة، وكل البحارة الذين شاركوا في الحصول على هاته الغنيمة، كل حسب رتبته ووظيفته.

إن الأرقام التي أعطاه ديغو للكل غنيمة قام بحساب جمع جملة المصاريف وأضاف لها ما بقي من المال، ثم قام بضرب ناتج عملية الجمع في 1,125، فمثلا قيمة غنيمة هاته 1802 التي جلبها الرايس حميدو تساوي $172650 = 166245.0 + 6404.4$ ريال دراهم صغيرة. ولتحويل النتيجة للفرنك قام ديغو بضرب $172650 \times 1,125 = 194231.25$ فرنك، وعليه لقد اعتمدنا في عملية المقارنة والتحليل على الاحصائيات التي عملها ديغو وبالفرنك.

357 25 محرم 1217 هـ	
بيان غنيمة فرقاطة سيدي الرايس حميدو استولى على باخرة حربية برتغالية مجهزة بـ 44 مدفع، أسر على منتها 282 كافر، عشرة كفرة تم منهم كجوائز داخلية للبحارة الذين صعدوا على متن الباخرة، وكافرين منحوا للباشا، وكافر تم منحه إلى سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وبقي 269 كافر. تم توزيع ثمن هاته الغنيمة على طاقم السفينة أو الطائفة بعد ما يأخذ كل المصاريف والبنجك:	
4 بنجك	جملة المال بعد البنجك والمصاريف
615.4 قبطان الأسر	166246.0
32.0 عساس	نصف المال
3385.0 قائد الدخان	83123.0
76.0 دالين	باي (السهم)
16.0 ديوان	804
100.0 شاوش مسلم	قيمة الباي
50.0 شاوش يهود	103.2
4.4 حارس	
683.0 صرافين	
6.0 فلوكة مركب	
10.0 ورديان	
3.0 حوانت	
110.0 تفريغ	
6404.4	

Handwritten manuscript showing a list of expenses and a total sum, likely related to the capture of a Portuguese ship. The text is in Arabic script with some numbers in French numerals.

وحتى أُعطي صورة أوضح على عملية توزيع الغنينة وإعطاء قيمتها الإجمالية سأضع هذه الوثيقة ثم أقوم بتوضيحها وهي غنينة رقم 357 المجلوبة يوم 25 محرم 1217 الموافق لـ 27 ماي 1802م.

والجدول الموالي يوضح قيمة الغنائم للفترة 1765-1815م بالفرنك مأخوذة من سجل الذي أعده ديفو.

جدول رقم(29): الغنائم البحر لسنوات 1765-1815م¹

السنة	ع س غ ²	ث غ بالفرنك	م ث الغنينة ⁴	السنة	ع س غ	ث غ بالفرنك	م ث الغنينة
1765	4	19805.87	4951.5	1790	4	95884.86	23971.2
1766	17	113051.71	6650.1	1791	6	463159	77193.2
1767	18	356702.43	19816.8	1792	6	82942.98	13823.8
1768	19	165539.36	8712.6	1793	15	1352317.45	90154.5
1769	8	291008.34	36376.0	1794	3	1204366.36	401455.5
1770	4	86933.34	21733.3	1795	8	310398.47	38799.8
1771	1	4350.5	4350.5	1796	8	202811.61	25351.5
1772	1	11121.75	11121.8	1797	22	1294296.72	58831.7
1773	2	1991.81	995.9	1798	42	1510528.69	35965.0
1774	4	121080.73	30270.2	1799	31	1583482.47	51080.1
1775	6	122001.7	20333.6	1800	19	523574.1	27556.5
1776	10	104572.26	10457.2	1801	4	340318	85079.5
1777	14	122440.95	8745.8	1802	20	575152.74	28757.6
1778	14	324075.03	23148.2	1804	9	272850	30316.7
1779	13	325217.92	25016.8	1805	8	190433.24	23804.2
1780	16	457313.35	28582.1	1806	3	283439.36	94479.8
1781	13	316204.47	24323.4	1807	10	357294.36	35729.4
1782	18	581580.08	32310.0	1808	10	297105.81	29710.6
1783	10	180025.99	18002.6	1809	7	114496.86	16356.7
1784	6	37455.84	6242.6	1810	1	171347.62	171347.6
1785	9	209377.04	23264.1	1811	4	513137.25	128284.3
1786	6	143803.18	23967.2	1812	12	2136675.36	178056.3

¹ A. devoulex, le Registre..., Op-Cit, p p 12, 102. ، غنينة رقم 2 إلى غنينة رقم 426 ، MI-15. Registre du beylik n° 1915

² ع: عدد، س: سفن، غ: الغنينة

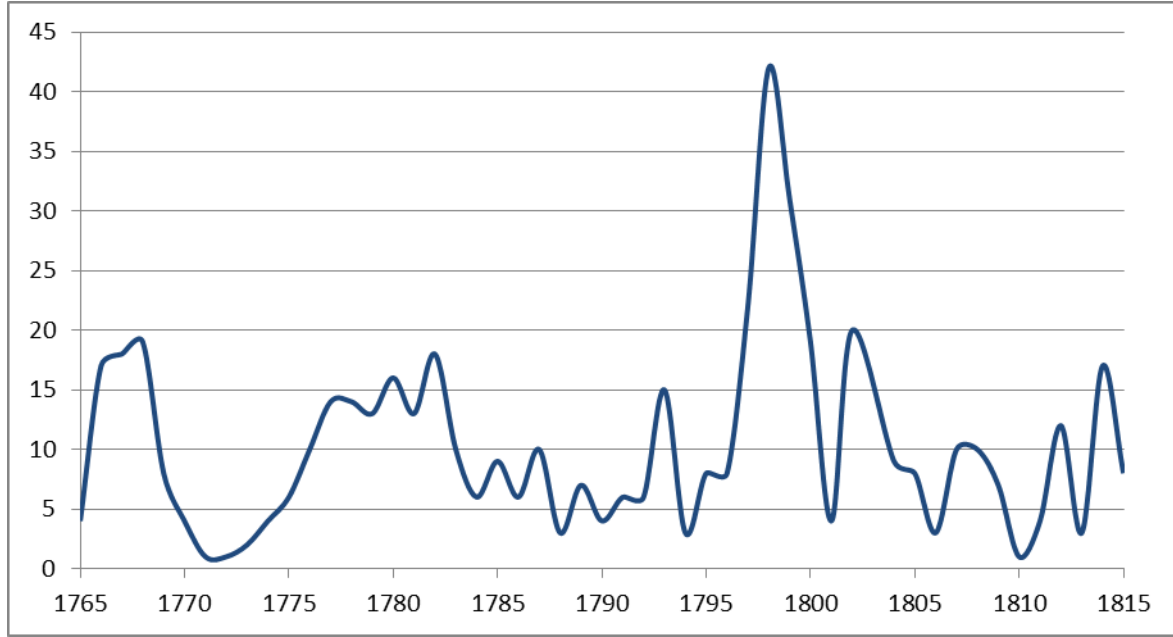
³ ث م: ثمن الغنينة

⁴ م ث الغنينة: متوسط ثمن الغنينة

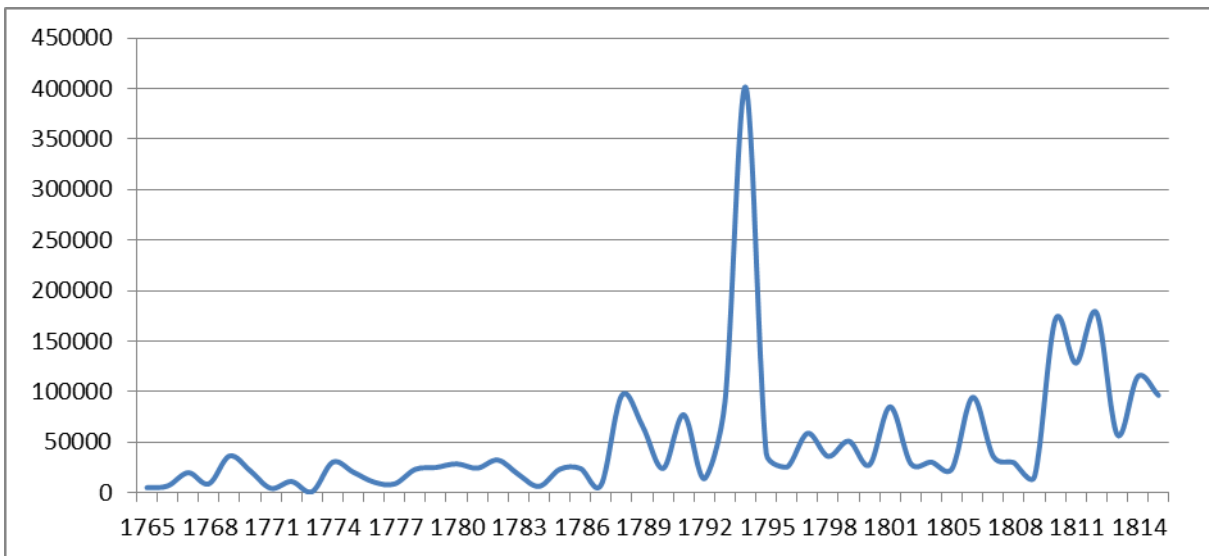
57443.2	172329.74	3	1813	7708.0	77080.48	10	1787
114949.0	1954132.86	17	1814	96237.7	288712.99	3	1788
96302.0	770415.74	8	1815	66165.6	463159.23	7	1789

قبل بداية تحليل معطيات الجدول سأقوم بإعداد رسم بياني في شكل منحنيين الأول يمثل عدد السفن المأسورة خلال السنوات، والمنحنى الثاني يمثل متوسط قيمة الغنيمة

شكل رقم (10): منحنى بياني لعدد السفن المأسورة خلال فترة الدراسة¹



شكل رقم (11): منحنى بياني لمتوسط قيمة الغنيمة بالفرنك



¹ تم رسم الشكلين (10) و(11) انطلاقاً من المعطيات الموجودة في الجدول رقم (29)

لتسهيل عملية دراسة هاته المعطيات نقوم بتقسيمها إلى فترات زمنية بناء على معالم وشخصيات كان لها تأثيرات على سير الأحداث خلال هاته الفترة.

3-1 الغنائم في الفترة 1765-1792

تعتبر هاته الفترة هي فترة حكم الداي محمد بن عثمان وقد ذكرنا من قبل كانت له اهتمامات كبيرة بالبحرية الجزائرية¹، ومن الأحداث التي وقعت في هاته الفترة، والتي كان لها دور مباشر في تراجع المداخل كما تم الإشارة إليه في حملة الدانمارك 1770م، الحملات الإسبانية 1775م، 1783-1784م، وبعد فشلها ورغم المفاوضات إلا أن الاتفاقية لم تعقد إلا بعد تحرير وهران 1792م.

كما وقعت في هاته الفترة أيضا حرب الاستقلال الأمريكية 1778-1783م، حيث انشغلت الدول الأوروبية، بها حتى أن إسبانيا لم تشرع في حملتها الثانية، إلا بعد انتهاء هاته الحرب²، كما أن استقلال أمريكا، سوف يعطي دفعة جديدة للأعمال البحرية ذلك أن السفن الأمريكية التي نشطت تجارتها، سوف تبحث عن موطئ قدم لها في المتوسط، وبحكم أنها ليست محمية من قبل علم أي دول، خاصة بعد استقلالها عن إنجلترا ستكون غنيمة دسمة لرياس البحر الجزائريين³.

نلاحظ من خلال الجدول أن بداية فترة حكم الداي محمد بن عثمان خاصة الأربع سنوات الأولى (1766-1769)م جلبت خلالها 62 سفينة، بمتوسط قيمته 231575.46 فرنك لكل سنة، بالعودة إلى عدد السفن التي خرجت للقرصنة في تلك الفترة نجد أن 68 سفينة أي بمعدل تقريبا غنيمة لكل سفينة، وهذا مؤشر على السير الحسن لأعمال البحرية في هاته الفترة، كما أطلق في هاته الفترة العنان لرياس لاستباحة السفن الدنماركية بسبب قذفها للإيالة سنة 1767م، ورغم الصلح إلا أن الحكومة اعتبرته لاغيا وأعلنت الحرب ضدها⁴.

¹ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 25؛ أحمد توفيق المدني

² Daniel Panzac, Op- Cit, p 40.

³ محمد أمين، المرجع السابق، ص 41.

⁴ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ ..، ج.3، المرجع السابق 239.

السّنوات (1770-1774)م جلبت خلال هاته الفترة 12 سفينة، بمتوسط قيمته 45095.63 فرنك لكلّ سنة، وهي قيمة ضعيفة جدًّا مقارنة بالسّنوات السابقة، وبالعودة إلى عدد السّفن التي خرجت من أجل جلب الغنائم نجد 48 سفينة، أي أنّ كلّ 4 سفن أسرت سفينة واحدة، وهذا مؤشر على التراجع الكبير الذي عرفته العمليات البحرية بسبب تضيق الخناق عليها من قبل إسبانيا حيث، تم أسر 5 شبك جزائري سنة 1770م، و 2 آخرين سنة 1771، 1772¹م، وكذلك إرسال مفرزة من 5 سفن إلى الأستانة بطلب من السلطان عبد الحميد²، كما كان للحملة الدانماركية على الجزائر³ أثرها على المردود السنوي للغنائم، رغم فشل أهدافها⁴.

السّنوات (1775-1778)م جلبت خلال هاته الفترة 44 سفينة، بمتوسط قيمته 87595.98 فرنكاً لكل سنة، وهي قيمة جيدة نوعاً ما، وهذا بسبب ما عرفته أعمال البحريّة من انتعاش بعد فشل الحملة الإسبانية الأولى 1775م، حتى أنّ عدد السفن التي خرجت خلال هاته الفترة هي 61 سفينة، أي بمعدّل أسر 1.3 لكل سفينة خرجت لأعمال البحرية. السّنوات (1779-1783)م، جلبت خلال هاته الفترة 71 سفينة كغنائم، بمتوسط قيمته 372068.4 فرنك، وكانت عدد السّفن التي خرجت للقرصنة هو 106 سفينة، بمعدّل أسر 1.5 سفينة لكل سفينة، من خلال عدد الغنائم وقيمتها نلاحظ أنّ هاته الفترة كانت من أزهى الفترات في حكم الدّاي محمد بن عثمان، خاصّة أنّ هاته الفترة تزامنت مع حرب الاستقلال الأمريكيّة 1778-1783م والتي انشغلت فيها الدّول الأوروبيّة⁵، حتّى أنّ إسبانيا لم تقدّم بالحملة الثّانية 1783 إلّا بعد انتهاء تلك الحرب.

¹ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 468.

² أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 29.

³ ابن رقية التلمساني، المصدر السابق، ص 137.

⁴ بعد فشل الحملة الدنماركية 1770 م، اطلق العنان لسفن الجزائرية لتعقب السفن الدانماركية أينما حلت بالبحر المتوسط

لمدة سنة كاملة، ينظر عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ...، ج.3، المرجع السابق، 329.

⁵ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 406.

السّنوات (1784-1788م)، خلال هاته الفترة خرجت 84 سفينة للقيام بالأعمال البحرية وهو عدد معتبر، رغم تزامن هاته الفترة بالحملة الإسبانية الثانية ووقوع وباء 1787م¹، حيث جلبت 34 غنيمة بمتوسط قدره 151285.9 فرنك، بمعدل أسر أقل من نصف غنيمة لكل سفينة، إنّ تضاول عدد الغنائم، يعود إلى عقد الصّح الذي وقع بين الإيالة وإسبانيا 1786م، والتي ألزمت الرياس بعدم التعرض للسفن الإسبانية حيث يقول أحمد شريف الزهار: "... ووقع بينهم الصّح على مئة سنة، وذلك في البحر فقط"²، ورغم هذا فبعد الصّح المبرم بين الإيالة وإسبانيا وفيما بعد والبرتغال³، أصبح الرياس يبحرون عبر مضيق جبل طارق، ممّا أدّى إلى أسر سفينتين أمريكيتين⁴ سنة 1785م⁵.

السّنوات (1789-1792)م جلبت خلال هذه 23 غنيمة، بمتوسط قيمته 276286.5 لكل سفينة، بمعدل 1.5، وهو معدل يشير إلى التحسن النسبي للغنائم، لقد تزامنت هاته الفترة مع اندلاع الثّورة الفرنسيّة⁷ وإنشغال الدّول الأوروبيّة بها.

¹ تشير مراسلا القنصلية الفرنسية أنّه في هاته السنة وقع وباء عظيم أودى بخمس الساكنة، ينظر محمد أمين، المرجع السابق، ص 53؛ فتيسي نادية، المرجع السابق، ص 375

² أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 34.

³ قبل وقوع الصّح مع البرتغال تمّ أسر سفينة برتغالية سنة 1785م وكانت قيمتها المالية تقدر بـ 64.895,62 فرنك، حيث أن قيمتها أكبر من السفينتين الأمريكيتين، فيلاديفيا و ماريا حيث أن احدهما ثمنها فرنك 40.917، والثانية 537 فرنك فقط اما بقيت الغنائم فهي من جنوة ونابولي ينظر: كاتكارت، المصدر السابق، A. Devoulx, le Registre., Op-Cit, p 44. باين غنمية رقم 197 15MI-15. Registre du beylik n° 19

⁴ محاضرات مجلس الأمة الأمريكي، المصدر السابق، ص 35، أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، ج1، ص 285.

⁵ وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 185؛ علي تابلبيت، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830، ج.2، ثالة، الجزائر، 2013، ص 105؛ محاضر مجلس الأمة الأمريكي، المصدر نفسه، ص 36، وليام شالر، المصدر السابق، ص 128.

⁶ خلال سنة 1789 ارسلت 5 سفن تلبية لطلب السلطان العثماني حتى تحارب إلى جانب الاسطول العثماني في حريها ضد روسيا، كاتكارت، المصدر نفسه، ص 89.

⁷ الثّورة الفرنسية 1789م كانت نتاج تجاذبات أفكار التنوير التي ظهرت في أوروبا، ذلك أن الوحدة القومية الفرنسية تقدمت في القرن 18، ومما ساعد على تقدمها انتشار الثقافة الكلاسيكية، بفضل تعليم في المدارس، وافكار الفلاسفة، وبفضل القراءات والصالونات الأدبية، وجمعيات الفكر، وتطور المواصلات، والعلاقات الاقتصادية، مما انتج طبقة مثقفة تطالب بحقوقها، أو بالأحرى طبقة معارضة، خاصة أن هاته الطبقة كانت تتواجد داخل النظام الإداري، مما أثر عليه، فانتشرت = = الفوضى في جميع الادارات سواء القضائية، أو السياسية، أو العسكرية، ونظرا لعدم التوحيد الاقتصادي للأمة الفرنسية، وبقاء النظام القديم، وقوع أزمة مالية حادة، ومع وجود طبقة برجوازية واتحادها مع طبقة المعارضة، هاته الأمور أدت إلى تجاذبات ومد وجزر ومع وجود ظروف اجتماعية متردية وظهور القحط وانتشار الجوع، كل هذا أدى إلى انفجار الثّورة في 14 جويلية 1789، ينظر ألبير سبول، تاريخ الثّورة الفرنسية، تر. جورج كوسي، ط.4، منشورات عويدات، بيروت، 1989، ص، ص 12، 15.

إنّ مجمل عدد الغنائم لفترة حكم الداوي محمد بن عثمان هي 245 غنيمة بقيمة أكثر من 5.5 ملايين فرنك، أو بقيمة 1070498.7 قرش، بمعدل صرف 5.20 فرنك للقرش¹، بالعودة إلى سجلّ غنائم البحر نلاحظ أنّ أغلب الغنائم إن لم نقل كلها متوسطة فيما عدا السفينتين الأمريكيتين، وبالعودة إلى منحى متوسط قيمة الغنائم نلاحظ إلى غاية 1787م لم تتجاوز متوسط قيمة الغنائم 50.000 فرنك أو 9.615,4 قرشاً للغنيمة، فيما عدا سنة 1788م التي قاربت متوسط قيمة الغنيمة 100 ألف فرنك رغم أنّ عدد الغنائم كانت قليل جداً، 3 غنائم فقط لكن قيمتها كانت كبيرة خاصّة غنيمة 25 سبتمبر 1788 التي غنمها الحاج سليمان قدرت قيمتها بـ 127.133 فرنك²، وهذا يعود طبعاً إلى طبيعة الحمولة وعلم السفينة.

3-2 الغنائم في الفترة 1793-1815

خرجت خلال السّنوات 1793-1798م، 29 سفينة للقيام بالأعمال البحريّة، فجلبت خلال هاته الفترة 26 غنيمة، أي بمعدل غنيمة لكل سفينة، بقيمة إجمالية 7458202 فرنكاً أي بمتوسط 1065457 أكثر من مليون فرنك للغنيمة، تعتبر هاته الفترة من أزهى فترات البحرية حيث شهدت انتعاشاً كبيراً، ساعدتها في ذلك عدة عوامل:

- انشغال الدّول الأوروبيّة بالحرب التي أعلنتها فرنسا على إنجلترا وإسبانيا وهولندا 1793-1815م³، ولأنّ إنجلترا أرادت دخول البرتغال لجانبهم ضد فرنسا، فقد سعت لعقد هدنة بين الجزائر والبرتغال لمدة سنة تمهيداً لعقد المعاهدة هاته الهدنة، والصّح مع إسبانيا، جعلت ضربات الجزائريين تصبّ على صقلية، نابولي، البندقية، إيطاليا الصّغرى⁴، كما سمحت للسفن⁵ الجزائرية الولوج إلى مضيق جبل طارق⁶ حيث أسرت 11 سفينة عليها 119 أسير⁷.

¹ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 469.

² A. Devoulx, le Registre..., Op-Cit, p 48. 223 بيان غنيمة MI-15. Registre du beylik n° 1915

³ علي تابليت، العلاقات...، المرجع السابق، ص 94؛ محمد أمين، المرجع السابق، ص 276.

⁴ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 546.

⁵ بعد عقد الهدنة ظهرت في جبل طارق 8 سفن جزائرية مباشرة بعد 14 يوم.

⁶ أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، ج.1، المرجع السابق، ص 288.

⁷ هناك اختلاف في عدد السفن الأمريكية المحتجزة في سنة 1793 فلي تابليت يقول أنّها 10 سفن، ص 93، وهذا ما ذكره جيمس ويلسن ستيفن، أنّها 10 سفن، كذلك وليام شالر يذكر أنّها 10 سفن أمريكية ص 129، ص 72، بينما أبو القاسم سعد الله يذكر أنّها 11 سفينة، ص 288، بينما رسالة تشرش من لشبونة في 12 أكتوبر إلى وزارة الخارجية يذكر أنّه بعد 14 يوم من الهدنة أسرت سفينة سويدية وأخرى جنوبية و 4 سفن أمريكية ص 58، بالعودة إلى سجلّ غنائم البحر

نجدها من 15 غنيمة هناك 4 سفن أمريكية، ينظر: A. Devoulx, le Registre..., Op-Cit, p55

- ظهور رياّس بحر من طراز الكبار كالرايس حميدو¹ الذي كان قائداً عاماً للأسطول للفترة 1797-1815م، كما تزامنت هاته الفترة باحتلال نابليون جزيرة مالطا 1798م² ووضع حدّاً نهائياً للقرصنة المالطية، التي كانت تعيق تحرّكات السفن الجزائرية، كما قام بتحرير الأسرى الجزائريين، والذين يبلغ عددهم 2.000 أسير أغلبهم بحارة³، ممّا أعطوا دفعة كبيرة للأعمال البحرية⁴.

تحتوي هاته الفترة على سنوات كان معدل الأسر فيها كبيراً جداً كسنة 1797م حيث خرجت 13 سفينة، جاءت بـ 22 غنيمة، أي بمعدل 1,7 غنيمة لكل سفينة، وسنة 1798م خرجت 27 سفينة جلبت 42 غنيمة بمعدل 1,5 غنيمة لكل سفينة، إلّا أنّه بالرجوع إلى منحنى متوسط قيمة الغنائم نجد أنّ سنة 1794م كان متوسط قيمة الغنيمة 401455.5 فرنك، والشّيء الملاحظ أنه خلال هاته السّنة خرجت 20 سفينة ولم تجلب إلّا 3 غنائم فقط، لكنّها كانت غنائم ثمينة جداً بالعودة إلى سجّل الغنائم البحرية نجد أن هاته السفن هي أمريكية وجنوية وأخرى غير محدّدة الهوية⁵.

السّنوات 1799-1804م جلبت خلال هاته الفترة 83 غنيمة، بقيمة 3.295.377 فرنكاً، كانت الغنائم في هاته الفترة أيضاً جيّدة المردود، حيث أنّ معدّل جلب الغنائم هو 1,25 غنيمة لكل سفينة، ففي سنة 1799م خرجت 15 سفينة جلبت 31 غنيمة أي بمعدّل 2 غنيمة لكل سفينة، بالرجوع إلى سجّل غنائم البحر فنجد هويّة الغنائم هي من البندقية⁶، مالطا، بروسيا، البرتغال، أمريكا، السويد، نابولي⁷، خلال هاته الفترة وبالأخصّ سنة 1802م هذه

¹ يذكر ناصر الدين سعيدوني أن الرايس حميدو سنة 1797 أسر 16 سفينة برتغالية بها 118 أسير، ينظر ناصر الدين سعيدوني، ورفقات... المرجع السابق، ص 140.

² الأغا بن عودة المزارقي، المصدر السابق، ج.2، ص 73.

³ أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، ج.1، المرجع السابق، ص 293؛ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 471.

⁴ بن جبور محمد، "البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني"، مجلة عصور، مج.7، ع.2، جامعة وهران، 2008، ص، 123، 124.

⁵ A. Devoulx, le Registre., Op-Cit, p 56. 264, 263, 262؛ MI-15. Registre du beylik n° 1915

⁶ في هذه السنة تم ضم أجزاء من البندقية إلى النمسا، والجزء الآخر لفرنسا، ممّا أدى إلى تغيير الأعلام، ولأن النمسا قامت بعقد اتفاقية مع الدولة العثمانية، ومن بنودها عدم تعرض سفن الأوجاق إلى السفن التابعة لنمسا، لهذا طالبت النمسة برد غنيمة البندقية ودفع التعويض لأنها تابع لها وتحمل علمها، خلال هاته الحروب بين الدول الأوروبية تغيرت الخارطة الجيوسياسية حيث أصبح جزء من البندقية تابع للنمسة وجزء لفرنسا، توسكانا أصبحت تابعة لبرطانيا، إيطاليا وممالكها تابعة لفرنسا، كل هاته الامور أدت بطبيعة الحال إلى تقزيم وتحزيم مداخيل البحرية الجزائرية، ينظر عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص، 576، 580.

⁷ A. Devoulx, le Registre., Op-Cit, p 73. 339, 263, 262؛ MI-15. Registre du beylik n° 19, Op-Cit 15

السنة التي جلب فيها الرئيس حميدو الفرقاطة البرتغالية، مما أدى إلى الشهرة الكبيرة التي عرفها¹.

وخلال هاته الفترة 1805-1809م جلبت 38 غنيمة بقيمة 1242770 فرنكاً، بمعدل 248554 فرنك للغنيمة، كان عدد السفن التي خرجت لأعمال البحرية 62 سفينة أي بمعدل 1.5 لكل سفينة، ما يلاحظ خلال هاته الفترة رغم أن معدل الأسر لسفن هو معدل لا بأس به إلا أن قيمة الغنائم ضعيفة جداً حيث لم تصل في مجملها 1.5 فرنك، ومتوسط قيمة الغنائم لم يصل لربع المليون فرنك²، كما نلاحظ أن خلال هاته الفترة كانت هناك سنة كارثية 1806 حيث خرجت 15 سفينة ولم تجلب إلا 3 غنائم فقط، ورغم ذلك فإن قيمة هاته الغنائم كان مرتفعاً بالمقارنة مع قيمة غنائم 1805 التي جلبت فيها 8 غنائم، وسنة 1808 التي جلبت فيها 10 غنائم والمنحى رقم (11) يوضح هذا أكثر.

والسنوات 1810-1815م جلبت خلالها 45 غنيمة، بقيمة 5.718.039 فرنك، بمعدل 953.006.5 فرنك للغنيمة، كان عدد السفن التي خرجت لأعمال البحرية 59 سفينة، من بينهم 3 سفن حربية عبرت المحيط الأطلسي³، كان معدل الأسر 1,3 لكل سفينة، نلاحظ أن في هاته الفترة وصلت قيمة الغنائم إلى أكثر من 5.5 ملايين فرنك، وهي قيمة كبيرة مقارنة بالسنوات الماضية، وذلك بسبب ما جلبه الرئيس سنة 1814م، من سفن سويدية السبع حيث كانت 4 من هاته السفن عالية القيمة فقدرت قيمتها بـ 500.000 قرش إسباني⁴، وفعلاً

¹ بما أن الفرقاطة البرتغالية هي سفينة حربية فما تحتويه بطبيعة الحال هو معدات حربية، كالفنابل والبارود والمدافع، وهذا كله عتاد حربي يعطى للدولة، فيما عدى الاسرى وهم 282 أسير فهم يعتبرون غنائم (تم توزيع بعض منهم كهدايا وبقي 269)، ويوزعون على المساهمين في هاته الغنيمة بالطريقة التي تمت الإشارة إليها في الفصل الأول، لهذا ومن حسن التدابير التي اتخذها الداى هو اعطاء الرئيس حميدو هبة مالية لتوزيعها على بحارته تشجيعاً لهم، للقيام بالمزيد بمثل هاته الأعمال، ألبير دوفال، المرجع السابق، ص، ص 62، 63.

² يرجع هذا الضعف في القيم المالية للغنائم بسبب غياب السفن الأمريكية من المتوسط فمنذ 1807م قطعت العلاقات بين البلدين، بسبب تأخر ارسال العتاد الحربي؛ فأعطى الداى أوامر للاستيلاء على السفن الأمريكية؛ ونظراً للحرب الأمريكية البريطانية هجرت السفن التجارية الأمريكية المتوسط، مما سبب شح في الغنائم الأمريكية ففي سنة 1812 حصلت فقط على سفينة Edwing، ينظر: علي تابليت، العلاقات...، المجمع السابق، ص، ص 215، 216.

³ A. Devoulx, Tchirfat, Op-Cit, p 40

⁴ وليام شالر، المصدر السابق، ص 144.

وبالرجوع إلى سجل غنائم البحر نجد القيمة المالية لثلاث سفن سويدية عالية جداً قُدرت بـ 550.282 فرنك¹.

ما نلاحظه طوال هاته الفترة الزمنية الطويلة 1765-1815 المليئة بالأحداث التاريخية، ثم جلبت 513 غنينة، بقيمة إجمالية 21,5 مليون فرنك، كانت هناك سنوات الغنائم فيها كارثية ف 1771م، 1772م، 1778م، 1794م، 1806م، 1810م، فعدد الغنائم على مدار السنة على التوالي، 1، 1، 3، 3، 3، 1 وهذا طبعا مقارنة مع عدد السفن التي خرجت لأعمال البحرية، 5، 7، 20، 17، 15، 11؛ كما كانت فيها طبعا سنوات مثمرة جدا، كسنة 1797، 1798، 1799، 1800، 1814، كانت غنائمها على التوالي، 22، 42، 31، 19، 17، وعدد السفن التي خرجت لأعمال البحرية هي على التوالي 13، 27، 15، 16، 9، ومع ذلك فحجم الغنائم لا يعبر بالضرورة على قيمتها المالية.

فسنة 1794 والتي اعتبرت من السنوات الكارثية في منحى متوسط قسمة الغنائم نجد غنائمها تترتب على قمة المنحنى بقيمة مالية قدرها 401455.5 فرنك، وأمّا سنة 1814 والتي كانت غنائمها 17 غنينة فهي تعود إلى عودة الرياس للاستلاء على سفن الممالك الإيطالية بعد هزيمة نابليون، كما أن انفصال هولندا عن فرنسا وانضمامها إلى الحلف الذي شكل من أجل إعادة النظام والشرعية لأوروبا، وحتى السويد مما جعلهم عرضة لغارات رياس البحر الجزائريين²، ليس هذا فحسب فالإيالة في هاته السنة كانت قد اعلنت الحرب على كل من إسبانيا، روسيا، بروسيا، والدانمارك³، هذا جعلها تتحرر من قيود الاتفاقيات، وإعطائها حرية أكبر في الحصول على الغنائم.

السؤال المطروح هل ثمن الغنائم المسجل في سجل غنائم البحر يمثل حقيقة الثمن الفعلي للبضائع السفينة المحتجزة، يشير بنزك أن ثمن السفن التي تباع في الجزائر أقل بكثير من ثمنها الحقيقي ويعطي مثلا عن السفينة النمساوية التي بيعت بـ 15 ألف فرنك وثنمها الحقيقي هو 50 ألف فرنك⁴، كما يشير كركن أن سنة 1793م تم أسر ثلاث سفن هولندية 2

¹ A Devoulx, le Registre., Op-Cit, p 99. في السجل بالعصمانية لم أعر على أرقام الغنائم بسبب فقدان بعض الصفحات من السجل الأصلي.

² وليام شالر، المصدر السابق، ص 143.

³ أبو القاسم سعد الله، أبحاث و...ج.1، ص 289.

⁴ Daniel Panzac, Op- Cit, p 106.

بقيمة 35 ألف فرولن للوحدة، والثالثة بقيمة 100 ألف فلورن¹، أي بمبلغ إجمالي 1.6 مليون فرنك²، هذا المبلغ أكبر من القيمة الاجمالية للغنائم لسنة 1793 والتي بلغت 1352317.45 فرنك³.

3-3 الغنائم في الفترة 1816-1830

تعتبر غنائم هاته الفترة، ضعيفة جداً بالنسبة للفترات السابقة، فمنذ 1815 لم تعد الحكومة تجني أي ارباح معتبرة من عرض البحار⁴، ويرجع هذا إلى عدة عوامل، منها مقتل الرئيس حميدو 17 جوان 1815م⁵، عند تعرضه لهجوم من قبل السفن الأمريكية الثمانية⁶ بقيادة الكمدور (عميد البحرية) ستيفان ديكاتور والذي كان على متن البارجة كونستيليشن⁷. أيضا حملت اللورد أكسموث 1816م⁸، والتي جاءت بعد إنتهت الحروب الأوروبية، هاته الحروب أنتجت وضع عالمي جديد⁹، مليء بالتحالفات¹⁰، والمؤتمرات الدولية¹¹، من أجل

¹ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 122.

² المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، ص 474.

³ A. Devoulx, le Registre..., Op-Cit, p 55.

⁴ وليام شالر، المصدر السابق، ص 58.

⁵ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 604.

⁶ البير دوفال، المرجع السابق، ص 94.

⁷ وليام شالر، المصدر نفسه، ص 7-52.

⁸ تجدر الإشارة حول موقف الدولة العثمانية، من حملة اللورد اكسموث، والتي أوردتها التر في كتابه، وهي تعطي عدة تساؤلات حولها، هل حقيقة أن الدولة العثمانية اعطت الضوء الأخضر لإنجلترا، من أجل تأديب إيالة الجزائر...؟ كان موقف الدولة العثمانية حسبة أن اوجاق الغرب، ونظرا لتماديه في أعمال القرصنة، وبسبب الشكاوة المتكررة من قبل إنجلترا، قررت الدولة العثمانية عدم التدخل في حال قيام حرب بين الدول الأوروبية وإيالة الجزائر، ليس هذا فحسب بل أورد أن الدولة العثمانية اتفقت مع حكومات إنجلترا، والنمسا، وروسيا ضد الإيالة، وما حملة اكسموث إلى نتيجة لحصول إنجلترا على الموافقة الرسمية من اسطمبول، معنى هذا أن إنجلترا وما تم دمجها في قرارات فينا من قبل سدي سميت إلا انتقاما من الجزائر لحيادها في حربهم ضد فرنسا، ينظر عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 605؛ جمال قنان، نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص 22.

⁹ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 494.

¹⁰ منها 1 التحالف المقدس 25 سبتمبر 1815، بين روسيا وبروسيا والنمسا، يستند على أن يصبح الملوك أخوة، وهو تحالف ضد التغيرات الحدودية، وضد التنازلات الدستورية داخل الدول، 2 التحالف الرباعي هو تحالف برئاسة بريطانيا، وقع 20 نوفمبر 1815، يتكون من روسيا، وبروسيا، النمسا، بريطانيا، لمدة 20 عام، نصت اتفاقيته على عقد اجتماعات دورية وفي أوقات ثابتة، بمناقشة التدابير اللازمة لضمان رخاء الأمم والمحافظة على السلام في أوروبا...، ينظر خطاب فطوم، التحالف الأوروبي وتجديد العلاقات الجزائرية الفرنسية (1800/1830م)، شهادة ماجستير في التاريخ الدبلوماسي والعلاقات الدولية، اشراف شقرون الجيلالي، جامعة الجبلالي اليابس سيدي بالعباس، 2014/2015م، ص، ص 17، 19.

¹¹ عقدت عدة مؤتمرات دولية لكن المؤتمرات التي كان لها أثر على إيالة الجزائرية هي مؤتمر فينا 1815، ومؤتمر اكس لا شيبيل 1818، والتي سناتي على ذكرهما بشيء من التفصيل في الجزئية المخصصة لهما.

تنظيم الهيمنة الدولية الجديدة، والتي ستكون البعض من نتائجها كارثية على إيالة الجزائر، خاصة البيان العام الذي اتخذ حول إلغاء الرّق (الإستعباد)، وكنتيجة لهذا البيان جاء الأسطول الانجليزي- الهولندي، مطالباً الداي بتحرير كل الأسرى الأوروبيين¹، دون مقابل مع إلغاء العبودية²، كما قام بتحطيم الأسطول الجزائري³، والذي أعيد بناءه فيما بعد فحسب سجل غنائم البحر، إنه بعد سبعة أيام من حملة اكسموث 27 أوت 1816، خرجت في 4 سبتمبر سفن جزائرية إلى عرض البحر⁴، ونفس الملاحظة يقدمها كركن أنه سرعان ما لملت الجزائر جراحها، حيث خرج أسطولها المكون من 6 سفن إلى عرض البحر، ومع ذلك فالقرصنة عندهم فقدت أهميتها الاقتصادية⁵، أما عبد الجليل التميمي فيذكر أن الأسطول الجزائري المكون من ستة سفن قد ألق للجهاد في عرض البحر في نهاية شهر نوفمبر أي بعد ثلاثة اشهر من الواقعة⁶.

إن مجمل ثمن الغنائم التي تم جلبها خلال الفترة 1817-1827م، حسب سجل غنائم البحر هي 422930 فرنك⁷، بينما يورد كريكن أن عدد غنائم الفترة 1817-1830 م هو 26 سفينة بقيمة إجمالية تقدر بـ 40.000 فلورن أي 16.000 فرنك (1فرنك = 2.5 فلورن)⁸، أما ناصر الدين سعيدوني فيقدر قيمة الغنائم خلال الفترة 1817-1827م بـ 700.000 فرنك، وكانت غنائم سنة 1825م 8 سفن أغلبها هولندية، إسبانية⁹،

¹ في ذات السياق وحسب التر، إن الصلح الذي أقامته الدول الأوروبية مع فرنسا، قد انهى الحروب الداخلية الأوروبية، واصبحت لهم الوقت الكافي للتفكير في مسألة القرصنة، كما أن الحكومات الأوروبية اتفقت في مؤتمر فيينا على إلغاء قرصنة أوجاق الغرب، ينظر: عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 604.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 444.

³ وليام شالر، المصدر السابق، ص 62.

⁴ A. Devoulx, le Registre..., Op-Cit, p 102.

⁵ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 130.

⁶ فتيسي نادية ج.2، المرجع السابق، ص 140

⁷ A Devoulx, le Registre..., 1872, R.V, Op-Cit, p p 300, 303.

⁸ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 130.

⁹ وهذا ما أكدته الوثيقة رقم 228 من الملف رقم (1) من المجموعة رقم 3190 من م.و.ج حصول رياس البحر الجزائريين على سفينة إسبانية وكل حمولتها نظراً لعدم حمل قبطانها لجواز سفر وكان ذلك في سنة 1243هـ / 1827م. ينظر الملحق رقم (2)

إنجليزية¹، قُدِّرت قيمتها بحوالي 770.415,74 فرنك²، أمّا المنور مروش فيذكر أنّ المتوسط السنوي لثمن الغنائم للفترة 1816-1830م هو 60.000³ فرنك.

وتشير الوثيقة المرسلة من حسن باي الغرب (1824-1835م) إلى إبراهيم وكيل الحرج باب الجهاد، بأنّ الغنائم البحرية لم تنقطع حتى وقت الحصار الذي فرضه على الإيالة من قبل الأسطول الفرنسي، حيث يخبر الباي وكيل الحرج أنّ ثلاث سفن جزائرية دخلت لميناء أرزيو منها 2 محملتان بغنائم فرنسية⁴.

مهما كان الاختلاف حول ثمن الغنائم المجلوبة، خلال هاته الفترة فإنّها ضعيفة جداً، ولا تغطّي النفقات العامة للبحرية، والتي تتطلب 826800 فرنك سنوياً، وذلك أن حسب ما أورده وليام شالر⁵ عن نفقات 1822م أن مجمل نفقات عمال الميناء هي 124800 فرنك (24 ألف قرش)، ونفقات من مستلزمات البحرية من خشب وغيرها هو 312000 فرنك (60 ألف قرش)، أمّا أجور الضباط والبحارة في 390000 فرنك (75 ألف قرش)⁶.

من خلال ما تمّ طرحه نلاحظ أن أعمال البحرية، رغم فقدانها الأهمية الاقتصادية، إلّا أنّها بقيت تقاوم إلى آخر نفس من حياة الإيالة، في ظلّ التغيّرات الدولية الجديدة وما نتج عنها، ورغم أوامر السلطان العثماني الموجّه للإيالة والتي واجتها الحكومة باللامبالاة، مما

¹ تشير الوثيقة رقم 174 من المجموعة 3190 المؤرخة في 14 محرم 1242هـ، أن من بين السفن المحتجزة من قبل البحارة الجزائريون في الفترة 1817-1827م، سفينة تابعة للفيرون احتجزت في قناة لفيرون وعليها 7 أسرى مسيحيين، تحمل سكر وأقمشة وسلعاً أخرى ينظر: الملحق رقم (7).

² ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص 140.

³ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، ص 482.

⁴ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني المجموعة رقم 1903، الملف رقم 1، وثيقة رقم 20، ينظر الملحق رقم (8).

⁵ في نفس السياق يذكر أوجان بلاننت العجز المالي الذي أصبحت تعانيه الإيالة ويذكر الفرق بين المداخيل والنفقات وخلال هاته الأخيرة يذكر نفقات عمال الميناء وأجور الضباط وثمان شراء الأسلحة...الخ، ينظر أوجان بلاننت، المرجع السابق، ج.1، ص 30.

⁶ وليام شالر، المصدر السابق، ص، ص 60، 61.

يُوحى بالارتباط والوجودي بين الإيالة وأعمالها البحرية والتي دامت مدة أكثر من ثلاث قرون 1518-1830م.

المبحث الثالث: الإتاوات والهدايا

1- الإتاوات:

قبل أن نتطرق لموضع الاتاوات لابدّ أن نقوم بتعريف معنى الإتاوة أولاً:

الإتاوة: هي مصدر من مصادر الإيرادات كالرّسوم والضرائب، فهي ضريبة غير مباشرة، تفرضها الدولة، باعتبارها صاحبة السّيادة على أراضيها ومياها، داخل حدودها الإقليمية، مقابل حصول دافع الاتاوة على منافع خاصّة، حصل عليها، أو إستغلاله لأراضي ومياه الدولة، مثل منح حقوق الامتياز لشركة ما ولفترة زمنية معينة. وهي تتشابه مع الضرائب من حيث الإيجابار فكل منهما تجبر على سداد القيمة الماليّة للدولة، وتختلف عن الضريبة، في أنّ صاحب الاتاوة يحصل على منفعة خاصّة، أمّا صاحب الضرائب فلا يحصل على أيّ منفعة خاصّة¹.

وبناء على ما ورد أعلاه، فقد فرضت إيالة الجزائرية على الأمم الأوروبية، المالكة لسفن تجارية تبحر داخل الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط إتاوات، مقابل السّماح لها بحرية الملاحة فيه، وإعطاء تجارة تلك الدول امتيازات خاصة، منها التّخفيضات على الرّسوم الجمركية².

كانت الضريبة هي مفتاح العلاقات الجزائرية الأوروبية بداية من العقد الثاني من القرن الثّامن عشر (18م)، وذلك بعد التطور الذي شهدته العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية بين إيالة الجزائر والدّول الأوروبية، أدّى بالضرورة إلى تقليل احتمالات قيام رياس البحر

¹ عبد الرحمان ظاهر، المالية العامة والتشريع الضريبي، جامعة أم درمان، السودان، د.س.ن، ص 176.

² ناصر الدين سعيدوني، ورقات...، المرجع السابق، ص 140؛ حنفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 71.

بأنشطتهم، فكان التعويض يتمثل في تلك المدفوعات الكبيرة التي تقدّمها أغلب تلك الدول في شكل اتاواتٍ أو جزية¹.

كانت هولندا أول دولة أوروبية تدفع جزية للإيالة بشكل منتظم وفي شكل معدّات حربية، وذلك على إثر عقد معاهدة 1679م، التي اعتبرها قناصل فرنسا وانجلترا "جبنًا"، "مخجلًا"، "مخلا بالشرف"²، وفيما بعد معاهدة 1712م، التي أنهت الحرب الطويلة بين الأراضي المنخفضة والإيالة، ونصت على الدفع المنتظم في شكل معدّات حربية بالإضافة إلى النقود³، أما في معاهدة 1757م والتي نصّت على اتاوة من النقود بشكل منتظم، من أجل أمن التجارة الهولندية في المتوسط، وضمان عدم التعرّض لها من قبل رياس البحر الجزائريين⁴.

وفيما بعد حاولت دول أوروبية أخرى، بدورها تحقيق توقيع اتفاقيات، السّلام والتجارة مع الإيالة، وقد تبنت تلك الدول خاصّة الصغيرة، منها النهج الذي تبنته هولندا، وقبلت دون تردّد، دفع الجزية مقابل مرور سفنها بلا مضايقات، وعلى إثرها كان الجزائريون يمتنعون عموماً، عن مهاجمة السفن والموانئ الدّول التي تدفع الجزية، وعند تأخر أي دولة عن دفع تلك الإتاوة، كانت الإيالة تعلن الحرب عليها، من خلال إطلاق عنان الرّياس لمهاجمة سفنها التجاريّة⁵.

وفي هذا السياق نجد أوجان بلانتيت يصف هذه الحالة بقوله: "كلّ الأمم البحريّة للعالم المسيحي كانت هكذا الواحدة تلو الأخرى ضحيّة الأسياذ البرابرة؛ حيث كانوا يجدون أنفسهم مُخيرين بين الدّخول في الحرب ضدّهم، أو أن يدفعوا لهم الضرائب، وهكذا كثير من هذه

¹ Daniel Panzac, Op- Cit, p 41.

² قاسم نايت بلقاسم، شخصية...، ج.1 ص 118.

³ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 381.

⁴ حنفي هلايلي، بنية الجيش...، المرجع السابق، ص 73.

⁵ يحي بوعزيز، الموجز...، ج.2 ص 54.

الدّول استسلمت لأمرها بعد أن قاومت كثيرا دون جدوى، وأدّى بها الوضع إلى تلك الوضعية الحياضية البحتة التي دفعت ثمنها غالبا¹.

وما إن جاءت نهاية القرن الثامن عشر (18م)، حتى أصبحت كلّ الدّول الأوروبية تقريبا تدفع الإتاوات البروسيين، والبرتغاليين، والهولنديين، والنابوليين، والجنوبيين، والدنماركيين²، والتّوسكانيون، والسردينيون، وحتى أمريكا³، وقد اشترطت الجزائر على البرتغال 2 مليون قرش إسباني، وكانت كلّ معاهدات الصّلاح تُكلّف حوالي 75.000 قرش، الدانمارك والسويد وهمبورغ.. الخ، وعلق القنصل الفرنسي على هذه الحالة في مراسلاته قائلا، لم يحدث أنّ تدفّقت الأموال الأوروبية على الجزائر بهذا الشكل الذي تدفّقت به الآن⁴. غير أنّ الملاحظ هو أن الإتاوات كانت تختلف حسب العلاقة التي تربط تلك الدول بالإيالة، كما كان للظّروف السّائدة في تلك الفترة، تأثير على تحديد مبالغ الإتاوات، أيضا كانت حصانة الاعلام للدّول القويّة⁵، تلعب دوراً في إعطاء أو منع الإتاوة، وهذا ما حصل للسفن الأمريكية، ذلك أنّها عندما كانت مستعمرة إنجليزية كانت تحمل العلم الإنجليزي، الذي

¹ أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ص 123.

² م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم 1، الرسائل رقم 451 وهي قائمة بالمعاهدات الحربية التي جلبت للإيالة من قبل الدانمارك لسنتي 1209، 1210هـ، والرسالة رقم 451 والتي تحتوي على الاتاوة في شكل معدات حربية لسنة 1217، والرسالة رقم 453 دون تاريخ، تحتوي على معدات حربية كإتاوة من الدانمارك ينظر الملحق رقم(9).

³ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، ملف رقم 2، ص 5 وهي وثيقة تذكر المعدات الحربية التي جلبت للإيالة من قبل أمريكا بتاريخ 14 جمادى الأولى 1215هـ/ 3 أكتوبر 1800م، ينظر: الملحق (10).

⁴ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 383.

⁵ عن حصانة الإعلام جاء في البند الثاني للمعاهدة المبرمة بين إيالة الجزائر وإنجلترا سنة 1716م، بما أن مينورقة وجبل طارق قد تم التنازل عليهما للتاج البريطاني، فانهما يعتبران من جميع الجوانب جزء من مستعمرات التاج البريطاني، وسكانهما رعايا طبيعيين تابعين لجلالة الملك، وتكون لبوارجهم وبواخرهم، التي تحمل العلم البريطاني، نفس الحقوق المنصوص عليها في المعاهدة المبرمة بيننا، ينظر: علي تابلت، معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ج.2، ثالة، الجزائر، 2014، ص 165؛ وفي نفس السياق بعد ضم جزيرة مالطا للتاج البريطاني، ففي معاهدة 19 مارس 1801م، نصت على معاملة سكان وسفن مالطا بجميع الحقوق التي يتمتع بها الرعايا البريطانيون، نفسه، ص 171.

يمنحها الحصانة ضدّ رياس البحر الجزائريين، لكن بعد سنة 1783م وما أن ظهر علم أمريكا على سفنها في البحر الأبيض المتوسط حتى أصبحت غنيمة شرعية لرياس¹.

1-1 الدول التي لا تدفع إتاوات

كانت إنجلترا وفرنسا الدولتين القويتين بحريا، حيث اعتمدا على القوة البحرية والمعاهدات، لضمان سلامة سفنهم التجارية، من حملات رياس البحر الجزائريين، لكن تلك المعاهدات لم تتضمن دفع اتاوة²، وخلال القرن الثامن عشر كلّه، بقيتا في حالة سلام مع الايالة³.

بل أن قنصلي فرنسا وإنجلترا كانا وباستمرار يحثّان على استعمال الهدايا (الرشوة)، باعتبارها البديل المناسب للعمل البحري، ففي سنة 1690 قدم القنصل الانجليزي مبلغ 10.000 دولار هولندي، في نفس السنة قدمت فرنسا مهندسين واجهزة جرف الرمال⁴، فالهدايا التي كانت تدفعها هاتين الدوبتين أكثر مما تدفعه بعض الدول الأخرى كجزية⁵ هذا من ناحية أمن السفن في البحر، أمّا الاتاوات على الامتيازات، فقد كانت فرنسا تدفع اللزّمة (الاتاوة)، على استغلال الباستيون، والتي حدّدت بـ 17.000 فرنك سنويا تدفع على 6 أقساط⁶، إلا أن هاته اللزّمة قد غيرت في سنة 1790م إلى 56.700 فرنك⁷، وكانت تدفع

¹ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 418.

² وليام شالر، المصدر السابق، ص 132.

³ جون ب وولف، المرجع نفسه، ص 313.

⁴ المرجع نفسه، ص، ص 362، 363.

⁵ وليام شالر، المصدر نفسه، ص 132.

⁶ في البند 13 من المعاهدة المثوية الموقعة في 23 أفريل 1689 تنص على دفع اللزّمة المتمثلة في 34 "دول" من الذهب كل سنة على 6 دفعات متساوية تتم كل شهرين ابتداء من اول فيفري، ينظر على تابلت، معاهدات...، المرجع السابق، ص 56، أما في معاهدة 1694م فقد حثت في بندها الخامس على أن تدفع اللزّمة بقيمة 3000 ريال على 6 اقساط، ينظر: المرجع نفسه، ص 72.

⁷ جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص 173، جمال قنان، نصوص ووثائق...، المرجع السابق، ص 110.

خلال سنة 1822 ما قيمته 70.000 قرش اسباني مقابل احتكار صيد المرجان بعنابة والصّوف والجلود والشّمع¹.

أما إنجلترا ففي سنة 1807م فقد تعهدت بدفع 267.500 فرنك، مقابل حصولها على بعض الامتيازات، بالإضافة إلى تزويد الجزائر بالمدافع، والذخيرة الحربية²، وعند تحويل الامتيازات الاسبانية لإنجلترا بين سنتي 1807-1816م قدرت الاتاوة بقيمة 350.000 فرنك كإتاوة سنوية³.

1-2 الدول التي تدفع الاتاوة نقدا ومعدات حربية

هولندا: كانت من أوّل الدول التي اشترت أمن سفنها، إمّا عن طريق المعدات الحربية، أو عن طريق النّقود. ففي سنة 1712م تمّ تقديم 24 مدفع، و 25 من الصّواري، و 600 برميل من البارود، ومجموعة من القنابل والكابلات، مع اللزّمة السنوية والتي تساوي 4.000 فرنك⁴. وفي سنة 1757 دفعت ما قيمته 125.000 فرنك. ودفعوا بعد قطعة 1793م ما قيمته 222932 فرنك (557.300 فلورن)⁵. كما تمّ طلب معدّات حربية في عهدة الدّاي حسن باشا سنة 1795م، والوثيقة التي بين يدينا توضّح وبشكل كبير كيف يتمّ طلب الهدية من قبل الباشا؛ وكيف يحدّد وبالتّسيق مع وكيل الحرج الأشياء المطلوب ذكرها في بيان الهدية، مع تحديد المهلة التي يجب أن تصل فيها الهدية حيث تمّ ذكر في الوثيقة التي بين أيدينا : " بعد ذكر المعدّات الحربية المطلوبة... وبقي سنتين صدرت المحاسبة مع القنصل الفمندانة وأعطى لأيديهما تذكّرين إثّنين"⁶؛ ويقصد بها أن مهلة انتظار الهدية الهولندية هي سنتين. وبالفعل قد أرسلت سنة 1797م معدات تتكوّن من: حبال وأشرعة، 300 قطعة خشبية،

¹ وليام شالر، المصدر نفسه، ص 60.

² حنيفي هلاليلي، بنية الجيش، المرجع السابق، ص 73؛ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 72.

³ أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ص 125.

⁴ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 103.

⁵ Ipid, p 123.

⁶ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم 2، وثيقة 1؛ ينظر الملحق رقم (11)

والبارود، ومعدات لصناعة السفن¹، وفي عام 1816م، أُعفيت هولندا من هذه الجزية، بعد مشاركتها في حملة اللورد اكسموث الحربية².

الدانمارك: قدّمت الدنمارك للإيالة الجزائرية سنة 1750م، بناءً على ما ورد في جريدة لاغازيت بتاريخ 7 فيفري 1750م، أنّ سفينة دنماركية بقيادة القبطان سيمون هوجلاند Simeon Hougland وصلت إلى ميناء الجزائر يوم 7 جانفي، وهو مكلف نيابة على الملك الدنماركي، بإيصال إتاوة متمثلة في 1000 قنطار من البارود، 200 من القنابل، و 4 مدافع هاون من الحديد الصلب، وعدة صواري، وكابلات، ومقابض، ومجموعة من قطع القماش، وبعض الجواهر للداي منها ساعة ذهبية من صنع فرنسي³. وفي سنة 1795-1796م قائمة من المعدات الحربية والذخائر متكونة من 425 قنطارا من البارود، 1000 كرة مدفعية، 41 قنطارا من الحديد، 8 قناطر من الأسلاك و 2.000 قطعة خشبية من الحجم الصغير، أي ما قيمته 5.000 فرنك، كانت المعاهدات تكلف الدانمارك 75.000 فرنك في نهاية القرن (18م)⁴، وقد انخفضت إلى 24.000 فرنك سنة 1822م⁵.

إسبانيا: خلال المفاوضات من أجل عقد الصلح مع الإيالة⁶، قام بإرسال 4.000 قنطار من البارود 1785م⁷، كما كلفتها معاهدة الصلح 1786م مبلغ قدره 3.2 مليون قرش

¹ حنفي هلايلي، بنية الجيش، المرجع نفسه، ص 73.

² أوجان بلانتيت، ج.1، المرجع السابق، ص 124.

³ La Gazette, du 7 Fevrier 1750, p 62.

⁴ المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع السابق، ص 383.

⁵ وليام شالر، المصدر السابق، ص 60.

⁶ ينظر الملحق رقم (12) وهي وثيقة الصلح الذي تم بين محمد بن عثمان باشا و ملك اسبانيا سنة 1786م قبل عقد معاهدة واتفاقية السلم سنة 1791م والتي أشار إليها الزهار بقوله عقد الصلح بينهم في البحر أما البحر فلم يتفقا على شيء إلا بعد تحرير وهران.

⁷ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم 1، وثيقة رقم 436، توضع وبالتدقيق حجم الإتاوة التي جلبت إلى الإيالة إثر انعقاد الصلح بين هاته الأخيرة وإسبانيا سنة 1785م، والتي تضمنت 100.000 ريال ذهب ينظر الملحق رقم (13)

إسباني¹، و دفعت سنة 1803م مبلغ قدره 200.000 قرش إسباني، وفي سنة 1826 م ألزمتها معاهدة الصّح 28.846 قرش إسباني².

الولايات المتحدة الأمريكية: كانت الولايات المتحدة الأمريكية تدفع الإتاوة بشكل منتظم، بناءً على ما نصّت عليه معاهدة 5 سبتمبر 1795م، وكان الثمن هو 642.500 دولار كإتاوة سنوية، و 21.600 دولار في شكل معدّات حربية³، وفي سنة 1796 قدّمت أمريكا للإيالة معدات حربية⁴ تتمثّل في 1.000 قنطار من البارود و 1.000 قطعة خشبية لتجهيز السفن، ومجموعة من كرات حديدية مدفعيّة، وفي سنة 1801م زودت أمريكا الإيالة ب 12 قنطار من البارود، 28 قنطار من المسمار، 29 قطعة خشبية لتبطين، 2615 قطع من الخشب ومن الحجم الصغير⁵.

البرتغال، نابولي: لقد اشترطت الجزائر على البرتغال من اجل عقد الصّح معها مليون قرش إسباني، ومع ذلك كانت البرتغال من بين الدّول التي تدفع ضريبة سنوية، 100.000 فرنك في عام 1791م⁶. وانخفضت الضريبة سنة 1822م، ب 24.000 قرش⁷، أما نابولي فقد ألزمت بدفع 24.000 فرنك إلى غاية 1822م⁸.

السويد، النرويج، الدانمارك: وكانت هاته الدول الثلاثة تمون الجزائر بالمراسي، الكوابل، الصّواري، حديد الرماح، مسحوق البارود، واليومبة (حبة الرصاص)، بمبلغ يصل إلى 5.000 فرنك، كانت رسوم الجزية تحدد بمعدل يصل إلى 125.000 فرنك، ومبلغها قد

¹ أما كركن فيذكر أن إسبانيا دفعت 2,5 مليون فرنك ينظر Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 121.

² حنفي هلايلي، بنية الجيش... المرجع السابق، ص 73.

³ أبو القاسم سعد الله، أبحاث... ج.1، ص 289؛ جون ب وولف، المرجع السابق، ص 416، حنفي هلايلي، بنية الجيش... المرجع السابق، ص 74، جيمس ولسن ستيفن، المرجع السابق، ص 98.

⁴ يدرج جيمس ولسن ستيفن تقديرات المعدات الحربية المطلوبة في الاتفاقية المبرمة بين إيالة الجزائر وأمريكا سنة 1796م بالتفصيل للمزيد حولها ينظر: جيمس ولسن ستيفن، المرجع نفسه، ص 100.

⁵ حنفي هلايلي، بنية الجيش... المرجع نفسه، ص 74.

⁶ أوجان بلانتيث، المرجع السابق، ص 124.

⁷ وليام شالر، المصدر السابق، ص 60، وليام سينسر، المرجع السابق، ص 151.

⁸ المرجع نفسه.

انخفض إلى 108.000 فرك بالنسبة للسويد عام 1791¹، وانخفض الي مبلغ 24.000 فرك سنة 1822².

البندقية: قدرت الإتاوة المفروضة على البندقية 1747م ب 2.200 سكة ذهبية سنويا، وفي سنة 1763م، قدرت الإتاوة ب 50.000 قرش اسباني، ونحو 100.000 قرش اسباني عند توقيعها³، وفي سنة 1802 وافقوا على أن يدفعوا 50.000 دوكة عند التوقيع و 5.000 دوكة كل سنة، وذلك في مقابل حصولهم على امتياز يسمح لهم بتسيير خمس عشرة سفينة تجارية في البحر الأبيض المتوسط⁴

سردينيا وتوسكانيا هامبورغ: ألزمت توسكانيا بدفع إتاوة قيمتها 25.000 فرك لكن بعد أن أصبحت من رعايا التاج البريطاني سقطت عليا الجزية، كباقي رعايا الملك وهذا ما نصّت عليه المعاهدات. أما سردينيا فقد دفعت 216.000 فرك على إثر معاهدة 1746م، وكانت الإتاوات بصفة منتظمة كل سنة وتقدر ب 54.000 فرك إلى غاية سنة 1816م⁵. أما الهامبورغ فقد دفعت سنة 1752 ما قيمته 8.000 فلورن 3.200 فرك مع العديد من الهدايا الثمينة للداي كالصندوق الذهبي، والساعة المرصعة بالألماس⁶

أما الامبراطورية الروسية والنمسا: تعتبر الجزائر ولاية عثمانية، وتحمل الباب العالي مسؤولية منع أعمال العدوان على السفن التي تحمل أعلام البلدين⁷، ورغم ذلك فقد دفعت النمسا 200.000 فرك سنة 1807م⁸، أما بقية الدول المسيحية فإنّ الجزائر تعتبر نفسها في حرب معها⁹.

¹ اوجان بلانتيث، المرجع نفسه، ص 124.

² وليام شالر، المصدر نفسه، ص 60، وليام سبنسر، المرجع نفسه، ص 151.

³ ناصر الدين سعيدوني، ورقات..، المرجع السابق، ص 141.

⁴ المنور مروش، دراسات عن..، ج.2، المرجع السابق، ص 383.

⁵ حنيفي هلايلي، بنية الجيش، المرجع السابق، ص 74

⁶ Gérard Van Krieken , Op-Cit, p 110.

⁷ وليام شالر، المصدر السابق، ص 64.

⁸ ناصر الدين سعيدوني ورقات..، المرجع السابق، ص 141.

⁹ نفسه، 64.

يُدرج وليام سبنسر مدفوعات الدّول الأوروبيّة التي تقوم بدفع الإتاوة بشكل منتظم في جدول وهو كالآتي:

جدول رقم (30): أموال الجزية لسنة 1822 بالدولار الإسباني (القرش = 5.20 فرنك)¹

مدفوعات الجزية	قيمتها بالفرنك
مدفوعات الجزية من الدول الأوروبية	26800
فرنسا مقابل احتكار صيد المرجان في عنابة	30000
ملك الدانمارك	24000
ملك نابلي	24000
ملك السويد	24000
ملك البرتغال	42000

2- الهدايا:

تعتبر الهدايا تقليد شرقيّ قديم، تُتبع القنصل عند حلوله بإيالة الجزائر، يقدّمها عند تقديم أوراق اعتماده، فيعطي هدية إلى الدّاي وإلى كبار الضبّاط²، وهكذا فكل دولة تبعث قنصلا ليمثّلها بالجزائر، لا بدّ أن تبعث معه أموالاً وهدايا تختلف قيمتها باختلاف مركز ومصالح تلك الدّول، والأخطار التي تهدّد أساطيلها³.

كانت الهدايا في البداية مجرد مبادرة للمجاملة والإعراب عن التقدير، لكن فيما بعد أصبح القنصل، قبل أن يمنح الإذن بالنّزول من السفينة التي تقلّه، يجري تحقيق حول ما إذا كان يحمل معه الهدية التقليدية أم لا. كما تعلّق أمر الهدايا بالمبعوثين الأجانب، بمناسبة إبرام معاهدة صلح، أو عقد علاقة تجارية مع الإيالة، وما يلزم هذه المباحثات من مساعي⁴.

2-1 أمثلة عن هدايا القناصل والمبعوثين الأجانب

2-1-1 هدايا القناصل:

¹ وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 151.

² وليام شالر، المصدر السابق، ص 65.

³ يحي بوعزيز، الموجز...، ج.2، المرجع السابق، 54.

⁴ المنور مروش، دراسات عن...، ج.1، المرجع السابق، ص 240.

كانت الدول الأجنبية تدفع مبالغ مالية عند تعيين قنصل لها في الإيالة، فالسويد كانت تدفع 6.000 ريال عند تنصيب قنصل جديد لها في الإيالة¹. خلال القرن السابع عشر كان يفرض على القناصل خاصة الفرنسيين، عند وصولهم إلى مدينة الجزائر، أن يقدموا هدايا تصل قيمتها إلى خمسة آلاف جينييه، ثم ارتفع هذا المبلغ إلى 6.400 جينييه في عام 1742م، وإلى 13.200 جينييه عام 1763م، وإلى 18.500 عام 1791م، ثم إلى 60.000 جينييه عام 1794، ثم إلى 80.000 عام 1805، ثم إلى 160.00 جينييه عام 1811م، ثم بدأت في التراجع 113.000 جينييه سنة 1816م، هاته الضرائب يتقاسمها كل من الداي، كتاب الدولة، مفتش الحرس، وآغا المالشيات، وقائد الميناء، وقابض الضرائب، والمقتصد، ومسؤول مطابخ القصر، والبوابون وحوالي 130 سيد من الدرجة الثانية، منهم قائد الزبل المسؤول عن تنظيف الشوارع، ومسؤول البنائين، وحلاق الداي، وحراس العبيد².

2-1-2 الهدايا الدبلوماسية

إنّ الامثلة حول الهدايا الدبلوماسية، التي رُسمت في الكثير من العلاقات الجزائرية الأوروبية، خاصّة التي تدخل في إطار تحقيق مصالح كثيرة ومتنوعة، نذكر منها عندما احتجزت في سنة 1739م أربع سفن انجليزية، قدمت هدايا للمسؤولين بقيمة 12.000 ريال، ليتمّ ارجاعها. في سنة 1738م، من أجل الحصول على معاهدة صلح مع الإيالة، وزع السويديون، هدايا على الداي وكبار المسؤولين والريّاس، قدرت ثمن هاته الهدايا بين 25.000 و 30.000 ريال. كما دفع الفرنسيون هدية مليون فرنك للداي، لدوره في إعادة الصلح بعد القطيعة بين الإيالة وفرنسا بعد احتلال مصر 1798م³.

2-2 الهدايا الإلزامية

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 70.

² أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ج.1، ص 113.

³ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، ص 382.

بمرور الوقت أصبحت هناك مطالبة بالهدية، بحجة أن القناصل لا يتغيرون في وقت قصير وأصبح كل سنتين يدفع القنصل الهدية واطلق عليها اسم "هدية السننتين"، وأصبحت إلزامية، حيث أنه إذا تغير القنصل يكون مجبراً بدفع هدية القنصلية، وهدية السننتين، على اعتبار أنهما دينان؛ واحد منفصل على الآخر¹؛ كما نصت بعض المعاهدات في أحد بنودها كالمعاهدة 1684م و معاهدة 1690م حيث نصاً، في البند الخامس لهما، على أن يمنح لقائد بونة² 3.000 "باتاك"³، كما نصّ البند الواحد والعشرون من الاتفاقية الجزائرية الأمريكية 1796م على أن تدفع امريكا سنويا 12.000 ما قمته سكوبين⁴ جزائري من العتاد البحري⁵.

لقد كانت المبالغ، التي تدفع عند تجديد أي معاهدة مع الايالة، عبارة عن هدايا إلزامية، تفرض على من اراد تجديد السلم مع الايالة، مثلما كلف البندقية السلم مع الايالة 40.000 سلطان كهدايا لكبار المسؤولين، وعند تجديدها سنة 1769م كلفت 20.000 قرش كهدايا سنوية، أما السويد فكانت تقدّم 6000 قرش عند تنصيب القنصل لها بالجزائر⁶.

إلا أنه وبعد سنة 1802م تغيرت كثير من الأمور، ذلك أن تقاسم العالم بين الأقوياء، أخلط كثيرا أوراق الجزائر، فتابليون أصبح يصّر على أن رعاياه الجدد لا يدفعون الجزية "الإتاوة" نظرا لأن كثير من الدول الأوروبية، التي تتراد البحر الأبيض المتوسط خاصة الممالك الإيطالية قد أصبحوا جزءا من الامبراطورية الفرنسية، لتأتي سنة 1815م، هاته السنة التي قتل فيها الرئيس حميدو، وعقدت معاهدة مع امريكا بدون دفع اتاوة، لتليها سنة 1816،

¹ وليام شالر، المصدر السابق، ص 65.

² علي تابليت، معاهدات... المرجع السابق، ص، ص 55، 67.

³ في معاهدة 1690م المتعلق بتجارة صيد المرجان حيث كانت المعاهدة بين الدي اايالة الجزائر، والشركة الفرنسية المخصصة لصيد المرجان والتجارة في حصن فرنسا، في البند الخامس تقدر قيمة 3.000 باتاك ب 500 ريال كل شهرين أي بمجموع 3.000 ريال يعني هذا ان 1 باتاك يساوي 1 ريال. ينظر علي تابليت، معاهدات... المرجع السابق، ص 72.

⁴ 1 سكوبين جزائري يساوي حسب وليام شالر 1 سكوبين يساوي 2 دولار، وليام شالر، المصدر نفسه، ص 130، وحسب علي تابليت السكوبين يساوي 1,963 دولار، أي 1 ولار و 96 سنتيم، و 3مّل، علي تابليت، معاهدات... المرجع نفسه، ص 72.

⁵ جيمس ولسن ستيفن، المرجع السابق، ص 127.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي... المرجع السابق، ص 70

وهي السنة التي حطم فيها الأسطول الجزائري بواسطة الأسطول الانجليزي الهولندي، بقيادة اكسموث، وعلى إثر هذا الحادث تمت عقد معاهدة تضمن حرية الملاحة في البحرة المتوسط للسفن الانجليزية والسردينية والصقلية والأيونية بدون دفع اي إتاوة¹.

مما لاحظناها ونحن نسرد قيم الإتاوات لأغلب الدول الأوروبية، أنّ القيمة المالية للإتاوة تتناقص بعد سنتي 1815 و 1816م مما يعطي انطباع بان الدول الأوروبية أصبحت تتملص شيئاً فشيئاً من الإتاوة كلّ حسب قدرته ومصلحه، ولم تعد الإيالة بتلك الصرامة السابقة في إلزامها، وقد أصبحت حسب حنفي هلايلي مجرد هدايا دبلوماسية وترضيات مالية تقدّم مقابل حرية الملاحة ولنيل الإحتكارات والامتيازات التجاريّة، وهذا من بين مظاهر تراجع مداخل الإيالة في الربع الأخير من عمرها.

خلاصة الفصل:

وفي الأخير ومما تمّ طرحه نلاحظ أن مظاهر تراجع مداخل البحرية الجزائرية، واضحة لا غبار عليها، فأعداد الغنائم بداية فترة الدراسة كانت 83 سفينة لسنة 1675م حسب سجّل غنائم البحر، و 70 سفينة للهولندا و 150 سفينة لإنجلترا لسنة 1677م، حسب قناصل تلك الدول، إلّا أنّ هاته الغنائم ستشهد تناقصاً رغم تذبذبه فهو مستمر إلى أن يصل لفترة الداي محمد بن عثمان، هذا الداي ورغم سياسته الزامية للحفاظ على الوضعية التنافسية للبحرية، إلّا أنّ هجومات الأساطيل الأوروبية كانت لسياسته بالمرصاد، ثم تكون فترة الرّياس الكبار كحميدو القبطان الجزائريّ الأصل الذي ذاع صيته وبلغت شهرته العالميّة، حيث ازدهرت في فترته أعمال البحرية الجزائرية وأسترجعت بفضل الإيالة مجدها الضائع، خاصّة أنّ الظروف الدوليّة كانت مواتية له ولأعماله، فكان معدل الغنائم يصعد وينزل حسب الظروف، ولكن بعد مقتله سنة 1815. هاته السنة المحوريّة في حياة الإيالة ستتغيّر معها وضعية الإيالة من دولة مهيمنة على الاوضاع وفي حالة هجوم إلى دولة في حالة المحافظة على الوضع أو حالة الدّفاع.

¹ جون ب وولف، المرجع السابق، ص-ص 441-444.

إنّ ما قلناه عن الغنائم ينطبق على الأسرى الذين تراجع عددهم في الإيالة، مع تراجع الغنائم، كما أنّ الأوبة كان لها دوراً كبيراً في تراجع أعداد الأسرى في الإيالة خاصة وباء 1689، هذا الباء الذي اطلق عليه بالوباء المدمر حيث قضى على أكثر من 24 ألف شخص في السنة، إلا أنّ التراجع في أعداد الأسرى رافقه تزايد في ثمن الأسير، والأموال الملحقة بفتيته، كوسيلة لتدارك التراجع.

إنّ ميل موازين القوى البحريّة لصالح أوروبا خلال النّصف الثّاني من القرن (17م)، ووضعيتهم التجاريّة التّنافسيّة، وسعيهم الدّؤوب لفرض تجارتهم وحمايتهم، وفهم القائمين على السّلطة السّياسيّة في الإيالة لهاته الأوضاع جعلهم، يحوّلون مهام البحريّة إلى أداة دبلوماسية، ساعية من ورائها إلى فرض ضرائب على الدّول الاوروبيّة في شكل "أتاوات" إمّا معدات بحرية وحربية، أو نقداً، مستدركين بها ما طرأ على غنائم البحرية من تراجع، إلا ان حتّى هاته الأتاوات، ستشهد تراجعاً في العقدين الأخيرين من حياة الإيالة، إمّا بسبب ضمّ الدّول الاوروبية الصّغيرة الي الامبراطوريات الكبرى مما اعفاها من دفع الاتاوة كما حصل مع ممالك ايطاليا، وتوسكان، وإما بسبب هجوم الأساطيل الحربيّة كهجوم الولايات المتّحدة الأمريكيّة التي عقدت على إثره معاهدة مع الإيالة دون دفع أتاوة، وهجوم الإنجليزي- الهولندي والذي حرّر جميع الأسرى وأُغفيت على إثره هولندا من دفع الأتاوة ولم تعد على اثره اي دولة تملك اسطول حربي تدفع الاتاوة للإيالة ماعدا الدّول الصّغيرة، وعلى إثر هذا التّراجع ماهي السّياسة الماليّة التي سيّخذها القائمين على الحكم في الإيالة؟ وهل ستكون هاته السّياسة على المستوى الدّاخلي فقط أو حتّى على المستوى الخارجيّ؟ وكيف ستكون آثارها؟

الفصل الرابع :

انعكاسات تراجع مداخل البحرية على المستوى الداخلي

والخارجي

المبحث الأول: السياسة المالية التي أُتخذت من قبل السلطة لتدارك

تراجع مداخل البحرية

1- التوجّه نحو التجارة

2- التوجّه نحو التشديد في السياسة الضريبية داخلياً

3- التوجّه نحو اتخاذ سياسة ضريبية (مداخل ضريبية)

المبحث الثاني: نتائج السياسة المالية المتخذة من قبل البايك على المستوى

الداخلي

1- تدخل السلطة في تعيين وعزل الموظفين والقياد وشيخ القبائل

2- توتر العلاقة بين رجال الدين وشيوخ القبائل والسلطة الحاكمة

3- التمردات والثورات الشعبية

المبحث الثالث: نتائج السياسة المالية المتخذة من قبل الحكام على المستوى

الخارجي

1- إدراج أعمال البحرية الجزائرية ضمن المؤتمرات الدولية

2- عودة الصراع وتوتر العلاقات بين الإيالة التونسية والجزائرية:

3- مسألة الديون وعلاقتها باحتلال الجزائر

إنّ تتبّع مراحل تراجع مداخل البحرية، يعطي انطباعاً كبيراً، على مدى المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق القائمين على الإيالة، من أجل اتّخاذ إجراءات يتداركون بها هذا التراجع خاصّة أنّه مسّ العديد من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ممّا سيجعلهم يرسمون سياسة مالية معيّنة سيكون لها انعكاسات كبيرة، فما هي ملامح هاته السياسة المالية؟ وهل اتّخذت على المستوى الداخلي فقط أو حتّى على المستوى الخارجي؟ وكيف انعكست على أوضاع الإيالة؟

المبحث الأول: السياسة المالية التي اتّخذت من قبل السلطة لتدارك تراجع مداخل البحرية

1- التوجّه نحو التجارة

أعطى مناخ السّلام النسبيّ الذي عرفته علاقات الإيالة الجزائرية خلال القرن الثامن عشر الميلادي 18م، دفعة قويّة للتجارة الخارجية، ذلك لأنّ معاهدات السّلام الموقّعة بين الإيالة والدّول الأوروبية¹، قيّدت أعمال البحرية الجزائرية، وأصبح نشاطها في أدنى مستوياته، لذلك لم تعد مصدراً أساسياً من مصادر الدّخل، بل تغيّر مهماتها إلى وسيلة ضغط على القوى الأوروبية للحصول على الإتاوات²؛ وبهذا فتح المجال للتجارة الخارجية، التي ستلعب دوراً بارزاً طوال القرن الثامن عشر (18) الميلادي م وبداية القرن التاسع عشر (19م) في اقتصاد الإيالة، خاصّة تجارة الحبوب وبالذات القمح، هذه المادّة الاستراتيجية ستكون لها تأثيراً حاسماً في المجال السياسيّ.

وسأقتصر في دراستي على تجارة الشّرق الجزائريّ، نظراً لأنّ تجارة الغرب الجزائريّ كانت ولغاية 1791م، وهو تاريخ أوّل معاهدة وقعت بين إسبانيا وإيالة الجزائر بيد إسبانيا

¹ Yver Georges, "Paul Masson. Histoire des Établissements et du Commerce français dans l'Afrique barbaresque (1580-1793) : Algérie , Tunisie , Tripolitaine , Maroc", Revue d'Histoire Moderne & Contemporaine Année 1903 5-10 p 711.

² كنت قد أشرت للمعاهدات الموقّعة بين القوى الأوروبية وإيالة الجزائر خلال القرن الثامن عشر الميلادي 18م، والملاحظ ان الاستثناء كان في القوى صاحبة العداء التقليدي للإيالة وهي إسبانيا، الممالك الإيطالية، البرتغال، والتي ستسعى في آخر القرن خاصة إسبانيا إلى توقيع معاهدة سلام بعد فشل العمليات الحربية المجردة ضد الجزائر.

التي كانت تتعامل مباشرة مع بعض القبائل؛ وكان من بين شروط توقيع معاهدة السلم¹ بين البلدين، الجلاء عن وهران والمرسى الكبير، في مقابل السماح بإقامة وكالة وشركات تجارية إسبانيا يكون لها حق تجارة القمح²، مثل شركة كامبانيا (Compangna) التي تأسست 1792م، وستصّب اهتمامها على شراء الحبوب والمواشي، وشركة غاريغو (Garrigo) التي اهتمّت بتجارة الصوف والجلود والشمع والحبوب³، وعليه ستدخل إسبانيا في منافسة مع فرنسا سنة 1792م كما سيأتي ذكره.

1-1 تنصيب احتكار الفرنسيين للتجارة مع الجزائر

كان على رأس التجارة الخارجية الجزائرية تجارة الحبوب⁴، التي لم تكن بالجديدة، بل هي تجارة ضاربة في عمق التاريخ، فمنذ التاريخ القديم كانت الجزائر تزود روما بالقمح، واستمرّ تصدير قمح شمال إفريقيا، ومنها القمح الجزائري، بالأخصّ من منطقة بجاية، خلال القرن الرابع عشر الميلادي 14م، يستبدل بالمواد الأولية لصناعة السفن، خاصّة مع القطلانيين، ولم يقتصر الأمر منطقة بجاية، بل كانوا يشترون هم والجنوبيين القمح من مختلف السواحل الغربية والشرقية والوسطى للجزائر، غير أنّ هذه التجارة وضع لها حدًا بسبب الصّراعات الكبرى مع إسبانيا، وبعد إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، التي جعلت من حلفائها الفرنسيين يستأثرون بالتجارة مع الجزائر، بمنحهم الامتيازات التجارية⁵ منذ 1535م، التي أسست على إثرها

¹ نصت المعاهدة الموقع بين البلدين خاصة في بندها الثالث على السماح بعمليات البيع والشراء، وإقامة شركات تجارية، ينظر بن عتو بلبروات، "معاهدة الصلح بين الجزائر وإسبانيا سنة 1791م"، مجلة عصور جديدة، مج. 10، ع. 2، جوان 2020، جامعة وهران، الجزائر، ص 255.

² صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 40.

³ بن عتو بلبروات، المرجع السابق، ص 259.

⁴ كانت هناك سلع كثير يتاجر فيها الفرنسيين مع الشرق الجزائري، كالشمع والجلود والصوف و سلع أخرى، كانت قد نصت الاتفاقيات على ان تكون هاته التجارة حكرا على الفرنسيين، خاصة معاهدة 1640 خاصة في بندها 10، 11، 12، ومعاهدة 1661، ينظر: جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص 274.

⁵ تم توقيع سبع اتفاقيات خاصة بالامتيازات الإفريقية خلال القرن 17م، كما توالى على استغلال هاته الامتيازات التجارية عدة شركات فرنسية فشلت كلها، إلا أن هاته الامتيازات ستعرف عهدا جديدا خلال النصف الأول من القرن 18م، يتميز بالاستقرار والمردودية، وفي مقابل هاته الامتيازات نصت تلك الاتفاقيات على ان متعهدي هاته الالتزام، يقومون بدفع اتاوة سنوية أو ضريبة سنوية، تدفع على ستة أقساط كل شهرين للخرينة المركزية، ثم الحق بها اتاوة أخرى تدفع لفائدة حامية عنابة، إلا أنها في أواخر القرن 17م، ألغيت اتاوة فائدة عنابة والتي أصبحت تصبّ في الخزينة المركزية، ينظر: جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 228.

مؤسسة الباستيون 1552م، واستمرّ العمل على تصدير القمح طيلة القرن السابع عشر الميلادي (17م) رغم ما تخلّل هاته الفترة من توتّر للعلاقات الجزائرية الفرنسية¹.

عرف تصدير القمح الجزائري من الباستون بدايته القويّة في أواخر القرن السابع عشر 17م، وبالتحديد في سنة 1693م في عهد الدّاي شعبان، فمن 2 نوفمبر 1693 إلى 15 جويلية 1695م شحن 86 سفينة من الباستيون²، قدر حجم القمح الذي حملته تلك السفن 100.000 قنطار³، وهذا إن دلّ على شيء فهي تدلّ على أنّ المعاهدة التجارية الموقعة بين الجزائر وفرنسا 1694م⁴ بخصوص كيفية استغلال الباستيون، قد كانت مفيدة، رغم أنّها لم تعلن صراحة حصول الفرنسيين على التّصدير الحر للحبوب، ورغم ذلك فالدّاي شعبان قد أولى اهتماماً كبيراً لهذه التجارة⁵.

إنّ المداخل المتحصّل عليها من تجارة الحبوب، ستكوّن الحلّ لأزمة تراجع مداخل غنائم البحر؛ لهذا نجد الحكومة المركزية في العاصمة وعلى رأسها الدّاي، قد شجّع انتاج الحبوب خاصّة القمح، من أجل عمليّة التّصدير، فازداد اهتمام قبائل الشرق الجزائري بزراعة الحبوب، التي أصبحت تدرّ عليهم أرباحا تسمح لهم بسدّ حاجياتهم اليوميّة، وتسديد ما يترتّب عليهم من ضرائب⁶.

وبما أنّ تجارة قمح الجزائر خلال نهاية القرن السابع عشر الميلادي (17 م)، وبداية القرن الثامن عشر (18 م)⁷، لم تكن لها الصّدارة في تصديره إلى مرسيليا ، أين كانت

¹ المنور مروش، دراسات عن الجزائر... ج.2، المرجع السابق، ص 385.

² Masson, Paul, *Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque (1560-1793) (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc)*, librairie hachette, PARIS, 1903, p 252.

³ المنور مروش، دراسات عن الجزائر... ج.2، المرجع نفسه، ص 386.

⁴ أورد جمال قنان أن 1695م هي السنة تم فيها توقيع الاتفاقية المبرمة الايالة وفرنسا، ويعود سبب هذا الاختلاف إلى أن هاته الاتفاقية جاءت بالتاريخ الهجري.

⁵ Masson, Paul, Op-Cit, p 253.

⁶ محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجة...، المرجع السابق، ص 130.

⁷ في بداية القرن الثامن عشر (18م)، وبالتحديد سنة 1718م، رخص للتجار الفرنسيين ارتياد موانئ بايلك الغرب، كما تم قبول اعتماد قنصل لفرنسا بوهران، ينظر: جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 229.

الصدارة للقمح التونسي، إلا أن بداية الثلاثينات من القرن الثامن عشر الميلادي 18 ستحوّل الصدارة للقمح الجزائري، خاصة بعد تحطيم المركز التجاري الفرنسي في تونس Cap¹ Nègre، الرأس الأسود وتأسيس الشركة الملكية الإفريقية 1741م².

وكان للمعاهدات التجارية المبرمة بين الدولتين دورا مهما في الريادة الفرنسية لتجارة الحبوب مع الجزائر؛ فمعاهدة 1714م نصت في المادة السابعة، على منح احتكار تجارة الحبوب للفرنسيين، "لا يسمح لأي مركب أجنبي، مهما كانت جنسيته، حتى ولو كان مسلماً، أن يشحن قمحاً أو شعيراً أو فولاً أو غير ذلك، في عناية وفي سائر الموانئ التي تشملها الامتيازات"³.

لتكون معاهدة 1731م المبرمة بين إيالة الجزائر وفرنسا، والتي أقرت وأثبتت معاهدة 1695م المبرمة مع باي قسنطينة، وأكدت على المادة السابعة من معاهدة 1714، إلا أن الداوي أضاف إليها بنداً حدد فيها كمّيات القمح التي سيتم منحها للتجار الفرنسيين سنوياً، "يُمد الباي مائتي قفيز من القمح من بونة، حسب العادة وبسعر عشرة قروش قسنطينة للقفيز، كما هو سعر بيعه في مدينة بونة، وكما يشتريه مسلمو هذه المدينة، ولن يحصل عليه بأقلّ من هذا السعر ولو بوصول واحد، كما لا يطلب البائع سعر أكثر من هذا ولن يباع

¹ دمر هذا المركز التجاري في نفس السنة التي تأسست فيها الشركة الملكية الإفريقية أي 1741 من طرف باي تونس.

² الشركة الملكية الإفريقية: هي شركة تجارية فرنسية تأسست في 22 فيفري 1741م بمرسوم ملكي، نص المادة الأولى منه على أن تحمل هذا الاسم، منحت لها كل الوسائل لتفعيل التجارة والاستحواذ عليها واحتكارها، سواء كانت أموال لمزاولة الأعمال التجارية، أو لمنح الهدايا سواء كانت للحصول على الأولوية التجارية أو لحمايتها، أما سبب انشائها فكان ناتج عن الرغبة في منع المنافسة الانجليزية من التسلل لهاته السواحل، التي تعتبر أكبر مخزن للحبوب، كان رأسمال الشركة 1.200.000 جنيه مقسمة إلى 1.200 سهم، ربعها من نصيب الغرفة التجارية لمرسيليا اي 300 سهم، كان هدفها جلب أكبر كمية ممكنة من حبوب الشرق الجزائري إلى مرسيليا، استمر ازدهارها إلى غاية صدور قرار 21 جويلية 1791 القاضي بفتح باب المنافسة التجارية لجميع الفرنسيين لتبدأ في الاضمحلال الي ان اختقت وحلت محلها الوكالة الإفريقية في 1794، ينظر: محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 196؛ Masson, Paul, Op-Cit, p 369؛ لعريبي إسمهان، "أرشيف الامتيازات الاقتصادية ودوره في كتابة تاريخ الجزائر العثماني (الدفاتر اليومية للشركة الملكية الإفريقية انموذجاً)"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج.11، ع.12، 30 جانفي 2015، جامعة وهران 1، الجزائر، ص 103.

³ محمد العربي زبيري، التجارة...، المرجع نفسه، ص 194.

ولو حبة واحدة من القمح ولا الشعير ولا الفول ولا الشحم لأي أحد من أية جنسية لغير الفرنسيين، لا للإنجليز ولا للجنوبيين ولا للهولنديين، لأن وكيل الباستيون بمقتضى الشروط المنصوص عليها في المعاهدات يدفع إتاوات للحامية ولقائد بونة وباي قسنطينة¹.

من خلال هذا البند، نلاحظ أن الداي منح حق امتياز احتكار تجارة الحبوب للفرنسيين، من خلال تحديد كمية وثمان القمح المصدر، أيضا أضيف إلى هذا البند ملحق يتبرأ فيه الداي من أي اختراق قد يحصل، "إذا قام أحد من غير جنسية وكيل الباستيون بشراء القمح أو الشعير أو الفول من ميناء بونة أو في سكيكدة وتكوش، و أي فرنسي آخر من غير فرنسي الباستيون، فإن هذا يخالف إرادتنا ولن يحظى بموافقتنا، إذا استطاع الفرنسيون طرده فليطردوه في الحين ولن يستطيع أحد التعرض ومنع ذلك"². إن هذا الملحق حدّ من استفادة الفلاحين من المنافسة التجارية الشرسة التي تقع بين الأوروبيين، هذه المعاهدة ستستغل من طرف الفرنسيين، حيث ستكون سلاحا في يدهم يشهرونها كلما كان هناك تضرر من طرف الفلاحين، أو حين يريد البايك الدفاع من مصالحه ومصالح رعاياه التجارية.

وبما أن احتكار الفرنسيين للتجارة في الشرق الجزائري، حصل بحق قانوني منحتهم لهم الحكومة الجزائرية عن طريق المعاهدات³، لذلك صارت تعتبر هذه التجارة من إختصاصها واحدها، هذا الوضع سمح لها بالتحكم في أسعار الصادرات الجزائرية، وعند تفتن الباي بأن مصلحة المنتجين والفلاحين الجزائريين، تكمن في خلق المنافسة بين الشركات التجارية

¹ جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص، ص 330، 331.

² المرجع نفسه، ص 331.

³ استندت الشركة الفرنسية للاتفاقيات التجارية المعقودة بين الطرفين، فقامت بالشكوى لدى الداي عن باي قسنطينة بأنه يفتح باب المنافسة لبيع القمح الجزائري 1751م، لكن رد الداي كان غير متوقع حينما كان في صف الباي حين قال أن الباي انفق أموالا طائلة على استصلاح الأراضي لهذا فهو مجبر على ان يبيع لمن يدفع له أكثر، أما الاتفاقيات فيه لا تسمح للفرنسيين إلا بشراء ولتين من القمح من عناية، ينظر: المنور مروش، دراسات عن .. ج.1، المرجع السابق، ص 246.

المختلفة، لذلك نجده فتح مجال المنافسة التجارية في سنة 1792¹، أمام التجار من مختلف الجنسيات، كالإسبان، والإنجليز، واليهود وغيرهم، بشراء الحبوب الجزائرية، خاصة من عنابة والقالمة، فاحتجت الشركة الفرنسية وطالبت بإبقاء الاحتكار "...لقد علمنا أن الإسبانين قدموا إلى عنابة وحصلوا على إذن لشراء الحبوب، وأنهم يتبايعون مع الباي مباشرة وأن بواخرهم المتعددة تحمل ما يباع إليهم، ونتيجة لذلك لم نحصل على القدر المنصوص عليه في الاتفاق المبرم في الجزائر"، ليكون رد الحكومة الجزائرية على لسان الباي، بأن الحبوب ملكا لنا ونحن نبيعها لمن نريد².

ويظهر أن إدارة الشركة قد أذعنت للأمر الواقع، بأنها لم تعد قادرة على احتكار ثروات المنطقة، وسمحت بدخول منافسين آخرين إلى جانبها، من خلال إبرامها معاهدة في 28 جويلية 1792م مع باي قسنطينة والتي حددت من خلالها كمية الحبوب التي ستشتريها سنوياً، والمقدّرة بـ 4000 كافي³ سنوياً وهو ما يساوي 14 ألف قنطار في السنة، بسعر 32 بياستر⁴ piastres للكافي الواحد، أي بمبلغ إجمالي قدره (124 ألف بياستر)، أو 640 ألف فرنك، ويعتبر ما حصل تنازلاً مهماً، من طرف الشركة فرضته عليها الظرفية التاريخية التي عاشتها فرنسا في تلك الأوقات⁵.

¹ في سنة 1790م وفي المفاوضات التي أجراها مبعوث الملك لويس السادس عشر في الجزائر بخصوص تمديد معاهدة السلم المئوية، راح هذا الأخير يجس نبض الحكومة الجزائرية حول موضوع الامتيازات الإفريقية، رغم كون المفاوضات حول المسائل التجارية ليس من اختصاص مفوض الملك بل تقع بين السلطات الجزائرية والقائمين على استغلال الامتياز، فتبين له أن الحكومة الجزائرية تتوي سحب الالتزام من الفرنسيين، فمحمد بن عثمان باشا أعلن استعدادة لإبقائها لدى الفرنسيين إذا ما قبلوا دفع مبلغ أعلى من الاتاوات التي كانوا يدفعونها سابقا والتي كانت تعتبر مبلغاً زهيدا مقارنة بالأرباح التي يجنيها الفرنسيين مقابل تلك الامتيازات، ينظر: جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 234.

² محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص، ص 92، 93.

³ الكافي يساوي 350 كلغ

⁴ البياستر يساوي 5 فرنكات

⁵ محمد أمين، المرجع السابق، ص 123.

1-2 نماذج من عمليات تصدير الحبوب إلى أوروبا (فرنسا):

كانت كميات الحبوب المصدرة إلى أوروبا من الجزائر غير منتظمة تخضع للعرض والطلب، ولعدة ظروف أخرى منها أمن الملاحة البحرية، والظروف الداخلية أو الطبيعية التي تعيشها الإيالة الجزائرية وفيما يلي عرض لصادرات الحبوب لبعض الفترات الزمنية أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي 17-18م.

جدول رقم (31) يوضح كميات الحبوب المصدرة من الجزائر¹

الفترة الزمنية	كمية الحبوب	ب كلف	الجهة الموجهة
1698-1699م	100.000 حمل سنويا ²	12.000.000	مرسيليا
1701-1709م	200.000 قنطار سنويا	20.000.000	مرسيليا
1709-1710م	125.000 حمل سنويا	15.000.000	مرسيليا
أوت 1710م	120.000 حمل	14.400.000	مرسيليا
1710-1720م	429 سفينة محملة بالحبوب	2.000.000 سنويا	مرسيليا
1726-1729م	10.000 حمل سنويا	1.200.000	مرسيليا
جويلية 1729م	ثلاثون سفينة من وهران	/	مرسيليا
1730م	14.000 قنطار	1.400.000	افرون
1735م	7.500 قنطار	750.000	لفرون
1741-1764م	24.000 قنطار سنويا	2.400.000	مرسيليا
1770-1776م	76.000 قنطار سنويا	7.600.000	مرسيليا
1777-1782م	27.000 قنطار	2.700.000	مرسيليا
1783-1785م	111.000 حمل	13.320.000	مرسيليا
1786-1788م	246.000 حمل	29.520.000	مرسيليا
1789-1792م ³	179000 حمل	21.480.000	مرسيليا
1794م	240.000 صاع ⁴ من وهران	117.936	مرسيليا

¹ المنور مروش، دراسات عن..، ج.2، المرجع السابق، ص، ص 386، 390؛ حمدان بن عثمان خوجة المصدر السابق، ص 122.

² الحمل من الحبوب يساوي 120 كلف.

³ يذكر جمال قنان أنه في سنة 1791 م تم تصدير 33.000 قنطار إلى مرسيليا.

⁴ الصاع يساوي 2.035 كلف

ما نلاحظه من الجدول رقم (31) أعلاه أنّ كمّيات الحبوب المُصدّرة من الجزائر نحو فرنسا، لم تكن في ارتفاع دائم بل كانت يتبع تقلّبات العرض والطلب، حيث أنّ العرض كان أحيانا ينكمش بسبب الظروف الطّبيعية، والاضطرابات الدّاخلية التي تتعرّض لها البلاد. فمثلا في سنوات التي يكون فيها انتاج الحبوب وفير، كانت كمّيات القمح المصدر من الجزائر إلى فرنسا كبيرة جدا. ففي سنة 1710 لوحدها تم ارسال 90 سفينة محمّلة بالحبوب، وقد عرف إنتاج الحبوب انخفاضا كبيرا في الفترة 1720-1730 فكان مجمل عدد السفن التي حملت إلى فرنسا هي 90 سفينة، وهو العدد الذي صدر في سنة واحدة أي سنة 1710م¹.

كما نلاحظ أيضا أنه منذ تأسيس الشركة الملكية الإفريقية 1741م، زادت حمولات القمح الموجه إلى فرنسا، ففي الفترة 1741-1764 كانت كمية الحبوب خاصة القمح المصدرة هي 24.000 قنطار سنويا، وظل التصدير في الارتفاع ففي الفترة 1770-1776 كانت كمية القمح المصدرة خلال السنة هي 27.000 قنطار، وبقي التصدير في تزايد فنجد مثلا الفترة 1786-1788² كانت حمولات القمح المصدر من الإيالة نحو فرنسا هو 246.000 حمل إي 295.200 قنطار سنويا.

إنّ سياسة تشجيع الإنتاج التي انتهجت من قبل بايات قسنطينة، زاد على إثرها العرض، كما زاد الطلب الذي حفّزه الازدهار الديموغرافي في أوروبا في ذلك الوقت؛ في هذا الصدد، كانت فرنسا الدولة الأكثر اكتظاظا في أوروبا حيث يبلغ عدد سكانها حوالي 20 مليون نسمة؛ تسببت الزيادة في الطلب على بالسكان مدار القرن في زيادة الأسعار، والتي كانت مربحة جدا لبايات الشرق³.

¹ المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع السابق، ص، ص 386، 387.

² عرفت لإيالة في هاته الفترة خاصة سنة 1787م، وباء كبير ضرب العاصمة قضى تقريبا على 17 ألف ضحية، كما وصل هاذا الوباء إلى بايليك وهران حتى أن المحصول في هاته السنة لم يجد العدد الكافي من العمال للقيام بعملية الحصاد، مما نتج عنه بؤس شديد عرفته الإيالة في هاته السنة ورغم ذلك كانت كمّيات القمح المصدر إلى فرنسا كما لاحظنا كبيرة جدا مما يعطي انطبعا واضحا بعدم اكتراث المحتكرين ووسطائهم بالأوضاع التي يعيشها السكان، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ... ج.3، المرجع السابق، ص 238.

³ Ismet TOUATI , L'Algérie au "siècle du blé" (1725-1815) : l'essor du commerce extérieur Algérien a l'époque ottomane ,Conférence donnée aux Glycines le 23 janvier 2014.

<https://glycines.hypotheses.org>.

. تاريخ الاطلاع : 2022/08/13

ففي دراسة إحصائية أجراها العربي الزبيري حول مساهمة الإيالة في حمولات الحبوب المستوردة من قبل مرسيليا لـ 3 أشهر من سنوات مختلفة، شهر فيفري 1787م فمن جملة 67.922 حولة من القمح، ساهمت الإيالة بـ 17.125 حولة من عناية والقالة، في شهر ديسمبر 1788م، من 19.175 ساهمت منطقة الشرق الجزائري بـ 600 حولة، وفي شهر جانفي 1789م من جملة 25.085 ساهم الشرق الجزائري بـ 12.600 حولة، إي أنّ الشرق الجزائري يساهم بنسبة 32% من القمح المستورد لمرسيليا¹؛ أما عصمت تواتي فيذكر أن 10/9 من القمح المستورد إلى مرسيليا قمح جزائري، وذلك منذ تأسيس الشركة الملكية الإفريقية إلى غاية فتح باب المنافسة التجارية سنة 1792م، نتيجة فقدانها للاحتكار الذي كانت تتمتع قبل الثورة؛ ورغم ذلك فقد استطاع القنصل الفرنسي في الجزائر، من إيصال كميات معتبرة من القمح وفي ظرف قصير بسبب الترخيص الذي منحه له السلطات الجزائرية، وبفضل استغلاله للرأية الجزائرية التي وقّرت الحماية والأمن أثناء العبور². وكانت حمولات القمح الجزائري المصدرة إلى مرسيليا خلال 120 سنة من 1710-1830م، 2.193.000 حولة، أي 263.160.000 كلغ، و تم تصدير خلال 27 عامًا 1769-1795م، ما قيمته حوالي 1434000 حولة أي 172080000 كلغ، وهو عدد يمثل 65% من الإجمالي³.

1-3 سياسة الاحتكار الممارسة من قبل الحكّام

إنّ الخصاصة المالية التي تعرّضت لها خزينة الإيالة، بسبب تراجع مداخل البحرية الجزائرية من غنائم البحر، مع ازدهار تجارة الحبوب الجزائرية، في البايلاكات الشرقية والغربية، نتيجة تزايد الطلب على الحبوب وبذات القمح من قبل الدول الأجنبية، نتج عنه ازدهار البايلاكات خاصة بايلك الشرق الأغنى بالقمح، وازدادوا ثراء على حساب العاصمة. وقد لاحظ القائمين على رأس الحكومة في العاصمة خطورة هذا؛ وكان عليهم في ظلّ هذه الظروف، الاختيار بين تنمية تجارة الحبوب (القمح)، مع المخاطرة برؤية قوى الطرد

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 204.

² جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 239.

³ Ismet Touati, Op-Cit.

المركزي تزداد ثراء¹، أو محاولة الحطّ من هذا التطوّر وتحمل نتائج انخفاض مساهمة المقاطعات من الضرائب، وبالتالي إبراز تراجع غنائم البحر وتأثيرها على الخزينة².

ولأنّ تجارة الحبوب مربحة وتدر أموال ضخمة، مما جعل بعض الحكام ينتهجون سياسة السيطرة على الأراضي الخصبة حول قسنطينة ومعسكر وتلمسان، وفي الهضاب العليا بشكل عام، كما احتركوا الإنتاج الفلاحي³، حيث كانت الحبوب تشتري من الفلاحين مثلاً بسعر 8.80 قرش للصاع، ليعيد المحتكرين بيعها للوسطاء الأوروبيين بسعر 26.30⁴، كما شجّعوا التصدير⁵، هذه الممارسات المنتجة⁶ من قبل البايك أضرت كثيراً بالمنتجين والفلاحين، خاصة في السنوات التي تكون فيها الظروف الطبيعية صعبة.

وتمثل سنة 1792 نقطة مفصليّة في تجارة الحبوب الجزائرية، فمن ناحية الغي احتكار الشركة الملكيّة الإفريقية، وفتح مجال المنافسة للشركات الأوروبية، واليهودية، ومن ناحية أخرى مارس الدّاي حسن (1779-1798) بعد اغتيال صالح بك 1792، رقابة مشدّدة واحتكار كبير على صادرات الحبوب، لمصلحته ومصلحة المتعاملين معه من التجّار اليهود، وعلى نفس المسار صار خليفته الدّاي مصطفى (1798-1805)، و أدّى هذا الاحتكار من قبل الدّاي ووسطائه من التجّار اليهود إلى استياء البايات الدين رأوا أنفسهم يتعرضون لاحتيال كبير على جزء من أرباحهم السّابقة، ولتعويض هذه الخسارة في الأرباح مارسوا مزيداً من

¹ يمثل صالح باي (1771-1792) أكبر مثلاً على الثراء، وخطر قوة الطرد المركزي.

² محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 204.

³ كمال بن صحراوي، المرجع السابق، ص 57.

⁴ إنّ انتهاج سياسة الوسطاء كانت نتيجة عدم سماح الدول الأوروبية بفتح موانئها للتجار المسلمين من جهة، ومن جهة أخرى عدم رغبة وتخوف الطبقة الحاكمة في ظهور طبقة بورجوازية محلية تستطيع تنافسهم على الحكم.

⁵ المهدي بوعبدلي، ناصر الدين سعيديوني، المرجع السابق، ص 56.

⁶ إنّ سياسة الاحتكار التي مارسها أعضاء حكومة البايك، استفاد منها الوسطاء من التجارة الأوروبيين، وخاصة التجار اليهود التي أدّرت عليهم أموالاً طائلة، في حين حرم من فوائد هذا الاحتكار، وهذه التجارة جميع أهالي البلاد، لأنهم لا يستطيعون شراء الحبوب بنفس السعر الذي يشتري به البايك، ينظر: حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 122.

المطالب المخزنية على الأهالي، مما أدى إلى ثورات خطيرة نسبوا مسؤوليتها، إلى الداي ووسطائه اليهود.

1-4 سيطرة اليهود على التجارة الخارجية

حينما تولّت الوكالة الإفريقية سنة 1794م، مكان الشركة الملكية الإفريقية¹، مهمة استغلال تجارة مراكز الشرق الجزائري، ورثت معها الوضع الجديد المتمثل في وجود منافسين أقوياء مدعّمين من قبل السلطات المحلية، كما تأسست إلى جانبها الوكالة التجارية، حيث كانت مهمة الشركتين الأساسية هي توفير الاحتياجات الضرورية للسوق الفرنسية من القمح²، ونظراً لعجز الوكالة الإفريقية، عن توفير احتياجات القمح الضرورية، لمواجهة المجاعة التي تهدد فرنسا؛ رغم كل محاولات الاغراء، بالهدايا للداي والديوان وغيرهم، لهذا تخلت عن مهامها فاتحة المجال لشركة³ اليهوديين بكري وبوشناق سنة 1796م⁴.

إن شركة اليهوديين قد تلقت دعماً كبيراً من قبل السلطات الحاكمة، خاصة من الباي مصطفى الوزناجي⁵، حين يعين على رأس بايلك قسنطينة سنة 1794م، ورغم سياسة الاغراء التي أتتبع من قبل رئيس الوكالة الإفريقية من أجل استمالته، ورغم ما تم وضعه من إمكانيات تحت تصرفه؛ لكن الباي كان مرتبطاً مع اليهودي بوجناح، الذي أنقذه من الموت عندما عزل من بايلك التيطري، وتدخل لدى الداي لتعيينه في منصبه الجديد، ومنذ ذلك

¹ تم إلغاء هاته الشركة من قبل لجنة السلامة العامة في نطاق تصفية الامتيازات الفرنسية المعادية للثورة في الخارج.

² محمد أمين، المرجع السابق، ص 123،

³ إن تاريخ تأسيس الشركة اليهودية هو محل خلاف فهناك من يذكر أنها تأسست في 1798، وهناك من يذكر أنها تأسست في 1795، وهناك من يؤكد على أنها تأسست رسمياً سنة 1793م.

⁴ لقد سمحت الوكالة الإفريقية لشركة اليهودية بأن تتاجر مع الفلاحين والمنتجين في الشرق الجزائري وأن يستعملوا مؤسساتها لتصدير والتوريد مقابل مساعدات مالية وخدمات أخرى في مجال النقل والتبليغ وفي سنة 1799م عند توقف الشركة عن العمل تكون الشركة اليهودية قد سيطرت على أكبر جزء من الأماكن التي كانت وقفا على التجار الفرنسيين، ينظر: محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 213.

⁵ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، المصدر السابق، ص 121.

الحين انتقل امتياز احتكار تجارة الحبوب من التجّار الفرنسيين إلى التجّار اليهود الذين سيطروا منذ ذلك الحين على التّجارة الخارجيّة للجزائر¹.

أثّرت سياسة الباي على وضع الشركة الفرنسية، مما جعلها تأمر بإخلاء ميناء القالة في أكتوبر 1795م، فتولت الشركة اليهودية مهمة تغطية شحن بعض من حاجيات فرنسا للقمح والشّعير، بالإضافة إلى تمويل جيوش بونابارت في إيطاليا؛ وهكذا احتكرت هذه الشركة ثلثي التجارة الجزائرية؛ وحتى تتمكن من تمويل السوق الفرنسية بما تحتاجه، ومراوغة الحصار الإنجليزي الإسباني على فرنسا²؛ استعانت بيهود ليفرون³؛ وعليه تم تطبيق الاتفاق المبرم بين الدّاي حسن باشا، وحكومة الثّورة، والدّاي نالت بموجبه فرنسا تسهيلات تجارية لشراء الحبوب خاصة في زمن افلاس خزينة فرنسا، التي اضطرت لشراء الحبوب من الشركة اليهودية ديناً، كما قدم لها قرضاً مالياً قُدرت قيمته بخمسة ملايين فرنك سنة 1794م⁴، لتكون هذه الدّيون فيما بعد من بين أسباب الحملة العسكرية على الجزائر سنة 1830م.

إنّ الأرباح التي كانت تحقّقها الشركة اليهودية من خلال احتكارها للتّجارة داخل الإيالة الجزائرية وخارجها، وحسب أغلب الدّارسين كانت تصل أحيانا إلى 400%، ونتيجة لسياساتهم الاقتصادية المدعومة من طرف الحكام، من خلال عدم السماح ببيع الحبوب إلا للدولة التي تحدد أثمان بيع القمح، والتي بدورها تبيعها، للشركة اليهودية أو لغيرها، ليتحوّل الدايات وموظّفوهم إلى وسطاء تجاريين يخدمون مصلحة اليهود؛ ولا أدل على هذا، قصّة الهدية التي قدّمها الباي مصطفى الوزناجي لزوجة الدّاي، وكيف أُستغلّت لربح أموال طائلة، عن طريق منح ثمنها حمولات من القمح، بأسعار بخس، لتباع بأثمان باهضة حقق من خلالها اليهود ثروات طائلة⁵.

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، المصدر السابق، ص 221.

² محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع نفسه، ص 206.

³ محمد أمين، المرجع السابق، ص 123.

⁴ المهدي بوعبدلي، ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 77.

⁵ لمعرفة تفاصيل هذه الهدية ينظر: حمدان خوجة، المصدر نفسه، ص 121.

هكذا ونظراً لسياسة اليهود الاقتصادية، المجحفة التي سلّطت على السكان، خاصة خلال الثلاثين السنة الباقية من عمر الإيالة، ومع تعرضها للكوارث الطبيعية (الأوبئة، والجفاف، وغزو الجراد..)، وكمثال على تلك السياسة، أنه عند وقوع المجاعة الكبرى سنة 1805م، وبدلاً من أن تقوم الشركة بمساعدة السلطات، لتوفر الغذاء للسكان، راحت الشركة تقوم بجمع الحبوب من مختلف أنحاء الإيالة وتصديرها نحو فرنسا، ممّا أثار غضب العساكر¹، الذين كانوا متذمرين من تدخلات اليهود في الأمور السياسية والاقتصادية، ومن استغلال نفوذهم، الذي لا يعرف حدوداً للإساءة لكل من يرفض التعاون معهم؛ ونتيجة لهذا قام أحد العساكر يدعى يحي بإطلاق النار على بوشناق، في يوم 28 جوان على الساعة السابعة²؛ وكان موقف السكان وكل العساكر تجاه قاتل بوجناح، وتضييقهم للخناق على الدّاي مصطفى، يعبر صراحة على مدى الضّيم الذي كان يتعرض له السكان بسبب جشع اليهود، واستغلالهم لظروف الصّعبة التي يتعرضون لها، من أجل تحقيق مزيداً من الأرباح. ورغم ما تعرّضت له الشركة اليهودية من ضغوطات، بعد مقتل بوشناق، ومقتل الدّاي مصطفى، إلا أنّ اليهود لا يعدمون الوسيلة للوصول إلى غايتهم، فقد استطاع دافيد بن يوسف بكري، من التّقرّب للدّاي أحمد (1805-1806)م، فعينه في 30 جوان 1806م على رأس الطائفة اليهودية، كما أعفاه وشركائه، من الديون المتبقية على الشركة، بل ذهب لأكثر من هذا فقد أصبح الدّاي يدافع عن مصالح اليهود ويقوم بحمايتهم من الدّول التي تتعدى على حقوقهم، فعندنا وقعت سفينة تحمل القمح من ميناء عنابة إلى مرسيليا تحمل العلم الجزائري في يد الإنجليز، قام الدّاي بإلزام الإنجليز بإرجاعها، وهذا التحول في موقف الدّايّات اللاحقين، كان بسبب عجز الشركات الفرنسية من تصدير الحبوب الجزائرية، وعدم

¹ العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 272.

² المرجع نفسه، ص 272.

اكثر انجليز لهذه التجارة بعد حصولهم على امتيازات احتكار التجارة التي كانت لدى الفرنسيين¹.

2- التوجه نحو التشديد في السياسة الضريبية داخليا:

إن التناقص المتزايد في غنائم البحر ثم نضوبها، من أسرى وسفن و سلع، أثرت بشكل كبير في مداخل الخزينة، مما جعل القائمين على الحكم يبحثون عن آفاق جديدة يعوضون بها الاحتياجات المتزايدة، خاصة أن نهاية القرن السابع عشر الميلادي 17م، والنصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي (18) م، عرفت هجومات عسكرية على إيالة الجزائر من قبل الأساطيل الأوروبية، وما أحدثته من دمار للمدينة، ونتيجة لعمليات إعادة البناء²، هاته النفقات الكبيرة والمتزايدة، ومع المتطلبات اليومية الضرورية لتسيير الإيالة، أرهقت الخزينة، وأصبح من الضروري البحث عن بديل يعوض النقص الناتج عن تراجع مداخل البحرية، وتشير بعض الدراسات إلى أن تحويل الاتجاه بدأ في سنوات 1690م مع الداوي شعبان الذي تحول من الآفاق البحرية إلى الآفاق البرية³.

كانت سياسة الداوي شعبان داخليا هي فرض سلطته على دواخل البلاد، واستخلاص المطالب المالية، المتوجبة على سكان الأرياف، الضرورية لتسديد أجور فرق الجيش، وتغطية نفقات الديوان⁴، ففرض سلطته على قبائل الغرب الجزائري، وعلى قبائل الشرق، التي رفضت دفع الجبايات المتوجبة عليها⁵، غير أن الملاحظ في هاته الفترة كانت المطالب المالية التي تصّر الحكومة على استخلاصها، هي مطالب ضريبية اعتيادية وفق الشريعة

¹ العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 276.

² يذكر ابن المفتي التلمساني أنه بعد قنبلة الفرنسيين لمدينة الجزائر 1683م وما نتج عنه من تهديم للبوت والمساجد، كان الحكام يعمدون بعد هذه الغارات إلى تغريم السكان مبالغ مالية كبيرة كما حصل في عهد الباشا حسين ميزومورتو الذي فرض على كل الساكنين بما في ذلك اسرة ابن المفتي دفع مبلغ 12 ريالا، ينظر: ابن المفتي التلمساني، المصدر الاسبق، ص 30.

³ المنور مروش، دراسات...، ج.2، المرجع السابق، ص 375.

⁴ ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 41.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 316.

الإسلامية، والمتمثلة في الزكاة والعشور¹، وهذه الظاهرة ليست جديدة، بل كانت موجودة منذ ظهور الدولة، وقد اعتمد العثمانيون في بداية أمرهم على جمع الضرائب، من السكان للاعتناء بالجيش وتسليحه، لضمان الاستقرار².

ولكن نظراً للظروف المستجدة سواء السياسية أو الاقتصادية، توجب فرض نوع آخر من الضرائب الطارئة، أو غير المألوفة، وهي كثيرة ومتعددة مما أرهاق كاهل السكان، حيث يتطلب للحصول عليها من القبائل المتمردة³، تجريد المحلات⁴ واستعمال القوة⁵، كحملة صالح باي 1788م لإخضاع بني جلاب بتقوت، وحملة محمد الكبير⁶ في الجنوب الوهراني وفي هذا السياق يذكر ابن هطال التلمساني كيف أن الباي محمد الكبير استعمل القوة لإخضاع القبائل المتمردة لسلطته، وأصبحوا يؤدون له الضرائب: "فانتصر على الجميع وأخضعهم للحكم التركي وملاً خزينته بما أدوه له من الضرائب"⁷.

وكانت لهذه الحملات نتائج سلبية في طرق استغلال الأراضي، كما اعتبرت من بين الأسباب التي أدت إلى محدودية النشاط الزراعي، وقد ترك الشّعر الشعبي تعبيراً دقيقاً جداً

¹ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 35؛ وليام شالر، المصدر السابق، ص 58؛ L. Bonzem: *Du régime fiscal Algérien*, thèse, Paris, 1899, p. 1.

² أرزقي شويتم، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عمر بن خروف، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص 151.

³ فلة الموساوي القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، القافلة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 104.

⁴ جواو كرفالو ماسكاريناس، مذكرات الأسير البرتغالي جواو كرفالو ماسكاريناس في مدينة الجزائر 1621-1627م، تر. لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022، ص 126.

⁵ للاطلاع أكثر حول الحملات العسكرية التي يقوم بها ممثلو السلطة التركية في المناطق البعيدة لإخضاع السكان لنفوذهم، وما ينتج عنه من دمار وخراب ينظر: ناصر الدين سعيدوني، الجزائر خلال...، المرجع السابق، ص 144، 145؛ مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص 7.

⁶ هو محمد بن عثمان الكردي 1779-1797م، المعروف بمحمد الكبير لقب بهذا الاسم بعد فتحه لوهران 1792، عاصر الداوي محمد بن عثمان، شارك في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحلة الإسبانية بقيادة أوريلي، كان صاحب مشروع حضاري تغذية حركة إصلاحية، ينظر: بلبروات بن عتو، "الباي محمد الكبير باي وهران 1779-1797م حياته وسيرته"، مجلة عصور، مج.2، ع.1، جوان 2003، جامعة وهران، ص 151.

⁷ أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح. محمد بن عبد الكريم، ط.1، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص 17.

على النتائج الاقتصادية التي ستتجر عن هاته السياسة الضريبية التعسفية في الأرياف، على مدينة الجزائر بأكملها:

التل يخلى وتزول منه الذخاير... وتصير النخلة برحلة... ولا شك تخلى الجزائر.

1-2 الضرائب الشرعية:

هي الضرائب التي تمثل الإيرادات المالية في الإسلام، ألزم بها المسلم وفقاً للشرعية الإسلامية¹، ويؤديها وفقاً لتعليمات الدين الحنيف، وهي نوعان واحدة تفرض على المحاصيل الزراعية وتسمى بالعشور²، وأخرى تفرض على الحيوانات والمواشي بمختلف أنواعها وتسمى الزكاة³.

1-1-2 العشور.

العشور تخص الإنتاج الفلاحي بأنواعه، فهي تستخلص من القمح والشعير وغيرها من المنتجات الزراعية، وقيمتها هي عشر المحصول أي 1/10⁴ من الإنتاج الزراعي لملكية معينة، ومع الوقت ومع تعدد أوجه التحايل في دفع أو استخلاص العشور، لم يعد بالإمكان الاستمرار في هذا النظام البسيط، خاصة مع تعدد أنواع الملكيات وطبيعتها، وطرق استغلال الأراضي، ومع التجاوزات التي يقوم بها جباة الضرائب، أما أنهم كانوا لا يعطون لدولة جميع مبالغ الضرائب التي جمعوها، أو أنهم كانوا يرهقون السكان بجمع ضرائب أكثر من اللازم، تم

¹ محمود جمام، النظام الضريبي وآثاره على التنمية الاقتصادية دراسة حالة الجزائر، رسالة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، إشراف محمد سحنون، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2009-2010، ص 102

² يذكر حمدان بن عثمان خوجة أن أراضي الجزائر كلها تخضع لضريبة العشور، لأنها من نوع الحكور وليست خراجاً، والخراج يفرض على الأراضي التي يملكها غير المسلمين، حيث يدفع أصحابها نصف المحصول، ويدفعون مقدراً معيناً بناءً على اتفاق يقع بينهم وبين الحكومة، ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 105.

³ ناصر الدين سعيدوني، ولايات المغرب العثماني، الجزائر تونس طرابلس الغرب، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص 80.

⁴ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 105

تغيير طريقة جمع العشور فأصبحت تحدد حسب المساحة، فيؤخذ على كل جابدة¹، صاع من القمح وصاع من الشعير، وحمولة من التبن².

وبما أنّ نظام الجابديات يتعلق بمساحة الأرض التي يحرثها الثيران، حيث فرض على كل محراث يجره ثوران حمولة بعير من القمح، وأخرى من الشعير، فقد تم إحصاء عدد الفلاحين المالكين للمحاريث، تُسلمت نسخة من عملية الإحصاء لقابض الضرائب، ليجمع الضرائب حسب ذلك الإحصاء، وعندما يم تسليم المستحقات من الضرائب، يقدم القابض مقابل ذلك وصل التسليم، وبها يتم مراقبة تلك الكميات، ليتمكن فيما بعد من محاسبة القابض الرئيسي في الدولة، ويعفى الفلاحين من الضرائب، عندما يثبت أنّ الأراضي لم تنتج شيئاً³.

وقد مكّنت العشور خزينة كل ولاية من الحصول على مداخل معتبرة من الحبوب فمقاطعة التيطري كان يوظف عليها في القرن التاسع عشر الميلادي (19م)، 20762 صاعاً من القمح ومثلها من الشعير⁴، أما في بايلك قسنطينة فقد وفّرت ما لا يقل عن 396.80 فرنك⁵.

2-1-2 الزكاة

تفرض الزكاة على رأس المال، أي على المواشي والأموال، تعتبر حق إلزامي سنوي يدفعه الفرد للحكومة، وكانت في العهد العثماني تفرض على الماشية، من أغنام وماعز

¹ هي مساحة من الأرض الزراعية، يقوم بحرثها ثوران، وهي تختلف في سعتها حسب طبيعة الأرض، فالأراضي السهلية يصل مساحتها إلى 12-14 هكتار، أما في المناطق الجبلية فلا تتجاوز مساحتها 8-10 هكتار، كما تسمى بالزويجة، غير أن الاختلاف بين الأراضي التي يحرثها الثيران، ويحرثها الحمير فإن الجابدة حينها تصبح قيمتها معادلة لنصف الأولى، ينظر: L. Bonzem, *Venture de Paradis, Alger au XVIIIe siècle*, typographie adolphe jourdan, ALGER, Op- Cit, p 20. 1898, p 140.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 106؛ توفيق دحماني، *الضرائب في الجزائر (1206-1282هـ/1792-1865م)* دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عمار بن خروف، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007_2008، ص 165؛ فلة موساوي، المرجع السابق، ص 102؛ L. Bonzem, Op- Cit, p 19.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر نفسه، ص 106.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، "الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني (الجزائر- تونس- طرابلس الغرب) من القرن العشر الى القرن الرابع عشر (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي)"، *حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية- الحولية الحادية والثلاثون - 1431هـ/2010م*، الكويت، ص 19.

⁵ فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 102.

وجمال وأبقار، تؤخذ طبقاً لأحكام ونصوص الشريعة الإسلامية، ونظراً لأن الدولة لم يكن بإمكانها، توفير الإمكانيات اللازمة الإدارية والتنظيمية، لعمليات الإحصاء والرقابة التي يحتاجها الجباة من أجل استخلاص المقادير المستحقة، لهذا بدأت الزكاة تأخذ منحى آخر وتجبي تحت دواعي وتسميات مختلفة¹، مما جعل بعض الدارسين يذكرون أن الزكاة كانت تفرض فقط على مقاطعتي وهران والجزائر، ويستثنون قسنطينة بأنها معفية².

وكانت مقادير الزكاة ملزمة عن كل 25 إبل يؤخذ جمل، وتؤخذ بقرة عن كل 30 بقرة، وتؤخذ زكاة الغنم، عن كل 40 رأس شاة، أما الخيول والبغال والحمير فقد كانت خارجة عن هذه الضريبة، كما كانت الزكاة تفرض أيضاً على الصوف والزبدة والعسل والشمع، وغيرها بقيمة 3% من القيمة الإجمالية، وكانت هاته الزكاة ترتفع أحياناً عندما يكون البايك في حاجة إلى المال، كما كانت زكاة الأموال محددة شرعاً بـ: 2.5%³.

2-2 الضرائب غير الشرعية (المستحدثة) :

وهي ضرائب فرضتها ظروف وأوضاع الإيالة خاصة السياسية والاقتصادية، تفرض على أراضي العرش والمناطق المستعصية على نفوذ البايك، وبما أنها غير مألوفة لدى الساكنة، كان لزاماً عند الخروج لتحصيلها تجريد قوة عسكرية تدعى المحلات، وقد تعدد تسمياتها واختلفت أنواع هاته الضرائب من مكان إلى آخر، تؤخذ عينياً من المحاصيل أو تدفع نقداً حسب الظروف.

2-2-1 الزمة: وهي ضريبة مستحدثة تؤخذ عينياً أو نقدياً، بغرض تمويل الحامية وتزويد النوبة، والمساهمة في الدنوش الصغرى (الفصلية) والكبرى (السنوية)، تفرض عند تعذر أخذ الزكاة والعشور، من القبائل التي ظلت محافظة على استغلالها، والتي لا تتعامل مع البايك

¹ توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 168.

² L. Bonzem , Op- Cit,p 23.

³ توفيق دحماني، المرجع نفسه، ص 168.

إلا من خلال سلطة شيوخها، كما تفرض عادة على القبائل الرعية الخاضعة، التي تعيش في أراضي العرش¹.

2-2-2 الغرامة: هي ضريبة تفرض على القبائل المتمنعة أو المعادية لسلطة المركزية والرافضة لنفوذ الحكام الممثلين لها، بالصحراء والهضاب العليا، والمناطق الجبلية، وهي مستحدثة وتعوض العشور، تؤخذ عينياً أو نقدياً، حسب الظروف والأحوال لكن غالباً ما تؤخذ في شكل مواشي ومواد غذائية لتوفرها لدى السكان، أي المنتجات المحلية، وهي مرتبطة بتجريد الحملات العسكرية، تؤخذ كل سنة وقد تؤخذ مرة السنتين، وذلك حسب قدرة الإدارة على استخلاصها².

3-2-2 المعونة: وهي من بين الضرائب المستحدثة، غير محددة من حيث الوقت، أو الكمية، تفرض على القبائل الرعية بهدف تمويل المحلة في الأرياف، أو لسد نفقات الموظفين، تستخلص عيناً، وسبب فرض هذا النوع من الضرائب يعود إلى عدم استيفاء ضريبي الزكاة والعشور، لنفقات البايليك عامة والجيش خاصة، فكانت تؤخذ من السكان، الجمال والخيول والبغال والحمير والأبقار والزيت والخرفان، وعدة مؤن أخرى باستثناء البسكويت، من أجل تمويل الجيش، يتقاضاها القياد كلما دعت الضرورة، تؤخذ عادة كل ستة أشهر، ويحدد نوعيتها وقيمتها درجة خضوع كل قبيلة، فالقبائل الجبلية الواقعة في المناطق الوعرة، كانت تفرض عليها، ضريبة سنوية رمزية في شكل معونة³. هاته الضريبة تتخفف قيمتها في أوقات السلم، نظراً لارتباطها بالمحلات العسكرية، نادراً ما تقدم نقداً⁴.

¹ عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519-1830م)، شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف دادة محمد، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014م، ص 109.

² ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي..، المرجع السابق، ص 91.

³ توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 181؛ أرزقي شويتام، المجتمع..، المرجع السابق، ص 152.

⁴ فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 110؛ فاطمة الزهراء سيدهم، المرجع السابق، ص 25.

وهي تختلف عن اللّزمة، الّتي تفرض على القبائل الخاضعة، في حين أن المعونة تفرض على كل القبائل الداخلية تحت نفوذ القياد و المتعاملة معهم¹.

2-2-4 الخطيّة: هي ضريبة مستحدثة كانت تفرض على القبائل المتمنعة، أو النائرة، عند خضوعها وطلبها للعفو أو الأمان عما صدر منها من مخالفة وعصيان، كما حدث مع أهل عين ماضي لما امتنعوا عن دفع الضريبة السنوية ودخلوا في مواجهة مع جيش الباي محمد الكبير ولمّا هزموا ألزمهم الباي دفع الخطية مع الغرامة السنوية التي كانوا قد امتنعوا من أدائها²، فهي تعتبر كدليل لخضوع تلك القبائل لسلطة البايليك، كما قد تفرض في شكل مُخالفات على الأفراد المخالفين للقانون أو دية للذين ارتكبوا جرائم ومخالفة في حقّ بعض الأفراد كالقتل والتّعدي على ممتلكات الغير، أو التورط في السرقات، وغيرها من الأعمال التي تستحقّ العقوبة شرعاً؛ وفي حالة عدم التعرف على الجاني، يلجأ شيخ الدوار أو قائد القبيلة إلى فرض خطية جزافية على مجموعة من أفراد العشيرة لعدم التعرف على مرتكبيها، تؤخذ ضريبة الخطية نقداً، فمثلا خطيّة الدية كانت محدّدة بـ 1000 سلطاني، 10.000 فرنك³.

كما كانت هناك أنواع أخرى من الضرائب، تندرج تحت التسميات السّالفة الذكر، أو تختلف عنها تدخل ضمن ضرائب ذات الطّابع الإداري والصبغة الاقتصادية، أرهقت كاهل السّاكنة نذكر منها حق البرنوس؛ مهرة الباشا والفرس، حق الزمام، حق العسة، التوزيع، ضيفة الدّوش، ضيافة أو مؤونة المحلة، الهدايا والتّرضيات⁴..الخ.

¹ جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10 هـ (16م) إلى 13 هـ (19م))، ط.2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2019، ص 157.

² مؤلف مجهول، فقرة في سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران، المصدر السابق، ص 7.

³ فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 108.

⁴ للاطلاع والتعرف أكثر على هاته الأنواع من الضرائب، ينظر: ناصر الدين سعيدي، النظام المالي..، المرجع السابق، ص 94؛ توفيق دحماني، المرجع السابق، ص، ص 183، 188؛ فلة موساوي القشاعي، المرجع نفسه، ص، ص 113، 115؛ عقاد سعاد، المرجع السابق، ص، ص 113، 116؛ أرزقي شويّتام، المجتمع..، المرجع السابق، ص 153، 156.

2-3 الضرائب المستخلصة من سكان المدن:

كان سكان المدن يؤدّون الضرائب تحت اسم الجباية، وهي خاصّة بالحرفيين، والتّجار والموظّفين، وأفراد الطوائف، والنقابات المهنية، وكانت الرسوم التي تؤخذ من أصحاب الدكاكين التّجارية والمحال الصناعية، يستخلصها الشاوش تحت مراقبة شيوخ البلد. أما النقابات المهنية التي تضم مجموعة من الصّناع، والطوائف العرقية، فهي تدفع الضرائب المفروضة عنها، عن طريق أمّناءها، وفي مقدمتها كبير أهل الأندلس، ومقدم اليهود، فعلى سبيل المثال كانت جزية اليهود السنوية تقدر بـ 30.000 جنيه بما فيها الضرائب المستحدثة¹.

مهما كان نوع هذه الضرائب وطرق جمعها، وقيمتها، سواء كانت في الأرياف أو في المدن فهي موجه كلها لخزينة البايات، لتسلم فيما بعد لخزينة الدولة عن طريق الدّنوش، سواء كانت الصغيرة أو الكبيرة، فالصغيرة كانت نصف سنوية أي كل ستة أشهر ترسل عن طريق خليفة الباي، والدنوش الكبيرة التي تؤدى مرة كل ثلاث سنوات أين يقوم بجلبها لمدينة الجزائر الباي².

2-4 المعفيون من الضرائب:

إنّ تلك الضرائب المختلفة والمتنوّعة التي تم ذكرها، يعفى منها فئة الحكّام الأتراك، وقبائل المخزن نصير خدمتها العسكرية للبايليك³، وفئة المرابطين من شيوخ الزوايا ورجال العلم، الذين تصدّروا للإفتاء، أو الإمامة والتعليم، حيث كان البايات والدايات، يتقربون من فئة المرابطون ورجال العلم، وشيوخ الزوايا وعائلاتهم، بإعفائهم من جميع أصناف الضرائب والمطالب المخزنيّة، المتعدّدة، ويكون هذا الإعفاء عن طريق إصدار وثيقة تعفيهم من ذلك،

¹ Venture de Paradis, Op-Cit, p 140.

² للمزيد حول الدنوش ينظر: مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، ص 35، 41؛ بن عودة المزاري،

المصدر السابق، ص 273؛ Venture de Paradis, Op-Cit, p p 145, 152.

³ Venture de Paradis, Op-Cit, p 140.

ولدلالة على الإعفاءات من الضرائب والمطالب المخزنية¹ نورد مقتطفات من الظهير الصادر عن إدارة الإيالة لإعفاء الشيخ محمد بن المهدي الكتروسي² من ذلك.

"...وإننا نعلم على ماسكه، العالم الأجل المرعي المبجل،...السيد محمد بن المهدي برد الله ضريحه،...وأوصينا بحرمة واحترامه، ورعيه وإكرامه، بحيث لا يطالبه أحد من العشور والعشرات، ومبيت ومونة، وصخرة، وغير ذلك من التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية قلّت أم جلّت،...، كما أننا أعلمنا كافة إخوانه السيد علي، والسيد أحمد، والسيد علي الصغير، وعلى أولادهم، وأولاد أولادهم، وعقبهم وعقب عقبهم، حيثما تناسلوا وامتدت فروعهم في الإسلام، وحررناهم من جميع التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية، بحيث لا يقاسون بما يقاس به غيرهم لا قليلاً ولا كثيراً، انعاماً تاماً شاملاً عاماً، لهم ولكل تنسل منهم،... فحسب الواقف عليه، أن يعمل بمقتضاه ولا يتعداه، وأصل العمل كله لله...".³

وفي نفس السياق إي أعفاء العلماء من الضرائب تذكر الوثيقة المؤرخة في أواخر جمادي الأولى 1049هـ الموافق لـ سبتمبر 1639م والتي تم خلالها إعفاء الشيخ علي بن المشرف وأُسرة المشارف⁴ من جميع المطالب المخزنية والوظائف السلطانية حيث جاء فيها: "... بمجرد دخول المرفوقة حكم ولأوامر الكرام الأجل الفقيه الأكمل السيد علي بن المشرف وكافة سادتنا المشارف للوطن ... وصيتي وكلامي، وحسب جنابي لا يجاسر أحد

¹ حمد بحري، "ضرائب الجزائر العثمانية من خلال بعض الظواهر المازونية"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج.9، ع.10، 30-06-2013، جامعة وهران، الجزائر، ص 10.

² هو الشيخ محمد بن المهدي، ينتمي إلى عائلة علمية عريقة هي عائلة الكتروسي، احتكرت مناصب الإمامة والافتاء طيلة العهد العثماني، مما جعلهم يستفيدون من الإعفاء من جميع أنواع الضرائب، ينظر: نفس المرجع، ص 20.

³ حمد بحري، المرجع نفسه، ص 10.

⁴ تنتسب أسرة المشارف إلى مشرف بن عبد الرحمان بن مسعود قدم من بوصمغون، تولى القضاء بغريس لبعض أمراء بني زيان، جدهم الأعلى هو مشرف بن غريب الذي تنتهي إلى إدريس الأكبر، لعبت أسرة المشارف دوراً هاماً في حياة مدينة معسكر ثقافياً وجهادياً، حيث لم تعد الرئاسة فيما علمنا دار الشيخ المشرفي وأولاده والذي من بينهم علي، فإنهم الذين كانوا معتبرين عن الملوك الأتراك، وكانت لهم ولاية في الخطة الشرعية، يقصد القضاء أيام الاتراك، وأيام الأمير عبد القادر، للمزيد حول هاته الأسرة ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط.1، ج.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 231، صلاح الدين بن نعوم، تقييدات نسب أسرة المشارف للشيخ محمد بن مصطفى الأحمر المشرفي ثم الفاسي 1334هـ/ 1916م، نور للنشر، 2021، د.م.ن، ص 7.

... ولا على مضرة، ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم، ولا يطالب بالمطالب المخزنية ولا الوظائف السلطانية قلت أو جلت... على عادة أسلافي المتقدمة....¹ هذا بالنسبة للعلماء الجهة الغربية من الإيالة. كما قام الداوي محمد بن عثمان بإعفاء علماء وشيوخ المنطقة الشرقية للإيالة، وهذا ما جاء في الرسالة التي تم إرسالها إلى باي قسنطينة في أواخر محرم سنة 1216هـ، والتي تم خلالها إعفاء جنان السيد إسماعيل بن المنعم، والسيد محمود بن كوجك علي الكائن بالحامة خارجة بلدة قسنطينة، من المطالب المخزنية والوظائف السلطانية، جلت أو قلت، ولا يلزم منها شيء مما يلزم غيرها....²، كما أن الرسالة رقم 52 من الملف الثاني في المجموعة رقم 3206، المؤرخة في أواسط محرم 1235هـ، تتضمن أوامر بإعفاء بعض العلماء والأشخاص، وجميع أولاد سيدي الحاج عبد الوهاب من المطالب المخزنية³.

إذن هاته الضرائب تقوم على مبدأ المفاضلة، فهي تعفي المتعاملين مع السلطة وتمنحهم امتياز الإعفاء من الضرائب، كالمرابطين وشيوخ القبائل، والزعامات المحلية الخاضعة لهم، وقبائل المخزن، في حين ترهق كاهل السكان الخاضعين (قبائل الرعية) وجماعات الفلاحين، بأنواع مختلف من الضرائب والمطالب المخزنية.

غير أنه ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، إلى غاية الاحتلال 1830م، أين لاحظنا التناقص المستمر في موارد البحر، رغم ما تخلله من انتعاش نسبي فرضته الظروف الدولية، وما نتج عنه من نقص مالي أثر بشكل كبير على الوضع الاقتصادي، مما أدى إلى التوسع في السياسة الضريبية، وبعد انتهاء الخطر المسيحي بفتح

¹ وثيقة من خزنة أسرة المشارف، تيزي، ولاية معسكر، تم الحصول عليها من قبل الباحث صلاح الدين بن نعوم ينظر: الملحق رقم (14).

² م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3206، الملف رقم 3، رسالة رقم 24، ينظر: الملحق رقم (15)

³ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، مجموعة رقم 3206، الملف رقم 1، رسالة رقم 52 ينظر: الملحق رقم (16)

وهران 1792م، وحدث تغيير في سياسة الحكام اتجاه رجال الدين، حيث أعلنوا معاداتهم، ومحاولة إخضاعهم لنفوذ البايليك، مما نتج عنه القطيعة بين الزوايا الدينية والمؤيدين لها، وبين الحكام الأتراك والجهاز الإداري والعسكري الذي يمثلونه¹، مما سينتج عنه التحام بين رجال الدين وشيوخ الزوايا مع اتباعهم وقيامهم بانتفاضات شعبية سيكون لها دوراً كبيراً في زعزعت أركان الحكم وتسهيل سقوطه على يد الجيش الفرنسي.

3- التوجه نحو اتخاذ سياسة ضريبية (مداخل ضريبية)

سنركز في هاته الجزئية على المداخل الضريبية الخارجية، كالتّي فرضت على الجارة تونس، أو على الدول البحرية الأجنبية المتاجرة في البحر الأبيض المتوسط، سواءً أكانت هاته المداخل عبارة عن إتاوات أو هدايا، نقدية أو عينة، تدفع لكبار المسؤولين في هرم السلطة أو للموظفين الصغار.

3-1 التّدخل الجزائري في الشأن التونسي وفرض الضرائب

يرجع التّدخل الجزائري، في شؤون الإيالة التونسية، أو بما يصطلح عليه العلاقات الجزائرية التونسية، إلى عاملين مهمين مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالضرائب، ألا وهما إمّا التّدخل لتعيين باياً لجأ إلى الإيالة الجزائرية، ووعد الدّاي والدّيان بدفع إتاوة سنوية مقابل مساعدته في اعتلاء العرش في تونس² كما حصل مع علي باي³، أو امتناع الباي التونسي عن دفع ما يتوجّب عليه من ضريبة سنوية لإيالة الجزائر، كما فعل الحسن بن علي⁴.

¹ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 146؛ ناصر الدين سيعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 39.

² نادية فتيسي، المرجع السابق، ج.1، ص 197.

³ علي باش هو ابن أخ الباي حسن بن علي، عينه خليفة على العرش التونسي قبل أن يكون له وريث لكن بعد أن رزق بأولاد، ابعث ابن أخيه عن المسؤوليات، وابقاء لقب الباشا، وفي سنة 1725 بدأ الباي بتشديد الرقابة على علي باشا لما حسه منه من حقد وعداوة، ثار على باش على عمه في فيفري 1728م، وقسمت البلاد إلى قسم سمية بالباشية، وقسم بالحسينية، وبعد هزيمه من طرف عمه وحفائهم فرّ إلى الجزائر، وبقي هناك إلى غاية 1735م إين عاد إلى تونس بمعية عساكر الجزائر وهزم عمه، لكن البلاد دخلت في حرب أهلية إلى غاية 1740م أين هزم الحسن بن علي، وبقي في الحكم إلى غاية 1756م أين هزم أما العساكر الجزائريين وعين ابن عمه محمد وعلى، ينظر: محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس، تع. محمد شاوش، محمد عجيبة، ط.3، دار سزاس للنشر، تونس، 1993، ص-ص 84-86.

⁴ الحسن بن علي من مواليد 1675م، أصله من جزيت كريت، عمل في الجيش التونسي وارتقى في رتبته، يعد مؤسس الأسرة الحسينية باعتلائه للحكم يوم 12 جويلية 1705، في البداية لم ينجب اولادا ونظرا لتبنيه ابن أخيه علي عدّ هذا

ففي سنة 1693م، كان التدخل الجزائري في الشأن التونسي، بسبب رفض الباي محمد بن مراد دفع الضرائب التي تعهد بدفعها لإيالة الجزائر¹، قام الداوي شعبان² بمساعدة محمد شاکر ضد صهره محمد باي بن مراد³، وعينه بايا على تونس بعد أن استولى على العتاد والمؤنة، والتي قدرت بحمولة 120 بغل من الذهب والفضة⁴، وبعض المقتنيات الثمينة⁵. وفي سنة 1700م أراد مراد بوبالة الانتقام⁶ من الجزائر لهجوم الكاف 1693م، فجيش جيشا قويا وقام بمحاصرة مدينة قسنطينة⁷ لمدة خمسة أشهر تقريباً، إلا أن الداوي حاجي مصطفى (1702-1705)، وجه جيشاً كبيراً لتأديب مراد باي، فانهزم الجيش التونسي في معركة جوامع

الأخير هو الوريث الشرعي للحكم، غير أن الأمور تغيرت بعد انجابه للأبناء الذكور، وهذا من الأسباب التي ادت بعلي بأن يثور على عمه وأبنائه، ينظر: كوثر العايب، المرجع السابق ص 34؛ V Picquet, *les civilisations de l'Afrique du Nord, Barbaresque Arabe –Turcs*, A.colin, Paris, 1909, p 271.

¹ حصام صورية، *العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر*، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف عبد الحفيظ بن نعيمة، جامعة وهران، 2012-2013، ص 25.

² *الداوي شعبان* تولى الحكم إيالة الجزائر في أواخر ذي الحجة عام 1100هـ/ أكتوبر 1689م، يقال أنه من رياس البحر ومن ضباط الجيش؟، عرف بطموحاته الكبيرة ويقظته، وكفاءاته الحربية، اتصف بقوة قراراته وسرعة تنفيذها، صارما مع أعدائه، وقد وصفوه من عاشروه بمواصفات متناقضة، فجد احمد برنار يمدحه حيناً، ويذمه حيناً آخر بناء مواقفهم معه، عمل على اقرار النظام، وشدّد في تحصيل الضرائب، وقع اثناء فترة حكمه وباء الطاعون المدمر 1689م، قادة حملة على تونس 1694، بسبب رفضها دفع الجبايات المترتب عليه، تصدى لتمرد الكراغلة، كما اشتهر بانتصاراته العسكرية فاستطاع حماية البلاد من تدخلات بيات تونس، وأطماع سلطان المغرب، وبحكمة سياسته الدبلوماسية مع الدول الأوروبية، ورغم الانجازات الدبلوماسية والانتصارات العسكرية التي انجزها، في فترة حكمه القصيرة التي لم تشفع له، فقد تعرض لمحاولة اغتيال في 16 فيفري 1695م، والتي تحققت في 15 أوت 1695م. ينظر ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص، ص 315، 321؛ مولاي بلحميسي، "إرشاد الحيران في أمر الداوي شعبان"، *مجلة الدراسات التاريخية*، مج.1، ع.2، 1986/06/01م، الجزائر، ص، ص 39، 45؛ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر...، ج.3، المرجع السابق، ص، ص 202، 204، ابن المفتي المصدر السابق، ص 57.

³ ابن ميمون الجزائري، المصدر السابق، ص 25.

⁴ ابن المفتي، المصدر السابق، ص 71.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 319.

⁶ هو آخر الباي من الأسرة المرادية اعتلى العرش سنة 1700م، وعمره 18 سنة، عرف بسفكه للدماء، لقب ببوبالة نظرا لأن سيفه المسمى الباله لا يفارق يده، شن هجوما على الجزائر هزم في 30 أكتوبر 1700 قرب سطيف، قتل في 1702، ينظر حسن حسني عبد الوهاب، *خلاصة تاريخ تونس*، ط.3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، د.س.ن، ص 146.

⁷ الباجي المسعودي، *الخلاصة النقية في أمراء إفريقية*، تح. محمد وبينهم محمد عزب، دار الأفاق العربية، القاهرة،

العلامة 30 أكتوبر 1700م¹، وهرب مراد باي ومن تبقى من الجند، وبعد مقتل مراد باي 1702م، نصب إبراهيم الشريف نفسه باياً على تونس، وساعدته الجزائر في اقناع الباب العالي لذلك، شرط دفع ضريبة سنوية للجزائر، مع إرسال هدايا لكبار الموظفين في الإيالة. وعند تملص إبراهيم الشريف من هاته الضريبة سنة 1705م²، كانت نتيجته هي الحرب بين الإيالتين وهزيمة إبراهيم الشريف، وتعين الكاهية حسن بن علي في 15 جويلية 1705م بايا على تونس، مع موافقة الديوان التونسي دفع مبلغ قدره 150.000 ريال، مقابل ما تسبب به الباي السابق³، وعقد معاهدة تم فيها الاتفاق على دفع ضريبة سنويا للجزائر⁴، وبعد تولي الحسن بن علي زمام أمور تونس هدأت الاوضاع بين الايالتين إلى غاية 1728. وفي عهد كردي باشا (1724-1732م)⁵، عندما لجأ علي باي التونسي إلى الجزائر، بعد اخفاقه في ثورته ضد حسن باي، فأجاره الداي وأبقاه عنده⁶، ووعد بعدم إطلاقه مقابل ضريبة سنوية يدفعها حسن باي للخرينة الجزائرية قدرها 10.000 سكة ذهبية سنويا⁷، إي نحو 435.000 فرنك⁸، وفي عهد إبراهيم باشا (1732-1745م)⁹، وعندما لم يدفع الباي حسن الضريبة السنوية المترتبة عليه للجزائر سنة 1733م، في هذه النقطة يذكر دي غرامون أن

¹ D Graammont, Op-Cit p 270.

² في هذه النقط يقول دي غرامون أن الباي في هاته الفترة لم يستطع تسديد رواتب الجند نظرا لنقص الفادح في مداخل أعمال البحرية ضئيلة تماما نظرا لان للرقابة المشددة التي أصبحت عليها السفن التجارية التي أصبحت تخرج بمعية السفن الحربية، وبما أن الضرائب في هاته لم تجمع نظرا لتعرض البلاد إلى قحط كبير مما أدى بالداي إلى اعلان الحرب عن

تونس لكنه هزم ينظر: DE Graammont, Op-Cit p 270.

³ حصام صورية، المرجع السابق، ص 36.

⁴ نفس المرجع، ص 56.

⁵ عين دايا على الايالة سنة 1724م كما حمل لقب الباشا، كان آغا الصبايحية وبأياً على بايليك التيطري، في عهده احتلت مدينة وهران للمرة الثانية 1732م، توفي يوم الجمعة 1732م، ينظر: ابن المفتي، المصدر السابق، ص 61.

⁶ ابن المفتي، المصدر نفسه، ص 71.

⁷ D Graammont, Op-Cit p 284.

⁸ أحمد توفيق المدني، عثمان باشا...، المرجع السابق، ص 49؛ عزيز سامح التمر، المرجع السابق، ص 476؛ ناصر الدين سعيدوني، النظام...، المرجع السابق، ص 226.

⁹ ابراهيم باشا عين دايا على مدينة الجزائر بعد وفاة الداوي عهدي كردي باشا سنة 1732م، لقب بلقب الباشا سنة 1736م، شغل منصب الخزانجي قبل توليته دايا، توفي سنة 1745م، ينظر ابن المفتي، المصدر نفسه، ص 62-63.

الباي حسن بن علي لم يعد يهاب الجزائر، بدليل توقفه عن دفع الضريبة السنوية لها، ورأى استغلال تلك الضريبة، في ميزانية تونس التي كانت تعاني أزمة مالية¹، وعلى إثر هذا قام الداي بإطلاق سراح علي باشا، مع مساعدته بالجنود حتى تمكن من هزيمة الحسن واتباعه ودخل تونس ونُصّب بايا عليها، واعترف بفضل الجزائر وتبعيته لها، متعهداً بدفع 350.000 فرنك سنوياً، مع كمية من القمح².

لم تدم العلاقة الودية بين الجزائر وتونس، ذلك وحسب محمد الهادي الشريف، أن صرامة علي باشا بكل ما يتعلق بشؤون السيادة من جهة، ومطالبة أترك الجزائر له بدفع الضريبة السنوية³، واللهجة الآمرة التي كانوا يخاطبونه بها من جهة أخرى، أدّت مجتمعةً إلى المصادمة ثم القطيعة سنة 1740م⁴.

ليتم التدخل مرّة ثانية سنة 1746م، من قبل الجيش الجزائري والتي باءت بالفشل، لتكون الحملة الثانية بعد عشر سنوات أي سنة 1756م⁵، والتي هزم فيها علي باشا، وتم تنصيب محمد وعلي أبناء الحسن⁶، وإبرام معهما معاهدة⁷، وصفها حمدان خوجة، بالمخرية، حيث تم فيها اعتراف باي تونس بسيادة داي الجزائر، ومن جملة شروطها:

لا يسلح حصن الكاف الذي هو عبارة عن ممرّ ضيقٍ منيع يقع في الحدود الفاصلة بين البلدين. إن العلم الوطني عندما يرفع لا ينبغي إلا في وسط الصاري. وعندما يصل أحد مراكب الدولة الجزائرية إلى ميناء تونس، فإن قائد ذلك المركب هو الذي يتولّى قيادة الميناء طوال المدّة التي يقيمها فيه، أمّا وكيل الجزائر أو المكلف بشؤونها ووكيل باي قسنطينة فإنهما يحترمان كما يحترم سفراء البلاطات الأوروبية.

¹ DGraammont, Op-Cit p 294.

² أحمد توفيق المدني، عثمان باشا... المرجع نفسه، ص 50.

³ محمد الصالح بن العنتري، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تح. يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 59.

⁴ محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 86.

⁵ V Picquet, Op-Cit , p 257. 164. ص؛ وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 164.

⁶ Venture de Paradis, Op-Cit, p 61.

⁷ محمد الصالح بن العنتري، فريدة... المصدر نفسه، ص 60.

كما حصلت الجزائر من خلال المعاهدة على امتيازات اقتصادية واسعة، حيث تعهدت إيالة تونس بأن ترسل كضريبة سنوية حمولة سفينة من الزيت وعدداً كبيراً آخر من الهدايا التي تصنعها أو تستوردها¹.

والأرشيف التونسي يحتوي على دفاتر بها صفحات مرقمة، تحتوي تلك الصفحات على هدايا واحسانات مختلفة التي ترسل إلى الجزائر، مع تخصيص أصحاب تلك الهدايا من رجال السلطة والموظفين؛ كذلك احتوئها على السلع التي تجلب من الجزائر وتباع في تونس كبيع الحيوانات المختلفة مثل البقر والإبل. وعلى المؤن الغذائية التي تمنح للسفن الجزائرية و للمكلفين من طرف باي قسنطينة، من أجل بيع الأبقار في تونس مدة مكوثهم. وهي مصنفة ومرتبّة، حسب ما ذكر في كتاب كشاف وثائق تاريخ الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي، كالدفتـر 94، والدفتـر 100، والدفتـر 275، والدفتـر 143، والدفتـر 269، والدفتـر 1046².

كما ألزم باي تونس، بقبول بيع عدد كبير من الحيوانات الجزائرية، قبل الحيوانات التونسية؛ وارسال ثمنها إلى الجزائر وهذا ما ذهب إليه ابن أبي الضياف: "...أنّ صاحب الجزائر أو قسنطينة يشتري الأنعام ويبعثها إلى البيع بتونس بثمن يلوح بالإشارة إليه، فتعطل أهل البلاد عن بيع أنعامها"³، وهذا ما أوضحه الدفتـر رقم 1769 الذي يغطي الفترة (1767-1768م) (1768-1769م) والذي يتضمّن بيع البقر والغنم والإبل في تونس⁴، ويفصل الدفتـر رقم 139 وهو بيان ما قبضه الحاج محمود بن زكري وعلي فريـكـح⁵ في شهر شعبان

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 125.

² خليفة حمّاش، كشاف وثائق الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ج.1، قسنطينة الجزائر، 363.

³ أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح. لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، مج.2، ج.3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999، ص 40.

⁴ خليفة حمّاش، المرجع نفسه، ص 400.

⁵ وهما وكيلا الجزائر في تونس.

1179هـ، الموافق ل (13 جانفي - 10 فيفري 1766م)، حيث قبضا من باي تونس 85.500 ريال أو ما قيمته 19.000 محبوب¹، وكانت موزعة كالتالي:

22.500 ريال قبضهما من مصطفى خوجة.

6.075 ريال في قبضهما ثمن 2.700 رأس غنم. أي قيمة الرأي بـ 0.45 ريال

2.200 ريال في قبضهما، ثمن 10 ثور أرسلت للحرث في القيروان. أي الثور بـ 220

ريال

9.550 ريال في قبضهما، ثمن 1.500 رأس بقر. أي الرأس بـ 6,37 ريال.

6.650 ريال في قبضهما، من بيت خزنه دار، كمال ثمن البقر.

200 ريال في قبض علي فريكح، ثمن أربع جمال. أي الرأي بـ 50 ريال

77 ريال في قبضه أيضا².

بالرجوع للدفتر رقم 2984، والمتعلق ببيان حساب البقر الذي أحضر من الجزائر وبيع في تونس للفترة (1756-1757) و (1767-1768)م، نجد أنّ أثمان البقر، التي تم اعادة البيع بيها من قبل التونسيين كبيرة مقارنة بأثمان الشراء، حيث حققت من خلالها السلطات التونسية أرباح كبيرة³، وكمثال على ذلك نذكر أن أحمد الساحلي باع في تونس سنة (1764-1765م)، 300 بقرة، بقيمة إجمالية قدرها 3.750 ريال، أي أن ثمن الرأس هو 12,5 ريال، وقد تم شراء الرأس من البقر من عند الجزائريين بـ 6,37⁴ ريال أي أن التونسيون يحققون أرباح كبيرة من خلال المتاجرة في الحيوانات الجزائرية بأرباح تصل إلى الضعف.

¹ 1 محبوب يساوي 4 ريال

² خليفة حمّاش، المرجع السابق، ص 359.

³ المرجع نفسه، 420.

⁴ نادية فتيسي، المرجع السابق، ج.2، 203.

كما تم إلزامهم أيضا بإرسال هدايا مختلفة نقدية وعينية، لمختلف الموظفين كبارهم وصغارهم¹، ولرؤساء القبائل، وكمثال عن المبالغ التي تقدم لكبار موظفي الحكومة في الإيالة الجزائرية، ما دفعته خزينة تونس خلال الفترة (15 فيفري - 17 مارس) 1760م

- مدفوع لدولتي الجزائر:

المعني بالهدية	قيمة الهدية بالريال
مدفوع دولتي الجزائر	33.000
مدفوع باي قسنطينة	11.000
هدايا باي قسنطينة	25.114
هدايا إلى باي قسنطينة	38.028
مدفوع إلى باي قسنطينة من (برانس، طابخات، زعفران)	5.375

وألزموا تونس ممثلة في قائد المينراء أيضا، بتزويد مختلف السفن الجزائرية التي ترسوا بميناء تونس، متوجهة إلى ميناء الجزائر أو مغادرة منه، سواء كانت تحمل حجاجاً أو الجنود الأتراك الجدد، أو كبار المسؤولين المتجهين أو العائدين من إسطنبول، بالمؤن الغذائية، وهذا ما أوضحه الدفتر 143، والدفتر 1046، فالصفحة 25 من الدفتر 143 توضح المؤونة التي خصصها القائد علي بن عيادة وعلي ريس بتاريخ 5 جماد الأولى 1184هـ الموافق لـ (27 أوت 1770م)، للفرقاطة المغراوية بقيادة الرئيس علي بن الحاج الجزائري، والتي زودوها بـ: 25 قنطار بشماط، و3 أمتار زيت، 3 أمتار خل، وزوج قصار سمن وقنطارين ونصف زيتون، 3 كباس، ونصف قنطار روز، وقفيز غير ربع قمح، نصف قنطار بارود، وقنطار واحد ثقيل، 25 حصيرة لوضع البشماط، بل 30 حصيرة وقنطار واحد شحم².

¹ في الصفحة رقم 32، من الدفتر 143 تم فيها ارسال هداية من 3 عناصر وهي الشواشي، والبرانس، والزيت، وذكر فيها رجال السلطة والموظفين الذين اهديت إليهم تلك الهدية وهم: الباشا، الخزناجي، آغا العسكر، آغا السباهية، خوجة الخيل، بيت مالجي، وكيل الحرج، خوجات الديوان، والموظفين الصغار وهم الكتاب، المترجم، الخزندار، واردة باشي، النوبجية، ورئيس المرسى ووكلاء الخرج، ينظر خليفة حماش، المرجع نفسه، ص 363.

² المرجع السابق، ص 397.

والدّفتر 1046 والذي يغطي الفترة (1170-1206هـ) الموافق لـ (1756-1792م)، والذي سجل في صفحاته 8، 10، 11، 12، 13، وتحتوي على المؤن والهدايا المقدمة لأهل الجزائر ورياسها، كالمؤونة التي قدمت لمركب الحاج بن سماية القادمة من بر الترك وعلى متنها العسكر والمتوجه إلى الجزائر في 25 ديسمبر 1764م، وهي مسجلة في الصفحة او الورقة 11¹.

مما تم طرحه نلاحظ أنّ شروط المعاهدة الموقعة سنة 1756م، مع الاحسانات والهدايا الملزمة على تونس للجزائر، شكّلت عبئاً كبيراً على تونس، بل أصبح باي تونس كما وصفه حمدان خوجة لم يكن إلا شبه ملك؛ وكان باشا الجزائر هو الذي يحكم البلاد والعباد، حسب رغبته، وكما يحلو له، ولذلك فإن وكيل الجزائر أو القائم بأعمالها، ووكيل قسنطينة، وقبودان القراصنة؛ كانوا يقومون بتجاوزات دون أن يعاقبوا عليها أبداً، الرئيس الجزائري كان يدخل إلى ميناء تونس ويعيث فيه فساداً²، وفي عهد حمودة باشا الذي كان يستشيط غضبا من هاته التصرفات، إلا أنّه بقي محافظا على وصية "العشر والخراج الذي تقبضه أعط بعضه للجزائر وبعضه لمصاريف المملكة وبعضه لتعيش بيه، وإياك أن تجعلهم اعداء"³

ولكن ولشدة ما كانت هاته الإهانات المتعددة تتكرر، اغتاط التونسيون واشتعلت نيران الفتنة بين الشعبين، وهو ما انجرّ عليه كما سيأتي ذكره، من حملات عسكرية متكررة، و استغلال الظروف والأوضاع المتردية للجزائر، وتحريض الثأرين عليه، وتدخل السلطان العثماني لإنهاء هاته العداوة عدة مرات.

3-2 فرض الإتاوات والجزية على الدول المتاجرة في البحر المتوسط

أدركت إيالة الجزائر منذ بداية فترة الدراسة وبالأخص مع بداية حكم الداوي شعبان، أن موازين القوى البحرية، أصبحت في غير صالحها، مما اضطرها إلى تغيير، استراتيجيتها

¹ خليفة حمّاش، المرجع نفسه ، ص 398-399.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 126.

³ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 85.

العسكرية، خاصة بعد الهجومات التي تعرّض لها من قبل الدّول ذات القوى البحرية العظمى إنجلترا في 1670م، فرنسا في 1683-1688م¹، وتدرّكاً منها لتراجع الغنائم البحرية، سارعت إلى تعزيز السلام، ف وقعت اتفاقيات سلم مع إنجلترا في 1682م، ومع فرنسا 1689م²، و راحت تفرض "إتاوات"، "جزية"، على الدول الراغبة في إبرام اتفاقيات السلم والتجارة، وعند تجديدها³؛ ومبالغ أخرى كهداية كل سنتين والمسماة هدية السنتين، فتحوّلت بذلك أعمال بحريتها من مهاجمة السفن من أجل جلب الغنائم، إلى مهاجمتها من أجل الرضوخ لدفع الجزية⁴، ومراقبة مدى تطبيق السفن التّاجرية التي ترتبط مع الإيالة بمعاهدات سلم وتجارة.

فالضّريبة إذاً حسب سبنسر هي مفتاح العلاقات الجزائرية الأوروبية، وكانت أوروبا تدفع الجزية لأنها لم تستطع، أو أنّها لم تطور سياسة عمل جماعي حقيقي ضدّ الجزائر؛ فكانت الضّريبة المدفوعة بمثابة حماية فردية، وكانت امتياز للدول الأوروبية الصغيرة التي تعتمد في حياتها على التّجارة السلمية⁵.

إنّ السياسة الضّريبية التي اتّخذتها الجزائر تجاه الدول الأوروبية، ساعدتها الظروف الدولية، خاصة اتساع المنافسات التجارية الأوروبية، بعد تحولها إلى البحر الأبيض المتوسط، هذا التحول كان له أثراً بليغاً في تزايد الفرص أمام الإيالة لتطبيق سياستها الضّريبية، خاصة أن الدول القويّة كفرنسا وإنجلترا وربما هولندا، كانوا يمثّلون تهديداً حقيقياً للإيالة، في ظلّ توجيه حملة موحّدة ضدها، لكن القاعدة التي كانت تُسيّر هاته الدّول هي

¹ يحيى بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص

² Ismet Touati, Op-Cit.

³ كانت الإتاوات بدايةً في شكل عتاد بحري، وبعدها في شكل نقود وعتاد معا، من أجل حماية تجارتها في البحر المتوسط، وقد اختلفت هاته الاتاوات حسب العلاقة التي تربط الإيالة بتلك الدول وقوتها البحرية، وحسب ما يمكن تعويضه من خسائر بتلك الإتاوات والهدايا، وحسب تقدير الجانب الآخر لمدى أهمية حماية تجارته، ينظر: جمال قنان، قضايا ...، المرجع السابق، ص 40.

⁴ وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 190.

⁵ المرجع نفسه، ص 176.

مصادقة الجزائر على معاداتها، نظرا لما توفّره هاته الصداقة من امتيازات تجارية من جهة، وضرب لتجارة المنافس من جهة أخرى.

ولأنّ الأوروبيين كثيراً ما يقومون بالتزوير والغشّ، سواء بالنسبة للجوازات، وهويات السفن، أو بالنسبة للسلع المحملة وأصحابها ووجهتها¹، ومع أن رياس البحر الجزائريين، كانوا لا يهاجمون إلا سفن الدول التي هم معها في حالة حرب²، ورغم ذلك فالعلاقات بين هذا الجانب وذاك، كانت تقطع لعدة أسباب، أغلبها عدم احترام ما جاء في الاتفاقيات³، ذلك لأنّه من السهل إبرام الصلح، لكنه من الصعب المحافظة عليه، فتلك التقلبات الظرفية التي تؤدي إلى فسخ المعاهدات، وما يليها من أموال كإتاوات وهدايا عند تجديدها، انتهت بأوروبا كلها لتتمل من أثر هاته التبعية التي أصبحت ترها على أنّها عبودية⁴.

لم تقتصر المعاهدات الجزائرية على الدول الأوروبية فقط بل شملت حتى أمريكا، التي كانت في البداية تسعى وبشدة إلى تجسيد فكرة إنشاء رابطة بحرية ضد دويلات المغرب العربي البحرية، خاصة إيالة الجزائر، إلا أنّ هاته الفكرة، لم تجد أذناً صاغية، لدى الدول البحرية الكبرى كفرنسا وإنجلترا، مما أدى بها إلى تغيير موقفها، والبحث عن كيفية إبرام معاهدة سلام وتجارة مع إيالة الجزائر، والذي تحقق في 1795م.⁵

وعليه أصبحت مهام البحرية الجزائرية منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي 18 م، هي المراقبة والضغط، خاصة أن أغلب القوى الأوروبية خلال هاته الفترة أصبحت في سلام مع الإيالة هولندا 1726م، السويديين 1728...الخ، فتراقب مدى تطبيق سفن الدول الصديقة للاتفاقيات والمعاهدات المبرمة، وتضغط على الدول التي هي في حالة حرب معها، حيث تكثّف من العمليات البحرية ضدّ سفنها التجارية، ممّا يدفع بتلك الدول للبحث عن

¹ جمال قنان، قضايا ودراسات، المرجع السابق، ص 40.

² المنور مروش، دراسات عن... ج.2، المرجع السابق، ص 380، وليام سبنسر، المرجع نفسه، ص 176.

³ Daniel Panzac, Op- Cit, p 95.

⁴ أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ص 125.

⁵ جمال قنان، المرجع نفسه، ص 41.

الصّٰلِح وعقد معاهدات سلم، بعد استتفاذ كل السّبل الدبلوماسية والعسكرية لتجنّب دفع هاته الضّريبة مثل ما حدثت مع إسبانيا¹، ممّا أضفى على أعمال البحرية صفة الأداة الدبلوماسية وشرطة البحر.

3-2-1 نظرة الدّول الأوروبيّة وأمريكا للإتاوات المدفوعة للإيالة

أُعتبرت هاته الإتاوات منذ البداية على أنّها إهانة وجبن ومخلة بالشرف، خاصة من قبل قناصل الدول التي تملك قوة بحرية عظيمة، كفرنسا وإنجلترا، فقناصلهما قد استنكرا، المعاهدة الهولندية الجزائرية لسنة 1679م، ووصفاها على إنّها غير أخلاقية ومخلة بالشرف، ذلك لأنّه وحسب الاتفاق، فهي تؤمن الجزائر بالمعدات الحربية لمهاجمة الدول التجاريّة المسيحية الأخرى، ومع ذلك فأغلب دول أوربا خضعت، لدفع الإتاوات².

إنّ المعاهدة المبرمة بين أمريكا وإيالة الجزائر لسنة 1795م، نصت في بندها الأخير على أنّه يتم دفع مبلغ سنوي يقدر بـ 12.000 سكوين جزائري، في شكل عتاد بحري، في هذه الجزئية يذكر جيمس ولسن ستيفن، أنّه يجب على الأمريكيّ أن يشعروا بالحزن، والخزي، نظراً لما انفقوا من أموال باهضة في المعاهدة بين البلدين، والمبالغ المتفق عليها كل سنتين، إن عارهم لا يقل عندما يتأملون أنّهم أصبحوا دافعي الجزية للجند التركي سابقاً، فهذه إضافة جديدة للضريبة الأمريكيّة³. ويرى سبنسر أنّ هاته الاتفاقية وما تضمنته من دفع للضريبة أصبحت الولايات المتحدة في الوضعية نفسها المشابهة لوضعية الدول الأوروبيّة الصغيرة، بخصوص علاقاتها مع الإيالة⁴.

وفي رسالة كتبها نابليون بوناپرت إلى إمبراطور روسيا يعبر له فيها على الضّغط الذي كانت تمارسها الإيالة ضدّه جاء فيها: "بعد أنّ اشترط داي الجزائر مبالغ باهظة على إسبانيا

¹ إن الحملات التي جردت على إيالة الجزائر قد اثبتت فشل السياسة الخارجية الأوروبيّة، حينما جوبهت بأمة قوية في الداخل، مصممة ومتحدية وهذا ما أثبتته الوقائع التاريخية، ينظر: وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 178.

² جون ب وولف، المرجع السابق، ص 312.

³ جيمس ولسن ستيفن، المرجع السابق، ص، ص 94، 95.

⁴ وليام سبنسر، المرجع نفسه، ص 186.

لإبرام السلم معها، أرسل لي كتاباً يهدد فيه بأنه سيعلن الحرب عليّ إن لم أعطه مليونين من الفرنكات¹. إن وجود هؤلاء القراصنة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط يعتبر سبّة للدول الكبرى ولذلك ينبغي أن نتفق على تأديبهم². وفي رسالة أخرى يذكر " نيتي هي أنني أرغب في أن لا يتواصل عذاب هؤلاء اللصوص الذين يعتبر وجودهم بمثابة إهانة لكل أوروبا"³

إن الأحداث المتسارعة التي عرفها الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي 19 م، حين تم التوقيع على معاهدة غنت 1814م، التي أنهت الصراع بين إنجلترا وأمريكا سلمياً⁴، مما منح أمريكا الفرصة للبحث عن السبل لتخلص من دفع الضريبة⁵، المتمثلة في الإتاوات، وفي هذا السياق يذكر القنصل الأمريكي شالر: " بمجرد التصديق على معاهدة "حانت" Gheat قرر الكونجرس الأمريكي الذي كان مجتمعاً أنه لم يعد يتحمل دفع الضريبة للجزائر"، والتفرغ من أجل ترسيخ فكرة التبادل التجاري الحر دون قيود داخل المتوسط، وما حملتها على البلاد وما حققته من أهدافها المتمثلة في إمضاء معاهدة مع حكومة البايك بالشروط الأمريكية، دون دفع الجزية إلا دليلاً على ذلك؛ كما كانت لانتهاء الحرب الأوروبية بعد التخلّص من نابليون، وما نتج عنها من تحالفات ومؤتمرات، من أجل تنظيم الهيمنة الدولية، وتبدل الوضع الدولي، مما دفع بالكثير من الدول الأوروبية، إلى العمل على محو ما تعتبره اعتداءً واغتصاب وإهانة تلحقها بالإالة بالشرف المسيحي، والحق الأوروبي⁶.

¹ إن نابليون في سياق كلامه عن المليونين قد طلبهما منه داي الجزائر على أنهما جزية أو هدية لكن الحقيق هما ديون جزائر على فرنسا والتي سيتم ذكرها في الجزية المخصصة لها.

² محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 38.

³ أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ج.1، ص 90.

⁴ معاهدة غنت أو جائنت هي معاهدة وقعت في بلجيكا بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ 24 ديسمبر 1814م أنهت حرب 1812م، بشرط الحفاظ على وضع ما قبل الحرب بسبب توازن القوى العسكرية بين الطرفين لدرجة أنه لم تستطع أي من القوتين فرض تنازلات على الآخر. ينظر: <https://web.archive.org> /شاهد يوم 2022/7/21.

⁵ وليام شالر، المصدر السابق، ص 146.

⁶ ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي...، المرجع السابق، ص 108.

والرسالة التي بعثها عمر باشا داي الجزائر في 12 سبتمبر 1816م، إلى السلطان العثماني تؤكد ذلك حيث يذكر فيها أن الدول الأوروبية قد عقدت اتفاقاً بينها، وعهدت إلى الجنيرال اللورد أكسموث قيادة أسطوله اللعين ضد أوجاكم، وعندما وصل إلى الجزائر طلب إلينا عقد الصلح مع الدول الأعداء والكف عن مطالبتهم بالأموال التي كانوا يدفعونها إلينا¹. إن مواقف الدول الأوروبية تجاه أعمال البحرية الجزائرية، مليئة بالمتناقضات، من جهة تشتكي على أنها ضحية لممارسات ونشاط الأسطول البحري الجزائري، وتتدد وتتعد، ومن جهة ترغب في أن يستمر هذا النشاط، ويمتد إلى خارج البحر الأبيض المتوسط، فكانت كل من فرنسا وإنجلترا تسعى بشتى الوسائل (التنافس في منح الهدايا القيمة للداي وموظفيه)، لجلب الجزائر لصفها لضرب تجارة منافسيها، أو على الأقل ضمان حيادها إذا تعذر التحالف معها²، وما توسط إنجلترا لتوقيع الهدنة بين الإيالة الجزائرية والبرتغال 1793م، وسعي فرنسا لتوقيع اتفاقية سلم بين أمريكا والإيالة، إلا صورة واضحة على أن مواقف هاته الدول تملئها المصالح لا غير.

المبحث الثاني: نتائج السياسة المالية المتخذة من قبل البايلك على المستوى الداخلي

إن المتفحص في السياسة المالية التي انتهجها القائمين على السلطة في الإيالة، خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي 18م، إلى غاية الاحتلال³ وبالتحديد الفترة 1792-1830م⁴، يرى أن هناك توسع كبير في جمع الضرائب، وقد أشرت فيما سبق إلى أن بعض البايات بعد سيطرت الداي حسن واحتكاره للتجارة، ومنحه الأفضلية للمتعاملين اليهود، راحوا يشددون في جمع الضرائب⁵، والتي طالت حتى المعفيون سابقاً منها، لتعويض النقص

¹ عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م، ط.1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص 253.

² مولاي بلحميسي، إرشاد المرجع السابق، ص 40.

³ ناصر الدين سعيدوني، النظام...، المرجع السابق، ص 226.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة الاسكندرية، مصر، 2000، ص 117.

⁵ يعتبر رد الباي حسن آخر بايات وهران على أحد أصدقائه عندما لامه على كثرة الضرائب التي أضرت بالبلاد فأجابته: "حكام الجزائر أخذوا مني كل ثرواتي ولهذا تراني أهرب البلاد!" ينظر: ناصر الدين سعيدوني، النظام...، المرجع نفسه، ص 223.

المالي، الذي طالهم بسبب هاته السياسة، فانعكست سلباً على الزراعة والفلاحة، واثقل كاهل الساكنة، مما انتج عنه معارضة كبيرة، وبما أن عهد الذي حسن تم خلاله تحرير وهران، وبه قُطعت كل الروابط الدينية والروحية بين الحاكم والمحكوم، كل هذا سيجعل الإيالة تشهد اضطرابات كبيرة وانتفاضات، حول هاته السياسة المالية المجحفة، والتي ستجد في الطرق الدينية متنفسها.

1- تدخل السلطة في تعيين وعزل الموظفين والقياد وشيوخ القبائل:

لعب القائمون على السلطة في الإيالة سواء كانوا دايات أو بايات دوراً بارزاً في تعيين القياد وشيوخ القبائل، وكذا حق تعيين الموظفين وترقيتهم، مقابل مبالغ مالية تقدم مسبقاً للسلطات بما يعرف بنظام الالتزام، مع الترخيص لهم بأخذ مرتباتهم من الضرائب التي كانوا يجمعونها¹، مما تسبب في إنهاك الساكنة، وحرمة الإيالة من فوائد وأرباح وفيرة، والتي كان القسط الكبير منها يذهب لحيوب هؤلاء الجباة. ففي سنة 1817م قام الداي علي بتعيين مجموعة من شيوخ القبائل وقيادها على رأس عدة أوطان، وقبائل ومدن مثل بسكرة، والمدينة، والمسيلة، وألبسهم الخلة أو البرنوس القفطان².

إنّ التّعقّن الذي طرأ على الجهاز الإداري في الإيالة، منذ سنة 1791م³ أين أصبحت المناصب تباع وتشتري من أجل الحصول على الأموال، فالمكلفون بجباية الضرائب من شيوخ قبائل المخزن⁴ وموظفي البايك عملوا على تعويض الأموال التي اشتروا بها مناصبهم، مع العمل على توفير مبالغ مالية أخرى للاحتفاظ بها، خاصة أنّهم يعرفون أن حكمهم لن يطول، فكانوا يهتمون فقط بمضاعفة ثروتهم في أقرب وقت ممكن، فارتفعت حجم الضرائب وتوّعت مطالبها.

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام ...، المرجع السابق، ص 228.

² توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 455.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 126.

⁴ يعود أصول هذا النوع من القبائل المسلحة والمتعاونة مع السلطة الحاكمة إلى تقاليد إسلامية قديمة تبلورت في العهد الموحي والزياني، اضيفت عليها بعض التعديلات التنظيمية في العهد العثماني حتى تؤدي المهام المنوطة بها على أكمل وجه (جمع الضرائب، المحافظة على الأمن)، كاختيارها من عناصر سكانية ليست لها صلة بالمناطق التي أقيمت بها، مقابل امتيازات تقدم لها كإعفائها من دفع الضرائب، ينظر: فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 172.

إنّ الجشع الذي أصاب نفوس الدّايّات، وصل حتّى البايّات أنفسهم، حيث أصبحوا يعزلون من قبل الدّايّات، هاته السّياسة المجحفة، بدأت سنة 1791م واستمرت إلى غاية 1818م، ممّا جعل البايّات وموظفيهم، يسعون إلى الإفراط والتشديد في السّياسة الضّريبية خشية العزل أو الاقالة، وسياسة العزل هذه يرجعها حمدان خوجة إلى جشع الدايّات الذين أصبحوا في أواخر العهد العثماني يجرون وراء الثروة، فكثرت التبديلات التي كانت مضرّة للشعب والحكومة على حد سواء¹، مما سبب السّخط بين العامة وأصبحوا يبحثون عن من ينجيهم من هاته المظالم². هذا ما يعبر عنه بأن الزعامات النّافذة هي من كانت تقوم بصياغة سياسة الدولة، تعزيزاً لمصالحها ومآربها، فالعلاقة بين الدولة والمجتمع تقوم على مصالح تلك الأخيرة³.

2-توتر العلاقة بين رجال الدّين وشيوخ القبائل والسلطة الحاكمة:

كانت علاقة السّلطة الحاكمة في البداية بالمرابطين وشيوخ القبائل والرّعاء المحليين، هي استغلال نفوذهم الروحي، والاستعانة بهم مقابل احترامهم والاعتراف بسلطتهم المحلية، والهدف من هذا هو بسط نفوذهم، وتسهيل استخلاص الضّرائب، وجمع الأموال اللازمة، وتجنيد قوات مساعدة لاستخدامها في الحملات العسكرية⁴.

غير أنّ هاته العلاقة ستشهد توتراً، بين ممثلي السّلطة في إيالة الجزائر ورجال الدّين، بسبب تحوّل الاتّجاه من الأفق البحرية إلى الأفق البرية، في محاولة لإيجاد مصادر دخل قارة، نتيجة شح مغانم البحر، وما نتج عنه من سياسة ضريبية مجحفة⁵. واستمرت تلك العلاقة بين مدّ وجزرٍ إلى أنّ اتّخذت صفة العداء والصّراع في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي 18م، خاصّة أنّ الخطر المسيحي المتمركز في وهران قد انتهى سنة 1792م، وبه

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص - ص 103 - 135.

² محمد العربي الزبيري، التجارة... المرجع السابق، ص 24.

³ توفيق دحماني، المرجع السابق، ص 453.

⁴ ناصر الدين سعيدوني، النظام... المرجع السابق، ص 227.

⁵ ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير... المرجع السابق، ص 118.

قطعت كلّ الروابط التي كانت تربط بين السّلطة الزمنية والسّلطة الروحية، ممّا أدّى بتلاحم تلك الأخيرة مع الأهالي في الريف، ومع الفلاحين وأصبحوا المتكلمين باسمهم والمدافعين عن مصالحهم¹.

ومن أمثلة عدم تقبّل شيوخ الزوايا للسياسات الضّريبية المجحفة، السياسة التي اتخذها صالح باي أواخر حكمه، حيث أخذ يفرض على الناس ضرائب مرهقة، دون مراعاتٍ لأوضاعهم، وظروفهم المعاشية، والاقتصادية والاجتماعية، فوقف شيوخ الزوايا، ضدها في شكل معارضة منددين بها، ولأنّ الباي قام بتسليط العقاب بالشيوخ، ومنهم الشيخ محمد الغراب، والشيخ أحمد الزواوي، الشيخ سيدي عبيد من الحنانشة... الخ فناصبوه العداء واشتكوا سياسته إلى الدّاي حسن باشا بالعاصمة فقام بعزله في 1792م². كما أن البايات في الغرب بعد ثورة درقاوة، سلطوا جمّ غضبهم على العلماء، خاصة في الجنوب الغربي بالتّحديد في عين ماضي، كذلك قاموا بقتل أعيان قبائل الحشم حتى لا يخرجوا عن الطاعة ومن بينهم محمد بن عبد الله³.

ومما زاد الطينة بلّةً، هو احتكار القائمين على السلطة لتجارة المنتجات الجزائرية، وعلى رأسها تجارة الحبوب، فكانوا يشترون الحبوب بأثمان بخس ويبيعونها لوكلائهم الأجانب، إلى غاية 1794 أين أصبحت تجارة الحبوب الجزائرية من اختصاص اليهود، الذين عرفوا بواسطة نفوذهم الكبير، كيف يحولون حكام الجزائر إلى وسطاء عندهم، يبيعون لهم المنتجات الفلاحية التي يشترونها من الأهالي، بأثمان زهيدة، حتى يحققوا أرباح طائلة، هاته السياسة التي لم تكن تعر أيّ اهتمام لأوضاع البلاد، خلقت تدمراً كبيراً لدى السكان وغليان كمن ينتظر الشرارة حتّى ينفجر.

¹ ناصر الدين سعيدوني، النظام...، المرجع السابق، ص 228.

² محمد الصالح بن العنثري، فريدة...، المصدر السابق، ص 65.

³ محمد بن يوسف الزياتي، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح. المهدي البوعبدلي، ط.1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص- ص 314-315.

ويصف هذه الأوضاع مؤنس بن عبد القادر بقوله: "إن الأتراك لم يكونوا أهلاً للحكم في أواخر عهدهم، ... وحكموا البلاد مدة 30 سنة لم تكن فيها سياستهم رشيدة، ولا كان حكمهم فيها عادلاً على العموم فكان من الطبيعي أن يكثر الناقمون والثائرون عليهم"¹؛ خاصة مع سعي الدايات المتأخرون لتجديد وحدات الأسطول بعد تحطمه من خلال الحملات الحربية الأوروبية، والتي لم يكن لها نتيجة سوى مضاعفة المصاريف من خلال زيادة الضرائب وفرضها على السكان، مما أدى إلى زيادة التوتر بين الطبقة الحاكمة والسكان²، والذي تبلور في شكل انتفاضات شعبية.

3- التمرّدات والثورات الشعبية:

إنّ العلاقة بين الحاكم والمحكوم تأثرت كثيراً بسبب السياسة المعتمدة في تحصيل الضرائب، التي لم تراعي في آخر العهد العثماني، الظروف المزرية التي يعيشها السكان بسبب الأوبئة، أو بسبب الجفاف والجراد، خاصة سياسة تجريد المحلات التي كانت تعتمد على أسلوب الغارات المفاجأة على القبائل، وارغامهم على دفع ما توجب عليهم من ضرائب مهما كانت الظروف. هذه السياسة أثارت حفيظة المرابطين نظراً لشكاوى التي تصلهم من اتّباعهم بسبب الضيم الذي هم فيه، بالموازاة مع ما كان يتمتع به اليهود من امتيازات، هذه العوامل مجتمعة أدّت إلى تأزّم الوضع والذي وجد في الثورات الشعبية والانتفاضات متنفساً لها:

3-1 التمرّدات والثورات في الشرق الجزائري

عرف بايلك قسنطينة بداية القرن التاسع عشر الميلادي (19م)، عدة تمرّدات، كان أخطرها تمرّد³ ابن الأحرش¹ الذي دام من 1804-1807م، ذلك أن هذا التمرّد شارك فيه

¹ مسلم بن عبد القادر، أنيس الغريب والمسافر، تح. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 55.

² اندري برنيان وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر. اسطيمولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 177.

³ ذلك لأن هذا التمرّد حسب بعض المراجع كان باعاز من قوى خارجية فالزهار يذكر أن هذا التمرّد كان باعاز من حمودة باي تونس حين قال له في معنى حديثه: "يجب أن تذهب إلى ملك الترك بالجزائر وتنزعه من أيديهم ونحن نمذك بما

عدد كبير من المتمردين، نحو 100 ألف رجل، ضد حكم البايات وسياستهم الجائرة. زحف ابن الأحرش ومن معه من الثائرين إلى مدينة قسنطينة² مغتماً غياب الباي عصمان (1803-1804)،³ الذي كان مع المحلة في الجهات الغربية للبايلك يجمع الضرائب، وطالبوا من أهلها الاستسلام، غير أن الحامية وأهل البلد قاتلوهم⁴، وألحقوا بهم هزيمة كبيرة، مما اضطرّ الشريف ابن الأحرش، برفع الحصار والتراجع إلى جهات ميلة، ولما وصل الخبر للباي عاد مسرعاً إلى عاصمة البايلك، وأرسل إلى الداي يعلمه بهذا الحادث، فكتب إليه الداي قائلاً: "لقد عينتك بايا على المقاطعة التي ظهر فيها الشريف، فمن الواجب عليك أن تلاحقه بنفسك، وتقضي عليه، وإني أضعك بين أمرين رأسك أو رأسه"⁵.

على إثر هذا الطلب خرج الباي بقواته في شهر أوت من صيف 1804م، لكنه وقع في كمين أعدّه ابن الأحرش في نواحي واد الزهور، بسبب تحويل الثائرين لمجرى الماء، فتحول المكان إلى مستنقع، وأصبح الانسحاب منه مستحيل، مما أدى إلى القضاء على الباي وأغلب عساكره، فغنم ابن الأحرش المعدات الحربية، وما كان مع الباي من أموال. وحتى لا يستغل ابن الأحرش هذا الانتصار ويدخل عاصمة بايلك الشرق، أسرع الداي مصطفى (1797-1805م) بتعيين عبد الله (1804-1806م) باياً على قسنطينة، فالحق به هزيمة كبيرة

يخصك والعرب يتبعونك لكثرة ما ظلمهم الأتراك"، وهناك من يرجع هذا التمرد باعاز من الانجليز في اطار التنافس بينهم وبين فرنسا وموقف ايلة منها، ينظر: احمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 85، محمد العربي الزبير، التجارة..، المرجع السابق، ص 30.

¹ هو الشريف ابن الأحرش، فتي مغربي مالكي المذهب، درقاوي الطريقة، وهو رجل مغربي يدعي أنه من شرفاء ملوك فاس، دخل على قبائل الشمال القسنطيني، وادعى انه صاحب كرامات، ووعدهم بأخذ قسنطينة، تحريرهم من ظلم الاتراك، ويسبب ما يتعرض له العباد من مظالم مخزنية اتبعه حشد غفير من الناس وقد اختلف المؤرخون في تقديرها فمنهم من يقول 10 ألف ومنهم من يقول 60 ألف ومنهم من يقول 100 ألف، ينظر: ناصر الدين سيعدونى، تاريخ الجزائر..،

المرجع السابق، ص 342، 343؛ D. Grammont, Op-Cit p 364.

² أحمد بن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تج. المهدي البوعبدلي، ط.1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013، ص 45.

³ هو عثمان بك أو عصمان بك وهو ابن قارة محمد عين بايا على قسنطينة في سنة 1804م، اندلاع اثناء ولايته ثورة ابن الاحرش، عزم على قتال ابن الاحرش لكنه وقع في كمين أعدّه له اتباع ابن الأحرش في واد الزهور، فقتل هو ومعه كثير من العساكر . ينظر: احمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 86.

⁴ A. Berbrugger, "Un Chérif Kabyle en 1804", en R.V, Vol. 3, 1858,p 212.

⁵ محمد العربي الزبيرى، التجارة..، المرجع نفسه، ص 30؛ فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 198.

خاصة وأن أصحاب الطريقة الرحمانية تحالفوا مع الباي، كما أن الشيخ المقراني انضم إلى القوات الباي بفرسانه، أضطر الشريف ابن الأحرش إلى الانسحاب إلى الجهة الغربية للبلاد، أين قتل سنة 1807م¹.

كما كانت هناك تمردات بالهضاب العليا كتمرد مجانة سنة 1813م، رفضاً للمطالب الضريبية المجحفة، مما اضطر بالبايك إلى تجريد الحملات التأديبية والمحلات من أجل استخلاص الضرائب، وإخماد التمرد، ورغم ذلك فقد ظهر هذا التمرد من جديد في عهد أحمد باي (1826-1837م). وكذلك تمرد أولاد عبد النور الذي قضي عليه الباي تشارك سنة 1813. كما كانت هناك تمردات في الأوراس 1798 والنامشة² سنة 1803م، والحنانشة 1805، ووادي سوف 1826م³، والتي تميزت بالعنف والخطورة نظراً لوعارة المنطقة وطبيعة أهلها، وتحولهم إلى البداوة وحياة الترحال عند كل هجوم يتعرضون إليه من قبل البايك، كما كانت هناك تمردات بالجهة الجنوبية الشرقية⁴.

أن التمردات، التي حصلت في الجهة الشرقية للبلاد، والتي شملت أغلب الجهات، تعكس بصدق العلاقة التي أصبحت بين الحاكم والمحكوم، نتيجة السياسة المالية التعسفية، وأساليب البايك في جمعهم للضرائب.

¹ للمزيد حول ثورة الشريف ابن الأحرش ينظر: الآغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 299؛ محمد الصالح بن العنتري، فريدة..، المصدر السابق، ص، ص 70، 72؛ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص، ص 85، 87؛ محمد الصالح بن العنتري، مجاعات قسنطينة، تح. رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص، ص 29، 35؛ محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 271؛ 364 D. Grammont, Op-Cit p Cit p.

² عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 338.

³ ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، المرجع السابق، ص 118.

⁴ فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص، ص 201، 205.

3-2 التمرّدات والثورات في الجهات الغربية:

عرفت الجهة الغربية أو بايلك الغرب أيضا وتزامناً مع بايلك الشرق، ثورة عنيفة قادتها الطريقة الدرقاوية، بزعامة مقدم الطريقة محمد بن عبد القادر الشريف الفبتي¹، الذي لقي تأييداً واسعاً، حتى أصبح له الكثير من الأتباع، فصار يخرج بهم إلى الصحراء، ويلتقي هناك بأهلها، وأصبحوا من أتباعه، يعطونه الهدايا، ويشكون له ما هم فيه من أضرار المخزن، وما هم فيه من أداء المغارم، وكان بدوره ينقلها لشيخه مولاي العربي الدرقاوي، ويقص عليه ما حصل لأتباعهم من مظالم وإهانة المخزن لهم، فيقول له أنصرهم والله ينصرك عليهم.

وعلى إثر ذلك أعلن محمد بن عبد القادر الدرقاوي، الجهاد على الترك وأتباعهم، من قبائل المخزن، محللاً لدمائهم وأموالهم، فاتبعهم الكثير من الناس من مناطق مختلفة، واتجهوا قاصدين قبائل المخزن بقرب وادي مينة²، وعند انتصارهم، أذن لأتباعه بنهب أموال وممتلكات القبائل المخزنية. ولما علم الباي مصطفى العجمي³ بما حدث عندما كان راجعاً إلى وهران، ولما تحقق من الخبر جمع جيشه وقبائل المخزن واتجه إلى المكان الموجود به العدو فالتقى الفريقين في مكان يدعى "فرطاسة"⁴، سنة 1804م، وانهزمت جيوش الباي ومن معه من المخزن، وأصبحت الدرقاوية في رغد والباي وأتباعه في نكد، ورجع الباي إلى وهران

¹ يعود أصله إلى قبيلة كسانة البربرية، المستوطنة قرب واد العبد، ناحية غريس معسكر، جاءت فكرة الثورة على الاتراك في اول لقاء مع صاحب الطريقة الدرقاوية في المغرب محمد العربي الدرقاوي، حيث اشتكى له ظلم الأتراك، عين مقدم الطريقة الدرقاوية في الجزائر بعد عودته من المغرب، ينظر: مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 71؛ أبو القاسم سعد الله، المرجع أبحاث...، ص، ص 220، 223.

² وادي مينا ينبع قرب قرية مدرسة في اقليم النجود، طوله 195 كلم، يمر بمدينة غيليزان، يصب شمالها في الشلف، وله فرع وهو واد العبد ينبع قرب قرية مدرسة، ويتجه شمال فيلتقي بواد مينا عند فرطاسة، ينظر: أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، مطبعة الشريف، تونس، 1948، ص 22

³ وهو الحاج مصطفى بن عبد الله العجمي رابع بابات وهران تولى منصبه سنة 1800م هزم اثناء التحامه مع الشريف الدرقاوي واتباعه قرب وادي مينا اثناء معركة فرطاسة وبقيت الحرب مشتعلة والهزائم تتوالى عليه إلى أن عزل سنة 1805، ليتم تعيينه مرة اخرا بايا على وهران في 1808، ثم تمت ترقيته لمنصب الخزانجي ينظر: الاغا بن عودة المزابي، المصدر السابق، ج.1، ص، ص 300-308، 326-327.

⁴ تقع بين وادي مينا وواد العبد.

مذلولا. أما الشريف الدرقاوي، فقد دخل معسكراً منتصراً، وجعلها قاعدة لجيشه، وراح يكتب لكل القبائل يبشرهم بنصره ويدعوهم لإتباعه بقوله: "إننا نزعنا عنكم ما كنتم فيه من أداء الجزية، والمغارم والمكوس، التي هي حرام على المسلم، وقطعنا دابر الترك وأتباعهم، فالواجب مبايعتنا والجهاد معنا"¹.

ووجد نداء ابن الشريف استجابة كبرى، حيث انضم إليه عدد كبير من القبائل الغرب والوسط الجزائري، وحتى القبائل المخزنية كقبيلة الحشم، والغرابية والزمالية والدواودة ويبدو أن أسباب مساندة درقاوة هو محاولة بعض القبائل للتخلص من تلك الضرائب التي فرضت عليهم من قبل الأتراك، وهناك من ساندوهم خشية القضاء على محاصيلهم الزراعية، خاصة أنه كان وقت الحصاد. ونظراً للاستجابة التي لقيها ابن الشريف، صارح إلى ضرب حصار حول وهران، وعندما أرسلت النجدة من مدينة الجزائر، قطعت القبائل النائرة طريق تلك الامدادات، و دام حصار وهران ثمانية أشهر، ولما رأى الداي عجز الباي مصطفى العجمي عزله، وأرسلت عن طريق البحر الباي محمد المقلش، برفقة حامية تركية قدرت بـ 1100 جندي²، ومنذ تولي الباي لمقلش أمر وهران انقلبت الكفة لصالح العثمانيين وبدأ أمر درقاوة بالتراجع والتقهقر كانتصار جيش الباي عليهم في معركة أولاد زاير وموقع السدرة³، والتي على إثرها تفرق جمع درقاوة، وعم الفرح والسرور الباي وأنصاره وأرسل حوالي 600 رأس إلى مدينة الجزائر⁴. ولم تنتهي هذا التمرد أو الثورة عند هذا الحد بل استمرت مع الباي مصطفى العجمي للمرة الثانية 1808، والباي محمد بوكبوس (1808-1813)⁵.

¹ مسلم بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 74؛ الآغا بن عودة المازري المصدر السابق، ص 306؛ محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 274.

² حنفي هلايلي، أوراق... المرجع السابق، ص 34.

³ عبد القادر بن مسلم، المصدر نفسه، ص 91.

⁴ المصدر نفسه، ص 91..

⁵ هو محمد بن عثمان الملقب بالملوخ، أو الرقيق، أو بمحمد الصغير لتفريق بينه وبين أخيه محمد الكبير فاتح وهران، عين أواخر سنة 1808م بقي في الحكم لمدة خمس سنوات، عمل على قطع دابر الدرقاويين، أشهر بعصيانته للأتراك وتحالف مع السلطان المغربي مولاي سليمان (1792-1822م)، كيد تمرده خسائر فادحة للسلطة العثمانية في الجزائر في العتاد والعدة، خاصة عند تمرده أمر بقتل كل الأتراك أو من له صلة بهم، قتل سنة 1813م على يد عمر أغا الذي عين بعده بايا على وهران، ينظر: الآغا بن عودة المازري، المصدر نفسه، ص - ص، 328-336.

إنّ مثل هاته الثورات أرهقت الإيالة سواء من ناحية الأسلحة أو من ناحية الجنود، فهذا عمر باشا (1815-1817)، يطلب من السلطان العثماني، امداده بالعتاد والعدة في قوله: "إننا نطلب من حضرة السلطان مساعدتنا، بمدنا بالأسلحة إذ استوجب تقوية جيشنا. أما واجبكم فهو معاونتنا بإرسالكم الوجاق والأسلحة، خصوصا عندما ظهر هذا المهدي الكاذب منذ خمس وعشر سنوات في غرب وشرق الجزائر.."¹.

ولم تقتصر الجهة الغربية على ثورة الشريف الدرقاوي، بل كانت هناك ثورة في الجنوب الغربي وهي ثورة الطريقة التجانية بقيادة محمد الكبير التجاني ابتداء من 1818²، ذلك لأنّ العلاقة بين السلطة الحاكمة والطريقة التجانية اتصفت منذ البداية بالفتور لتتحول فيما بعد إلى المواجهة، فالسياسة اخضاع القبائل المتمنعة، وفرض الضرائب، طالت عين ماضي مركز الطريقة التجانية، ففي 1784م جرد محمد الكبير³ حملته المعروفة على المنطقة، وفرض عليهم دفع ضريبة سنوية، مقدار بـ 188 ريال سنويا⁴، والتي وصفها بن هطال التلمساني في كتابه رحلة محمد الكبير⁵، ثم في سنة 1787م، وجّه عثمان بن محمد الكبير حملة إلى عين ماضي طالبا الضريبة التي فرضها والده عليهم⁶، واستمرت مضايقات السلطة لشيخ الطريقة أحمد التجاني⁷ واتباعه، حتى ضاق بهم ذرعا، فارتحل إلى فاس سنة 1798م، بعدما

¹ عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 250.

² ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 38.

³ مؤلف مجهول، فقرة في سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران، المصدر السابق، ص 7.

⁴ Louis Rinn, *Marabouts et khouan, étude sur l'islam en Algérie*, Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1884, p 420

⁵ أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص-ص 72-73.

⁶ Louis Rinn, Op-Cit, p 420.

⁷ ولد الشيخ أحمد التجاني سنة 1737 بعين ماضي، يعود نسبه الشريف إلى محمد الملقب بالنفس الزكية، أمه عائشة بنت أبي عبد الله محمود بن السنوسي، نشأ وسط أسرته المتشعبة بالعلم، حفظ القرآن وعمره 7 سنوات، تلقى علوم الحديث على يد محمد بن حمو، وعلوم الشرع الأخرى على يد الشيخ مبروك بوعافية، فجاد ونبغ فيهم، زوجه أبوه وهو في عمر 15 سنة، بعد وفاة أبيه بمرض الطاعون طلق زوجته وتفرغ لطلب العلم، لما ذاع صيته، ارتحل إلى فاس وعمره 21 سنة، وهناك احتك بعلماء فاس والقرويين، وانخرط في بعض الطرق الصوفية، كالطبيبة الجزولية..، رجع أحمد التجاني إلى تلمسان واستقر بها عاكفا على مواصلة تدريس علوم الحديث والتفسير، ادى فريضة الحج سنة 1773م، ثم عاد ليستقر إلى تلمسان واستقر بها لمد 8 أعوام، وبعد أن ضيق عليه العثمانيون الخانق في تلمسان، بعد أن كثرت اتباعه انتقل لقرية

طلب من أتباعه عدم الخروج على السلطة، مع الإلتزام بدفع الضريبة¹، واتّسمت العلاقة بين السلطة والطريقة التجانية بالهدوء، إلى غاية رجوع ولدي أحمد التجاني وخليفة الحاج علي الت ماسيني، أين ذاع صيتهم وكثر أتباعهم.

فبدأت السلطة من جديد تضيق عليهم الخناق، فجزدت ثلاث حملات عسكرية على عين ماضي في مدة خمس سنوات (حملة الباي حسن² 1820، حملة باي التيطري بومرزاق 1822³، وحملة الباي حسن الثانية 1825م)⁴ خوفاً من قيام التجانية بالثورة كالتّي قام بها ابن الشريف الدرقاوي والتي انتهت بالاتفاق على دفع الضريبة، وهذا ما أورده المزاري وابن يوسف الزباني: "إن الباي حسن كان قد دخله التخمين بأن التجاني سيقوم عليه بالأصفي، كقيام ابن الشريف الدرقاوي على الباي مصطفى، لإقبال الناس عليه في كل ناحية وانتشار صيته في كل ضاحية، فرام كسر شوكته قبل تزايدها، وهدم قوّته قبل تعاضدها فجمع له

=بوسمغون وفيها بدأ في نشر تعليم طريقته سنة 1782م، وبقي يتنقل في مناطق مختلفة من الجنوب الغربي ينشر في تعاليمها لمدة 18 سنة، فتوسع نفوذ الطريقة وكثر اتباعها، هاجر إلى فاس هو وأتباعه، أين قضى فيه 17 عاماً، توفي سنة 1815 عن عمر يناهز 80 سنة، ينظر: بن يوسف تلمساني، الطريقة التجاني وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني - الأمير عبد القادر - الإدارة الإستعمارية) "1782-1900"، رسالة ماجستير غي التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص-ص 63-78

¹ عبد الحفيظ حيمي، "الطريقة التجانية في الجزائر وموقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية، 1196-1242هـ/ (1782-1826)", آفاق فكرية، مج.4، ع. خاص، 2018، جامعة الجيلالي الياصب سيدي بلعباس، ص 45.

² هو الباي حسن بن موسى، عين بابا على وهران سنة 1817، وبهاذا يكون ثامن بابات وهران، عمل طباحاً، ثم تاجر ببيع التبغ، كانت له آراء حكيمة حول الأمور السياسية، مما جعل محمد الصغير يقره منه، وزوجه بانته، ومنحه الكثير من الثروة، وولاه فليته، ثم عين بابا على وهران، إلا أن طباعه الحميدة التي اتصف بها تغيرت أوفي في عهده العلامة أبو راس الناصري، جرد حملتين على عين ماضي 1820، 1825، ينظر: الاغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 347-349؛ محمد بن يوسف الزباني، المصدر السابق، ص 310-311.

³ هو الباي مصطفى بومرزاق باي التيطري 1819-1830، واجهته في بداية حكمه ثورة اولاد نايل 1820م، قامه بحملة على منطقة عين ماضي، عاصر الحملة الفرنسية على الجزائر، أراد اعلان نفسه باشا على الجزائر راسل باي الغرب فوافقه، أما باي الشرق رفض طلبه، ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 213؛ نادية فتيسي، المرجع السابق، ج.2، ص 58.

⁴ عبد الحفيظ حيمي، المرجع السابق، ص 46.

جيشاً عظيماً، وغزى به عليه بعين ماض... على أن يعطي التجيني للباي لزمة سنوية في المرعى قدرها 500 ريال منجمة، ويعطي 2.000 ريال حالة مقدمة ¹.

وبقيت هاته العلاقة بين مدّ وجزر، إلى أن ضاق محمد الكبير التجاني، بهم ذرعاً فارسل إلى خليفة والده علي التماسيني، يعلمه بأنه يرد إعلان الثورة ضد الترك في رسالة جاء فيها: «... لقد عزمت على الأمر الذي تكلمنا فيه من قبل، وهو القيام بالثورة على هؤلاء العجم الذين أكثروا في الأرض الفساد فأهلكوا الحرث والنسل ولم يحكموا بما أنزل الله تعالى من شريعة الإسلام، فكم قتلوا من خيار علمائنا وصلحائنا، وكم ضيقوا على آخرين حتى اغتربوا وكم أثقلوا كواهل فقرائنا وفلاحينا وتجارنا بالغرائم،.. وبهجومهم المتكرر على قريتنا، وبفعاثلهم الشنيعة مع أهالينا،... وهم الآن بالمرصاد لي ولي أخي،.. فقل لي بربك يا سيدي ماذا انتفعت أمتنا في الجزائر بوجود التّرك،... أن طغيانهم أرى على الحد المحتمل..» ².

ورغم رفض علي التماسيني للثورة، ونهيه عن مقاتلة التّرك تنفيذاً لوصية والده، إلا أن محمد الكبير لم يرد عليه نظراً لما يلقاه أتباعهم من ظلم العثمانيين، وتحالف مع قبيلة الحشم، التي تقيض غيضاً من الباي حسن الذي غدر بعلمائهم وزعمائهم سنة 1826م، بإعداد كمين لهم، وتراسل الطرفان، واتفقا على محاصرة معسكر سنة 1826م، فاتجه محمد الكبير بجيشه إلى معسكر، وفي الطريق انضم إليه اليهم الحشم، حاصر معسكر، وأخضعها وأعلن سكانها الطاعة ³، وعند علم الباي حسن بذلك خرج من وهران بجيشه ومخزنه، واتجه نحو معسكر، نزل بقرية الكرط، وبعدها اتجه نحو محمد الكبير وهو بخصيبيّة، والتقى الجيشان بمنطقة عواجة بلاد أولاد رحو، فاشتد القتال بينهما، وهزم خلالها جيش التجانية وقتل محمد الكبير بعد أن تخلّت عنه قبيلة الحشم، ومن معهم من الأعراب، بعد ارتشاءهم

¹ الأغا بن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 353؛ محمد بن يوسف الزيان، المصدر السابق، ص 313.

² بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص 146

³ الأغا بن عودة المزاري، المصدر نفسه، ص 356.

من قبل الباي¹، وبهذا تكون هاته الثورة كبدت الطرفين خسائر ضخمة في الأرواح والعتاد، انعكس أثرها ليس على منطقة الجنوب الغربي فقط بل على الإيالة بصفة عامة. اعتبرت الثورات التي قادتها الطريقة الصوفية من أخطر الثورات والتمردات التي واجهها العثمانيون في الجزائر (1804-1826)، ذلك لأنها شملت شرق وغرب الجزائري، وكانت بإيعاز خارجي فابن الأحرش بإيعاز من حمودة باشا والإنجليز، وابن الشريف بإيعاز من المغرب، أما ثورة الطريقة التجانية فكانت نتيجة المضايقات المستمرة من قبل السلطة العثمانية على أصحابها، ولهذا كان لهاته الثورة بعد سياسي من حيث التدخلات الخارجية، ديني من حيث أنّ قاداتها أصحاب طريقة، بعد شعبي لأنّ جل من دخل في هاته الثورات إما قبائل طالهم تعسف الحكام بقتل أعيانهم وعلمائهم، أو أهل الأرياف الذين سئمو السياسة المالية الضريبية المجحفة.

المبحث الثالث: نتائج السياسة المالية المتخذة من قبل الحكام على المستوى الخارجي
لم يكن للسياسة المتبعة من قبل حكام الجزائر لتدارك تراجع غنائم البحر، تأثير مباشر في مواقف الدول الأوروبية، بل اتخذت كمطية لتبرير تدخلها في شؤون الإيالة، بالحجة التي ما فتأت الأدبيات الاستعمارية تكررّها وهي القضاء على وكر لصوص البحر وعش القراصنة، ومكّنها من ذلك ضعف البحرية الجزائرية خاصة في عهد الداوي عمر آغا²، فبمجرد توقّف الحروب الأوروبية، تحالفت تلك الدول من أجل وضع حدّ للنشاط البحري الجزائري، الذي كان يشكّل خطراً على مصالحها التجارية في المتوسط³.

¹ محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 319.

² هو الداوي عمر بن محمد أصله من ميتلان موطن الأخوة بربروس، من مواليد 1770م، كان عمره 33 سنة عندما جاء إلى إيالة الجزائر، حينها كان لا يتكلم اللغة العربية، وبعد عشر سنوات، تقلد منصب حكومة البلاد يوم الجمعة 28 ربيع الثاني، 1230هـ، الموافق لـ 8 أفريل 1815، وعمره 43 سنة، كان قوي البنية نشيط الحركة، اشتهر بضبط النفس وبعقله الراجح وإدراكه السريع، متقنًا للظروف الدولية حيث عمل على إعادة العلاقات الودية بين الباب العالي، في عهده تعرضت الإيالة إلى حملة اكسموث، وإلى الطاعون الذي أودى بحياة الكثير من السكان، قتل خنقا 1817م، ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 114، وليام شالر، المصدر السابق، ص، ص 160، 162؛ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 124؛ عزيز سامح التر، المرجع السابق، 602.

³ حنفي هلايلي، العلاقات... المرجع السابق، ص 11؛ مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج.3، مكتبة النهضة الجزائرية، د.س.ن، الجزائر، ص 261

1- إدراج أعمال البحرية الجزائرية ضمن المؤتمرات الدولية:

1-1 أعمال البحرية الجزائرية في فترة التوتّر الدولي والفرق بينها وبين القرصنة

الأوروبية:

إنّ المداخل من غنائم البحر (سفن وما تحتويه من أسرى وبضائع)، كانت في أدنى مستوياتها، في معظم القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، والبحرية خلال هاته الفترة، أصبحت تستخدم عملياً فقط كوسيلة للضغط على القوى الأوروبية الصغيرة، للحصول على الجزية منها، مقابل أمن بضائعها والأشخاص، لذلك لم تعد مصدراً مهماً للدخل والأرباح، هذا المناخ النسبي من السّلام، تخلّته بعض المنازعات الصغيرة، التي تنشأ دائماً في البحر، فهي ملازمة لحركة الملاحة البحرية¹.

أعتبرت القرصنة ظاهرة العصر الحديث، ولازمت التجارة البحرية، خاصة في فترات الصراعات الدولية الكبرى، وخلال هاته الصراعات نلاحظ وبالأرقام ضالة أعمال البحرية (القرصنة) الجزائرية، مقارنة بالقرصنة الأوروبية الأخرى، ففي حرب الخلافة الإسبانية (1702-1714م)، كانت عدد السفن التي تم أخذها من قبل القراصنة الأوروبيون هي 1790 سفينة كغنيمية، مقابل 19 سفينة كغنيمية للرياس الجزائريين²، إي تمثل أعمال البحرية بنسبة 1% من مجموع الغنائم المحصل عنها بواسطة أعمال البحرية الجزائرية خلال هاته الفترة.

وخلال الحرب السبع سنوات (1755-1763م)، بلغ عدد الغنائم التي تحصلت عليها القرصنة الأوروبية، هي 759 سفينة، مقابل 27 غنيمية لرياس البحر الجزائريين³، أي مثلت الغنائم البحرية الجزائرية نسبة 3% من مجموع الغنائم المحصل عليها خلال هاته السنوات. أمّا بالنسبة للحروب الأوروبية التي جرت في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي وبداية القرن التاسع عشر الميلادي 1792-1815م، حيث حوّلت البحر الأبيض المتوسط،

¹ Ismet Touati, Op-Cit.

² محمد أمين، المرجع السابق، ص 40.

³ المرجع نفسه، ص 41.

إلى منطقة شديدة الاضطراب منعدمة الأمن، فالقرصنة الأوروبية أصبحت لا تميز بين الصديق والعدو ولا بين المحاييد وغير المحاييد، فليس من الممكن حماية التجارة الجزائرية، ولا القرار السياسي، بدون قوة رادعة تستطيع أن تفرض هذا الاحترام، وتزامناً مع هذه الظروف ظهر الرئيس حميدو، الذي قاد الأسطول البحري الجزائري، وأخذ على عاتقه حماية مصالح البلاد من كل تلك الاضطرابات¹.

وقد ازدهرت في عهده أعمال البحرية الجزائرية، ورغم ذلك فمجمال ما أخذه الجزائريون في تلك الفترة هو 267 غنينة بمتوسط 11,6 غنينة في السنة²، فإن القرصنة الفرنسيين لوحدهم استولوا على 550 سفينة تجارية إنجليزية بكل طواقمها. ودمر الإنجليز في نفس الفترة 600 سفينة فرنسية واسروا ركابها³، إن معدل 11 إلى 12 سفينة في السنة، لما نقرانه بمعدل 500 إلى 600 سفينة، يعطي فكرة حول ما مدى الشائعات التي ألصقت بإيالة الجزائر، في حين كانت القرصنة ظاهرة القرن ومميزاته.

مما تم طرحه نلاحظ، أن أعمال البحرية الجزائرية، وممارساتها للقرصنة، لم تكن إلا جزء من ظاهرة دولية، مارستها كل القوى البحرية، ضد بعضها البعض، و كانت كل واحدة منها تسعى لجلب الإيالة لصالحها، أو ضمان على الأقل حيادها في ظل اشتداد التنافس، إلا أنه وبتغير الوضع الدولي، بعد سقوط نابليون، توالي المؤتمرات الأوروبية لتنظيم الهيمنة الدولية، ومع اشتداد التنافس الاستعماري، استعملت قضية أعمال البحرية (القرصنة البربرية) قضية دولية تناقش داخل مؤتمراتهم.

¹ جمال قنان، قضايا ودراسات...، المرجع السابق، ص 42.

² A, Devoulx, "le registre des prises maritimes", R.A, Vol. 15, 1871, pp 78, 79.

³ المنور مروش، دراسات عن...، ج.2، المرجع السابق، ص 478.

1-2 أعمال البحرية الجزائرية ضمن مؤتمر فيينا (أكتوبر 1814 - جوان 1815)¹

بعد الانتصارات المحققة من قبل الحلفاء على نابليون، ومن أجل المحافظة على المكاسب وعلى التوازن الدولي، تم عقد مؤتمر في فيينا عاصمة الدولة النمساوية، برئاسة ميترنích (Metternich)، جمع فيه كل من سفراء دول الائتلاف كما شاركت فرنسا المهزومة ممثلة بوزير خارجيتها تاليران (Talleyrand)، وكانت القوى الأربعة المنتصرة تأمل في استبعاد الفرنسيين من المشاركة في المفاوضات الجديدة، لكن تاليران استطاع بقدراته ومهاراته السياسية أن يفرض نفسه كعضو فاعل ومهم في جلسات المؤتمر، من أجل تسوية العديد من القضايا الناشئة عن تلك الحروب، أسفر المؤتمر على إعادة رسم الخارطة السياسية للقارة الأوروبية، وفقا لموازين القوى الجديد الذي أسفر عنه الصراع²، حيث وضعت حدوداً لفرنسا، وتم إنشاء مناطق نفوذ لكل من النمسا وروسيا وبريطانيا، وأصبحت تتوسط تلك الدول في حلّ المشاكل المحلية والإقليمية³.

كان من المفروض أنّ هذا المؤتمر لا يتجاوز حدود القارة الأوروبية، وعلى وجه الخصوص مناطق وسط وغرب أوروبا، لكن تطلع الدول الأوروبية، لأن تجعل من نفسها قوة عالمية مهيمنة، جعلها تعتبر نفسها مركزاً للعالم، والقوة الأساسية المحركة والموجه له⁴.

طرحت في هذا المؤتمر عدّة قضايا، خارج إطار القارة الأوروبية، منها القرصنة المغاربية وعلى وجه الخصوص الجزائرية، والعبيد المسيحيين في الجزائر، والضرائب السنوية

¹ على إثر هزيمة نابليون، اجتمعت الدول المنتصرة في ماي 1814م روسيا وبريطانيا والنمسا وفرنسا وفرنسا المهزومة، و أبرموا معاهدة صلح وهي معاهدة باريس الأولى 30 ماي 1814، وتنص المادة 31 من المعاهدة على اقامة مؤتمر، عام في فيينا أكتوبر 1814/ جوان 1815م، وانه سيتم توجيه الدعوات إلى جميع القوى الفاعلة في تلك الحرب، ينظر: عمار شاكور الدوري، حارث عبد الرحمن التكريتي، تاريخ أوروبا الحديث 1789-1914، ط.1، صفحات للنشر والتوزيع، سوريا، 2017، ص 102، وليام شالر، المصدر السابق، ص 149.

² لم يكن هدف المؤتمر إعادة رسم خارطة أوروبا القديمة كما كانت قبل حروب نابليون، لم يكن هذا بالإمكان لان كل دولة من الدول العظمى جاءت تحمل خطة لتقسيم، تتال من ورائها نصيب الأسد، ينظر: جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تر. علي المزروقي، ط.1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن 2006، ص 411.

³ عمار شاكور الدوري، حارث عبد الرحمن التكريتي، المرجع نفسه، ص 101.

⁴ جمال قنان، معاهدات... المرجع السابق، ص 108.

التي كانت تؤدّيها الدول الأوروبية للحكومة الجزائرية¹، ومن المفارقات أنه يتم طرح مسألة القرصنة من قبل قراصنة مالطا، حيث طالبوا المجتمعين بإعادة الجزيرة لهم، أو منحهم مقر آخر في البحري المتوسط، ليكون قاعدة لجميع الشعوب المسيحية، للعمل على تخطيم القرصنة المسلمين، عامة والجزائريين خاصة². ودُعمت مطالب فرسان مالطا، بالمشروع المفصل الذي قدمه السيد سدني سميث³، إلى المؤتمرين في أواخر شهر ديسمبر 1814م، والذي يتضمن كيفية القضاء على القرصنة الخاصة بالأمم البربرية⁴.

وشرح للمؤتمرين الأضرار الناجمة عن تصرفات القرصنة المغاربية، حيث قال: "في الوقت نفسه الذي كنا منشغلين بالبحث عن إمكانية إلغاء استعباد الزنوج، حيث بذلت أوروبا المتحضرة كل ما في وسعها من أجل توسيع مزايا التجارة⁵، على الساحل الغربي لإفريقيا، إننا نستغرب في أننا لا نولي إي أهمية لهذا الساحل الشمالي من نفس القارة، التي يسكنها الأتراك القراصنة، ... بل ذهبوا إلى اختطاف المسيحيين... هذه السرقات والتصرفات المهينة

¹ محمد زروال، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994، ص 59.

² صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر- تونس- المغرب الأقصى، ط.6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993، ص 73.

³ سدني سميث ولد في 3 جوان 1771 بولاية وود فورد، درس في نيو كلويج بأكسفورد، أنشاء جريدة إيد ينبرج ريفيو سنة 1808 بالاشتراك مع هنري بروجهام، نشر أول كتاب له 1808م، اشتهر اسمه نظرا للمقالات التي كان ينشرها في مجلته، =انتقل على لندن، عمل في المعهد الملك كأستاذ محاضر في الفلسفة، انخرطه ضمن الجيش البريطاني الذي حارب نابليون في مصر 1798م، عين فور رجوعه إلى لندن عميد بحري، ثم نائبا لروشيستر في غرفة البلديات، هنا أُتيحت له الفرصة للتفرغ للأعمال الخيرية، وبالتحديد في مسألة البحث عن سبل القضاء على العنصرية ضد أصحاب البشرة السوداء، قام بتأسيس الشركة المضادة للقرصنة، كما قام بتأسيس جمعية الفرسان المحررين للرقيق الأبيض في أفريقيا، ينظر: مبارك شواد، "انعكاسات مؤتمر فيينا 1815م على البحرية الجزائرية"، مجلة البحوث التاريخية، مج.5، ع.2، ديسمبر 2021، جامعة مسيلة، الجزائر، ص 205؛ أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ص، ص 126، 127، يحي بوعزيز، موجز تاريخ...، ج.2، ص 109؛ خليفة حماش، العلاقات بين...، المرجع السابق، ص 213.

⁴ صلاح العقاد، المرجع نفسه، ص 73؛ ناصر الدين سعيدوني، النظام...، المرجع السابق، ص 60؛ عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م، ط.1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972، ص 235؛ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ...، ج.3، المرجع السابق، ص 313.

⁵ رود لفوميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمللي، تر. طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس ليبيا، د.س. ن، ص 181.

لا تدفع بالبشر أن تثور ضدّ هذا الوضع فحسب، بل إنّها تقف حاجزاً في وجه ممارسة التجارة....، فإنّ الشّعوب الأوروبية تبقى جراء هذه المعاملات السيئة والدنيئة تحت رحمة قائد اللصوص¹، كما عاب سميث على الدول التي تدفع الجزية للجزائر.

ليقترح على المجتمعين تكوين ائتلاف حقيقي لكل القوى المسيحية، ضد الجزائر ودول المغرب، من خلال تحطيم الحكومات القائمة، واستبدالها بحكومات أخرى تراعي المبادئ الأوروبية المتحضرة، وفي رأيه أن هذا العمل لا يمس سيادة الدولة العثمانية، ذلك أن دايات الجزائر كثيري الاعتداء على تونس وطرابلس، مما يؤكد عدم اعترافهم بسلطة السلطان العثماني². وقد طلب سميت من هيئة المؤتمر، أن تدعوا السلطان العثماني للتعاون معهم من خلال وقف كل الامدادات للإيالة، وأن يسحب منها الحامية الانكشارية، مع منع رعاياه من الانخراط في قوتها البحرية والبرية، وأن يملّي شروطه على باي تونس الذي هو أكثر خضوعاً وامتنالاً من داي الجزائر³؛ كما أكد سميث أن فرسان مالطا لا يستطيعون لوحدهم وبوسائلهم الخاصة من مجابهة دول المغرب، لذا اقترح على المؤتمر أن تكون قوة بحرية مشتركة، وهو على استعداد لقيادتها⁴.

ولأوّل مرّة اتّفقت مواقف كل من إنجلترا وفرنسا من خلال معارضة هذا المشروع في البداية، ولكل هدفه وغايته، فإنجلترا عارضت مشروع مندوبها سميث، حيث صرح وزير خارجيتها كاسلريه (Casellry): "إن بريطانيا مازالت بسياستها التقليدية التي تفضل بقاء النيابات حتّى لا تتعرّض شمال إفريقيا لحالة من الفوضى تمكّن فرنسا من إخضاعها دون

¹ أوجان بلانتيت، المرجع نفسه، ج.1، ص، ص 127، 128؛ مبارك شوار، المرجع نفسه، ص 204؛ خالد بوهند، فاطمة بن عيسى، "المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية من خلال وثائق مركز المحفوظات الوطنية للدراسات التاريخية الجزائرية 1815-1818"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج.9، ع.1، الجزائر، ص 65.

² يحي بوعزيز، الموجز، ج.2، ص 109؛ صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 74؛ محمد العربي الزبيري، "مقاومة الجزائر لتكتل الأوروبي قبل الاحتلال"، مجلة الأصالة، مج.3، ع.12، 1973، الجزائر، ص 122.

³ محمد زروال، المرجع السابق، ص 59؛ حنفي هلايلي، العلاقات..، المرجع السابق، ص 13، يحي بوعزيز، الموجز...، ج.2، المرجع نفسه، ص 109، صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 74.

⁴ أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ص 128.

عناء¹؛ أمّا فرنسا فكان سبب الرفض هو ضعفها بعد الخروج من حروب نابليون، ويقينها أنها لن تستطيع في ظل تلك الظروف أن تلعب دوراً رئيسياً في أي عمل جماعي يتخذ ضد الجزائر¹، وأنها على ما يبدو فضلت الحملات المغربية في البحر المتوسط، على سيطرة إنجلترا عليه².

ولهذا اكتفى المؤتمر في قراراته المتخذ يوم 9 جوان 1815م، بوضع مبدأ عام يحرم القرصنة، واسترقاق المسيحيين في المغرب، ضمن سياسة عامة تهدف إلى إلغاء الرق في العالم، كما تم التأكيد على حرية الملاحة في البحار والمحيطات والإينهار³، واتخذت قرارات أخرى لها علاقة مباشرة بأوروبا⁴.

وتجدر الإشارة هنا، على أنه عندما كانت المفاوضات والمناقشات، في مؤتمر فيينا حول اتخاذ أهم القرارات، عاد نابليون للحكم في فرنسا في 20 مارس 1815م، لمدة 100 يوم الذي انتهى بتوقيع معاهدة واترلو 18 جوان 1815م بعد الهزيمة التي مني بها، وعلى إثرها تم عقد معاهدة باريس في 20 نوفمبر 1815م المعروفة باسم معاهدة باريس الثانية، والتي أسفرت عن تسوية أكثر عقابية إزاء فرنسا⁵، وخلال هاته الفترة جاءت أخبار الحملة

¹ صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 74، محمد زروال، المرجع السابق، ص 61؛ خطاب فطوم، المرجع السابق، ص 22.

² حنفي هلايلي، العلاقات ...، المرجع السابق، ص 15، أرزقي شويتام، دراسات...، المرجع السابق، ص 93، عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 238؛ أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، ج1، المرجع السابق، ص 301.

³ جفري برون، المرجع السابق، ص 414؛ عمار شاعر الدوري، حارث عبد الرحمان التكريتي، المرجع السابق، ص 101.

⁴ للمزيد حول القرارات المتخذة في مؤتمر فيينا ينظر: جفري برون، المرجع نفسه، ص 414؛ عمار شاعر الدوري، حارث عبد الرحمان التكريتي، المرجع نفسه، ص، ص 102، 103؛ عبد العزيز نوار نعنعي عبد الحميد، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1973، ص 161؛ كايل لاسكوريثس، نظام دول الوفاق الأوروبي وحوكمة القوى العظمى اليوم ماذا يمكن لنظام أوروبا للقرن التاسع عشرن يُعلم صانعي السياسات حول النظام الدولي في القرن الحادي والعشرين؟، مؤسسة RADN للنشر، 2017، ص 5.

⁵ كايل لاسكوريثس، المرجع السابق، ص 5.

الأمريكية على الجزائر والتي تخلّصت على إثرها أمريكا من دفع الجزية للجزائر، مما شجع الدول الأوروبية على إعادة النظر في قراراتها¹.

حتى أنّ أول مبادرة جاءت من قبل هولندا، ففي منتصف شهر جويلية 1815م، جاءت الأسطول الهولندي، بقيادة العميد البحري، يتكون من أربع بوارج وسالوب، وسفينة حربية ذات صاريّتين، وعرض على الدّاي بواسطة القنصل البريطاني، تجديد معاهدة السلام التي تربط البلدين، طبقا لشروط القديمة، لكن الدّاي عمر، رفض هذه الاقتراحات، وألحّ على دفع مؤخر الضرائب والهدايا، ونظراً لضخامة المبلغ وعدم اتفاق الطرفين انقطعت المفاوضات².
وبما أن مؤتمر فينا أوصى بأن تتحمل إنجلترا مهمة القضاء على البحارة الجزائريين، مما جعلها القوة البحرية التي تقف كعقبة رئيسية في وجه لأعمال البحرية الجزائري³، ولكن وزارة سان جيمس (ST. JAMES) أوصت في الخفاء بعدم اللجوء إلى القوة، إلا في اللحظة الأخيرة، للمحافظة على سلامة وأمن تجارتها في البحر المتوسط.

1-2-1 تداعيات مؤتمر فينا على إيالة الجزائر (حملة اللورد أكسموث):

تمت هاته الحملة على مرحلتين: المرحلة الأولى أبريل - ماي 1816م:

أقرّ المؤتمر بسيطرة بريطانيا على الجزر الأيونية، وجزيرة مالطا، وعليه غيرت بريطانيا موقفها، ووجه حملة في أبريل 1816م، بقيادة اللورد اكسموث مستغلة بذلك أن إحدى السفن الإنجليزية قد أسرها رياس البحر الجزائريون، وأنهم أغاروا على السفن الإسبانية والبرتغالية حليفتي إنجلترا⁴، استهدفت هاته الحملة، تحرير الأسرى الأيونيين، بوصفهم رعايا إنجليز، قدم اللورد البريطاني مجموعة من القرارات، المتمثلة في: التوقف عن القرصنة، و التوقف عن استرقاق الأوروبيين، وإطلاق سراح الأسرى الأوروبيين في الجزائر، وتسليمهم إليه، ورغم أن

¹ مبارك الملي، تاريخ الجزائر، ج.3، المرجع السابق، ص 262، خطاب فطوم، المرجع السابق، ص 23، وليام شالر، المصدر السابق، ص 148،

² وليام شالر، المصدر نفسه، ص 149.

³ حنفي هلايلي، العلاقات.....، ص 15.

⁴ محمد زروال، المرجع السابق، ص 62.

هاته القرارات قد تم الاتفاق عليها بين الدول الأوروبية والباب العالي¹؛ كما كان عمر باشا على علم بتحركات الأساطيل الأوروبية، في البحر المتوسط وما تضرره ضد الإيالات المغربية والجزائر بالخصوص، وقد راسل السلطان العثماني بهذا، طالبا منه مد العون من أسلحة وجنود².

قبل عمر باشا في البداية مقترحات اللورد اكسموث حول الأسرى وعقدت اتفاقية بينهما، وعليه رحل اللورد إلى الإيالات تونس وطرابلس، وعقد معها اتفاقيات بنفس الشروط، ليعود في شهر ماي، ويطلب من الباشا تحرير جميع الأسرى على ثلاث دفعات، واشترط عليهم أنه من الآن فصاعداً على الإيالة عندما تحتجز الأسرى أن تطلق سراحهم بدون طلب أموال للفدية، هنا رفض طلب اللورد من قبل الباشا بعد التشاور مع الديوان، بحجة أنه الإيالة تابعة للدولة العلية، وبهذا الخصوص يجب إعلامها بالموضوع، وبعد مفاوضات حادة مع اللورد، تم الاتفاق على أن تقوم الإيالة بالتشاور مع الباب العالي وأن تبلغه ردها بعد ستة 6 أشهر، وتم توجيه سفارة جزائرية إلى السلطان العثماني على متن سفينة إنجليزية، بقيادة دورداس (Durdas)، وفي حالة عدم التوصل إلى اتفاق فإن الإيالة تقوم بإرسال مبعوث عنها إلى لندن، لتفوض وإيجاد حل لهاته المسألة بهذا انتهى النزاع في هاته المرحلة³.

1-2-2 اجتماع لندن 28 أوت 1816م:

بعد معاهدة باريس الثانية 20 نوفمبر 1816م اتفقت جميع الحكومات على إلغاء تجارة الرقيق، ودعوا للتشاور من أجل اختيار الاجراء الواجب اتخاذها لبلوغ هذا الهدف، وفي شهر أوت فتحت الحكومة البريطانية ندوات، واجتمع وزير خارجيتها اللورد كاسلريه، بسفراء كل من روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا، لبحث مشروع تكوين حلف عسكري لمدة 7 سنوات، لمقاومة الإيالات المغاربية، ولأن فرنسا كانت تدرك أبعاد السياسة الإنجليزية، لذا طالبت

¹ خليفة حماش، العلاقات...، المرجع السابق، ص 115.

² عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 150.

³ خليفة حماش، العلاقات...، المرجع السابق، ص 215، وليام شالر، المصدر السابق، ص 153.

بإدماج الباب العالي للمشاركة في الحلف، باعتبار أن الإيالات المغاربية المستهدفة جزء من الدولة العثمانية، ولأن فرنسا كانت تصرّ على أن يؤخذ موقفها بعين الاعتبار، مما صعب على المؤتمرين اتخاذ قرار نهائي فعلق الاجتماع¹، مما دفع بالمندوبين في النهاية إلى اتخاذ قرار بتحويل المسألة إلى مؤتمر للقمة للبت فيها²؛ ولم يكن هدف بريطانيا من وراء عقد هذا الاجتماع سوى كسب تأييد أوروبي لحملتها العسكرية على الجزائر، التي بصدد تنفيذها، حيث تزامنت مع مناقشات ندوات لندن.

1-2-3 الحملة الثانية 28 أوت 1816:

لقد أثار الصلح الذي عقده اكسموث مع داي الجزائر سخط الدول الأوروبية، التي اتهمت إنجلترا بأنها تعمل من أجل مصلحتها³، واتهم اللورد بأن التصرف بهذا الشكل "يسمح للقراصنة الجزائريين بملاحقة السفن الأوروبية التي ترفض تسديد الإتاوات لها"⁴، فقررت إنجلترا تنفيذ حملة أخرى ضد الإيالة أكثر فاعلية، وقد كان إلقاء القبض على الرعايا الفرنسيين والإنجليز العاملين في صيد المرجان في الساحل الشرقي للإيالة، وطردهم القنصل الإنجليزي من الجزائر، ووقوع سفينة إنجليزية بيد رياس البحر، ذريعة لتبرير حملتها الثانية⁵، فأمرت حكومة إنجلترا بتجهيز حملة أخرى انطلقت من ميناء "بورتسموث" في 28 جويلية 1816م، باتجاه البحر المتوسط، ولما وصل إلى جبل طارق كان يضم 36 سفينة حربية، بما في ذلك الأسطول الهولندي بقيادة الأميرال فاندركيبيلان (Vander Capelan) المكون من

¹ تقرير حول المشروع الأوروبي لمواجهة القرصنة المغربية في : أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، M. D/Alger ، مجلد 10، ورقة 303-304، ينظر خليفة حمّاش، العلاقات...، المرجع السابق، ص 117؛ أوجان بلانتيت، المرجع السابق، ص 131؛ جمال قنان، معاهدات...، المرجع السابق، ص 212؛ عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 238.

² خالد بوهند، فاطمة بن عيسى، المرجع السابق، ص 66؛ يحي بوعزيز، موجز...، ج.2، المرجع السابق، ص 112.

³ وليام شالر، المصدر السابق، ص 155.

⁴ محمد العربي الزبيري، التجارة...، الرجع السابق، ص 123.

⁵ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ...، ج.3، المرجع السابق، ص 320؛ أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، ج.1، ص 301.

6 سفن¹، وانطلقا من جبل طارق في 14 أوت، ووصلا إلى الجزائر في صبيحة يوم 27 أوت، حاملا علم الهدنة².

طلب اللورد من الداي عقد الصلح³، وأمره بالرد في ظرف ساعة من الزمن، إلا أن الداي والديوان رفضوا هذا الصلح رفضاً قطعاً، وفي غضون المهلة التي منحت للداي، تقدم الأسطول من تحصينات الميناء⁴، ليسهل عليه ضربه⁵، ولأن الداي لم يتخذ الأمر بجدية كاملة إذ ردّ الأميرال البريطاني بدون جواب من جهة، ولم يقيم بإطلاق النار وهو خطأ استراتيجي بل ترك الفرصة للأسطول الإنجليزي بأن يأخذ الموقع الملائم، مما جعل نتيجة المعركة⁶ محسومة⁷، حيث دمر وأحرق الأسطول الجزائري⁸ كما دمرت عدة بطاريات في الميناء.

وعليه رضخ الداي إلى مطالب اللورد أكسموث، ووقع على المعاهدة التي نصّت على:

✓ وضع حد لاسترقاق المسيحيين من رعايا الدول المسيحية⁹.

✓ إطلاق سراح كل الأسرى المسيحيين الذين كان اعدادهم 1600 أسير.

✓ ارجاع أموال الفدية التي تبلغ 350.000 دولار تم دفعها من أجل اطلاق سراح

أسرى سردينيا ونابلي في شهر أفريل 1816¹⁰.

¹ La Gazette, de Lausanne, Suisse, vendredi, 20 SEPTEMBRE, 1816, N°. 76, p 4

² وليام شالر، المصدر السابق، ص 152؛ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص، 607؛ D. Grammont, Op-Cit p 378.

³ الشروط التي طلبت هي: إطلاق جميع الأسرى المسيحيين، التوقيع على معاهدة الصلح مع البلدان الشمالية، اطلاق القنصل الإنجليزي.

⁴ انظر الملحق رقم (17) يوضح كيفية تقدم الاسطول الانجلو-هولندي، وتمركزه في الميناء دون إي مقاومة جزائرية.

⁵ عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 239

⁶ وقد كتب وليام شالر بالتفصيل سير المعركة، كما أورد في كتابه ملحقا وهو رسالة رسمية من اللورد أكسموث وردت في عدد خاص من لندن في جريدة جزييت يوم الأحد 15 سبتمبر 1816م، ينظر: وليام شالر، المصدر السابق، ص، ص، 289، 294.

⁷ وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 191؛ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 125.

⁸ ينظر تقرير أكسموث حول القطع الجزائرية التي دمرت في الميناء، وليام شالر، المصدر نفسه، ص 303.

⁹ عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 610؛ D Grammont, Op-Cit p 379

¹⁰ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر ... ج.3، المرجع السابق، ص 320؛ وليام شالر، المصدر نفسه، ص 157.

✓ وتقديم اعتذار للقنصل الانجليزي الذي أسر جراء تلك الحملة.

والسؤال المطروح هل إيالة الجزائر قد توقف نشاط أسطولها البحري؟ بطبيعة الحال لم تتوقف ولم تنته تلك الهزيمة من مزاوله أعمالها البحرية كما قلنا في الفصل الثالث أنه بعد 3 أشهر أعيد بناء الأسطول البحري وما تلقته من مساعدات من قبل الباب العالي¹ وإيالة طرابلس وسلطان المغرب²، وزاول أعماله البحرية من جديد، رغم تراجعه بصورة واضحة، ورغم تغير كل المعطيات الدولية، مما جعل الدول الأوروبية تعيد إثارة هاته القضية من جديد في مؤتمر أكس لا شيبيل.

1-3 مؤتمر اكس لا شيبيل 30 سبتمبر 1818م

انعقد المؤتمر في اكسل لا شيبيل بتاريخ 30 سبتمبر 1818م بألمانيا، كان المؤتمر آخر المؤتمرات التي ناقشت مسألة القرصنة³، حيث أنّ أهم مسألة فيه هي قبول انضمام فرنسا للحلف الرباعي المتكون من روسيا وبروسيا النمسا وبريطانيا، ليصبح بعد انضمام فرنسا حلف خماسي، اختلفت خلال هذا المؤتمر، الآراء حول مسألة التدخل في حل مشاكل الدول الأوروبية، فالمشاريع التي قدمتها كل من روسيا وفرنسا والنمسا تختلف عما قدمته إنجلترا وإسباني⁴، كما اختلف المؤتمر حول مشروع الحلف العسكري الذي أحيتته حكومة لندن من جديد⁵، وهكذا فشل المؤتمر في إيجاد حل حاسم للمشاكل⁶، واكتفى في البرتوكول الذي أصدر عن المؤتمر بتاريخ 20 نوفمبر 1818م، بالتصريح على ضرورة وضع حد للأضرار التي يلحقها قرصنة الجزائر وبلدان المغرب الأخرى بالتجارة الأوروبية⁷، وقد أمضى ممثلو

¹ D Grammont, Op-Cit p 379

² قدم سلطان المغرب المولى سليمان إلى مبعوث الجزائر، مركبين من نوع كريبط ويلاندر، أما باشا طرابلس قدم بلاكر، ينظر أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 127.

³ حنفي هلايلي، العلاقات... المرجع السابق، ص 15.

⁴ ودو لفوميكاكي، المرجع السابق، ص 183.

⁵ خليفة حمّاش، العلاقات... المرجع السابق، ص 219.

⁶ صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 77.

⁷ يحي بوعزيز، الموجز في... ج.2، المرجع السابق، ص 113؛ وليام شالر، المصدر السابق، ص 323؛ حنفي هلايلي، العلاقات... المرجع نفسه، ص 16.

كل من إنجلترا والنمسا وبروسيا وروسيا مع الدوق ريشيليو (Richelieu) المفوض الفرنسي ذلك البروتوكول، والذي عهد إلى فرنسا وإنجلترا مهمة إخطار الولايات المغربية الثلاث الجزائر، تونس، وطرابلس، بقرارات المؤتمر، وإبلاغهم بأن أي تعدي على السفن التجارية للدول الأوروبية المتعاقدة من شأنه أن يؤدي إلى توجيه حملة عسكرية من قبل الدول المتحالفة¹.

كلف كل من نائب الأدميرال فريمانتل (Freemantle) ممثل لإنجلترا، والأدميرال جوريان دي لا جرافير (Jurien de la Gravière) ممثل لفرنسا، مهمة إخطار الداي حسين بقرارات المؤتمر؛ اتحدت الفرقتان الإنجليزية والفرنسية في ماهون في 28 جويلية 1819، وشكلت قوة بحرية من ثماني سفن، ووصلت إلى إيالة الجزائر في 4 سبتمبر².

1-3-1 موقف الجزائر من قرارات مؤتمر اكس لاشبيل:

عند وصول ممثلي إنجلترا وفرنسا للجزائر، خصّص لهما الداي يومي 5 و9 سبتمبر استمع خلالهما إلى قرارات المؤتمر، ومطالب الدول الأوروبية، التي انذرت الإيالات المغربية بضرورة وضع حد للأعمال القرصنة والعنف التي تمارسها سفنهم المسلحة في البحر، وأن في حالة بقائكم في مزاولة هذا النشاط المعادي للتجارة السلمية في البحر، من شأنه أن يجعل الدولة الأوروبية المتحدة حول هذا القرار، أن تثور ضدكم، واحتمال أن هذا الاتحاد سيعرض وجود الإيالات نفسها للخطر³.

وطالبوا من الداي بالتخلي عن حقه في تفتيش السفن الأجنبية، وعدم مصادرتها بحجة عدم استقائها أوراقها والعقود اللازمة، كما طالبوه بإصدار وثيقة رسمية يتعهد فيها بتطبيق هاته المطالب، وبعد محادثات ومناقشات طويلة مع الداي، رفض هذا الأخير الامتثال لمطالبهم التي تحدّ من سيادة الإيالة، قائلًا أنه لا يخضع لأوامر الملوك الأوروبيين، وأن الإيالة حرة فتسالم من تشاء وتحارب من تشاء، وبما أن المندوبين لم تكن لهما أوامر

¹ Henri Garrot, *Histoire générale de l'Algérie*, ALGER, imprimerie P. crescenzo, Voutes Bastion Nord, 1910, p 640؛ يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...، المرجع السابق، ص 125

² Henri Garrot, Op- Cit, p 641 .

عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 622

³ وليام شالر، المصدر السابق، ص 325؛ حنفي هلايلي، العلاقات...، المرجع السابق، ص 16.

باستعمال القوة ضد الإيالة، فقد رحل إلى تونس وطرابلس حيث يوفقا في مهمتهما هناك¹، وعلى إثر ذلك قام الداي باستدعاء قناصل الدول الأوروبية وأخبرهم بأن "كل بلد يتراخي في تسديد الضرائب أو يتهاون في إرسال الهدايا المعهودة، سوف يعتبر عدواً، ويتعرض لا محالة لغزو نيران مدافعنا"². ولم يكتف بهذا بل أمر بتكثيف النشاط الحربي، وتذكر بعض المصادر حسب أبو القاسم سعد الله أن أمريكا رغم كل محاولاتها لإبطال دفع الضريبة للجزائر إلا أنها بقيت تدفعها حتى بعد سنة 1816م³.

إن انتهاء الحروب الأوروبية، وما نتج عنه من وفاق أوروبي، المتجسد في مؤتمر فيينا وأكس لاشبيل، أين توحدت أهدافهم، رغم ما تخللها من اختلاف في الوسائل المتخذة لتحقيقها، طبعاً الكل كانوا يريدون اتخاذ الوسيلة التي يحققون بينها أهدافهم ومصالحهم في مجال البحر الأبيض المتوسط، مع إبعاد المنافس في هذا المجال الحيوي؛ وبهذا تتجسد البداية الفعلية للمخططات الاستعمارية الأوروبية، في شمال إفريقيا، تحت ستار التخلص من القرصنة وأسرى المسيحيين، وما توجيه الحملات العسكرية ضد الإيالة إلا لإضعافها تمهيداً لاغتنام الفرصة المواتية لاحتلال.

2- عودة الصراع وتوتر العلاقات بين الإيالة التونسية والجزائرية:

منذ تاريخ 1756 انتهى عهد التدخلات العسكرية من طرف إيالة الجزائر، وذلك نظراً لاحترام السلطة الحاكمة المتمثلة في الأسرة الحسينية في تونس للاتفاقية المبرمة بين الطرفين، وكان الباي حمودة باشا (1782-1814)⁴ قد امتثل لوصية والده علي باي⁵، فكان

¹ يحي بو عزيز، الموجز في... ج.2، المرجع السابق، ص 114؛ ودو لفوميكاكي، Henri Garrot, Op- Cit, p 641. المرجع السابق، ص 185.

² محمد العربي الزبيري، مقاومة...، المرجع السابق، ص 127.

³ أبو القاسم سعد الله، أبحاث...، ج.1، المرجع السابق، ص 302.

⁴ حمودة باشا: ولد حوالي 1752، اعتلى العرش الحسيني 1782، عرفة بحكمته، وثقافته، سير الإيالة التونسية بيد من حديد، اهتم بالجيش وأولاه كل اهتماماته، حيث مازج فيه بين العنصر العربي والبربري، وهشمش العنصر التركي، لعدم ثقته بهم، عرف بنزعه الاستقلالية، في كل علاقة تونس الخارجية، خاصة مع الجزائر والتي تجلت في الانسلاخ من التبعية القديمة المستمر إلى غاية 1807، وذلك بعد الهزيمة التي منيت بها القوات الجزائرية في معركة واد سراط، توفي سنة 1814م، ينظر: محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص- ص 88-91؛ الباجي المسعودي، المصدر السابق، ص- ص 259-262؛ شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ص- ص 384-386.

⁵ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 85.

يعطيهم الضريبة السنوية، ما كانت الظروف غير سانحة للتهرب منها، وبقيت العلاقات سلمية، إلا بعض المناوشات التي حدثت في عهد صالح باي، سنتي 1783، 1787م، والتي كان لها بالمرصاد¹، ولكن ما إن حسّ حمودة باشا بقوته وقدرته على مواجهه الجزائر بوضع حد لتدخلاتها، فأمتنع عن دفع الضريبة وكان ذلك سنة 1806م، وفي هذا السياق يذكر ابن أبي الضياف: "ولما أحس من قوته القدرة على دفع الضيم، صار يتعلل على أهل الجزائر، واخذ في إزالة ما اعتدوه من التعدي"². وتجدر الإشارة هنا إلى توقف الجزائريون عن جمع الضريبة، إلا أنهم أبقوا على حق بيع الأنعام بتونس حسب سعر محدد يسبق الأنعام التونسية، والتجهيزات من زيت الزيتون التي تكفي للمحافظة على مساجد مدينة الجزائر³.

ولما هرب الباي السابق مصطفى إنجليز (1798-1803)⁴ إلى تونس فاحتضنه حمودة باشا⁵، وقبل لجوئه السياسي، ورفض دفع الضرائب المطلوبة منه إلى الجزائر وهي الزيوت والأصواف والشواشي...، مما أدى إلى حدوث الفتنة حيث يقول الزهر: "وقد كان ملوك تونس، يبعثون مركباً محملاً بالزيت، وبعض الهدايا الرفيعة كل سنة فقطعوها في قيامه⁶، فكتب لهم على ذلك، فامتنعوا عن الإذعان، ووقع الكلام بينه وبين ملكها حمودة باشا إلى أن اشتعلت نار الفتنة"⁷، وأعد العدة وهجموا على قسنطينة وحصروها مدة شهر.

ولمّا علم الداي أحمد ما حدث من معطيات بداية بالتهرب من الضرائب، وقبول لجوء الباي المخلوع، والهجوم على قسنطينة لإرجاعه، فأمر الداي في البداية بحارته بقيادة الرئيس

¹ حنفي هلايلي، أوراق في...، المرجع السابق، ص 51.

² أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 40.

³ وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 164.

⁴ مصطفى إنجليز : هو احد بايات قسنطينة من أصل تركي، بدا حكمه سنة 1798م، اشتهرت عهده، حسب صالح العنتري بالرخاء والازدهار، لدرجة شبه بولاية صالح باي، لكن نظرا لان أحد أبنائه كانوا يتصفون بالفسق والفساد ولا يتوار عن ظلم الناس، مما سبب في عزله، ووضعه في الإقامة الجبرية 1803م، والتي استطاع الفرار منها، وانتقل على تونس لما كان له مع الباي التونسي من علاقات ودية، الذي استقبله ووعد بإرجاعه لمنصبه ليون هذا الحادث من الأسباب التي أدت إلى اندلاع الحرب بين الايالتين، ينظر: صالح العنتري، فريدة... المصدر الاسبق، ص- ص، 68-70.

⁵ الحاج أحمد بن مبارك، تاريخ بلد قسنطينة، تح. عبد الله حمادي، ط.ج، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر، 2011، ص 117.

⁶ المقصود هنا هو الداي أحمد 1805-1807م.

⁷ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 96.

حميدو¹ بالتعرض للمراكب التونسية في البحر فغنموا ثلاث مراكب بما فيها² كوسيلة ضغط لدفع ما عليهم من ضريبة.

وبعث بالعساكر لفك حصار قسنطينة، أين التقى الجيشان وقعت المعركة، فأوقعوا الهزيمة بالجيش التونسي³، هذا النصر الذي حققته القوات الجزائرية على العساكر التونسية، جعل الداوي يفكر في إرسال حملة عسكرية إلى تونس، وفي نفس الوقت كانت تونس تخطط للهجوم على الجزائر⁴، انتقاماً لتلك الهزيمة، فالتقى الجيشان في جويلية 1807م، قرب مدينة الكاف في واد سراط فانهمزت القوات الجزائرية، وكان هذا الانتصار حاسماً إذ تحررت تونس نهائياً من الوصاية الجزائرية، وافته زمن التبعية، أما الصراع العسكري الدائر بين البلدين لم ينتهي، رغم تدخل السلطان العثماني سنة 1812 وهذا ما نستشفه في الرسالة التي بعثها الداوي عمر للسلطان محمود الثاني سنة 1816م، حين قال: "...إنه منذ 4 سنوات أرسل الباب العالي أمره بوضع حد للأعمال العدائية بين الجزائر وتونس...، إلا أن الداوي السابق الحاج علي بعناده، لم يكن راضياً لما أمره السلطان، وقد رفض الأخذ به وتنفيذه"⁵. وبقي الحال على ما هو عليه، وهذا ما توضحه الرسالة التي أرسلها الداوي حسين إلى الباب العالي يوضح فيها الاعتداءات التونسية على إيالة الجزائر وتحريضهم لسكان تبسة للتمرد على السلطة في الجزائر⁶، إلى غاية سنة 1821م، حينما أرسل السلطان العثماني محمود باشا فرماناً يأمر بإنهاء الخلاف بين الشقيقتين نهائياً، والذي حصل فعلاً حيث تم إمضاء الصلح بين الشقيقتين يوم 14⁷ مارس 1821م⁸.

¹ A. Devoulx, "le Rais Hamidou, A.Jourdan, Alger, R.V 1859, pp, 123-129.

² محمد بن عبد القادر، المصدر السابق، ص 78؛ أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 96؛ أحمد بن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 40.

³ محمد بن عبد القادر، المصدر نفسه، ص 78؛ محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص 91.

⁴ كوثر العايب، المرجع السابق، ص 39؛ أحمد توفيق المدني، عثماني...، المرجع السابق، ص 56.

⁵ عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 251.

⁶ م. و.ج، المجموعة رقم 3206، الملف رقم 2، رسالة رقم 17، ينظر: الملحق رقم (18)

⁷ يذكر عبد الرحمان الجلاي، أن معاهدة الصلح بين تونس والجزائر التي كانت تلبية لطلب السلطان عثماني محمود الثاني في تاريخ 30 مارس 1821، عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 334.

⁸ أحمد الشريف الزهار، المصدر نفسه، ص 146، شالر اندري جوليان، المرجع السابق، ص 385.

نتج عن سياسة دايات الجزائر في فرض تبعية تونس للجزائر، والمتمثلة في دفع الضرائب والهدايا سنويا، خاصة بعد سنة 1756م، حقداً دفيناً بين الشعبين؛ ظهر للعلن عندما أصبحت مكانة الجزائر لا تسمح لها بفرض تلك التبعية، وتجلت مظاهره في الهجوم التونسي على الجزائر، حينما سنحت لهم الفرصة، وعلى إثره تخلصوا من التبعية، ولكن الحروب بقيت رغم تدخل الباب العالي ولم ينتهي الصراع العسكري إلا في سنة 1821م، ورغم ذلك فإنّ شعور العداء بقي قائماً بين الإيالتين¹، والذي ظهر بشكل واضح في موقف الباي حسين (1823-1874م) المؤيد لاحتلال الجزائر، حيث تعاونت مع القوات الفرنسية، ورفضها لأيّ مساعدة تقدم للحكومة الجزائرية، كمنعها للمبعوث العثماني من النزول إلى البر، وكانت في الأخير النتيجة الحتمية لتلك الصراعات التي انهكت كلا القوتين، هي ابتلاع فرنسا لكلا الإيالتين.

3 مسألة الديون وعلاقتها باحتلال الجزائر

3-1 مسألة الديون:

تعتبر مسألة الديون، من المسائل الشائكة والمؤثرة بشكل كبير، في العلاقات الجزائرية الفرنسية، خاصة بعدما تمت عملية تسييسها من قبل الحكومة الفرنسية، على اعتبار إنّ عدم تسديد ديون اليهوديين، الملقاة على عاتق الخزينة الفرنسية، نتيجة الحبوب التي كانوا يزودون بها فرنسا منذ 1795م، سيضمنون بها ولائهم، وبالتالي ولاء الدايات الجزائريين المؤتمرين بأمر اليهود. كان للقنصل دوراً كبيراً في تسييس هاته المسألة، والتي بدأ مخاضها منذ سنة 1797م، وبقيت تتطور من سيئ إلى أسوء، إلى أن كانت نتيجتها حادثة المروحة 1827م، وهي الحادثة التي على إثرها اتخذ قرار الاحتلال.

3-1-1 بداية الديون:

بدأت مسألة الديون في الظهور، على مسرح الأحداث منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، عندما بدأت الشركة اليهودية بتزويد الأسواق الفرنسية بالحبوب، بعد

¹ وليام سبنسر، المرجع السابق، ص 165؛ حنفي هلايلي، أوراق...، المرجع السابق، ص 52.

الحصار الذي تعرضت له فرنسا خاصة في الفترة 1793-1794م، أين تألفت ضدها كل الدول الأوروبية الكبرى، من أجل كتم أنفاس الثورة وخنقها في المهد. وعملا بالاتفاق الجزائري الفرنسي، المبرم بين الداوي بابا حسن مع حكومة الثورة الفرنسية 1791م، والذي نالت بموجبه فرنسا تسهيلات تجارية لشراء الحبوب وقرضا ماليا¹.

ذلك أن فرنسا طلبت من الجزائر إقراضها مبلغاً مالياً بقيمة خمسة ملايين² قرش إسباني، إلا أن الحكومة الجزائرية ممثلة في شخص الداوي ردت بالإعتذار، لأن وضع الجزائر لا يسمح بتلبية مثل هذا الطلب، نظراً لضخامة المبلغ؛ لكن في نفس الوقت أعطيت تعليمات بأن يضع في يد المبعوث الفرنسي مبلغ مليون فرنك؛ كما قاموا بالضغط على التجار الجزائريين من اليهود، لإرسال الحبوب إلى الموانئ الفرنسية، وحتى لا يتعذروا بالظروف المالية، وضع الداوي بين أيديهم أموالاً كان قد استخرجها من الخزينة الجزائرية لتتم هاته الصفقة³. في هاته النقطة نرى أن الحكومة الجزائرية، في ظل الظرفية الدولية التي التزمت خلالها الإيالة الحياد، كان حيادها شكلي فقط، حتى لا يجز عليها ميلها لفرنسا، أي رد فعل من الدول الأوروبية الأخرى. لكن الحقيقة أنها كانت تميل كل الميل لفرنسا وهذا ما يفسر تقديم القرض المالي للمبعوث الفرنسي؛ وتقديم جزء من المال العام من الخزينة الإيالة، لتموين اليهود حتى يقبلوا بتصدير الحبوب لفرنسا، في وقت كانت الحبوب مادة استراتيجية يتهافت عليها كل الدول المحاربة، كان باستطاعة القائمين على السلطة في الإيالة استغلال ذلك التناحر الأوروبي، لفائدة العامة والحصول على مبالغ طائلة، ترجع بالفائدة على الخزينة وعلى المجتمع كافة.

إن الأزمة التي مرت بها التجارة الفرنسية، منذ سنة 1792م بحل الشركة الملكية الإفريقية، وفتح باب المنافسة التجارية من قبل الحكومة الفرنسية، والإيالة الجزائرية،

¹ ناصر الدين سعيدوني، المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 77.

² Rozet et Carette, *L'Algérie Histoire et description de tous les peuples, de leurs religions, moeurs, coutumes, ect*, Paris, firmin didot frères, 1850, p 503

³ جمال قنان، معاهدات الجزائر ...، المرجع السابق، ص 190.

والحصار البحري الفروض عليها، كل هاته الصّعوبات تفاعلت لتصبح الحبل الذي خنقت به تجارتها البحرية، رغم التسهيلات التي منحها لهم الداوي الجزائري، عن طريق إعطائهم تراخيص تصدير الحبوب، ومدّهم بالنقود، ورغم ذلك فالوصول إلى مرسيليا غير مأمون، هنا ظهرت على مسرح الأحداث الشركة اليهودية لتكون الفاعل رقم واحد في قضية الديون¹.

إن ظهور الشركة اليهودية، كانت بمثابة المصباح الذي أنار العتمة لفرنسا، وذلك أنها قامت بتصدير الحبوب الجزائرية إلى فرنسا، بواسطة العلم الجزائري، الذي مثل حماية كافية لسفن الشحن المتجهة إلى مرسيليا، على اعتبار أنه علم دولة محاية في الصراع الأوروبي-الأوروبي. كما قامت هاته الشركة بتقديم تسهيلات للحكومة الفرنسية، والمتمثلة في الدفع المؤجل، الذي كان ميزة كبيرة حصلت عليها فرنسا، في ظل الضائقة المالية التي تمرّ بها، ليس هذا فحسب كانت أسعار الحبوب التي تعرضها هاته الشركة في مرسيليا، مغرية جداً، مقارنة مع الأسعار التي تصلها من مناطق أخرى².

وعلى إثر هذه العلاقات التجارية الجيدة، سافر يعقوب بكري إلى فرنسا³، ليفتح فرعاً للشركة في مرسيليا، وآخر في باريس ربيع سنة 1795م⁴، ومنذ ذلك الحين بدأت الشركة اليهودية في الصعود والازدهار، إلى غاية سنة 1798م، أين قطعت تلك العلاقات التجارية، بسبب تزويد الشركة اليهودية للحامية الإنجليزية المرابطة في مضيق جبل طارق بالحبوب.

3-1-2 تجميد الديون

عمدت الحكومة الفرنسيّة، تجميد الديون المترتبة عليها لليهوديين بعد سماعها بأن الشركة اليهودية تقوم بتمويل الحامية الإنجليزية المرابطة في جبل طارق بالحبوب⁵. وكانت فكرة تجميد الديون مطلباً لبعض القناصل الفرنسيين في الجزائر، كهيركولي (Hercule)، و

¹ محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 94.

² جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 275؛ Rozet et Carette, Op-Cit, p 503.

³ M D trahani, A lgere Tel Ou'il Est , tableau statistique moral et politiques de cette regence, ex-agent diplomatique résidant, a Alger, chez L. fayolle libraire, Paris, 1830, p 32.

⁴ أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، المرجع السابق، ص 16

⁵ محمد دادة، المرجع السابق، ص 175؛ كمال بن صحراري، المرجع السابق، ص 127.

جانبيون سانت أندري (Gagnon Saint André)، اللذان ما فتأ أن يقترحاً على الحكومة تجميد ديون الشركة، ضماناً لولائهما وولاء الحكام في الجزائر، فسانت اندري كان يقول أنهما الحاكمان الفعليان في الجزائر¹.

وقد كتب دولاكروا (Delacroix) وزير الخارجية الفرنسي، إلى وزير المالية رسالة مؤرخة في 26 أبريل 1797م ينصحه فيها باتخاذ قرار تجميد ديون اليهوديين، وعلى إثر ذلك الإجراء أرسل الداوي رسالة في 18 ماي 1797م، فند فيها كل الاتهامات الموجه لليهود، وأكد على اخلاصهما لمصالح الأمة الفرنسية. وعند خروج دولاكروا من وزارة الخارجية الفرنسية، ومجيء تاليران (Talleyrand) في جويلية 1797م، تنفست الشركة اليهودية الصعداء، فسرعان ما ربط يعقوب بكري علاقة معه، ليتحول وزير الخارجية الفرنسي الجديد إلى حليف قوي، ومحامي بليغ الحجة لليهود²، ذلك أن تاليران كان يعرف النفوذ القوي لليهود على الإيالة الجزائرية، وأن كل مفاتيح العلاقات الجزائرية الفرنسية بيدهما، وبهذا يضمن عدم تحول اليهود وبالتالي الداي تجاه إنجلترا؛ وكل غايته من هذا هو ضمان استمرار تمويل فرنسا بالحبوب³.

إن قضية الديون ستبقى بين مدّ وشدّ، فعند إقرار الهدنة سنة 1801م، بين البلدين بعد قطع العلاقات إثر احتلال مصر 1798م، أبدت السلطات الفرنسية نيتها لتصفية الدين، ففي المعاهدة المبرمة بين البلدين 1802م، والتي وقع عليها الداوي مصطفى باشا، والسيد ديبوا تانفيل (Dubois Tanville) 1802م، وبالذات في البند رقم 13 جاء فيه: "... كما أن المواطن تانفيل يتعهد باسم حكومته أن يدفع جميع المبالغ التي يطالب بها الرعايا الجزائريون بصفة شرعية"⁴. لكن قضية الديون بقيت تتعفن بسبب تسييسها من قبل الحكومة الفرنسية، وحتى عندما أريد تسويته كانت تسوية متعثرة، نظراً لتماطل السلطات الفرنسية تجاه لتلك العملية،

¹ جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 283.

² أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، المرجع السابق، ص 16

³ محمد دادة، المرجع السابق، ص 175.

⁴ محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 303.

وبسبب عودة العلاقات العادية بإبرام السلم، مما جعل الداي يطلب من القنصل تانفيل بمراسلة حكومته مرة أخرى وكان هذا في 26 فيفري 1803م¹.

تعتبر الفترة الممتدة من 1803 إلى غاية 1813م فترة التغاضي عن مسألة الديون²، نظراً لاعتبارات كثرة كندرة الحبوب في الجزائر، قتل بوشناق، ثم الداي مصطفى، اشتغال فرنسا بحروبها داخل أوروبا، خاصة بعد هزيمتها في معركة الطرف الأغر 1805م³، إلا أنها اعتيدت من جديد في عهد الداي علي بورصالي⁴ (1817-1818م)، وبمجرد تأكد فرنسا من أن سلطات الإيالة مصممة على تصفية الديون، تم تشكيل لجنة لوضع الحسابات، والتي انتهت إلى أن الديون برأسمالها وفوائدها حوالي 24 مليون فرنك، وفي 28 أكتوبر 1819م⁵، تم توقيع اتفاق في باريس، تم على إثره تخفيض المبلغ إلى سبعة 7 ملايين فرنك⁶ وهذا ما أكدته الوثيقة التي بين أيدينا "... المصالحة وقعت على دفع السبعة ملايين وجملتها ووصولها ليرة وبهذا انعقد الشرط وصدر القبول بواسطة قنصلو دولة فرانسة ..."⁷، تدفع على أقساط شهرية مدة عام، وتبدأ عملية الدفع ابتداء من شهر مارس 1820م؛ لكن اتفاقية باريس في المادة الرابعة أعطت حق الاعتراض لجميع الفرنسيين الذين لهم ديون في ذمة اليهوديين، مع تكفل الحكومة الفرنسية بحجز المبلغ إلى أن تُصدر المحاكم رأيها في الموضوع، وهكذا

¹ جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 291.

² هناك محاولة من قبل الداي مصطفى باشا في قضية الديون سنة 1803م، عندما كتب إلى تيلران يطلب منه ان تدفع فرنسا الدين المترتب على رعاياها.

³ وهي معركة بحرية حدثت بين الأسطول الإنجليزي ضد الأسطولين المتحالفين الأسطول الفرنسي والأسطول الإسباني في 21 أكتوبر 1805 قرب الطرف الأغر في قادس الإسبانية، انتهت بهزيمة الأسطولين المتحالفين، مما جعل الأسطول الانجليزي يسيطر سيطرة شبه تامة على التجارة البحرية في البحر المتوسط.

⁴ هو الداي علي بورصالي تول الحكم 1817م، ألح في طلب الديون المترتبة على السلطات الفرنسية للتاجريين اليهوديين، توفي بمرض الداعون سنة 1818م.

⁵ أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، المرجع السابق، ص 18.

⁶ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم 1، رسالة رقم 382؛ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 140

⁷ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم 1، رسالة رقم 382 المصدر نفسه، ينظر: الملحق رقم (19)

أصبح المبلغ مليونين وخمسمئة ألف فرنك¹، وهذا المبلغ هو الذي سيبقى محل خلاف إلى أن تكون حادثة المروحة².

3-2 حادثة المروحة واحتلال الجزائر

ارتبطت حادثة المروحة ارتباطا وثيقة بقضية الديون، والتي اتخذت ذريعة لإعلان الحرب على الجزائر بداية بالحصار 1827 ثم الانزال سنة 1830م³، ذلك أن الداي حسين عندما تولى الحكم، كان من بين الأمور التي ورثها، هي مسألة الدين الذي كان على فرنسا لرعاياه اليهود، وبما أن فكرة التسوية التي تم ذكرها سابقا والمتفق عليها بين الإيالة والحكومة الفرنسية، بقيت تتعثر بسبب الادعاءات المتكررة، التي ترفع من قبل بعض من يزعم بأنه له ديون على بكري وبوشناق، فأحد الأدعياء كان من الرعايا الجزائريين، حيث رفع دعوى أمام محكمة ايكس آن بروفانس (Aix en Provence)، وكانوا يجدون كل التسهيلات لدى المحاكم الفرنسية، مما جعل الداي يندد بهذه التصرفات الغير مسؤولة اتجاه هاته المسألة المهمة⁴.

ولهذا أراد الداي أن يتم تحويل القضية إلى المحاكم الجزائرية بقوله: "لأي سبب تعتبر الدوننما الطرف الجزائري وشأن تدوير الحيلة لغالب صدور العداوة وارتكاب إرسال هذه الدوننما ابتدؤها ظلم [كذا] ونهايتها من غير فائدة بشيء [كذا] باب الديوان من تعيين هذه الدوننما خارج عن قوانين جميع الشرايع"⁵، فهي المخولة، وصاحبة الصلاحية للبت في هاته

¹ أما أبو القاسم سعد الله فيقول أن المبلغ الذي أقرته اللجنة بـ 42 مليون فرنك، قد انخفض حتى وصل إلى 7 ملايين فرنك بسبب مطالبة من عليه ديون لشركة اليهودية، كما ذكر أحد المؤرخين الفرنسيين أن المذكرة التي أصدرت في 28 أكتوبر 1819 م قد نصت على أن فرنسا لن تسدد الدين إلا بعد إعلان الباشا التخلي عن مطالبتة بتسديد الدين له شخصيا بدل بكري، وعندما ارسل الداي حسين إلى فرنسا رسالة يطلب فيها أن تدفع له شخصيا الدين بدل يعقوب بكري، ووعده بأنه سيولى هو بنفسه تسديد الديون التي على بكري للدائنين بدل المحاكم الفرنسية، فلم ترد عليه الحكومة الفرنسية بهذا الشأن بدعوى أن طلب الباشا لم يفهم ما دام سلفه قد وافق على أن تدفع فرنسا الدين مباشرة إلى بكري ومبلغ 7 ملايين هو الذي يتكون بسببه حادثة الموحدة، ينظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، المرجع السابق، ص، ص 18، 23.

²² محمد العربي الزبيري، التجارة...، المرجع السابق، ص 281.

³ ناصر الدين سعيدوني، المهدي بوعبدلي، المرجع السابق، ص 77.

⁴ جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 313.

⁵ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم 1، رسالة رقم 382، المصدر السابق.

الأمر، وقد راسل المسؤولين الفرنسيين بهذا، لكنه لم يجد أي استجابة¹. وظلت مسألة الديون عالة استغلت من طرف شخصيات فرنسية، وأخرى يهودية لإفساد العلاقة بين إيالة الجزائر وفرنسا²، فقد استغل القنصل دوفال الاتفاق الذي وقع بينه وبين بكري على الإسراع بتصفية الدين في فرنسا، مقابل مبلغ من المال³، وعلى هذا الأساس عمل القنصل لصالحه، حيث راح يعدّ الداوي أنه سيحضر له المبلغ المترتب على بكري لفائدة الخزينة لكن دون جدوى، ولهذا راح الداوي يرسل الحكومة الفرنسية بطرق مختلفة.

رغم الرسائل المتكررة التي كانت ترسل من سلطات الإيالة، إلى وزارة الخارجية للحكومة الفرنسية حول الدين، إلا أنها لم تجد أي رد "...فأراد الوالي المذكور من طرفنا الجواب فلم يتبن له أثر ومن بعد بعثت مكتوبا للقران تحرير وإرسال فكالأول لم يتبن له جواب..."⁴، ويبدو أن فرنسا قد اعتمدت طريقة جديدة بشأن الديون، ففي السابق راحت تجملها، وهذه المرة اتبعت سياسة اللامبالاة وعدم الدر على رسائل الدي⁵، والذي بدوره كان يصير على القنصل دوفال (Duval) بشرح موقف دولته⁶؛ ومما زاد في غضب الداوي حسين أنه علم بتسليح الباسطيون، رغم التعهد من قبل القنصل دوفال بعدم القيام بتسليح المراكز التجارية الفرنسية، مما زاد في غضب الداوي⁷.

¹ تحفة الزائر، المصدر السابق، ص 82.

² لقد كان لليهود دور كبير في افساد العلاقات بين البلدين ، ذلك أن ورثة بكري وبوشناق قد استلموا المبلغ المتفق عليه من قبل لجنة التسوية والذي يقدر بـ 7 ملايين فرنك، لكن نظرا لطبيعة الفرد اليهودي المعروفة بالنهم للمال سعيهم من اجل تحصيل مصالحهم فقط، لم يصرحوا باخذهم للدين حتى لا يسددوا ما عليهم للخزينة الجزائرية، ينظر كمال بن صحرابي، المرجع السابق، 129.

³ حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 141.

⁴ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم 1، رسالة رقم 382، المصدر السابق.

⁵ في هاته النقطة يذكر حمدان بن عثمان خوجة أن الرسائل التي كانت ترسل من طرف الدي حسين إلى الحكومة الفرنسية لم تكن تصلها أبدا ينظر: حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 142.

⁶ جمال قنان، العلاقات...، المرجع السابق، ص 316.

⁷ أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص 34.

وهكذا وبمناسبة عيد الفطر لسنة 1827م، حضر كالعادة القناصل الأجانب، لتهنئة الدي، وكان من بينهم القنصل دوفال، وقد سأل الداى القنصل عن سبب تهميش الحكومة الفرنسية لرسائله وعدم الرد عليها، حيث سأل القنصل قائلاً: "لماذا لم يرد وزيركم للخارجية على الرسالة التي بعثتها إليه"، كما اتهم الداى دوفال بأنه هو السبب في هذا¹، ليكون رد القنصل كالتالي: "إن حكومتي لا تتنازل للإجابة رجل مثلكم"²، وهذا ما أكدته الرسالة رقم 382 "... وعلى العادة المستمرة ببعض الأعياد اجتمع القنصلو بالباشا وحين الملاقات قد كان الباشا استغنم غنيمة من جنس البابا فكلم القنصلو الباشا في شأنها فجأوبه الباشا أنت مبعوث في شأن [كذا] فقط لا دخل لك في مادة ساير الأجناس ولا تكسر لي راسي في شأن لا مدخل لك فيه وأشغالي المربوطة معكم لأي حال لم يُجلوبوني عليها حكامكم وقد بعثت مكاتبي [كذا] فلم يظهر جواب واحد منهم هذا والباشا جالس [كذا] بمحضر الجميع فينطق القنصلو بسوء الأدب ويجأوبه كيف سيدي يجأوب أحد ذمي مثلك ويحرر له مكتوب هذا سبب ضرب القنصلو..."³.

هذا الردّ استفزّ الداى حسين فنهض من مكانه غاضاً، وأمر القنصل بالخروج، وعندما لم يستجب القنصل لطلب الداى، ضربه الداى بمروحة كانت بيده⁴؛ وعلى إثر ذلك كان رد فعل فرنسا، هو إرسال قطع من أسطولها، أرست أمام الجزائر بقيادة القبطان كولي (Collet)، وصلت يوم 12 جوان 1827م، واقترح على الداى عدة ترصيات والتي أهمها تخليّ الداى عما له من ديون لكن دون جدوى؛ وهذا ما اتضح في المذكرة المقدّمة في آخر أوت 1827م، من قبل مترجم سفير فرنسا في استانبول الكونت قيبو مينو Comet

¹ محمد زروال، المرجع السابق، ص 84.

² حمدان بن عثمان خوجة، المصدر السابق، ص 142.

³ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم 1، رسالة رقم 382، المصدر السابق.

⁴ بالنسبة لقضية قضية الضرب بالمروحة فقط ادعى دوفال في تقريره إلى حكومته بأنه ضرب ثلاث مرات، أما الداى فقد أقر بالضرب لأنه تعرض للإهانة، وتذهب روايات أخرى إلى أن الضرب لم يقع أصلاً ولكن وقع التهديد بالضرب، ينظر أبو القاسم سعد الله، محاضرات...، المرجع السابق، ص 24؛ محمد زروال، المرجع نفسه، ص 85.

Guillemiont، والتي ذكر فيها قائلاً: "...وحيث أن الداي قد زاد من تعدياته السابقة، بتحقيقه قنصل فرنسا في الجزائر، فأُن جناب امبراطور فرنسا، اضطر لطلب ترضية علنية مهددا بإعلان الحرب في حالة رفض طلبه، إلا أن طلبه قد رفض وعليه فالحرب محققة"¹ ودام الحصار مدة ثلاث سنوات 1827-1829م، دون جدوى؛ بسبب استغناء الجزائر عن البحر، وفي سنة 1830 أرسلت فرنسا جيشاً كبيراً ليتم الاستلاء عليها.

خلاصة الفصل:

يعتبر انعكاس تراجع مداخل البحرية الجزائرية، بداية من النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي 17م، انعكاساً غير مباشراً، ذلك لأنّ القائمين على سلطة الإيالة، ومن أجل تدارك التراجع اعتمدوا على سياسة مالية مختلفة الجوانب، آنية ومستقبلية؛ ذلك لأن تراجع المداخل لم يكن تراجع آني ومستمر، بل كان تراجع بطيء بداية، لكنه استمر بوتيرة متذبذبة، ممّا انعكس على ملامح تلك السياسة؛ وكان الشيء الملحوظ حول انعكاساتها، خاصة الداخلية قد تشابكت وتداخلت عواملها، فأدت إلى نفس النتائج، وهي تعرض البلاد إلى شهوات الإمبريالية الأوروبية.

إنّ تحويل الاتجاه من الأفق البحرية إلى البرية، نتج عنه بداية الصراع الكبير بين إيالة الجزائر وجارتها تونس، وكيف تمّ استغلال وضعها السياسي، من أجل الحصول على ضرائب من المتصارعين على الحكم 1694-1705م، ثم استمر من 1756-1807م؛ وما سينجر عن من اضعاف كاهل الإيالتين وتحولهما إلى لقمة سهلة لدى المترصّين. خاصة مع اتخاذ سياسة فرض مداخل ضريبية في خارج بالقوة، والتي ستقبلها الدول المتاجرة في البحر الأبيض المتوسط وحتى المحيط الأطلسي، على مضض حتى تتحين لها فرصة التخلّص منها، فعند انتهاء الحروب الأوروبية-الأوروبية، اتخذت تلك السياسة كذريعة

¹ أرشيف وزارة الخارجية بإسطنبول (H. A)، جزائرك فرنسا طرفندن إشغالي مسائل سياسية (احتلال الجزائر من طرف فرنسا، مسائل سياسية)، ملف رقم 708، منكرة الكونت قبيومينو للباب العالي بتاريخ 2 أوت 1827م، أرجمنت كوران، المرجع السابق، ص 39؛ عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص 339.

ودرست داخل وفاق أوروبي، وسيكون لفرنسا السبق لتطبيق السياسة الاستعمارية في شمال إفريقيا.

كما كان لسياسة التشديد الداخلية في جمع الضرائب، التي فرضت على الرعية، وكيف استحدثت ضرائب جديدة ووسائل استخلاصها، كقبائل المخزن، والمحلات...، وكيف انتهجة سياسة نزع الامتيازات، التي تمتع بها شيوخ الزوايا ورجال الدين، وكيف تم التضييق عليهم بسبب السياسات الضريبية، لتؤدي في الأخير إلى اتحاد الأهالي مع شيوخ الطرق الصوفية، للقيام بثورات تضعف كاهل الإيالة، خاصة بعد فقدان الرابط الديني الذي كان يربط بين الحاكم والمحكم، بخروج الإسبان من وهران 1792م.

كما استغلت مناخ السلام النسبي الذي بدأ منذ 1725 - 1798، والذي وفرته تلك المعاهدات والاتفاقيات، المبرمة بين الإيالة والدول المتاجرة في البحر الأبيض المتوسط، وعملت على تنشيط التجارة خاصة في جهة الشرق الجزائري، والتي سيطر عليها الأجانب خاصة الفرنسيين، من خلال الامتيازات التجارية الممنوحة لهم؛ ثم التجار اليهود الذين احتكروا التجارة الخارجية وسيطروا عليها. فكانت التجارة مزدهرة جداً، خاصة خلال العقد الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي 18م، لكن من المفارقات أن هذا الازدهار، هو الذي سيكون السبب المباشر بعد تفاعله مع عوامل داخلية وخارجية، ليؤدي في الأخير إلى احتلال الجزائر.

الخاتمة

بعد معالجة إشكالية هاته الدراسة المتمحورة حول تراجع مداخل البحرية الجزائرية في عهد الدّايّات وانعكاساتها على المستوى الداخلي والخارجي فقد توصّلت إلى النتائج الآتية:

عرفت إيالة الجزائر ازدهاراً كبيراً في ظلّ تنامي أعمال بحريّتها، حتّى أصبحت مدينة الجزائر لها قوّة جذب كبير، تسحر بها الأوروبيّين الرّاغبين في الثراء، ولكن فيما بعد نجد أغلبهم تنازلوا عن دينهم مقابل البقاء في الإيالة والاندماج فيها، رغم الأخطار التي كانت تعترضهم من قبل الدّول الأوروبيّة، التي شنت حرب شعواء على العلوج بصفّتهم مرتدين على المسيحيّة، إلّا أنّ كل هذا لم يثني العلوج على الاستمرار في العيش داخل إيالة الجزائر والاستمات في الدّفاع عنها.

إنّ القرصنة كانت ظاهرة العصر الحديث، ولم تكن مقتصرة على إيالات المغرب العربي، بل كانت كل الدول تمارسها علانيّة، أو تحت ستار فرسان مالطا، كما كانت تعمل فرنسا، واعتبرت القرصنة عمل عاد يمارسه كل الأطراف المتصارعة في البحر، عندما كانت موازين القوى تميل للدّولة العثمانيّة وإيالاتها، إلّا أنّه بمجرد ما مالت موازين القوى للدول الأوروبيّة نتيجة التطوّر التقني والتكنولوجي، بدأت الأصوات تتعالى ضدّ القرصنة المغاربية.

مرّت أعمال البحرية الجزائرية بمراحل مختلفة خلال الحكم العثماني في الجزائر، حيث كانت في البداية سببا للوجود، ثمّ بعد انتهاء الحروب الكبرى بين الدّولة العثمانيّة، وإسبانيا، أصبحت أعمال البحرية مصدرا للثراء، والازدهار ومن بين المصادر المهمّة للخرينة، لكن بعد التطوّرات التقنية والتكنولوجية التي شهدتها بحريات الدّول الأوروبيّة، مع تنامي التجارة العالمية وسعى أغلب الدول الأوروبيّة للتجارة داخل البحر الأبيض المتوسط، هذه المتغيرات فرضت حتميّة تغيير مهام البحرية الجزائرية إلى وسيلة ضغط دبلوماسية، تسعى من خلالها الحكومة، لفرض سيطرتها على الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، لإخضاع الدول الساعية لحماية تجارتها، إلى عقد معاهدات سلم وتجارة تفرض من خلالها، إتّوات، عند عقد

المعاهدة أو تجديدها، وفرض هدايا قنصلية، وهدايا السنتين، وهدايا مختلفة كهدايا الختان وهدايا رأس السنة ..الخ.

إنّ التفوق البحري الذي حقّقه البحرية الجزائرية في الفترة (1587-1671م)، كان بسبب الاقتباسات المتعددة الأشكال والأنواع من التفوق الأوروبي نتيجة التأثيرات التي جلبها العلوج والأسرى في تلك الفترة، لكن غياب هذا الناقل للتأثيرات الأوروبية نتيجة عدّة متغيّرات خاصّة الخارجية، ستجعل نسبة الاقتباس تتخفض وتصبح في أدنى مستوياتها، ممّا سينعكس على البحرية سواءً في وحداتها، أو مداخلها والتي ستشهد هي الأخرى تراجعاً مستمراً، ليفرض اللّجوء إلى موارد مائيّة أخرى تسدّ بها الإيالة الجزائرية رواتب الجند، واحتياجاتها اليومية، وحتىّ متطلبات السّلطة.

وممّا تمّ التّوصّل إليه أيضاً أنّ تراجع مداخل البحرية الجزائرية، لم يكن مستمراً، وبوتيرة منتظمة، بل كان في مرحلة مدّ وجزر، فرغم الهجمات العسكريّة التي تعرّضت لها الإيالة، في عهد الداوي محمّد بن عثمان، إلّا أنّ سياسته الرّامية إلى تجديد وحدات البحرية والمحافظة عليها، جعل مداخل البحرية تستمر؛ لتكون الثّورة الفرنسيّة تلك الطّرفية التّاريخيّة، وما نتج عنها من صراعات للقوى الرّجعيّة، ضد ما جاءت به الثّورة من أفكار وتحويل الحكم من ملكي إلى جمهوري، ومع تزامن هاته الأوضاع، بظهور رياّس بحر أقوياء كالرّئيس حميدو، ستعرف مداخل البحرية انتعاشاً نسبياً، ينتهي بإنهاء هاته الطّرفيّة.

إنّ سياسة الإقصاء المُنهجّة التي اتّخذت من قبل القوى الأوروبيّة؛ في ظلّ السّعي للاستحواذ بالتجارة العالميّة، خاصّة بعد عودة البحر الأبيض المتوسّط، وبقوة إلى مسرح المنافسة التّجاريّة، بعد تراجع قوّة الدولة العثمانية، وظهور قوى تجارية راغبة في حماية تجارتها البحريّة، كل هذا جعل الإيالات المغاربيّة، وعلى رأسهم إيالة الجزائر، تسعى لأخذ نصيبها من هاته التّجارة، بشتّى الطّرق، وبما تسمح لها قوتها البحرية، فعندما كانت قوتها البحريّة قادرة على مجابهة الأساطيل الأوروبيّة، كانت حجم غنائمها كبيرة (وصل إلى 25

ألف أسير، وأكثر من 900 سفينة)، وعلى إثر هذا ازدهرت الإيالة في جميع الميادين حتى سُميت الإيالة الجزائرية وقتها بإسطمبول الصغرى. وغيرت سياستها البحرية عندما أصبحت غير قادرة على مواجهة الأساطيل العسكرية والتجارية المسلحة، وحولت أعمال بحريتها إلى وسيلة ضغط تفرض بها الإيالة منطقها وسياستها البحرية على القوى الأوروبية فتراجعت غنائمها فوصل عدد الأسرى وقت حملة اللورد اكسموث 1600 أسير.

اعتبرت سياسة تضيق الخناق على تجارة دول شمال إفريقيا، مشروع احتكار عالمي للتجارة من قبل الدول الأوروبية، هادفة إلى نحر إي نشاط تجاري لغيرها، ولم تسمح إلا بتجارة ما يخدم مصالحها، كاستيراد المواد التي تلبي احتياجات صناعاتها كالجلود وغيرها، أو احتياجاتها المعاشية كالقمح والشعير، وكانت بدورها تصدر لتلك الدول منتجاتها الصناعية، لتضرب بها الصناعة التقليدية، والتي سيكون لها أثر على استقرار الجانب الاقتصادي والاجتماعي لدول شمال إفريقيا.

إنّ تغيّر الوضع السياسي للإيالة نهاية القرن السابع عشر الميلادي (17م)، والسياسة الخارجية المتبعة من قبل الدايات، أثرت بشكل حتمي على أعمال البحرية، خاصة خلال الربع الأول من القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، فساد مناخ سلام نسبي، تزامن مع عقد الإيالة للمعاهدات والاتفاقيات تجارية مع القوى الأوروبية. فانتعشت على إثرها التجارة الخارجية للإيالة، التي استفاد منها فقط الطبقة الحاكمة والمتعاملين والوسطاء الأوروبيين واليهود. ومن المفارقات أنّ هذا الازدهار سيكون خاصة عند تفاعله مع عوامل داخلية وأخرى خارجية؛ والذي سيؤدي إلى إضعاف الإيالة، ممّا أثار شهوة الامبريالية الأوروبية السّاعية إلى تطبيق سياستها الاستعمارية في شمال إفريقيا.

رغم التّصوّر العام للسياسة الخارجية للإيالة، إلّا أنّها لم تتخلّص من شخصنتها، فكلّ حاكم يقوم بقطع العلاقات مع من ييغضهم، ويمتنعها مع من يحبّ، فجاءت السياسة الخارجية مشخصة ليس لها فكرة ثابتة يدافع عليها الحكّام، في ظلّ التّنافس التجاري الشّرس، وسياسة

الإغراء المتَّبعة من قبل القوى الأوروبية، للاستحواذ على امتيازات تجارية، التي تمكّنت من خلالها اختراق الإيالة، عن طريق سياسة الجوسسة الممنهجة التي يمارسها التجار والوكلاء والقناصل، بالاطّلاع مكّان الضعف والقوة للإيالة.

يعتبر عهد الدّاي محمد بن عثمان، ومعاصريه من باي الشّرق صالح باي، وباي الغرب محمد الكبير، من أكثر الفترات استقراراً، رغم الهجمات الأوروبية المتكررة التي تعرضت لها الإيالة، فقوة وشكيمة هؤلاء جعلت علاقة الحاكم بالمحكوم علاقة وثيقة، لكن بعد وفاته، تغيرت السياسة العامة للإيالة، خاصّة مع تخوّف الداي الجديد من قوة الطرد المركزي، التي مثّلتها بايلك قسنطينة وبايلك وهران، فعزل باياتها، وقام بتقريب اليهود، ومركز التجارة مع احتكارها، وأصبح البايات حينها يسعون لإرضاء الدايات ووزرائهم، من خلال ضريبة الدنوش، والزيادة في حجم الهدايا خوفاً من العزل، وفي ظل هاته المتغيرات ضاعف البايات في عملية تحصيل الضرائب لتعويض خسائرهم، هاته السياسة نتج عنها ثورات عنيفة هزّت استقرار البلاد، وأثّرت على قوتها العسكرية ممّا سيجعلها لقمة سهلة لاقتراسها.

إنّ عدم وجود علاقة بين الحاكم والمحكوم سوى من خلال ما يتمّ تحصيله من ضرائب، فبمجرد انتهاء الدّافع الديني بعد تحرير وهران 1792م، مع عدم امتلاك مشروع كامل الاركان يدافع عليه كل من يأتي للحكم، جعل وضعية البلاد هشّة، خاصّة مع نقمة الرّعية على الحكّام المتسلّطين على أهل البلاد، الخاضعين، لإرادة اليهود، جعل الثّورات تجد طريقها بسهولة إليهم، غداها الاوروبيون الساعيين إلى ايجاد موضع قدم على السّاحل الجنوبي للبحر الابيض المتوسط.

تعتبر السّياسة الضريبية، من بين أهمّ العوامل التي أدّت إلى هشاشة الحكم في الإيالة، نظراً لما اتّسمت به من ظلم سلّطت على الرعية، خاصّة خلال الثلاثين سنة الأخيرة منه، فقد اتّسمت بعدم الرّصانة والرّغبة الجامحة في تحصيل الثّروة مهما كانت الظروف سواء من السّلطة المركزيّة، أو من قبل البايات الذين انتهجوا سياسة استرجاع أموالهم التي منحوها

للداي وأعوانه في العاصمة (الدنوش)، من لدن الرعية بالقوة وبتجريد المحلات، وتزامن هذا مع سياسة تفضيل الدايات والبايات للمتعاملين التجاريين اليهود، الممارسين لسياسة جمع الأموال مهما كانت الظروف، هذه الأوضاع كلها تراكم في نفوس الرعية وتفاعلت إلى أن انفجرت في بداية القرن التاسع عشر (19م)، معلنة الإنذار بالسقوط، وتقبل كل من لديه الرغبة في اقتلاع جذور هؤلاء الحكام المستبدين.

إن سياسة الاستفراد بالحكم التي إتبعها الحكام، جعلتهم يتخذون كل الأساليب وسياسات التهميش ضد الأهالي؛ ولو على مصلحة البلاد، وأقوى دليل هو اتخاذ وتفضيل اليهود، كمستشارين على الكراغلة وأبناء البلاد، وما سياسة اتخاذ وكلاء أوروبيين ويهود، في الجانب الاقتصادي، واحتكار وجعل التجارة الخارجية خاصة بهم فقط، إلا دليل على تخوف الحكام الأتراك، من نمو طبقة برجوازية من أهل البلاد، يمكنها فيما بعد من مزاحمتهم على سدة الحكم.

إن سياسة الوفاق الأوروبي، خلال الربع الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (19م)، والمتمثلة في مؤتمري فينا 1915م، واكس لاشايبيل 1818، أظهرت للعلن موقفها ضد من وصفتهم بالعناصر المتوحشة والمعركة للتجارة البحرية، والتي ظهرت في حلة المؤتمرات بعد صراعات وعداء قديم، لتبرز مرحلة جديدة من التفاهم وتقاسم المصالح، في ظل تكملة سياساتهم الاستعمارية التي بدأت في قارة آسيا، وأمريكا، خاصة بعد فقدان المستعمرات الأمريكية باستقلال أمريكا، والضعف الذي عرفته الدولة العثمانية، ليتم تقاسم ممتلكات الكعكة العثمانية، وما احتلال الجزائر باستغلال قضية الأسرى إلا تعبيراً واضحاً على تلك السياسة، التي ستعرفها الإيالات العثمانية في شمال إفريقيا.

مما تمّ دراسته نلاحظ أنّه منذ بداية القرن الثامن عشر الميلادي (18م)، أصبحت موارد البحرية ضئيلة جداً، مقارنة بمداخل المتحصّل عليها من الضرائب، وهذا حتّى وقت انتعاش أعمالها البحرية خلال ظرفيّة الثورة الفرنسيّة وما نتج عنها من صراع دولي، ممّا يبطل

ادّعاءات المدرسة الاستعماريّة، القائلة بأنّ الإيالة كانت قائمة على مداخل البحرية، ويعطي انطبعا راسخا بأن على مدى التاريخ أنّ أيّ دولة تعتمد في اقتصادها على مورد واحد غير متجدّد سيكون نتيجته واضحة؛ بمجرد بداية انخفاض هذا المورد ستتّجه الطبقة الحاكمة إلى سياسة التّشديد في الضّرائب.

أفاق وتوصيات الدّراسة:

إنّ دراسة مثل هاته المواضيع، المتعلّقة بالجانب الاقتصادي لا تزال حقلاً خصباً للبحث، في ظلّ ربطها بالجانب الاجتماعيّ والسياسي، فخلال دراستي وُضِعَتْ أمامي عدّة مواضيع لا تزال تحتاج إلى البحث والتّقيب. كموضوع أسرى البحر وأسرى الحروب والبرية، والأسرى الذين تمّ جلبهم عن طريق القوافل التجاريّة، هذه الفكرة جاءتني عند دراستي لدفتر التّشريفات حيث أن إحصاء عدد الأسرى عموماً لكل سنة كان يختلف عن عدد إحصاء الأسرى المجلوبين عن طريق البحر نفس السّنات. العلاقة بين تراجع مداخل البحرية وظهور قوّة الطّرد المركزيّ المتمثّلة في غناء البايليكات الغربية وبالأخصّ الشّرقية في ظلّ تراجع قوّة مدينة الجزائر... إلخ والتي تعتبر من الموضوعات الهامّة والجدير بالدّراسة.

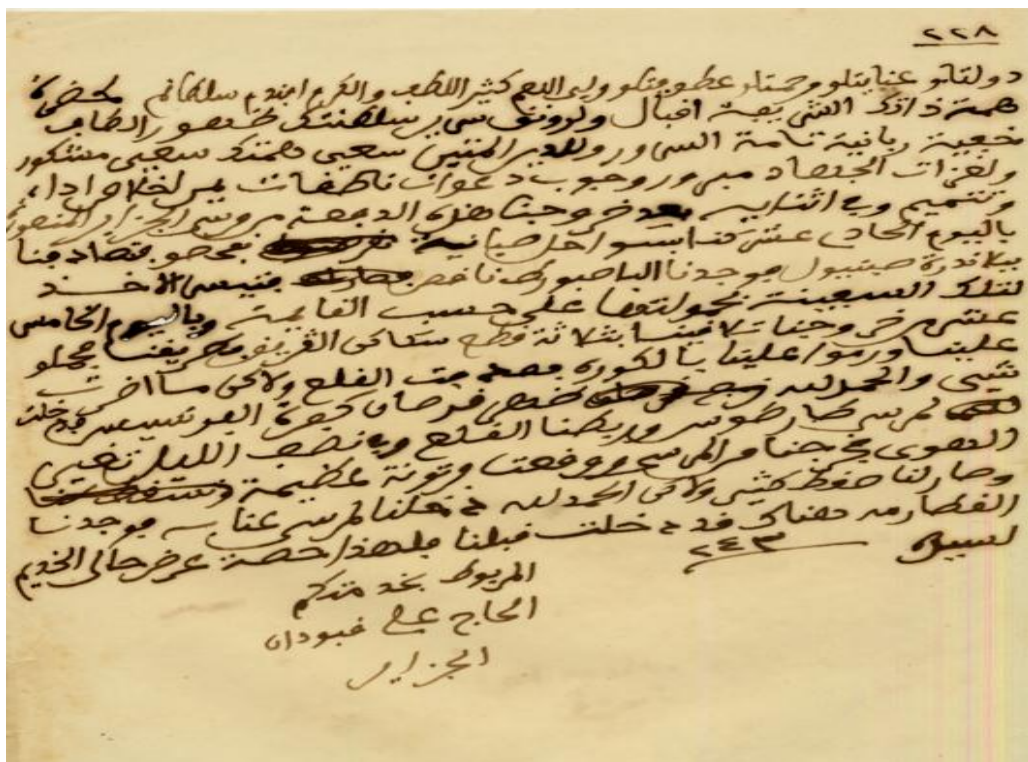
- إنّ حجم الوثائق المتوفّرة في المكتبة الوطنيّة الجزائريّة وبالخصوص في قسم المخطوطات خاصّة في المجموعات 3206 و 3205 و 3204 و 3190.. إلخ، تفتح آفاقاً كبيرة للباحثين خاصّة مع المعاملات الطّيبة والتّسهيلات المقدّمة للباحثين من قبل موظّفيها.

الملاحق

ملحق رقم (1): رخصة المرور منحها القنصل الفرنسي للقطان عثمان قائد البحرية الجزائرية في 8 أبريل 1826م¹



الملحق رقم (2) وثيقة توضح أخذ رياس الجزائر لسفينة إسبانية بكل حمولتها نظرا لعدم حملها جواز سفر²



¹ م. و. ج. قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 1903، ملف رقم (1)، وثيقة رقم 66

² م. و. ج. قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة 3190، الملف رقم (1)، وثيقة رقم 228.

الملحق رقم (3): - جواز سفر دانماركي صادر عن القنصلية الدانماركية بالجزائر وجود في سفينة جزائرية غرقت في البحر قرب الجزيرة الخضراء 16 أبريل 1780¹



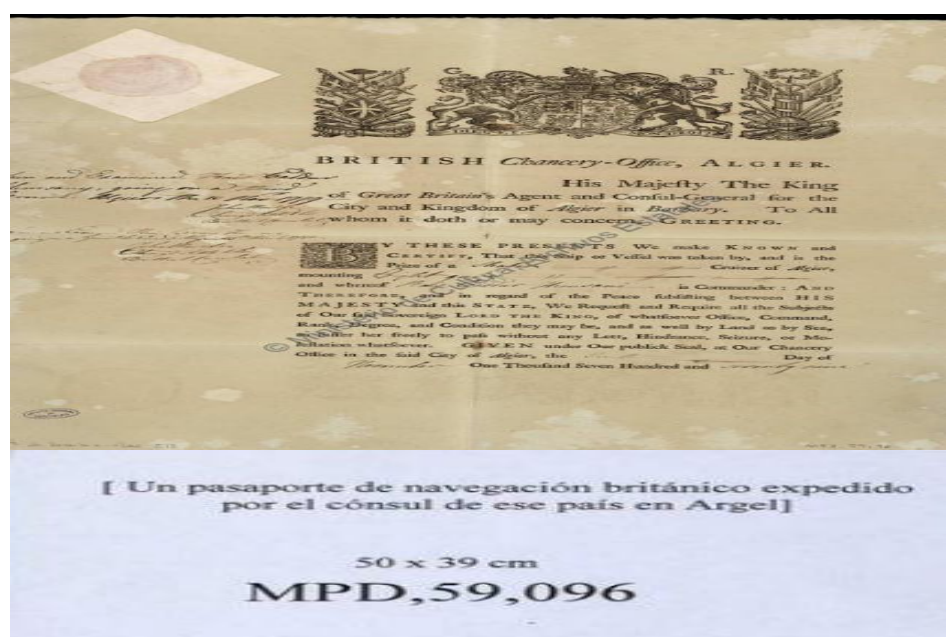
- تابع للملحق رقم (3): جواز سفر سويدي صادر عن القنصلية السويدية بالجزائر وجود في سفينة جزائرية غرقت في البحر قرب الجزيرة الخضراء 16 أبريل 1780²



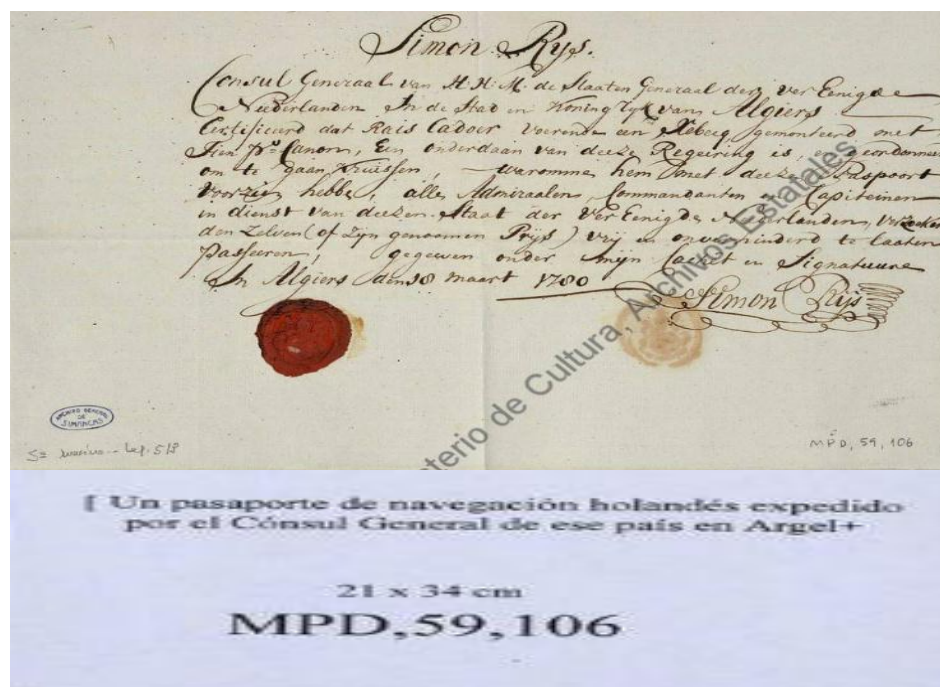
¹ <https://www.europeana.eu>

² <https://www.europeana.eu>

- تابع للملحق رقم (3): جواز سفر بريطاني صادر عن القنصلية البريطانية في الجزائر عثر عليه في 16 أبريل 1780¹



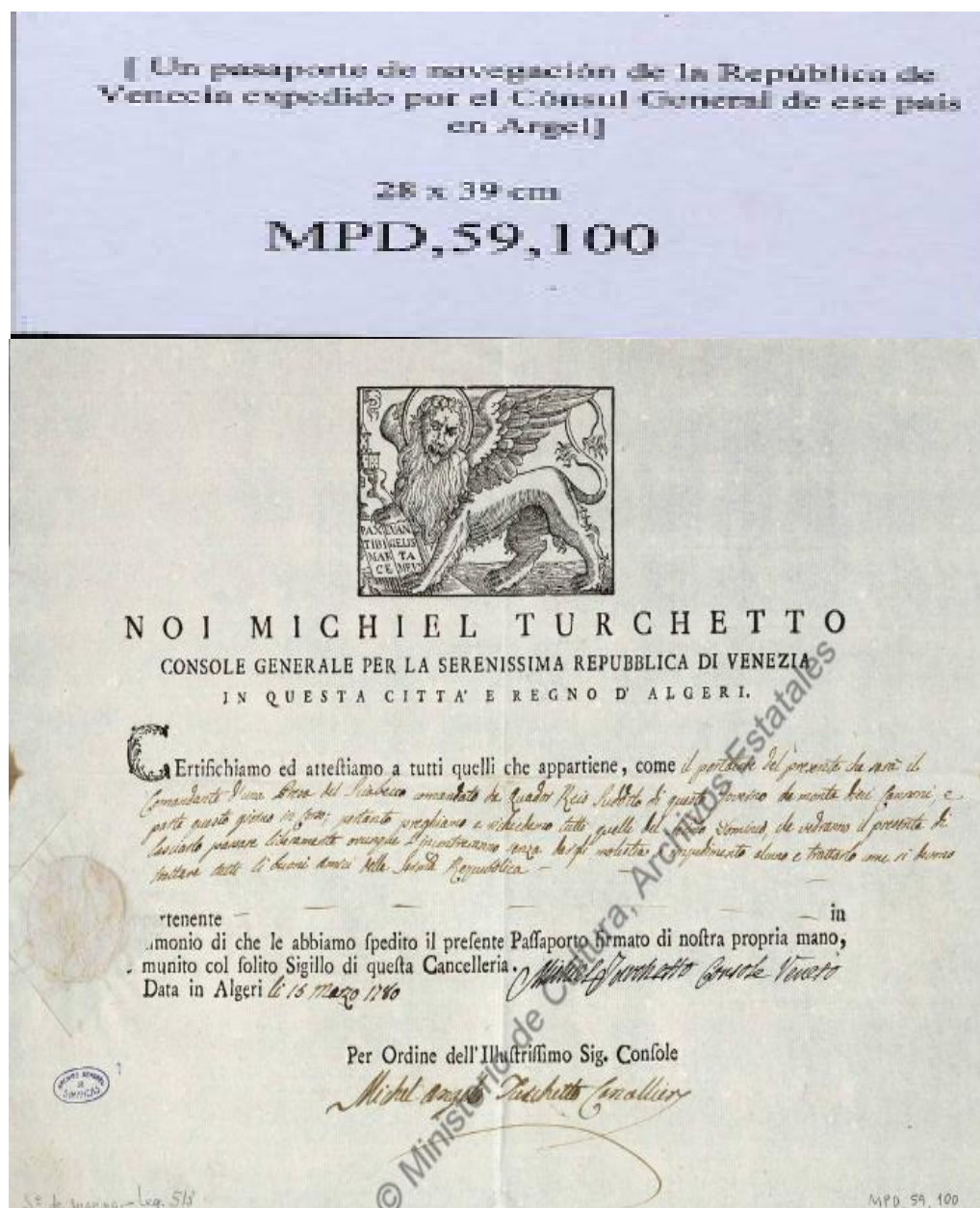
- تابع للملحق رقم (3): جواز سفر هولندي صادر عن قنصلية هولندا في الجزائر وجد في السفينة الجزائرية التي غرقت في 16 أبريل 1780 في الجزيرة الخضراء²



¹ <https://www.europeana.eu>

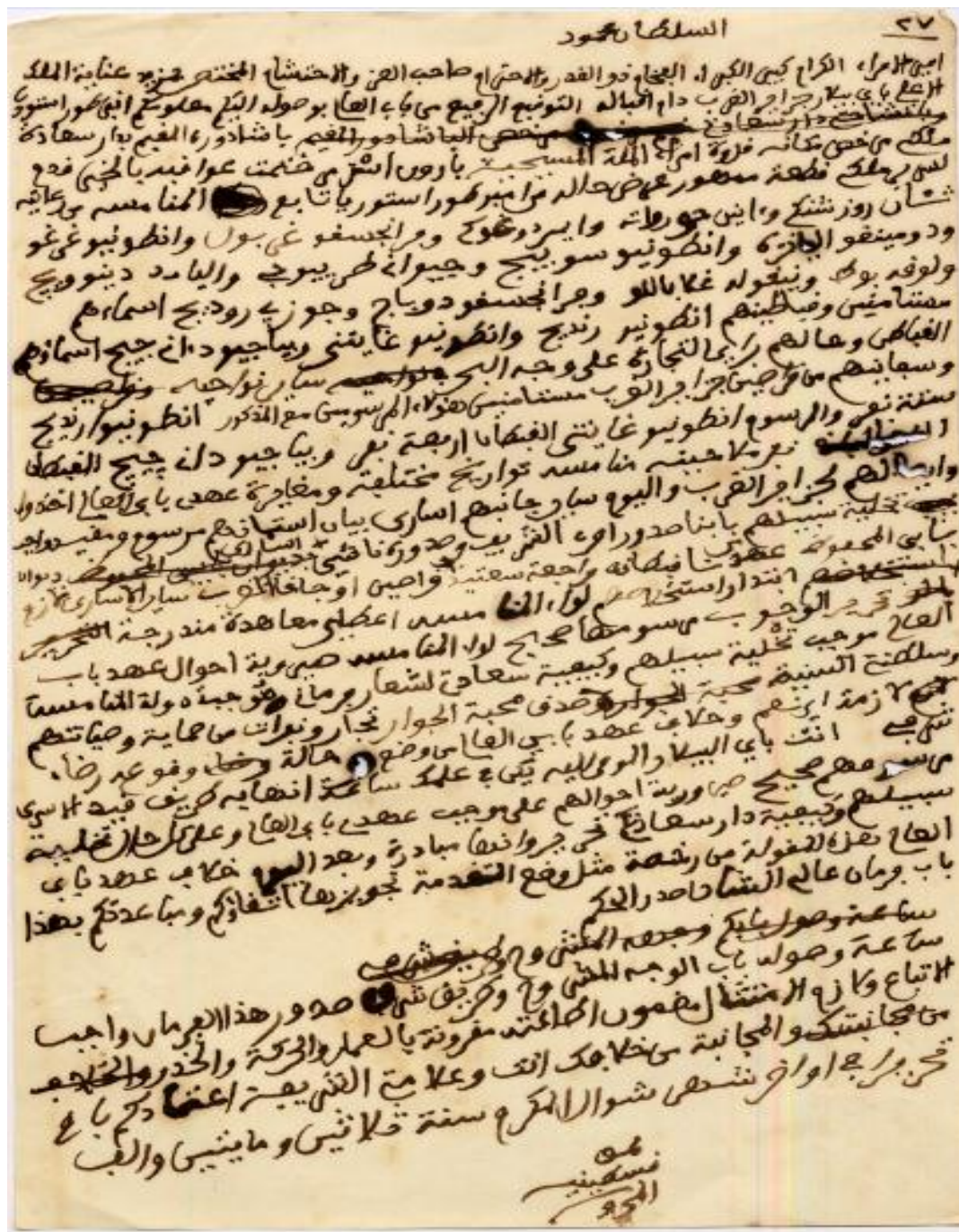
² <https://www.europeana.eu>

- تابع للملحق رقم (3): جواز سفر صادر عن قنصلية الجمهورية البندقية في الجزائر وجد على متن السفينة الجزائرية التي غرقت في مياه الجزيرة الخضراء 16 أفريل 1780م¹.



¹ <https://www.europeana.eu>

الملحق رقم (4): رسالة مؤرخة في أواخر شوال سنة 1230هـ سبتمبر 1815م، من السلطان العثماني إلى داي الجزائر يوضح فيها أنّ السفينة الروسية التي تم احتجازها من قبل الرّياس الجزائريون تحمل جواز سفر من قبل الباب العالي¹



¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم (1)، رسالة رقم (28).

الملحق رقم (5): رسالة من داي حسين بتاريخ 21 جمادى الأولى 1238هـ، يطلب من الديوان منح جواز مرور
لتمكن مجموعة من الجنود من السفر لإداء فريضة الحجة بأمان¹

جماعة الشيخ داود دار الجهاد بحرية جزائر الغرب
على يفرج المشركين تغييرا بالحق
المذكور عدة الغزاة واما هذا دار الجهاد بحرية جزائر الغرب من
خدم الاوجاف بفتح السنة اتميمه بنيت في بيت الله الحرام
وزيارة روضة حرمه سيد الانام صلي الله عليه وسلم من شأنها من
الحج بغير ردة ازيى واجازة طلب التمسك داي ملجها على الحرف
العادة القديمة من تاريخ الكتاب كذا في ثلاثة سنين ازيى
رخصة معكم للمروور العصور والازمان والحق والافتقار اذ ايت بوج
من التوجس من غير موجب نفي عني وليس له مانع او واصل ما باظطه
انقد مع قبل انفضاء الوعد المذكور فعلى كوفالفا دة الكفا بتمه له
معاجب سنة كامله وان جاوز الوعد المرفوع يا عالم يتيسر له
الحال في يوم كونه بلهذاد بمعنا ليرة المكتوب لو فقت حاجه
لاحتجاج
جمادى الاولى سنة
محسبي داي
والبحر
جزائر الغرب

¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3090، الملف رقم (2)، رسالة رقم (12).

ملحق رقم (6): وثيقة توضح حالة سفن شركة الهند الغربية لسنة 1667م، وهي تعطي فكرة كيف أصبحت السفن التجارية مسلحة، بأعداد كبيرة من المدافع تحسباً أي هجومات امن قبل لقراصنة¹.

Col. C 8 B 17

1667

Etat des Vaisseaux appartenans a la Compagnie des Indes Occidentales, Et les lieux ou ils sont presentement.

Vaisseaux qui arrivent aux Isles au passage de la rivière de St. Pierre.

	Port	Canon	Esquipages
La Borgoe St. Pierre	350: tho ²	16: pous	40: hommes
Arme en guerres	La Suzanne brulée au Kintou par les Anglois, & par le compor au lieu le Duguay-Bourgeois par le		
	300:	32:	50:
Arme	Le St. Louis de	360:	30:
	360:	30:	85:
Arme	La Justice de	300:	24:
	300:	24:	75:
	Le St. Antoine de	130:	6:
	130:	6:	18:
	Le St. Michel de	250:	
	250:		
	Vaisseaux qu'on a de la France le 3 ^e Jan 1666		
Arme en guerres	Le Florissant de	350:	30:
	350:	30:	80:
	Le Mercure de	400:	18:
	400:	18:	45:
	Le Chevalier de St. Pierre de	130:	10:
	130:	10:	25:
	Le Duguay de	120:	6:
	120:	6:	20:
	La Puella de	260:	14:
	260:	14:	35:
	Le St. Dorothee de	130:	6:
	130:	6:	25:
	Le Lion d'or de	280:	16:
	280:	16:	35:
Arme en guerres	Le St. Michel de	160:	12:
	160:	12:	50:
Arme	Le St. Guillaume de	40:	6:
	40:	6:	18:

C 8 B 17

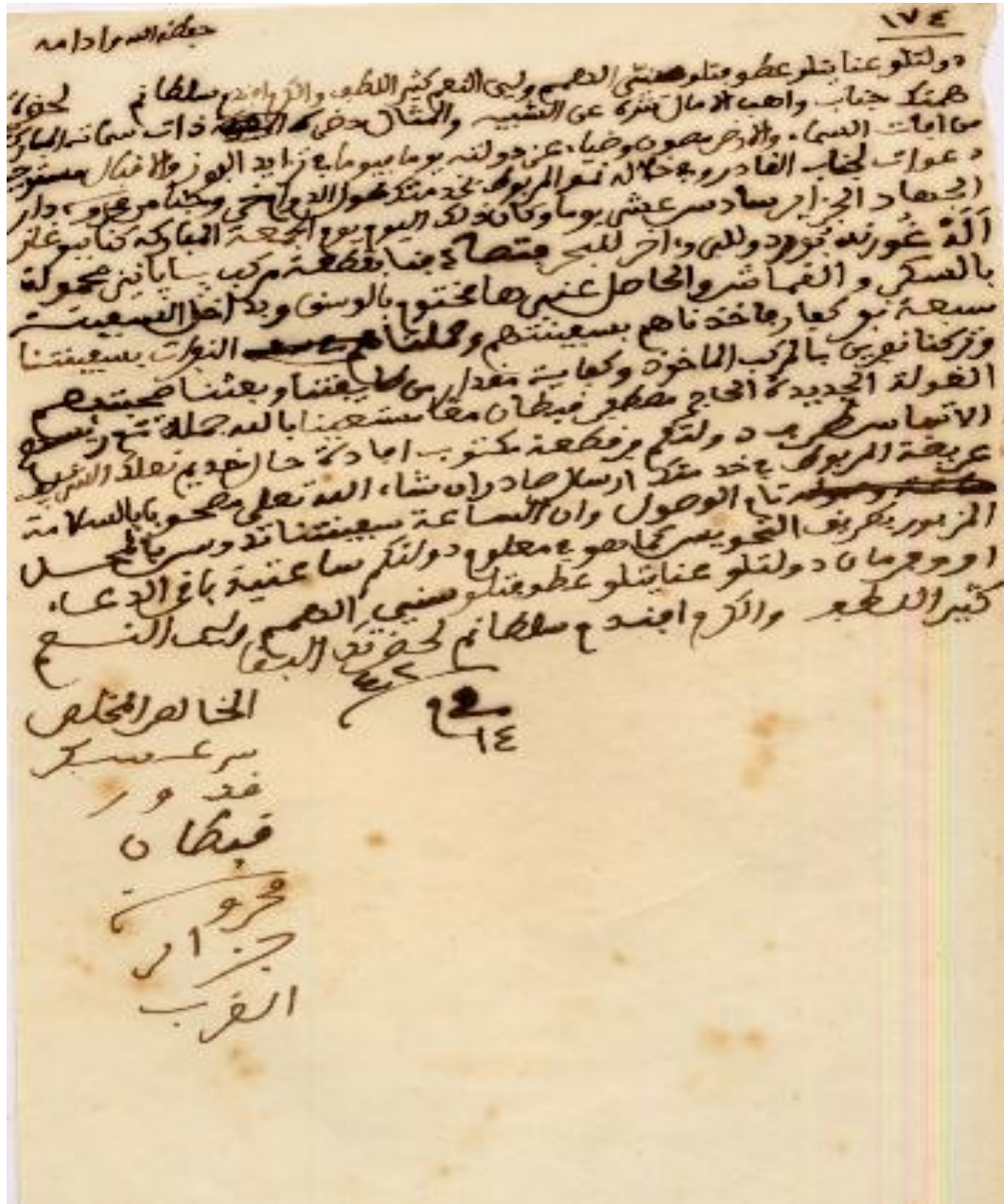
(6)

¹ <https://recherche-anom.culture.gouv> تحت رقم ورمز الاتصال COL C 8 B 17 N ° 6 ، COL C 8

رمز، تاريخ الاطلاع 2022/07/21 على الساعة 10: 6.29 B 17 N ° 6.29

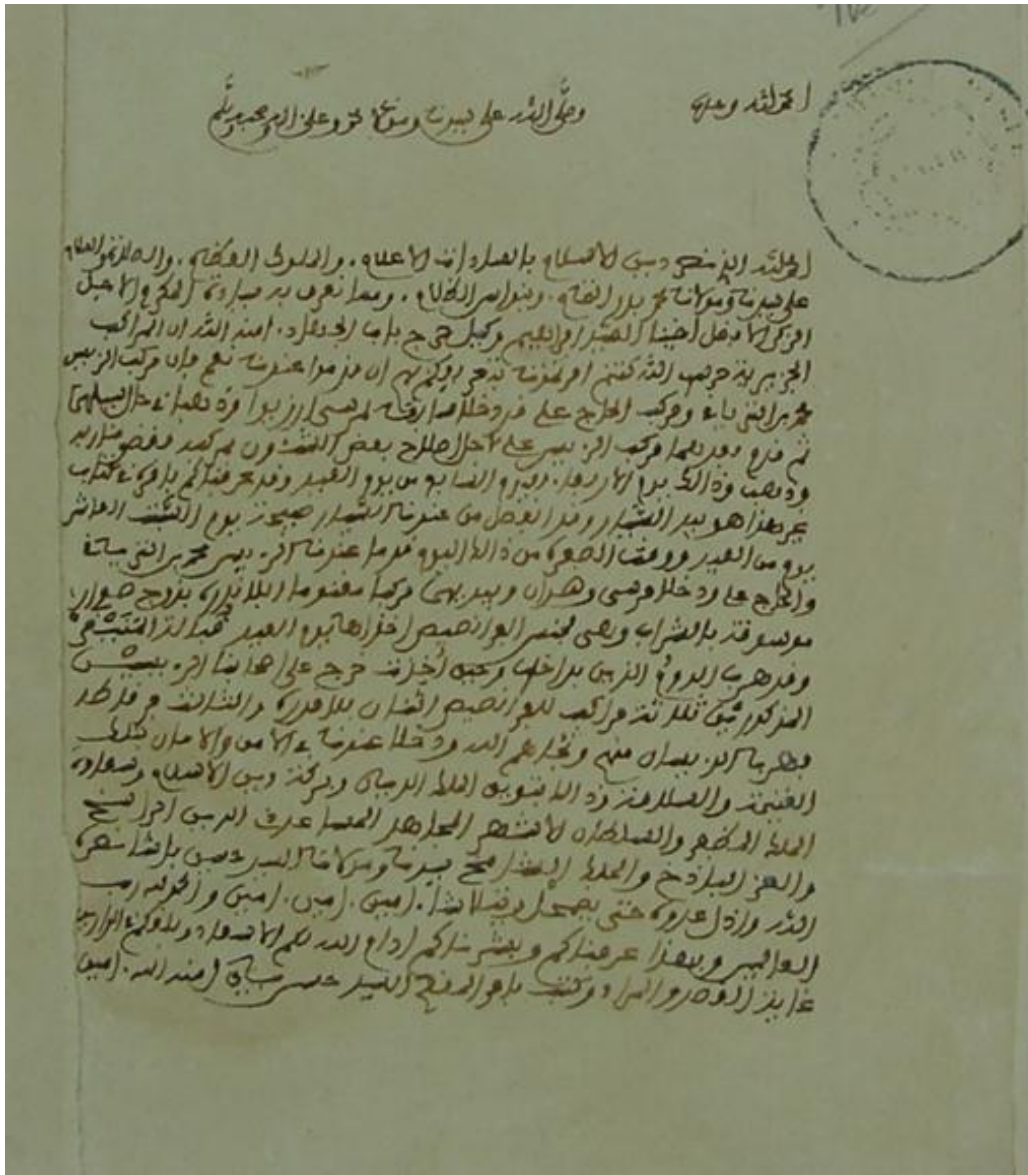
	Port	Canon	Equipages
<i>Parisien aux ports de pèche</i> <i>le depart de la Seine</i>			
Le St Christophe par le 1 ^{er} juillet 1666	300 lb	26 p	60 hommes
Le Chastel par le 1 ^{er} août	200	10	30
L'Africaine par le 1 ^{er} septembre	250	12	32
Les armées de France par le 1 ^{er} octobre	350	18	40
La Vierge par le 1 ^{er} novembre	120	13	32
Le St Jean de Nant par le 1 ^{er} décembre	230	10	32
La Lorraine par le 1 ^{er} janvier	250	14	33
La Marie par le 1 ^{er} février	350	18	40
Le Martin par le 1 ^{er} mars	300	17	40
Le Hercule par le 1 ^{er} avril	300	16	45
Le Oranger par le 1 ^{er} mai	250	16	35
<i>Parisien aux ports de pèche</i> <i>le depart de la Seine</i>			
La Harmonie	350	20	65
La Boudoir	280	30	15
Le St Jean de St Malo	350	28	65
La Notre Dame	150	16	35
Le St Louis de Bayonne	300	26	60

الملحق رقم (7) : رسالة من القبطان قدور سر عسكر جزاير المحروسة المؤرخة في 14 محرم 1242هـ إلى الداى حسين، وضح حجز سفينة لفرونية من قبل البحارة الجزائريون في الفترة 1817-1827م في قناة لفبيرون وعليها 7 أسرى مسيحيين، تحمل سكر وأقمشة وسلعا أخرى¹.



¹ م. و. ج. المجموعة 3190 الملف (1)، الوثيقة رقم 174.

الملحق رقم (8): رسالة من حسن باي الغرب إلى ابراهيم وكيل الحرج باب الجهاد بدون تاريخ يعلمه أن 3 سفن جزائرية محمد الزبير رايس والحاج علي رايس ومركب محمد الترياقى رايس، دخلت لميناء أرزيو منهما 2 محملتان بغنائم فرنسية¹.



¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 1903 الملف (1) وثيقة رقم 20.

الملحق رقم (9): وثيقة تحتوي على هدية في شكل معدات حربية من دولة الدانمارك بتاريخ بتاريخ 1209 هـ / 1793م والوثيقة رقم 452 معدات حربية دانماركية بتاريخ 22 رجب 1217هـ / 18 نوفمبر 1802¹

452

٤٥٢ ورود وكتب دينيك بالاشيا، بيانه ١٧ رجب ١٢١٧

١١ فاطم بنارود فناطمي ٤٥١ - ٤٤٤

١٢ بلانجات رصاص فناطمي ٤٤٨

١٣ تزكم سمار فناطمي ارجال ٤٤٨

١٤ كميليات مربي فناطمي ارجال ٤٤٨

١٥ يحمي من فنمار ارجال ٤٤٨

١٦ شفق لونه خلع عبيد ٤٤٨

١٧ بارفين للبايعقوش شفق ٤٤٨

١٨ لوكير للفاطمي الكبار عبيد ٤٤٨

١٩ لوكير للفاطمي الصغار عبيد ٤٤٨

٢٠ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٢١ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٢٢ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٢٣ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٢٤ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٢٥ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٢٦ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٢٧ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٢٨ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٢٩ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

٣٠ لوكير للتبقي عبيد ٤٤٨

451

٤٥١ سنة الف وماشيس وتسعة ورود دينيك بالاشيا بيانه ١٧ رجب ١٢١٧

١١ قومن من ثلاثة عشر بولقادات ٤٤٨

١٢ قومن من احدى عشر بولقادات ٤٤٨

١٣ قومن من احدى عشر بولقادات ٤٤٨

١٤ قومن من تسعة بولقادات ٤٤٨

١٥ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

١٦ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

١٧ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

١٨ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

١٩ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٢٠ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٢١ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٢٢ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٢٣ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٢٤ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٢٥ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٢٦ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٢٧ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

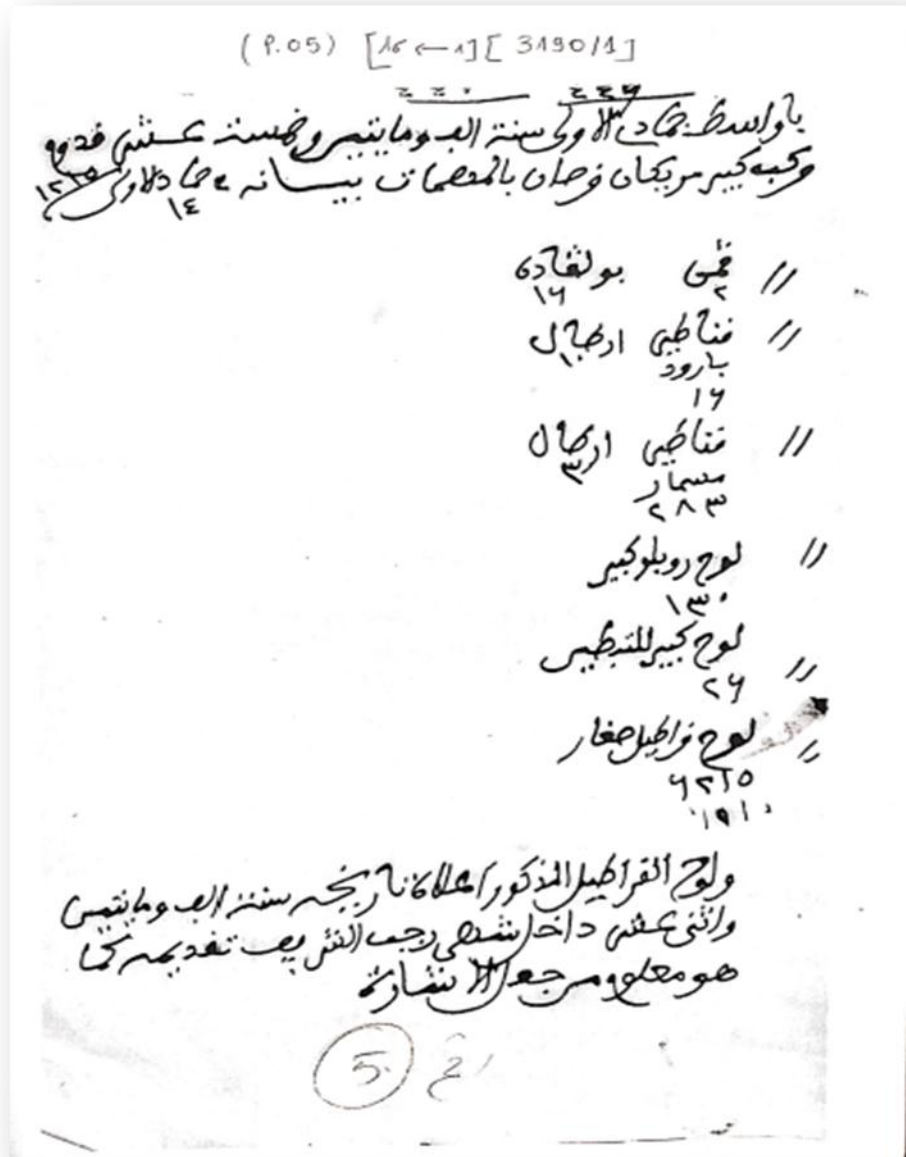
٢٨ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٢٩ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

٣٠ قومن من ثمانية بولقادات ٤٤٨

¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة، رقم 3190، الملف رقم (1)، الوثيقة رقم 451، والوثيقة رقم

الملحق رقم (10): وثيقة بتاريخ 14 جمادى الأولى 1215هـ / 3 أكتوبر 1800 تحتوي على قائمة بالعتاد والمعدات الحربية التي احضرتها سفينة أمريكية¹



¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم (2) ، وثيقة رقم 5.

الملحق رقم (11): وثيقة بتاريخ 17 صفر 1209 هـ / 13 سبتمبر 1794م، تحتوي على قائمة بالعتاد والمعدات الحربية التي قدمتها هولندا للإيالة الجزائرية¹.

3 1 90/1 [س 4 - 10] 1.1

والتلو حسن باشا صدر الخاوية العلييند في ليو الهديه مملوك العاكس

فناجين بارود فناجين رصاص فناجين جبل فنيق اسبرجيات صوار

عدد عدد عدد عدد عدد عدد

فنيق شفق قطع الواح عدد لوح المسما بجاا لمطرس بولقا

عدد عدد عدد عدد عدد عدد

كواريزم رويلو فناجين فخران زنت فخران

عدد عدد عدد عدد عدد عدد

على السكك الهندى وكيل حرج باب الجزر بعث الاشياء المختص بها

لوح قاربك الداعم وحديد هم

عدد عدد عدد عدد عدد عدد

واليا، المختص بها للمراكب

فناجين بارود مسما بمين، لوند

عدد عدد عدد عدد عدد عدد

مبارز حافى عدد لوح رويلو

عدد عدد عدد عدد عدد عدد

باني مر الاربعة سنين من شفق فلولع البار

وريفي من الجبل

الزيفي اركس

3299

وريفي سنين صدرت الحماصة مع الفنهلو والغمدانف واعكهي

لا يد بها تدر في انشي

عدد عدد عدد عدد عدد عدد

¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3190، الملف رقم (2)، وثيقة رقم 1.

الملحق رقم (12): نسخة من وثيقة عقد الصلح بين الإيالة الجزائرية والإسبانية بتاريخ 17 شعبان 1200هـ/ 14 جويلية 186م عهد الداوي محمد بن عثمان، والعقد الموقع بين الإيالة وإسبانيا في عهد الداوي بابا حين بتاريخ 13 ذو الحجة 1205هـ/ 12 أوت 1791م¹.



¹ <https://www.europeana.eu>

الملحق رقم (13): يوضع وبالتدقيق حجم الإتاوة التي جلبت إلى إيالة الجزائر على إثر انعقاد الصلح بينها و بين إسبانيا بتاريخ 7 شعبان 1199هـ / 15 جوان 1785م¹.

436

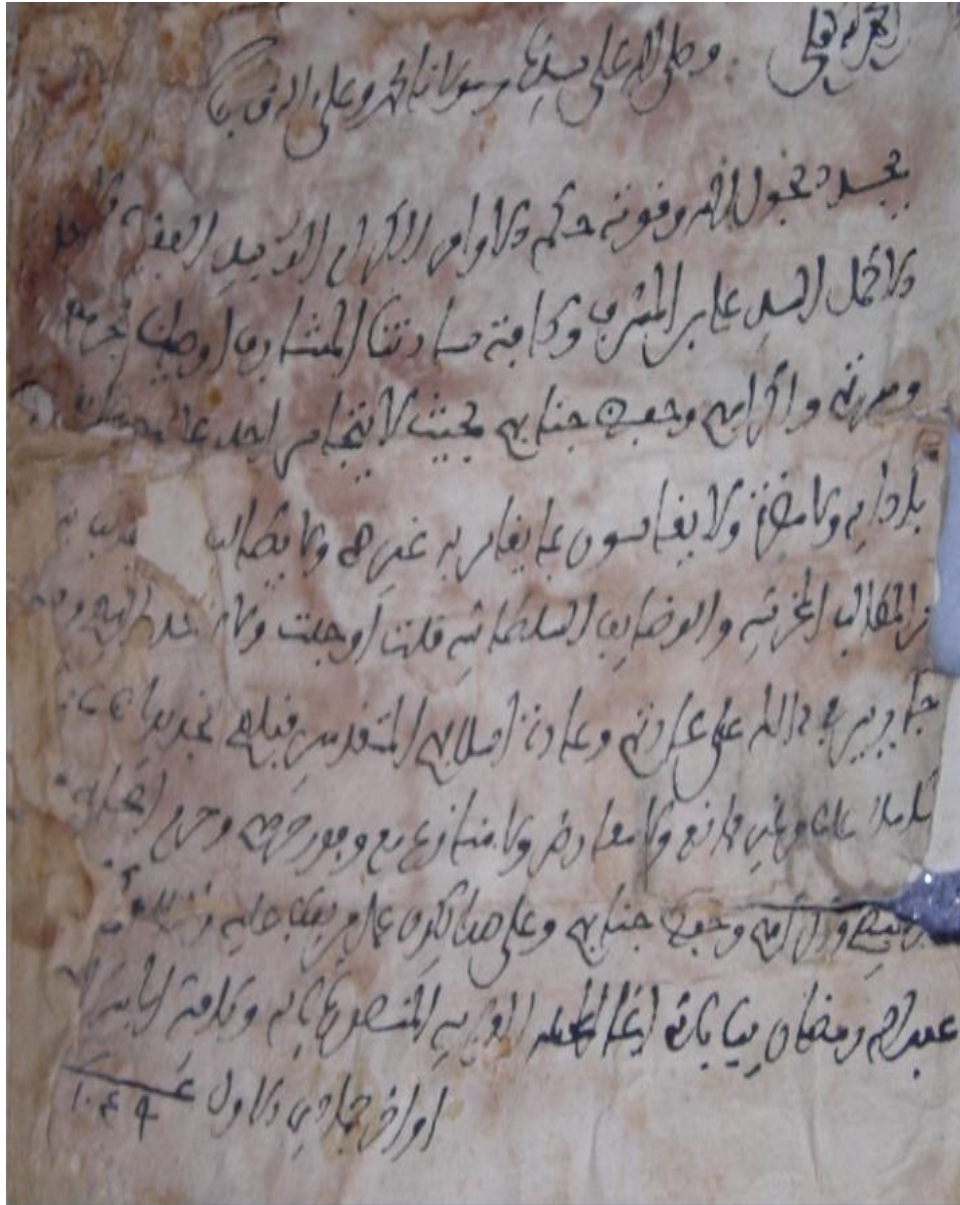
انعقاد الصلح مع محايمة الصبيح مقابل طلب المظلمات في شعبان 1149	نفا طين بارود	معايز	بومب
مدامع فخامس	امبي جينان	كوره	شمن كبار
شفويان الغلوع	سوج صنوبر	سوج رولو	فنا كحيم
فراكلزيت	مربوف اغاج	مربوف	مربوف

الصلح بين الجزائر و إسبانيا في 7 شعبان 1199هـ

¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني ، المجموعة رقم 3190، الملف رقم (1)، وثيقة رقم 436.

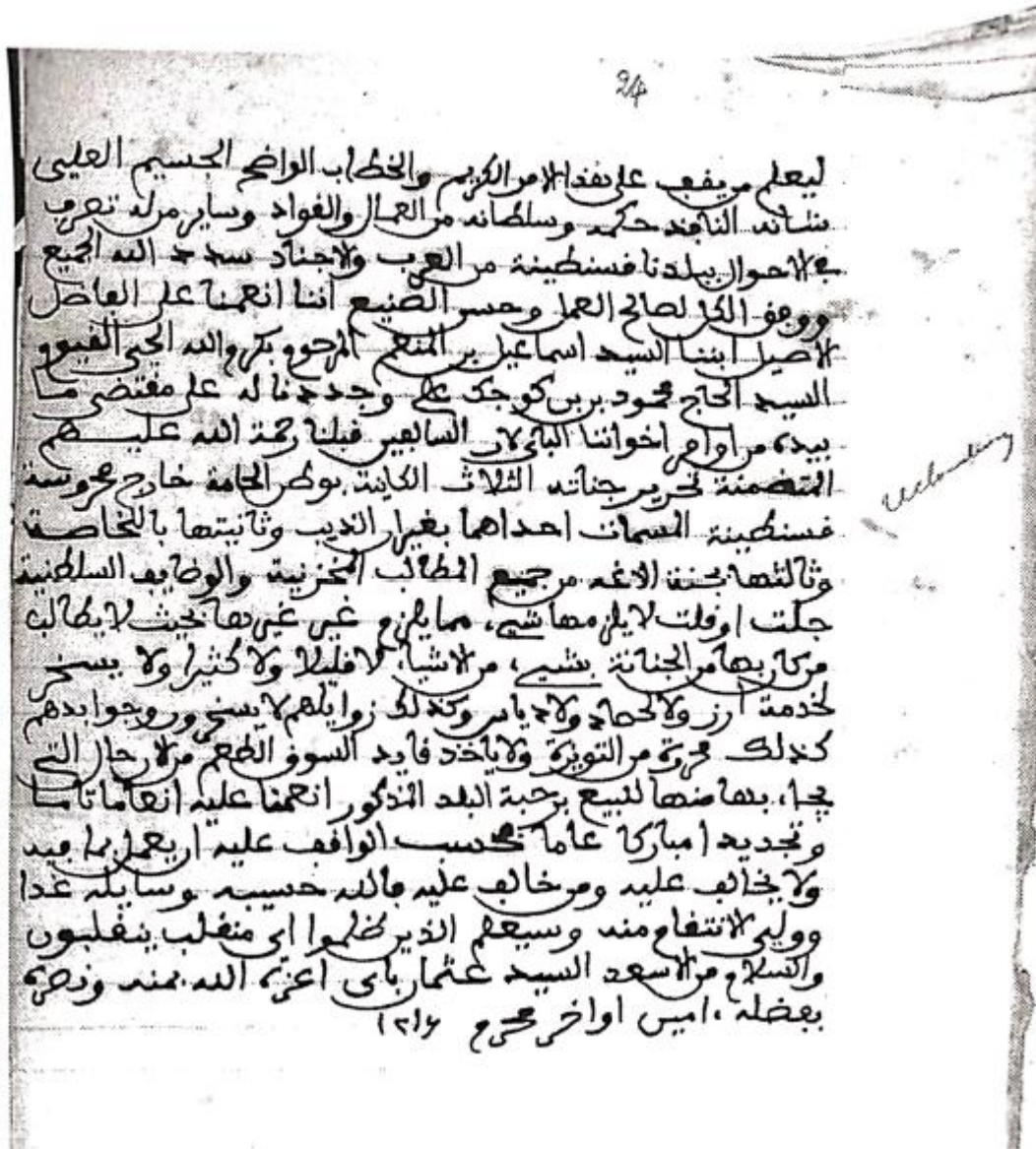
الملحق رقم (14): وثيقة توضع إعفاء علي المشرفي وكامل أسرة المشارف من المطالب المخزنية والوظائف

السلطانية قلة أو جلة مؤرخة في 1 أواخر جمادي الأولى 1049 هـ / أواخر سبتمبر 1639م¹



^{1 1}. من خزانة أسرة المشارف، تيزي، ولاية معسكر، تم الحصول عليها من قبل الباحث صلاح الدين بن نعيم.

ملحق رقم (15): شيوخ وعلماء مدينة قسنطينة من المطالب المخزنية والوظائف السلطانية مؤرخة في أواخر محرم 1216هـ / بداية جوان 1801م¹.



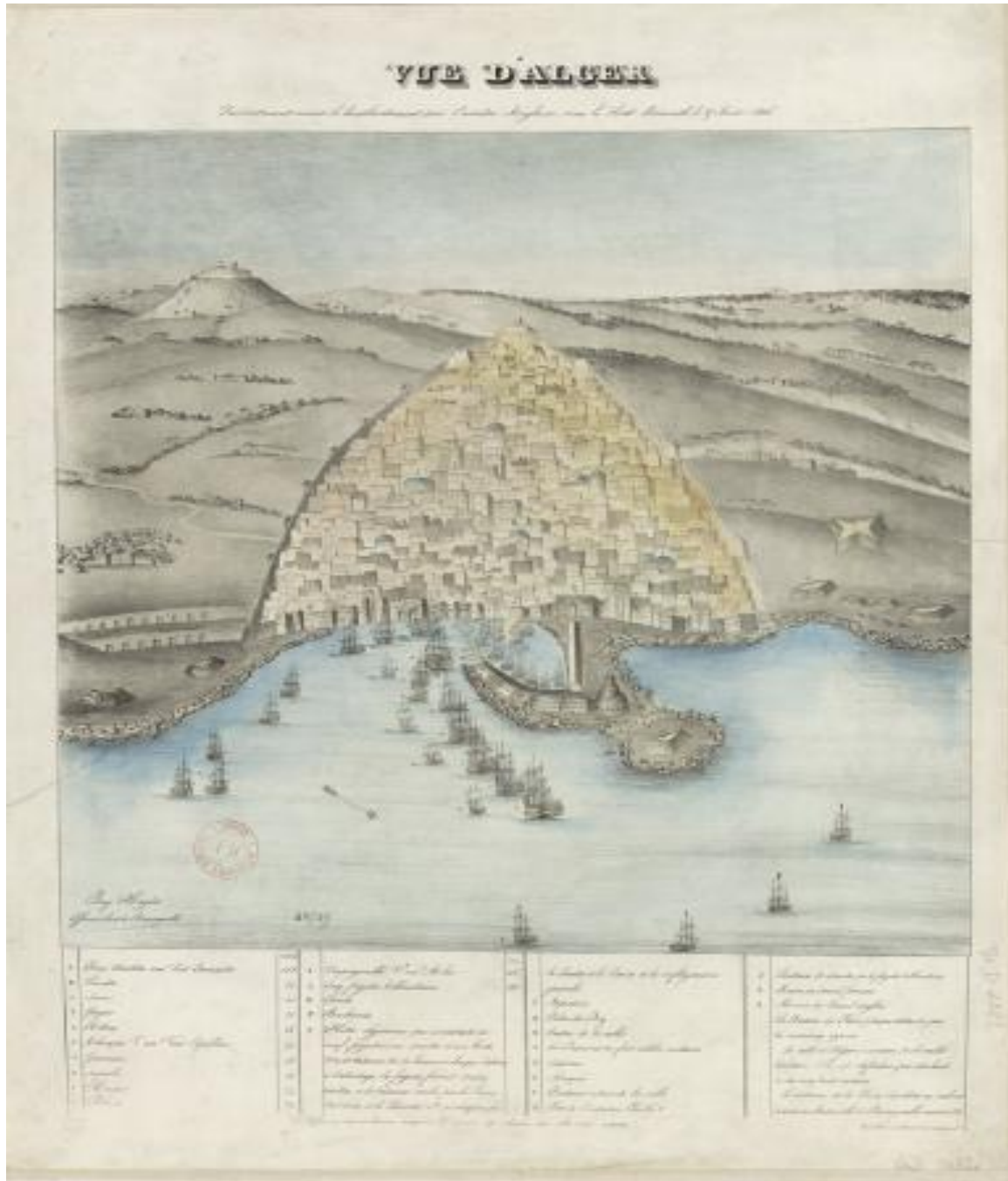
¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3206، من الملف رقم (3)، وثيقة رقم 24.

ملحق رقم (16): رسالة من الداوي حسين يأمر فيها بإعفاء بعض شيوخ وعلماء ، وجميع أولاد سيدي الحاج عبد الوهاب من المطالب المخزنية والوظائف السلطانية قليلها وجليها مؤرخة في عام 1235هـ¹



¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة رقم 3206، الملف رقم (2) وثيقة رقم 52 .

الملحق رقم (17): رسم يوضح تقدم السفن الإنجليزية من ميناء إيالة الجزائر أثناء حملة اكسموث 1816م دون مقاومة للسفن الجزائرية من موقع المكتبة الوطنية الفرنسية¹



Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France

¹ <https://gallica.bnf.fr/>

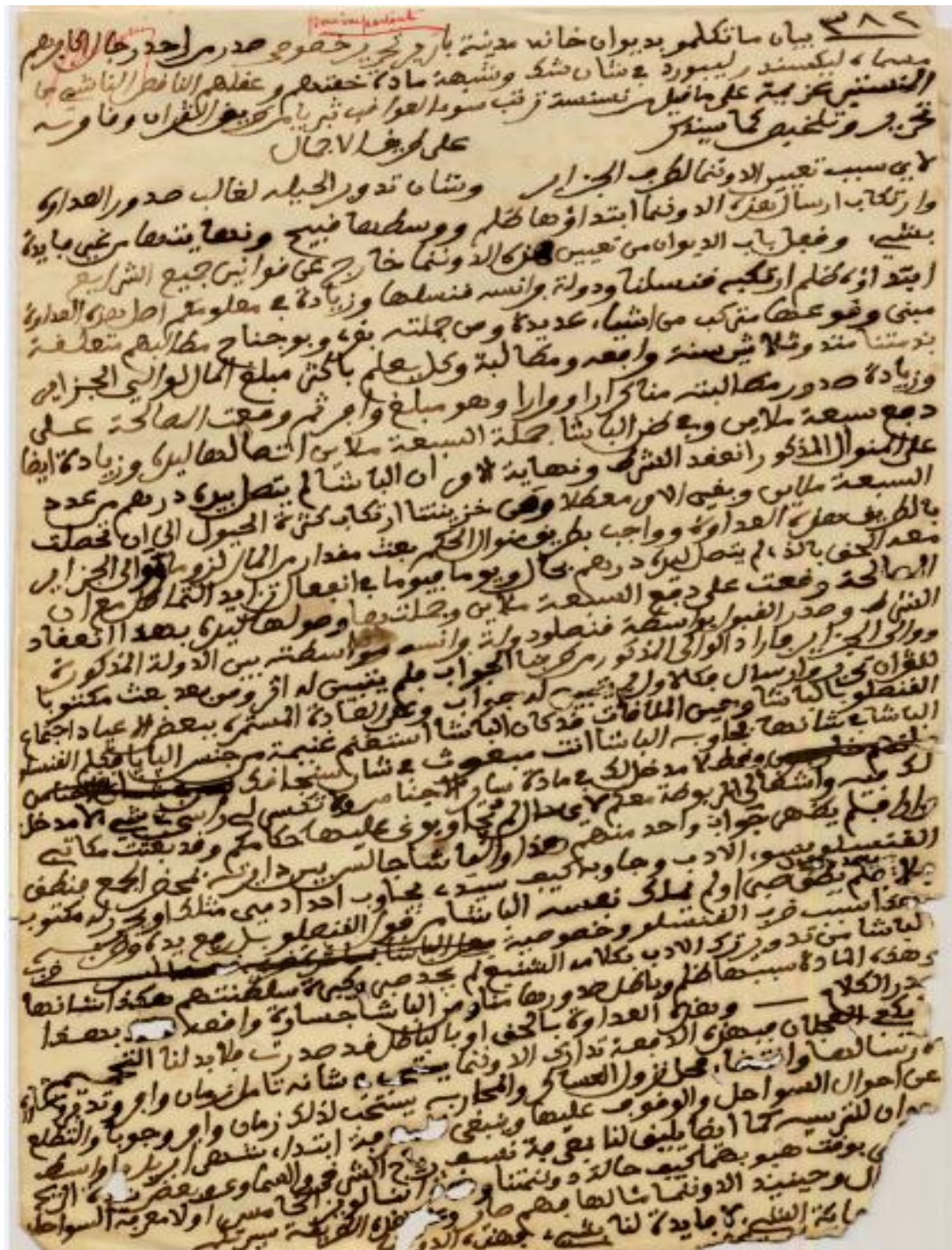
الملحق رقم (18): هي عبارة عن رسالة من الداي حسين توضح الاعتداءات التونسية على إيالة الجزائر وذلك

بتحريض بعض قادة القبائل لتمرّد على السلطة، ووقوع الاعتداء على سكان تبسة كما يوضح فيها الداي حسين كيف وقعت الحرب بين تونس والجزائر بسبب استيلاء الرياس الجزائريين على سفن تونسية، وتكذيب الادعاء بأن السفن التونسية كانت تحمل هدايا لسلطان العثماني، كما توضح الصلح بين الايالتين تطبيقا لأوامر السلطان العثماني الخ مؤرخة في

¹ 1235ھ

¹ م.و.ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة 3206، الملف رقم (2)، وثيقة رقم 17.

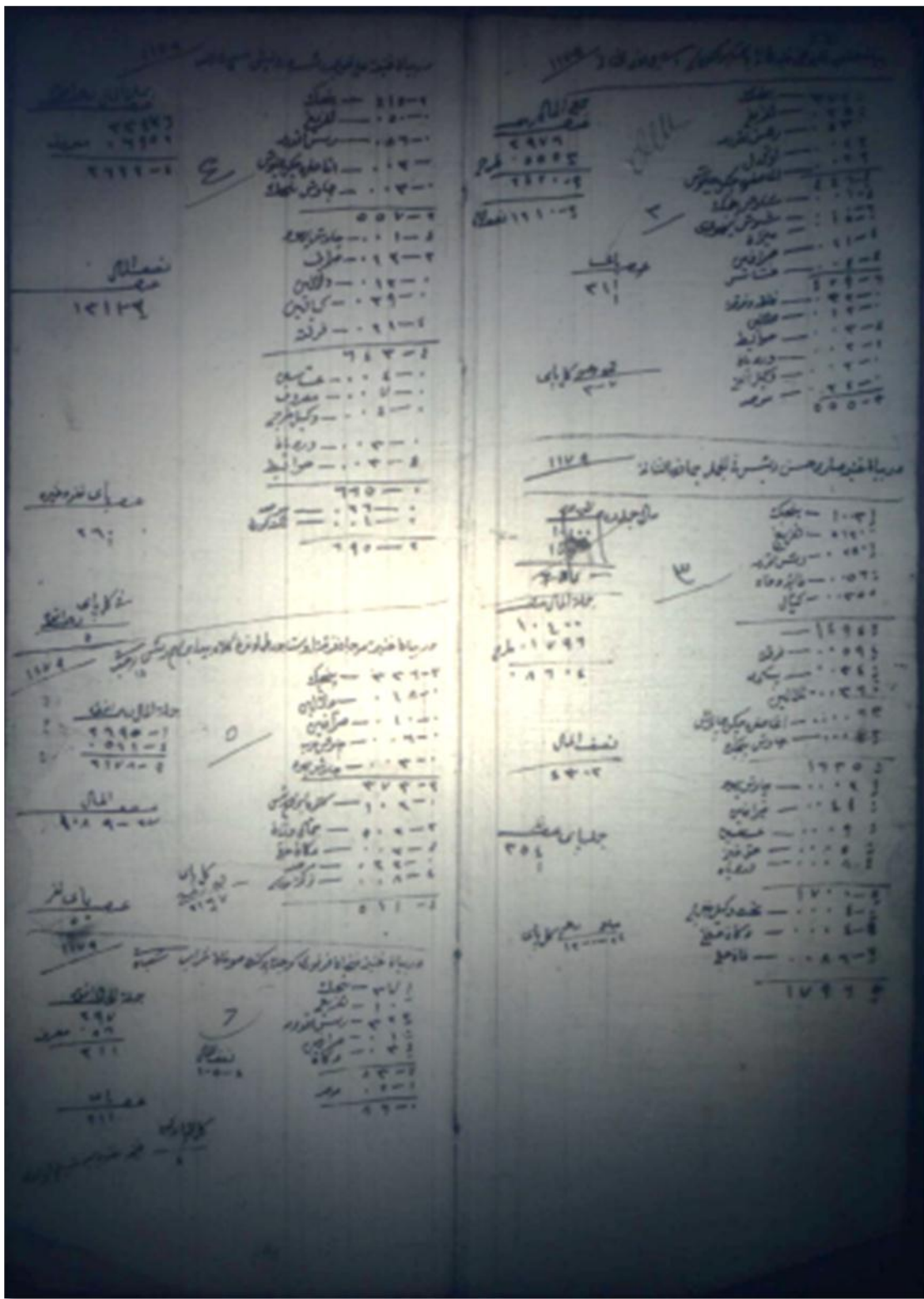
الملحق رقم (19): وثيقة تحتوي على تفاصيل الدّين الجزائري المترتب على فرنسا وكيفية وقوعه، وكيف تسبب في توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية بسبب تماطل السلطات الفرنسية حول الرد على رسائل الداوي، وحادثة المروحة وأسباب وقوعها¹.



¹ م. و. ج، قسم المخطوطات، الرصيد العثماني، المجموعة 3190، من الملف رقم (1)، وثيقة رقم 382.

الملحق رقم (20): نسخ من سجل غنائم البحر 15MI-15. Registre du beylik n° 19

- بيان غنيمة رقم 2 و3 و4 و5 لسنة 1179هـ / 1765م
- وغنيمة رقم 6 لسنة 1179هـ / 1766م



- تابع للملحق رقم (20): بيان غنيمة رقم 78 بتاريخ محرم 1189هـ / 1775م و غنيمة رقم 79 بنفس التاريخ و غنيمة رقم 80 بتاريخ 10 ربيع الأول 1189هـ / 11 ماي 1775م و غنيمة رقم 81 بنفس التاريخ و غنيمة رقم 82 لسنة لشهر جوان لنفس السنة.

[illegible]

- در بیان طبع و تدوین کتابخانه و در بیان مروری بر کتابخانه
- ۱۱۶
- جلد المصنف
- ۱۹۰۴
- ۱۹۰۵
- ۱۹۰۶
- ۱۹۰۷
- ۱۹۰۸
- ۱۹۰۹
- ۱۹۱۰
- ۱۹۱۱
- ۱۹۱۲
- ۱۹۱۳
- ۱۹۱۴
- ۱۹۱۵
- ۱۹۱۶
- ۱۹۱۷
- ۱۹۱۸
- ۱۹۱۹
- ۱۹۲۰
- ۱۹۲۱
- ۱۹۲۲
- ۱۹۲۳
- ۱۹۲۴
- ۱۹۲۵
- ۱۹۲۶
- ۱۹۲۷
- ۱۹۲۸
- ۱۹۲۹
- ۱۹۳۰
- ۱۹۳۱
- ۱۹۳۲
- ۱۹۳۳
- ۱۹۳۴
- ۱۹۳۵
- ۱۹۳۶
- ۱۹۳۷
- ۱۹۳۸
- ۱۹۳۹
- ۱۹۴۰
- ۱۹۴۱
- ۱۹۴۲
- ۱۹۴۳
- ۱۹۴۴
- ۱۹۴۵
- ۱۹۴۶
- ۱۹۴۷
- ۱۹۴۸
- ۱۹۴۹
- ۱۹۵۰
- ۱۹۵۱
- ۱۹۵۲
- ۱۹۵۳
- ۱۹۵۴
- ۱۹۵۵
- ۱۹۵۶
- ۱۹۵۷
- ۱۹۵۸
- ۱۹۵۹
- ۱۹۶۰
- ۱۹۶۱
- ۱۹۶۲
- ۱۹۶۳
- ۱۹۶۴
- ۱۹۶۵
- ۱۹۶۶
- ۱۹۶۷
- ۱۹۶۸
- ۱۹۶۹
- ۱۹۷۰
- ۱۹۷۱
- ۱۹۷۲
- ۱۹۷۳
- ۱۹۷۴
- ۱۹۷۵
- ۱۹۷۶
- ۱۹۷۷
- ۱۹۷۸
- ۱۹۷۹
- ۱۹۸۰
- ۱۹۸۱
- ۱۹۸۲
- ۱۹۸۳
- ۱۹۸۴
- ۱۹۸۵
- ۱۹۸۶
- ۱۹۸۷
- ۱۹۸۸
- ۱۹۸۹
- ۱۹۹۰
- ۱۹۹۱
- ۱۹۹۲
- ۱۹۹۳
- ۱۹۹۴
- ۱۹۹۵
- ۱۹۹۶
- ۱۹۹۷
- ۱۹۹۸
- ۱۹۹۹
- ۲۰۰۰
- ۲۰۰۱
- ۲۰۰۲
- ۲۰۰۳
- ۲۰۰۴
- ۲۰۰۵
- ۲۰۰۶
- ۲۰۰۷
- ۲۰۰۸
- ۲۰۰۹
- ۲۰۱۰
- ۲۰۱۱
- ۲۰۱۲
- ۲۰۱۳
- ۲۰۱۴
- ۲۰۱۵
- ۲۰۱۶
- ۲۰۱۷
- ۲۰۱۸
- ۲۰۱۹
- ۲۰۲۰
- ۲۰۲۱
- ۲۰۲۲
- ۲۰۲۳
- ۲۰۲۴
- ۲۰۲۵
- ۲۰۲۶
- ۲۰۲۷
- ۲۰۲۸
- ۲۰۲۹
- ۲۰۳۰
- ۲۰۳۱
- ۲۰۳۲
- ۲۰۳۳
- ۲۰۳۴
- ۲۰۳۵
- ۲۰۳۶
- ۲۰۳۷
- ۲۰۳۸
- ۲۰۳۹
- ۲۰۴۰
- ۲۰۴۱
- ۲۰۴۲
- ۲۰۴۳
- ۲۰۴۴
- ۲۰۴۵
- ۲۰۴۶
- ۲۰۴۷
- ۲۰۴۸
- ۲۰۴۹
- ۲۰۵۰
- ۲۰۵۱
- ۲۰۵۲
- ۲۰۵۳
- ۲۰۵۴
- ۲۰۵۵
- ۲۰۵۶
- ۲۰۵۷
- ۲۰۵۸
- ۲۰۵۹
- ۲۰۶۰
- ۲۰۶۱
- ۲۰۶۲
- ۲۰۶۳
- ۲۰۶۴
- ۲۰۶۵
- ۲۰۶۶
- ۲۰۶۷
- ۲۰۶۸
- ۲۰۶۹
- ۲۰۷۰
- ۲۰۷۱
- ۲۰۷۲
- ۲۰۷۳
- ۲۰۷۴
- ۲۰۷۵
- ۲۰۷۶
- ۲۰۷۷
- ۲۰۷۸
- ۲۰۷۹
- ۲۰۸۰
- ۲۰۸۱
- ۲۰۸۲
- ۲۰۸۳
- ۲۰۸۴
- ۲۰۸۵
- ۲۰۸۶
- ۲۰۸۷
- ۲۰۸۸
- ۲۰۸۹
- ۲۰۹۰
- ۲۰۹۱
- ۲۰۹۲
- ۲۰۹۳
- ۲۰۹۴
- ۲۰۹۵
- ۲۰۹۶
- ۲۰۹۷
- ۲۰۹۸
- ۲۰۹۹
- ۲۱۰۰
- ۲۱۰۱
- ۲۱۰۲
- ۲۱۰۳
- ۲۱۰۴
- ۲۱۰۵
- ۲۱۰۶
- ۲۱۰۷
- ۲۱۰۸
- ۲۱۰۹
- ۲۱۱۰
- ۲۱۱۱
- ۲۱۱۲
- ۲۱۱۳
- ۲۱۱۴
- ۲۱۱۵
- ۲۱۱۶
- ۲۱۱۷
- ۲۱۱۸
- ۲۱۱۹
- ۲۱۲۰
- ۲۱۲۱
- ۲۱۲۲
- ۲۱۲۳
- ۲۱۲۴
- ۲۱۲۵
- ۲۱۲۶
- ۲۱۲۷
- ۲۱۲۸
- ۲۱۲۹
- ۲۱۳۰
- ۲۱۳۱
- ۲۱۳۲
- ۲۱۳۳
- ۲۱۳۴
- ۲۱۳۵
- ۲۱۳۶
- ۲۱۳۷
- ۲۱۳۸
- ۲۱۳۹
- ۲۱۴۰
- ۲۱۴۱
- ۲۱۴۲
- ۲۱۴۳
- ۲۱۴۴
- ۲۱۴۵
- ۲۱۴۶
- ۲۱۴۷
- ۲۱۴۸
- ۲۱۴۹
- ۲۱۵۰
- ۲۱۵۱
- ۲۱۵۲
- ۲۱۵۳
- ۲۱۵۴
- ۲۱۵۵
- ۲۱۵۶
- ۲۱۵۷
- ۲۱۵۸
- ۲۱۵۹
- ۲۱۶۰
- ۲۱۶۱
- ۲۱۶۲
- ۲۱۶۳
- ۲۱۶۴
- ۲۱۶۵
- ۲۱۶۶
- ۲۱۶۷
- ۲۱۶۸
- ۲۱۶۹
- ۲۱۷۰
- ۲۱۷۱
- ۲۱۷۲
- ۲۱۷۳
- ۲۱۷۴
- ۲۱۷۵
- ۲۱۷۶
- ۲۱۷۷
- ۲۱۷۸
- ۲۱۷۹
- ۲۱۸۰
- ۲۱۸۱
- ۲۱۸۲
- ۲۱۸۳
- ۲۱۸۴
- ۲۱۸۵
- ۲۱۸۶
- ۲۱۸۷
- ۲۱۸۸
- ۲۱۸۹
- ۲۱۹۰
- ۲۱۹۱
- ۲۱۹۲
- ۲۱۹۳
- ۲۱۹۴
- ۲۱۹۵
- ۲۱۹۶
- ۲۱۹۷
- ۲۱۹۸
- ۲۱۹۹
- ۲۲۰۰
- ۲۲۰۱
- ۲۲۰۲
- ۲۲۰۳
- ۲۲۰۴
- ۲۲۰۵
- ۲۲۰۶
- ۲۲۰۷
- ۲۲۰۸
- ۲۲۰۹
- ۲۲۱۰
- ۲۲۱۱
- ۲۲۱۲
- ۲۲۱۳
- ۲۲۱۴
- ۲۲۱

- تابع للملحق رقم (20): بيان غنيمة رقم 145 و 146 المجلوبة إلى إيالة الجزائر بتاريخ رجب 1194هـ/ جويلية 1780م أما الغنيمة رقم 147 و 148 فهما بتاريخ شعبان 1194هـ/ أوت 1780.

[illegible]

در بیان غنای اسباب و خصلت کتان	۱۷۱۷	نخل
مصلحت کتان بعد از موی	۵۰۰	مضافی
حدیث با بیل و سوز	۶۳	والا
بانی قلاوی انجیر	۲۱	فایده
حق نخل	۲	وزنه
حق موی	۳۳	صفت جدول
حق فایده	۱۲	عکس امار
حق فایده	۹	فرمان اوج نیک
حق فایده	۴	فایده
حق فایده	۴	حواشی
حق فایده	۱۲	حواشی جدول
حق فایده	۲۳	حدای فرق نیک
حق فایده	۱۲	فایده جدول
حق فایده	۶	کتاب نیک
حق فایده	۷۲	موی
حق فایده	۱۲۱	موی
حق فایده	۲۲۷۲	

بليوڤرافيا الدّراسة

1- الأحاديث النبوية :

1- محمد الغزالي، فقه السيرة، تح : أبو عبد الرحمان محمد ناصر الدين الألباني، ط6، دار الكتب الحديثة، مصر، 1965.

2- الوثائق الأرشيفية :

* أرشيف ما وراء البحار :

1- سجل غنائم البحر : 19 N° Registre du beylik 15-MI-15، مرسله من طرف الباحث أمين محرز بجامعة خميس مليانة .

2- وثيقة تمثل إعفاء عائلة المشرفي من المطالب المخزنية، من خزانة أسرة عائلة المشارف بمعسكر، مرسله من طرف الباحث صلاح الدين بن نعيم .

* المكتبة الوطنية الجزائرية - قسم المخطوطات :

- المجموعة 3190 :

* الملف رقم 1 : وثائق رقم : 28، 228، 174، 451، 453، 436، 436، 382.

* الملف رقم 2 : وثيقة رقم : 1

- المجموعة 1903 :

* الملف رقم 1 : وثائق رقم : 66

- المجموعة 3206 :

* الملف رقم 1 : وثيقة رقم : 52

* الملف رقم 2 : وثيقة رقم : 1، 17

* الملف رقم 3 : وثيقة رقم : 24

- المخطوطات :

- غانم ابن محمد بن زكريا الأندلسي، العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع، مخطوط في المكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم : 1511.

- كريكر جول، الدرر الأوروبية في تاريخ الأمة الفرنسية حكي فيه ما صار في فرانسة من قديم الزمان إلى الآن، الرباط، Filix Moncho ، 1926، المكتبة الوطنية المغربية، رقم 10004765.

* المكتبة الوطنية الفرنسية (<https://gallica.bnf.fr>)

1- مؤلف مجهول، فقرة من سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران رحمة الله عليه، مخطوط من المكتبة الوطنية الفرنسية، ص 6، قسم المخطوطات عربي، تحت رقم : 5022، / 12148 /

.btv1b10030740w

3- وثائق منشورة :

- باللغة العربية :

1- تقرير حول المشروع الأوروبي لمواجهة القرصنة المغربية في : أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية، M. D/Alger ، مجلد 10.

2- أرشيف وزارة الخارجية بإسطنبول (H. A)، جزائرك فرنسا طرفندن إشغالي مسائل سياسية (احتلال الجزائر من طرف فرنسا، مسائل سياسية)، ملف رقم 708، مذكرة الكونت قبيومينو للباب العالي بتاريخ 2 أوت 1827م.

- باللغة الأجنبية :

1- The Case of many hundreds of poor English-captives in Algier together with some remedies to prevent their increase : **humbly represented to both Houses of Parliament**, London, 1680, p 1, <https://quod.lib.umich.edu> .

4- الجرائد :

- 1- **La Gazette**, de Lausanne, Suisse, vendredi, N°. 76, 20 Septembre, 1816.
- 2- **La Gazette**, de marfielle, N° 90, le 24 juillet 1645.
- 3- **La Gazette**, N° 6 , La Gazette, 7 Fevrier 1750 .

4- المصادر

- باللغة العربية :

2- ابن المفتى حسين بن رجب شاولش، تقييدات ابن المفتى في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، ج. فارس كعوان، ط.1، بيت الحكمة، 2009.

3- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح : لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، مج 2، ج 3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999.

4- الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تح : يحيى بوعزيز، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990 .

5- الأمير محمد عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، المطبعة التجارية، عرزوزي وجاويش، الإسكندرية، 1903.

6- برباروس خير الدين ، مذكرات خير الدين برباروس، تر: محمد دراج، شركة أصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2010.

- 7- بن عبد القادر مسلم ، أنيس الغريب والمسافر، تح : رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 8- بن مبارك الحاج أحمد ، تاريخ بلد قسنطينة، تح : عبد الله حمادي، ط ج، دار الفائز للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر، 2011.
- 9- بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق: محمد بن عبد القريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 10- بونابرت نابليون ، مبادئ الحرب، تر: هشام البطل، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2011.
- 11- التلمساني أحمد بن هطال ، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح : محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969.
- 12- التلمساني بن رقية، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة، ضبط النص خير الدين سعيدي الجزائري، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، جيل الجزائر، 2017.
- 13- التلمسوتي علي بن محمد ، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589م، تح: محمد الصالح، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2007.
- 14- جواو كرفالو ماسكاريناس، مذكرات الأسير البرتغالي جواو كرفالو ماسكاريناس في مدينة الجزائر 1621-1627م، تر: لخضر بوطبة، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022.
- 15- جيمس كاتكارت ، مذكرات أسير الداوي كاتكارت قتل في أمريكا في المغرب، تر : اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
- 16- خوجة حمدان بن عثمان ، المرأة ، تر : محمد العربي الزييري ، د ط ، الجزائر ، 2007.
- 17- ديغو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، تر: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 18- الراشدي أحمد بن سحنون ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح : المهدي البوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر 2013.
- 19- الزهار أحمد شريف، مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر 1168-1246هـ، تح : أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 20- الزياني محمد بن يوسف ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح : المهدي البوعبدلي، ط 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 21- ستيفن جيمس ولسن ، الأسرى الأمريكيان في الجزائر 1785 / 1797م، تر. على تابليت،

ثالثة، الجزائر، 2007.

- 22- شالر وليم : مذكرات وليم شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1819-1824م، تع : إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1982 .
- 23- الشويهد عبد الله بن محمد ، قانون أسواق الجزائر (1107-1117هـ/ 1695-1705م)، تح : ناصر الدين سعيدوني، دار البصائر، الجزائر، 2012.
- 24- العنتري محمد الصالح ، فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، تح : يحي بوعزيز، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- 25- العنتري محمد صالح ، مجاعات قسنطينة، تح : رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- 26- المسعودي الباجي ، الخلاصة النقية في أمراء إفريقية، تح : محمد وبينهم محمد عزب، دار الأفاق العربية، القاهرة، 2012 .
- 27- من محاضر مجلس الأمة الأمريكي، حرب القرصنة بين دول المغرب العربي والولايات المتحدة، ط1، جمع وتر: منصور عمر الشتيوي، مؤسسة الفرجاني، طرابلس ليبيا، 1980.
- 28- هابنسترايت، رحلة العالم الألماني ج.أو. هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/ 1732م، تر. ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس.
- باللغة الأجنبية :

- 1- A devoulx, Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de L'ancienne régence D'alger, Conservateur des archives arabes des Domaines, Alger, imprimerie de gouvernement, 1852.
- 2- Chales summer, Mutato nomine, White Slavery In The Barbary States, Low and Company, London, 1853, www.gutenberg.net.
- 3- Dan Pierre, Histoire de Barbarie et de ses Corsaires, seconde edition, Paris, 1648.
- 4- Diego de Haedo, Topographie et Histoire Générale D'Alger , Traduit de l'espagnol par : Mm. le Dr. Monnereau et A. Berbrugger En 1870, Imprime a Valladolid en 1612.
- 5- Gérard Van Krieken , Corsaires et Marchands Les relations entre Alger et les Pays-Bas 1604 – 1830, EDItIoNS BouchENE, , 2002.
- 6- M D trahani, A lgere Tel Ou'il Est , tableau statistique moral et politiques de cette regence, ex-agent diplomatique résidant, a Alger, chez L. fayolle libraire, Paris, 1830.
- 7- O, Dapper, Description de l'Afrique contenant les noms et la situation... Avec des cartes des états des provinces et des villes, traduite de flamand, Wolfgang, Amsterdam, 1686.
- 8- Richard Hakluyt, The principal navigations, voyages, traffiques, and discoveries of English Nation, made by sea or over-land, South and south-East

parts of the World, at any time within the compasse of these 1600 years--- exc., 2nd, London: George Bishop, Ralph Newbery, Robert Barker, 1599, p p 138, 139, <https://quod.lib.umich.edu/>.

9- Thomas Shaw, **Voyage dans l'arégence d'Alger, ou Description géographique, physique, philologique, etc.** Traduit de l'anglais. par Mac Carthy, Éditeur Paris, Date d'édition, 1830.

5- المراجع

- باللغة العربية :

- 1- أمزيان محمد ، دبلوماسية البارود دراسات في العلاقات المغربية الهولندية (1610-1810)، ط، منشورات باب الحكمة، المغرب، 2019.
- 2- أميلي حسن، الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006 .
- 3- أمين محمد ، الاختراق التجاري الفرنسي للجزائر خلال العهد العثماني 1518-1830، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2016 .
- 4- ب وايز جبروم ، المغرب وقرصنته المغاربة في القرن السابع عشر، تع : طارق العسكري و عبد الهادي النازي، ضمن مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، السنة 16، ع 29-30 الرباط، المغرب، 1979 .
- 5- ب وولف جون، الجزائر وأوروبا 1500-1830، تر: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
- 6- برنيان اندري وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر : اسطمبولي رابح و منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984 .
- 7- بروديل فرنان، المتوسط والعالم المتوسط، تر: مروان أبي سماعة، دار المنتج العربي، بيروت، ط1، 1993.
- 8- البشروش توفيق، جمهورية الدايات في تونس 1591-1675، مجموعة أيام الناس، تونس، د س ن .
- 9- بلانتيت أوجان ، مراسلات دايات الجزائر إلى ملوك ووزراء فرنسا 1579-1700م، تر : سلامنية بن داود ، قوشام حفيظة، ط1، ج1، دار الوعي، الجزائر، 2014.
- 10- بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 11- بن رجب رضا، يهود البلاط ويهود المال في تونس العثمانية (1685-1857م)، ط1، دار

المدار الإسلامي، بيروت، 2010.

12- بن صحراوي كمال ، دور اليهود الدبلوماسي أواخر العهد العثماني وبداية الفترة الاستعمارية، ط2، دار قرطبة للتوزيع والنشر، الجزائر، 2016.

13- بوخمشوش نعيمة ، طائفة رياح البحر، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

14- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط 1، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995 .

15- (— ، —)، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500-1830، دار البصائر، الجزائر، 2009.

16- (— ، —)، الموجز تاريخ الجزائر، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج2، 2009.

17- تابليت علي ، الرئيس حميدو أميرال البحرية الجزائرية 1770-1815م، ثالة، الجزائر، 2006.

18- (— ، —)، العلاقات الجزائرية الأمريكية 1776-1830، ج 2، ثالة، الجزائر، 2013.

19- (— ، —)، معاهدات الجزائر مع بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ج2، ثالة، الجزائر، 2014.

20- التر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ، تر : محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989.

21- التكريتي حارث عبد الرحمن ، تاريخ أوروبا الحديث 1789-1914، ط 1، صفحات للنشر والتوزيع، سوريا، 2017.

22- التميمي عبد الجليل ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816-1871م، ط 1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.

23- جغلول عبد القادر ، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية، تر: فيصل عباس، ط3، د م ن، الجزائر، 1983.

24- جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث، تر : علي المزروقي، ط 1، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.

25- جولييان شالر أندري ، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس- الجزائر- المغرب الأقصى من الفتح

- الإسلامي إلى سنة 1830م، ج 2 ، تع: محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.
- 26- الجليلي عبد الرحمان ، تاريخ الجزائر العام، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج3، 1994.
- 27- حاطوم نور الدين ، تاريخ عصر النهضة الأوروبية، دار الفكر، سوريا، 1985.
- 28- حلمي علي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1838، ط1، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.
- 29- حماش خليفة ، الجزائر والحرب اليونانية العثمانية 1236 - 1243هـ / 1821-1827م، ط1، دار الباحث، الجزائر، 2020.
- 30- (— ، —)، كشاف وثائق الجزائر في الأرشيف الوطني التونسي، منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ج 1، قسنطينة الجزائر.
- 31- خليفة شاطر، التبعية وتحولات ما قبل الاستعمار ايالة تونس من سنة 1815 إلى سنة 1857، تر . إبراهيم بلقاسم، ط.1، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2015.
- 32- دوفال ألبير ، الرئيس حميدو، تع : محمد العربي الزوبير، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1972.
- 33- رحمونة بليل ، القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564 إلى 1830، دار القدس العربي، 2017.
- 34- روسو شارل، القانون الدولي العام، تر: شكر الله خليفة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987.
- 35- الزيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ط 3، دار الحكمة، الجزائر، 2015.
- 36- زروال محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791-1830م، مطبعة دحلب، الجزائر، 1994 .
- 37- سبنسر وليم ، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.
- 38- سبول ألبير ، تاريخ الثورة الفرنسية، تر : جورج كوسى، ط 4، منشورات عويدات، بيروت، 1989.

- 39- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج 1، 1998.
- 40- سعد الله فوزي ، الشتات الأندلسي في الجزائر والعالم، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
- 41- سعيديوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط.2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- 42- (— ، —)، النظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني، 1792، 1830، ط3، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
- 43- (— ، —)، تاريخ الجزائر في العهد التركي، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- 44- (— ، —)، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي في الجزائر، دار البصائر، الجزائر، ط 2، 2013.
- 45- (— ، —)، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2000.
- 46- (— ، —)، ولايات المغرب العثماني، الجزائر تونس طرابلس الغرب، دار البصائر، الجزائر، 2013 .
- 47- (— ، —)، بوعبدلي المهدي، الجزائر في التاريخ، ج 4، العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 48- (— ، —)، تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، البصائر، الجزائر، ط2، 2013.
- 49- (— ، —)، دراسات أندلسية مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي في الجزائر، ط 2، دار البصائر ، الجزائر ، 2013.
- 50- (— ، —)، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط 2، دار البصائر، الجزائر، 2008.
- 51- الشريف محمد الهادي ، تاريخ تونس ، تع : محمد شاوش، محمد عجبية، ط 3، دار سزاس للنشر، تونس، 1993.
- 52- شوفالييه كوربين، الثلاثون السنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510-1541م، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
- 53- شويتام أرزقي ، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519-1830، دار الكتاب العربي الجزائر، 2010.

- 54- صلاح الدين بن نعيم، تقييدات نسب أسرة المشارف للشيخ محمد بن مصطفى الأحمر المشرفي ثم الفاسي 1334هـ / 1916م، نور للنشر، د م ن، 2021.
- 55- ظاهر عبد الرحمان، المالية العامة والتشريع الضريبي، جامعة ام درمان، السودان، د س ن .
- 56- عباد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، الجزائر.
- 57- عبد القادر نور الدين، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006.
- 58- عبد الوهاب حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ط 3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، د س ن، .
- 59- العبيدي علي، الجزائر وتوازنات القوي البحرية غرب المتوسط خلال القرن السادس عشر الميلادي - دراسة تاريخية - ، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، 2017.
- 60- العقاد صلاح ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر الجزائر - تونس - المغرب الأقصى، ط 6، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1993.
- 61- علي خلاصي، الجيش الجزائري في العصر الحديث، ط 2، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013.
- 62- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1992.
- 63- عمورة عمار ، موجز في تاريخ الجزائر، دار الريحان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2002.
- 64- عنان محمد عبد الله ، نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.
- 65- فارس خير الدين، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي 1518-1830، ط 1، دمشق، سوريا، 1969.
- 66- فتيسي نادية، أوضاع الجزائر من عهد محمد بن عثمان باشا إلى غاية عهد حسين باشا (1766-1839م / 1179-1245-1346هـ) الأوضاع السياسية والاقتصادية أنموذجاً، ج 1، كوكب العلوم، الجزائر، 2021.
- 67- فيلالي كمال ، تاريخ المغرب العربي الحديث من فتح القسطنطينية الى سقوط قسنطينة 1453-1847م أساطير مؤسسة، هجرات، مؤسسة وثورات، ط 1، دار الكسندر للطباعة والنشر، قسنطينة ، 2016.

- 68- القشاعي الموساوي فلة، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837م، القافلة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
- 69- قنان جمال، العلاقات الجزائرية 1790-1830م، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2005،
- 70- (— ، —)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
- 71- (— ، —)، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، الجزائر، 2007.
- 72- (— ، —)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830م، ط خ، وزارة المجاهدين ، الجزائر، 1987 .
- 73- كحلوش مراد، دولة الجزائر البحرية دولة جزائرية أم مجرد ولاية عثمانية، نور للنشر ، ألمانيا، 2020.
- 74- كوران أرجمنت ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.
- 75- كوستانزيو برنبا ، طرابلس من 1500 إلى 1850، تر: التليسي خليفة محمد، ط1، لدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، مصراتة ليبيا، 1985.
- 76- كولان، البارود عند المسلمين، تر: دائرة المعارف الإسلامية، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1984.
- 77- لاسكورييتس كايل ، نظام دول الوفاق الأوروبي وحوكمة القوى العظمى اليوم ماذا يمكن لنظام أوروبا للقرن التاسع عشرن يُعلم صانعي السياسات حول النظام الدولي في القرن الحادي والعشرين؟، مؤسسة RADN للنشر، 2017.
- 78- لفوميكاكي رود ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرملي، تر : طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس ليبيا، د س ن .
- 79- ماخوفسكي ياتسيك، تاريخ القرصنة في العالم، تر: أنور محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008.
- 80- محرز الأمين ، الجزائر في عهد الاغوات (1659-1671م)، دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013.

- 81- المدني أحمد توفيق ، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، مطبعة الشريف، تونس، 1948.
- 82- (— ، —)، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م، سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 83- (— ، —)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د س ن .
- 84- مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني العملة والأسعار والمداخل، ج1، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.
- 85- (— ، —)، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الأساطيل والواقع، ج2، دار القصة للنشر، الجزائر، 2009.
- 86- معاشي جميلة ، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري (من القرن 10 هـ (16م) إلى 13 هـ (19م))، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2019.
- 87- الملي مبارك ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ، د س ن .
- 88- نايت بلقاسم مولود قاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ط2، ج1، دار الأمة، الجزائر، 2007 .
- 89- نوار عبد العزيز و نعنعي عبد الحميد، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1973 .
- 90- هلايلي حنفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2008.
- 91- (— ، —)، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، ط1، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2007.
- 92- (— ، —)، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الايالة 1815-1830م، ط 1، دار الهدى، الجزائر، 2007 .

- باللغة الأجنبية :

- 1- Alain Blondy Université de Paris IV, "Panzac Daniel, Les corsaires barbaresques ,La fin d'une épopée, 1800-1820" Paris, CNRS Éditions, 1999.
- 2- Albareda Salvadó, Joaquim, La Guerra de Sucesión de España (1700-

- 1714), **Cuadernos de Historia Moderna**, Reseñas bibliográficas, Virginia León Sanz Universidad Complutense de Madrid, 2011.
- 3- Attila Ambrus, **Pirates of the Mediterranean: An Empirical Investigation of Bargaining with Transaction Costs**, Harvard University Press, 2011.
- 4- Berbrugger Adrien, **Le Pégnon d'Alger, ou Les origines Algérie, du gouvernement turc en** Adrien berbrugger, Paris, 1860.
- 5- Black Jeremy, **European Warfare, 1494-1660**, Routledge, London, 2002.
- 6- Braudel Fernand, **the mediterranean and the mediterranean world in the age of philip, VII**, translated from the french by sian reynolds, paris, 1972.
- 7- Bresc Henri, Dagher Georges, Veauvy Christiane, **Politique et Religion en Méditerranée Moyen âge et époque contemporaine**, Editions Bouchène, Bibliothèque de la Méditerranée, 2008.
- 8- Card ,E, Rouard, **Traités de la France avec les pays de l'Afrique du Nord (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc)**, A.Pédone , Paris, 1906.
- 9- Corbett , Jullian S , **England in The Mediterranean, Vol1 (2V), 2nd Ed**, London, Longmans, Greend and Co 1916, p 359, <https://onlinebooks.library.upenn.edu/>.
- 10- D, Grammont, **Histoire D'Alger sous la domination Turque (1515-1830)**, ernest leroux, éditeur 28, rue bonaparte, Paris, 1887.
- 11- Daniel Panzac, **Barbary corsairs the end of a Legend 1800-1820**, translated from the French by Victoria hobson and Completed by johne , hawkes brill leiden , Boston, 2005.
- 12- De Mas Latrie, **Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au Moyen Age**, Librairie Firmin-Didot, Paris, 1886.
- 13- Dunthorne Hugh, **Britain and the Dutch Revolt 1560–1700**, permission of Cambridge University Pares, 2013.
- 14- Henri Garrot, **Histoire générale de l'Algérie**, Alger, imprimerie P crescenzo, Voutes Bastion Nord, 1910.
- 15- J O ,Lindsay ,**The New Cambridge Modern History, The Old Regime, 1713-1763**, Cambridge University Press, Cambridge, UK, vol 7, 1957, <https://books.google.je/books>.
- 16- James Wilson Stevens, **on historical and Geographical Account of Algiers: novel and interesting detail of events relative to American captives comprehending**, A Philadelphia, August, 1997.
- 17- Joana Fraga – Joan-Lluís Palos, "trois révoltes en images la catalogue, le portugal et naples dans les années 1640", **EHESS**, Paris – Universitat de Barcelona.
- 18- Jonathan R Dull, **The Age of the Ship of the Line, The British & French Navies 1650– 1815**, London: University of Nebraska Press, 2009.
- 19- José Antonio Martinez Torres , **Europa y el rescate de cautivos en el Mediterráneo durante la temprana Edad Moderna**, (2005-2006), Espacio,

- Tiempo y Forma, Serie IV, Historia Moderna.
- 20- Klein Henri, **Feuillets d'eldjezair**, chaix editeur Alger, 1937.
- 21- L .Chaillou , **textes pour servir à l'histoire de l'Algérie au XVIII siècle** , Toulon, 1979.
- 22- Louis Rinn, **Marabouts et khouan, étude sur l'islam en Algérie** ,Adolphe Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1884.
- 23- Masson, Paul, **Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque (1560-1793) (Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc)** , librairie hachette, PARIS, 1903.
- 24- Muolay Balhmissi, **Marins et marine d'Alger 1518-1830**, T 1 , 2, 3, les navires et les hommest, Alger, bibliotheque nationale D'algerie, 1996.
- 25- Musée national de la Marine, **Auteurs Repères La construction navale en bois aux XVIIe et XVIIIe siècles** ,Service culturel, Paris 2005.
- 26- Robert Davis, **Esclaves Chrétiens, Maitres Musulmans, L'esclave Blanc en Méditerranée 1600-1800**, Tr; Manuel Tricoteau, p.aris: Ed; Jacqueline Chambon, 2006.
- 27- Rozet et Carette, **L'Algérie Histoire et description de tous les peuples, de leurs religions, moeurs, coutumes, ect** , Paris, firmin didot frères, 1850.
- 28- Sylviane Llinares, **marine, propulsion et techcnique: L'évolution du système technologique du navire de guerre francais au XVIIIe siècle**, V II, , librairie de IL'inde éditeur 20, Paris, 1994.
- 29- Tal Shuval, **La ville d'Alger vers la fin du XVIIIe siècle**, Population et cadre urbain, Éditions via Open Edition CNRS, 1998.
- 30- V Picquet, **les civilisations de l'Afrique du Nord, Barbaresque Arabe –Turcs**, A.colin, Paris, 1909.
- 31- Venture de Paradis, **Alger au XVIIIe siècle**, typographie adolphe jourdan ,Alger ,1898.
- 32- William Weir ,**50 Battles That Changed the World**, the conflicts that most influenced thecourse of history, Printed in the U.S.A. by Book-mart Press, 2001.

6- المقالات والدوريات :

- باللغة العربية :

- 1- بونو سلفاتور ، « العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي» ، تر : أبو القاسم بن التركي، **مجلة الأصالة**، السنة الأولى، ع 6، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدنية، الجزائر، 1971.
- 2- بن اشنهو عبد الحميد ، « الدور الذي لعبته الجزائر في القرن 16م بالبحر المتوسط »، **مجلة الأصالة**، ع8، ماي جوان 1972.
- 3- إبراهيم سعيود، « القرصنة المتوسطية خلال الفترة الحديثة القرصنة الإيطالية أنموذجا» ،

- مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع2011، 11 .
- 4- بليل رحمونة، « دور العمل البحري في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن 18م »، الحوار المتوسط، ع2، جامعة الجبالي اليااس سيدي بلعباس .
- 5- هلايلي حنيفي، بوجللال مسعودة، « قضايا البحر الأبيض المتوسط بين بين الجهاد والصليبية من خلال كتابات فرناند بروديل »، مجلة الحوار المتوسط، ع 15-16، مارس 2017.
- 6- (— ، —)، « القرصنة وشروط افتداء الأسرى الإسبان في الجزائر خلال العهد العثماني »، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع4، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر.
- 7- بلحميسي مولاي ، « صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك »، مجلة الدراسات الأثرية آثار، مج 3، ع1، 1995.
- 8- (— ، —)، « إرشاد الحيران في أمر الداى شعبان »، مجلة الدراسات التاريخية، مج1، ع 2، 01/06/1986م.
- 9- آية حبوش حميد، « الرحلة وكتابة تاريخ بلاد المغرب رحلة التمقروتي أنموذجا »، مجلة الحوار المتوسطي، مج. 6، ع 9-10.
- 10- قرياش بلقاسم ، « الغارات الجزائرية في المحيط الأطلسي 1627-1631م آيسلندا، يالتييمور »، مجلة البحوث التاريخية، المجلد 2، ع2، مارس 2018.
- 11- تابليت علي ، « معاهدات السلام والصدّاقة بين الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية سنة 1795 »، مجلة حوليات، مج4، ع1، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 1/7/1989م.
- 12- يوسفى صرهودة ، « جوازات مرور إيالة الجزائر ومكانتها في حور البحر الأبيض المتوسط »، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج7، ع1، جامعة قسنطينة الجزائر، مارس 2021.
- 13- سعيدوني ناصر الدين، « صفحات من ماضي الجزائر المجيد البحرية الجزائرية: ظروف نشأتها وعوامل تطورها وأسباب ضعفها »، مجلة الدراسات التاريخية، مج 7، رقم، 1 ، 1/1/1997.
- 14- شقرون الجيلالي، « العلاقات بين إيالة الجزائر والولايات المتحدة الأمريكية خلال العهد العثماني 1776-1830م »، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 40، مارس، 2018.
- 15- فكار عبد القادر ، « العملات الإسبانية المتداولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية »، مجلة عصور جديدة، ع 5، جامعة وهران 2، الجزائر، 2012.
- 16- بن جبور محمد، « البحرية الجزائرية في أواخر العهد العثماني »، مجلة عصور، مج 7، ع

- 2، جامعة وهران، 2008.
- 17- بلبروات بن عتو ، « معاهدة الصلح بين الجزائر وإسبانيا سنة 1791م »، مجلة عصور جديدة، مج 10، ع 2، جوان 2020.
- 18- (— ، —)، « الباي محمد الكبير باي وهران 1779-1797م حياته وسيرته »، مجلة عصور، مج 2، ع 1، جامعة وهران، جوان 2003 .
- 19- لعربي إسمهان، « أرشيف الامتيازات الاقتصادية ودوره في كتابة تاريخ الجزائر العثماني - الدفاتر اليومية للشركة الملكية الإفريقية أنموذجا »، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 11، ع 1، جامعة وهران، 30 جانفي 2015.
- 20- سعيدوني ناصر الدين ، « الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لولايات المغرب العثماني (الجزائر - تونس - طرابلس الغرب) من القرن العشر إلى القرن الرابع عشر (من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادي) »، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الحادية والثلاثون - 1431هـ / 2010م.
- 21- بحري حمد ، « ضرائب الجزائر العثمانية من خلال بعض الظواهر المازونية »، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 9، ع 10، جامعة وهران، 30-06-2013.
- 22- عبد الحفيظ حيمي، "الطريقة التجانية في الجزائر وموقف السلطة العثمانية منها من خلال المصادر المحلية، 1196-1242هـ / (1782-1826)", آفاق فكرية، مج 4، ع خاص، جامعة الجبالي اليابس سيدي بلعباس، 2018.
- 23- شواردر مبارك ، « انعكاسات مؤتمر فيينا 1815م على البحرية الجزائرية »، مجلة البحوث التاريخية، مج 5، ع 2، جامعة مسيلة، الجزائر، ديسمبر 2021.
- 24- فاطمة بن عيسى، "المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية من خلال وثائق مركز المحفوظات الوطنية للدراسات التاريخية الجزائرية 1815-1818"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 9، ع 1، الجزائر.
- 25- بوهند خالد ، بن عيسى فاطمة ، « المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية من خلال وثائق مركز المحفوظات الوطنية للدراسات التاريخية الجزائرية 1815-1818 »، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج 9، ع 1، الجزائر.
- 26- الزبيري محمد العربي ، « مقاومة الجزائر لتكتل الأوروبي قبل الاحتلال »، مجلة الأصالة، مج 3، ع 12، 1973 .

ب- باللغة الأجنبية :

- 1- A. Berbrugger, "Un Chérif Kabyle en 1804", en **R A**, V . 3, 1858.
- 2- A. Devoulx, "le registre des prises maritimes", **R.A**, V 15, 1871.
- 3- = = , " la marine de la régence d'Alger ", **R A**, V 13 , 1889.
- 4- = =, "le Rais Hamidou, A.Jourdan, Alger, **R A**, 1859.
- 5- = =, "un exploit des Algériens en 1802" , **R A**, N 50, MARS 1865.
- 6- = = , " A'lger Etude archéologique et topographique sur cette ville", **R A**, 1876.
- 7- Braudel Fernand, "Les Espagnols et La Berbérie De 1492 à 1577", **R A**, V 69,1928.
- 8- Buti Gilbert, "Aller en caravane le cabotage lointain en Méditerranée, XVIIe et XVIIIe siècles", **Revue, d'histoire moderne & contemporaine**, N°52-1, 2005.
- 9- = = , Hrodej Philippe, " Histoire des pirates et des corsaires de l'Antiquité à nos jours ", **Revue d'histoire moderne & contemporaine**, N° 64-2, 2017.
- 10- Cresti Federico, "Alger à la période turque. Observations et hypothèses sur sa population et sa structure sociale", **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, N°44, 1987.
- 11- D, Grammont, "études Alériennes la course les clavages et la rédemption, a alger , extrait", **de la Revue historique**, Paris 1885.
- 12- = =, "Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIIe siècle", **R A**, 1879.
- 13- De Groot Alexander H, " Ottoman North Africa and the Dutch Republic in the seventeenth and eighteenth centuries", **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, N°39, 1985.
- 14- Filippini Jean-Pierre, " Les négociants juifs de Livourne et la mer au XVIIIe siècle", **Revue française d'histoire d'outre-mer**, Tome 87, N°326-327, 1er semestre 2000.
- 15- G. Thomas, "The Costs of State-Sponsored Terrorism: The Example of the Barbary Pirates, Woodward, Tax Analysis Division, Congressional Budget, Office, Washington", **National Tax Journal**, Vol LVII, N 3, September 2004.
- 16- Jean Mathiex, " Sur la marine marchande barbaresque au XVIIIe siècle " ,**Annales Économies, Sociétés, Civilisations**, 13^e année, N. 1, 1958.
- 17- José Antonio Martinez Torres, " Europa y el rescate de cautivos en el Mediterráneo durante la temprana Edad Moderna ", **Espacio, Tiempo y Forma**, Serie IV, **Historia Moderna**, T 18-19, 2005-2006.
- 18- Magnus Ressel, "The Dutch-Algerian War and the Rise of British Shipping to Southern Europe (1715-1726)", **Cahiers de la Méditerranée [Online]**, 90 | 2015, Online since 01 December 2015.
- 19- Marseille, (E) , " Essaie d'une marine marchande Barbaresque au XVIII siècle ", **les Cahiers Tunisie** , 1955, N° 1.
- 20- Mathiex Jean, " Trafic et prix de l'homme en Méditerranée aux XVIIe et XVIIIe siècles", **Annales Economies, sociétés, civilisations**, 9^e année, N 2, 1954.
- 21- Maziane Leila, " Étrangers et transferts techniques au Maroc à l'époque modern", **Cahiers de la Méditerranée**, N° 84 | 2012, le 15 décembre 2012, consulté le 02 mai 2019.
- 22- Nora Lafi, "Salvatore Bono, Corsari nel Mediterraneo. Christiani e musulmani fra guerra, schiavitù e commercio", **Revue du monde musulman et de la**

- Méditerranée**, N°68-69, 1993, Etats modernes, nationalismes et islamismes.
- 23- Panzac Daniel, "Les esclaves et leurs rançons chez les barbaresques (fin XVIIIe - début XIXe siècle ", **revue Cahiers de la Méditerranée**, N°65, 2002.
- 24- Primaudaie, Elie de la, " Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique, 1506-1574 ", **R A**, 1875.
- 25- Temimi Abdeljelil, " Documents turcs inédits sur le bombardement d'Alger en 1816", **Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée**, N°5, 1968.
- 26- Thomas G. Woodward, " The Costs of State-Sponsored Terrorism: The Example of the Barbary Pirates ", **National Tax Journal (NTJ)** , V 57, N° 03, September 2004.
- 27- Xavier Labat Saint-Vincent, "La course et le corso en Méditerranée du XVIe au XIXe siècle ", **revue Clio**, Aoute, 2002, Pwww.Clio. fr.
- 28- Yver Georges, "Paul Masson. Histoire des Établissements et du Commerce français dans l'Afrique barbaresque (1580-1793) : Algérie , Tunisie , Tripolitaine , Maroc", **Revue d'Histoire Moderne & Contemporaine** , Année 1903 .

7- الأطروحات :

- باللغة العربية :

- 1- بن حميد فتحة، الامتيازات الفرنسية وأثرها في المغرب والمشرق العربي (1535-1798)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: دويذة نفيسة، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 2014-2015.
- 2- بن يوسف تلمساني، الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الإستعمارية) 1782-1900م، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف : ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1997-1998.
- 3- جمام محمود ، النظام الضريبي وآثاره على التنمية الاقتصادية دراسة حالة الجزائر، رسالة دكتوراه في العلوم الاقتصادية، إشراف : محمد سحنون، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2009-2010.
- 4- حالة خديجة ، الجاليات الأوروبية في الجزائر إبان العهد العثماني 1700-1830م، شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف : عبد الكريم بوصفصاف، أدرار، 2012-2013.
- 5- حصام صورية، العلاقات بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن الثامن عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الحفيظ بن نعيمة، جامعة وهران، 2012-2013.
- 6- حليم سرحان ، تطور صناعة السفن الحربية بالجزائر على عهد العثمانيين (920-1246هـ)(1514-1830م) من خلال المصادر التاريخية والأثرية، رسالة ماجستير في الآثار

- الإسلامية، إشراف: صالح بن قرية، جامعة الجزائر 2، 2007-2008.
- 7- خرنقة مبروكة، العلاقات التونسية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1605-1705م) سياسيا وتجاريا، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث، إشراف: عمار بن خروف، المركز الجامعي بغرداية، 2011-2012.
- 8- خشمون حفيظة، مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي، إشراف: كمال فيلاي، جامعة قسنطينة، 2006/2007.
- 9- خطاب فطوم، التحالف الأوروبي وتجديد العلاقات الجزائرية الفرنسية (1800/1830م)، شهادة ماجستير في التاريخ الدبلوماسي والعلاقات الدولية، إشراف: شقرون الجيلالي، جامعة الجبلالي اليابس سيدي بالعباس، 2014/2015م.
- 10- دحماني توفيق، الضرائب في الجزائر (1206-1282هـ/1792-1865م) دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2007-2008.
- 11- زيتوني إسحاق، البحرية الجزائرية وتأثيرها في العلاقات الجزائرية الفرنسية السياسية 1519-1800م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: عمار بن خروف، جامعة غرداية، 2011-2012.
- 12- سمير مشوشة، الموارد البحرية للجزائر العثمانية خلال القرنين (11-12هـ/17-18م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف: احمد صاري، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة الجزائر، 2018-2019.
- 13- سي يوسف محمد، قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1988.
- 14- شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمر بن خروف، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- 15- صالح خليل، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: علي اجقو، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006-2007.
- 16- عطلي محمد الأمين، نشاط البحرية الجزائرية في القرن السابع عشر و أثره في العلاقات

الجزائرية الفرنسية، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف : عمار بن خروف، المركز الجامعي غرداية ، 2011-2012.

17- عقاد سعاد، الفلاحون الجزائريون والسلطة العثمانية في الجزائر (1519-1830م)، شهادة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف : دادة محمد، جامعة وهران، الجزائر، 2013-2014م.

18- غطاس عائشة ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اجتماعية-اقتصادية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، إشراف: مولاي بلحميسي، الجزائر، 2001.

19- (— ، —)، العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1674)، رسالة ماجستير، إشراف : مولاي بلحميسي، تاريخ حديث، جامعة الجزائر، 1985.

20- لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف: مولاي بلحميسي، جامعة الجزائر، 1989/1990.

21- لقوارة فهم، ميناء مدينة الجزائر ودوره الاقتصادي في العهد العثماني (ق 10-11هـ/16-17م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف : فلة موساوي القشاعي، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2011-2012.

22- نوال حمزة يوسف الصريفي، الجهاد البحري الإسلامي في شرق إفريقيا في القرن العشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، إشراف : محمد سيد محمد، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1987.

- باللغات الأجنبية :

- 1- Ali Eltarhuni : **Factors that affected the Tunisian industrialization movement in the era of Ahmed Bey (1837-1855)** , Doctor of Philosophy in the Department of History of the College of Arts and Sciences , University of Cincinnati, 2015.
- 2- L. Bonzem: **Du régime fiscal Algérien**, thèse, Paris, 1899.
- 3- Patrice Grimald: **une galere a versailles reconstitution de la reale du grand canal construite en 1685**, these de doctorat en Histoire-Dominante Histoire des techniques avales soutenue en 2013-Universites D'evry, de PARIS 1, de rennes et de montbeliard-belfort patrice grimald.

- الملتقيات والندوات :

- باللغة العربية :

1- أميلي حسن ، « البحرية العثمانية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين: من الريادة إلى التبعية »، العثمانيون والعالم المتوسط:

مقاربات جديدة، ضمن سلسلة ندوات ومناظرات رقم 109، ط1، منشورات كلية الآداب بالرباط، الدار البيضاء، 2003.

2- حجي محمد ، « المورسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير »، ضمن ندوة المورسكيون في المغرب ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الندوة الثانية ، 21- 23 سبتمبر 2000، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2001.

- باللغات الأجنبية :

1- Ismet Touati , **L'Algérie au "siècle du blé" (1725-1815)** : l'essor du commerce extérieur Algérien a l'époque ottomane ,Conférence donnée aux Glycines le 23 janvier 2014, <https://glycines.hypotheses.org>.

2- Safia Benselama-Messikh, "Les fortifications ottomanes d'Alger (1516-1830)", Defensive Architecture of the Mediterranean, XV to XVIII centuries, FORTMED 2015, **International Conference on modern age fortification of the western mediterranean coast**, Oct 2015, Valencia, Espagne, Universitat Politècnica de València, Oct 2015.

9- الموسوعات والتراجم :

- باللغة العربية :

1- صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2000 .

- باللغة الأجنبية :

1-Le Petit La Rousse, **France Matière Corsaire**, Grand Format Edition, 2005.

2-Jaques Tony, **Dictionary of Battles and Sieges: A Guide to 8,500 Battles from Antiquity through the Twenty -first Century**, 3Vol (Vol1 a-e), London,Greenwood Press, 2007.

10- المواقع الالكترونية :

[https:// gallica.bnf.fr](https://gallica.bnf.fr).

[https:// quod.lib.umich.edu](https://quod.lib.umich.edu).

[https:// glycines.hypotheses.org](https://glycines.hypotheses.org).

[https:// Pwww.Clio. fr](https://Pwww.Clio.fr).

[https:// gutenberg.net](https://gutenberg.net).

[https:// glycines.hypotheses.org](https://glycines.hypotheses.org).

[https:// books.google.je/books](https://books.google.je/books).

[https:// onlinebooks.library.upenn.edu](https://onlinebooks.library.upenn.edu) .

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الجداول

الرقم	عنوان الجدول	ص
1	عدد السفن وعدد المدافع التي تحتوي عليها مصادر مختلفة	45
2	عدد المدافع في بعض فترات القرن 17م	56
3	عدد الأسرى في الجزائر ما بين 1619-1678	83
4	يوضح أسعار بيع الأسرى الأوروبيين في إيالة الجزائر خلال الفترة 1656-1666م	85
5	عدد السفن وقيمتها من 1611 إلى 1671 م	87
6	يوضح عدد المعاهدات المبرمة مع الإيالة الجزائرية	101
7	مراسلو ووكلاء شركة بكري بين مختلف العواصم الأوروبية 1801-1802م	110
8	عدد سفن الخط وعدد مدافعها	119
9	سفن القرن 17 والتي تحمل بين 30 إلى 80 مدفع	120
10	سفن القرن 18 التي تحمل من 30 إلى 80 مدفع	120
11	عدد السفن حسب احصائية دوفو (Devoulx)	138
12	عدد السفن حسب محمد أمين	139
13	حول عدد السفن حسب الدراسات الجزائرية	143
14	يوضح أحصاء عدد الأسرى في الفترة 1675-1698م	156
15	يوضح عدد الأسرى حسب دراسة فيديريكو كريستي 1678-1698م	157
16	يوضح أحصاء عدد الأسرى في الفترة 1700-1789م	160
17	يوضح عدد الأسرى بداية القرن 18م حسب دراسة فيديريكو كريستي	161
18	يوضح أعداد الأسرى حسب دفتر التشرifications	161
19	عدد الأسرى حسب دفتر التشرifications	164
20	عدد الأسرى في الفترة 1795-1816 حسب بنزك	165
21	يوضح أعداد الأسرى من 1675-1816م	167
22	يوضح أعداد الأسرى وتوزيعهم الجغرافي من 1774-1816م	169
23	يوضح فدية طاقم سفينة أمريكي بالدولار \$	175
24	يمثل متوسط قيمة فدية الأسرى في الفترة 1798-1809م بالفرنك	177
25	عدد الأسرى المفتديين من قبل المنظمات الدينية	177
26	عدد الأسرى وثمان فديتهم من قبل رجال الدين بالقرش	178
27	غنائم البحر في الفترة 1674-1677م	183
28	غنائم البحر في الفترة 1681-1699م	183
29	الغنائم البحر لسنوات 1765-1815م	200
30	أموال الجزية لسنة 1822 بالدولار الإسباني	220
31	يوضح كميات الحبوب المصدر من الجزائر	232

ثانيا: فهرس الأشكال

الرقم	العنوان	ص
1	يمثل منحى بياني لأسعار الأسرى وقيمة افتداهم بإيالة الجزائر في الفترة 1694-1609 م الاسكودوس الإسباني	85
2	يمثل منحى لتطور استخدام الحديد في سفن اسطول 1680م	121
3	منحى يوضح وزن المعادن الحديدية في اسطول 1800 حسب مستوى السفن	121
4	منحى يوضح عدد سفن الاسطول الجزائري في الفترة 1737-1827 حسب دفتر التشريرات	139
5	منحى يوضح عدد سفن الأسطول الجزائري في الفترة 1737-1816م حسب محمد أمين	140
6	يوضح نسب الرياس من أصول المختلفة 1798-1816م	149
7	منحى يوضح عدد الأسرى في الجزائر في الفترة 1675-1698م	157
8	منحى يوضح عدد الأسرى في الجزائر في الفترة 1678-1698م	157
9	منحى بياني لعدد الأسرى من 1675-1816م	168
10	منحى بياني لعدد السفن المأسورة خلال فترة الدراسة	201
11	منحى بياني لمتوسط قيمة الغنيمة بالفرنك	201

ثالثاً: فهرس الملاحق

الرقم	العنوان	ص
1	رخصة المرور منحها القنصل الفرنسي للقبطان عثمان قائد البحرية الجزائرية في 8 أبريل 1826م،	307
2	وثيقة توضح أخذ رياس الجزائر لسفينة إسبانية بكل حمولتها نظراً لعدم حملها جواز سفر	307
3	جواز سفر دانماركي صادر عن القنصلية الدانماركية بالجزائر وجود في سفينة جزائرية غرقت في البحر قرب الجزيرة الخضراء 16 أبريل 1780م	308
	جواز سفر سويدي صادر عن القنصلية السويدية بالجزائر وجود في سفينة جزائرية غرقت في البحر قرب الجزيرة الخضراء 16 أبريل 1780م	308
	جواز سفر بريطاني صادر عن القنصلية البريطانية في الجزائر عثر عليه في 16 أبريل 1780م	309
	جواز سفر هولندي صادر عن قنصلية هولندا في الجزائر وجد في السفينة الجزائرية التي غرقت في 16 أبريل 1780 في الجزيرة الخضراء.	309
	جواز سفر صادر عن قنصلية الجمهورية البندقية في الجزائر وجد على متن السفينة الجزائرية التي غرقت في مياه الجزيرة الخضراء 16 أبريل 1780م	310
4	رسالة مؤرخة في أواخر شوال سنة 1230هـ سبتمبر 1815م، من السلطان العثماني إلى داي الجزائر يوضح فيها أنّ السفينة الروسية التي تم احتجازها من قبل الرّياس الجزائريون تحمل جواز سفر من قبل الباب العالي	311
5	رسالة من داي حسين بتاريخ 21 جمادى الأولى 1238هـ، يطلب من الديوان منح جواز مرور لتمكن مجموعة من الجنود من السفر لإداء فريضة الحجة بأمان	312
6	وثيقة توضح حالة سفن شركة الهند الغربية لسنة 1667م، وهي تعطي فكرة كيف أصبحت السفن التجارية مسلحة، بأعداد كبيرة من المدافع تحسباً لأي هجومات امن قبل لقراصنة	313
7	رسالة من القبطان قدور سر عسكر جزاير المحروسة المؤرخة في 14 محرم 1242هـ إلى الداى حسين، وضح حجز سفينة لفرونية من قبل البحارة الجزائريون في الفترة 1817-1827م في قناة لفيرون وعليها 7 أسرى مسيحيين، تحمل سكر وأقمشة وسلعاً أخرى.	315
8	رسالة من حسن باي الغرب إلى ابراهيم وكيل الحرج باب الجهاد بدون تاريخ يعلمه أن 3 سفن جزائرية محمد الزبير رايس والحاج علي رايس ومركب محمد الترياقى رايس، دخلت لميناء	316

	أرزيو منهما 2 محملتان بغنائم فرنسية	
317	وثيقة تحتوي على هدية في شكل معدات حربية من دولة الدانمارك بتاريخ بتاريخ 1209 هـ / 1793م والوثيقة رقم 452 معدات حربية دانماركية بتاريخ 22 رجب 1217 هـ / 18 نوفمبر 1802	9
318	وثيقة بتاريخ 14 جمادى الأولى 1215 هـ / 3 أكتوبر 1800 تحتوي على قائمة بالعتاد والمعدات الحربية التي احضرتها سفينة أمريكية	10
319	وثيقة بتاريخ 17 صفر 1209 هـ / 13 سبتمبر 1794م، تحتوي على قائمة بالعتاد والمعدات الحربية التي قدمتها هولندا للإيالة الجزائرية	11
320	نسخة من وثيقة عقد الصلح بين الإيالة الجزائرية والإسبانية بتاريخ 17 شعبان 1200 هـ / 14 جويلية 186م عهد الداوي محمد بن عثمان.	12
321	يوضح وبالتدقيق حجم الإتاوة التي جلبت إلى إيالة الجزائر على إثر انعقاد الصلح بينها و بين إسبانيا بتاريخ 7 شعبان 1199 هـ / 15 جوان 1785م	13
322	وثيقة توضع إعفاء علي المشرفي وكامل أسرة المشارف من المطالب المخزنية والوظائف السلطانية قلة أو جلة مؤرخة في 1 و آخر جمادى الأولى 1049 هـ / أواخر سبتمبر 1639م.	14
323	شيوخ وعلماء مدينة قسنطينة من المطالب المخزنية والوظائف السلطانية مؤرخة في أواخر محرم 1216 هـ / بداية جوان 1801م	15
324	رسالة من الداوي حسين يأمر فيها بإعفاء بعض شيوخ وعلماء ، وجميع أولاد سيدي الحاج عبد الوهاب من المطالب المخزنية والوظائف السلطانية قليلها وجليها مؤرخة في عام 1235 هـ	16
325	رسم يوضح تقدم السفن الإنجليزية من ميناء إيالة الجزائر أثناء حملة اكسموث 1816م دون مقاومة للسفن الجزائرية من موقع المكتبة الوطنية الفرنسية	17
326	هي عبارة عن رسالة من الداوي حسين توضح الاعتداءات التونسية على إيالة الجزائر	18
327	وثيقة تحتوي على تفاصيل الدين الجزائري المترتب على فرنسا وكيفية وقوعه	19
332-328	نسخ من سجل غنائم البحر 15MI-15. Registre du beylik n° 19	20

رابعاً: فهرس الأماكن

- أرزيو 188, 211, 316, 357
- أرغون 24
- إسبانيا 21
- إسبانيا, 27, 29, 30, 31, 34, 35, 55, 58, 68, 78, 79, 88, 101, 106, 110, 112, 113, 130, 131, 132, 135, 159, 160, 162, 163, 164, 169, 170, 171, 175, 183, 185, 187, 190, 195, 196, 202, 203, 205, 208, 217, 226, 227, 259, 321, 358
- إسبانية .. 85, 87, 88, 107, 114, 116, 132, 145, 171, 188, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 203, 210, 307, 332, 357
- اسكتلندا 36, 79
- اكس لاشييل 284, 285, 367
- اكسل لاشييل 284
- الأبيض المتوسط .. 7, 9, 21, 22, 24, 26, 27, 28, 29, 31, 32, 38, 40, 41, 42, 44, 49, 52, 54, 59, 70, 75, 76, 77, 78, 84, 88, 92, 102, 104, 109, 123, 145, 148, 150, 152, 212, 219, 222, 249, 257, 260, 261, 274, 286, 297, 298, 300, 301, 303, 347, 352
- الإسبان ... 29, 30, 33, 34, 42, 49, 54, 55, 70, 106, 131, 132, 133, 149, 166, 169, 171, 174, 175, 178, 179, 180, 187, 191, 298, 347
- الإسباني . 26, 30, 50, 66, 79, 85, 86, 90, 95, 112, 132, 142, 162, 181, 187, 220, 237, 293, 351, 355, 356
- الإسبانية . 13, 21, 29, 31, 37, 53, 68, 77, 78, 79, 81, 100, 106, 130, 131, 132, 134, 142, 162, 163, 164, 166, 171, 172, 176, 186, 187, 191, 196, 202, 203, 204, 216, 240, 274, 280, 293, 347, 364
- الإفريقية 27, 227, 229, 231, 233, 234, 235, 236, 290, 348
- الإنجليز 26, 57, 58, 70, 78, 113, 115, 118, 119, 133, 158, 176, 185, 187, 194, 238, 239, 266, 275
- الإنجليزية .. 11, 26, 40, 77, 84, 100, 103, 114, 123, 126, 162, 182, 185, 191, 223, 229, 280, 281, 285, 291, 325, 358
- الأندلس . 27, 29, 30, 31, 43, 67, 68, 246, 342
- الأوراس 267
- الأوروبية 7, 8, 10, 12, 15, 16, 17, 18, 22, 26, 27, 28, 30, 31, 32, 37, 41, 48, 49, 50, 52, 53, 56, 58, 59, 67, 70, 72, 75, 78, 83, 88, 92, 97, 99, 102,

103, 110, 112, 113, 116, 117, 121,
122, 124, 125, 126, 130, 131, 135,
144, 145, 147, 148, 152, 159, 162,
164, 166, 174, 182, 186, 192, 193,
195, 196, 197, 202, 203, 205, 206,
209, 210, 212, 214, 219, 220, 221,
222, 223, 224, 226, 235, 239, 250,
252, 257, 258, 259, 260, 261, 265,
273, 274, 275, 276, 277, 278, 280,
281, 282, 284, 285, 286, 290, 297,
300, 301, 302, 303, 340, 344, 350,
355, 363, 364, 366
الإيطالية, 24, 25, 190, 192, 208, 222, 226,
346
الباسكتيون . 102, 104, 105, 128, 129, 215,
228, 230, 295
البحر الأيرلندي 70
البرتغال 79, 101, 111, 112, 159, 169,
170, 190, 191, 204, 205, 206, 214,
218, 220, 226
البندقية ... 72, 76, 87, 88, 170, 183, 191,
194, 205, 206, 218, 222, 310, 357
الجزائر . 8, 9, 11, 12, 13, 14, 15, 16, 17,
19, 21, 22, 23, 24, 26, 27, 28, 29,
30, 31, 32, 33, 34, 35, 37, 38, 39,
40, 41, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48,
49, 50, 51, 52, 53, 54, 55, 57, 58,
59, 60, 61, 62, 65, 67, 68, 69, 70,
71, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 82, 83,
84, 85, 86, 88, 89, 90, 92, 93, 94,
95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102,

103, 104, 105, 106, 107, 108, 109,
110, 111, 112, 113, 123, 124, 125,
126, 127, 128, 129, 130, 131, 132,
133, 134, 135, 137, 138, 140, 141,
142, 143, 144, 145, 146, 147, 148,
150, 151, 152, 154, 155, 156, 157,
158, 159, 160, 163, 164, 165, 166,
170, 172, 173, 174, 175, 176, 177,
178, 181, 182, 186, 187, 189, 190,
191, 192, 196, 203, 204, 205, 208,
209, 210, 212, 214, 216, 217, 218,
219, 220, 221, 222, 226, 227, 228,
229, 231, 232, 233, 234, 237, 239,
240, 241, 242, 244, 245, 246, 247,
249, 250, 251, 252, 253, 254, 255,
256, 257, 258, 259, 260, 261, 263,
264, 265, 266, 267, 268, 269, 270,
271, 272, 273, 275, 276, 277, 278,
279, 280, 282, 283, 284, 285, 286,
287, 288, 289, 290, 291, 292, 293,
294, 295, 296, 297, 298, 300, 301,
304, 305, 307, 309, 310, 311, 321,
325, 326, 330, 331, 335, 336, 337,
338, 339, 340, 341, 342, 343, 344,
346, 347, 348, 350, 351, 352, 355,
356, 357, 358, 362, 364, 365, 366,
367

الجزائري 21
الجزائرية 1, 5, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 13, 15,
16, 17, 18, 21, 22, 24, 26, 27, 28,
30, 31, 32, 33, 34, 35, 37, 38, 40,

41, 42, 43, 44, 45, 47, 48, 52, 53, 58, 59, 61, 64, 65, 66, 67, 68, 70, 74, 82, 84, 85, 87, 88, 89, 90, 93, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 106, 107, 108, 111, 113, 122, 124, 125, 126, 127, 129, 130, 132, 133, 134, 135, 136, 141, 142, 143, 144, 148, 150, 152, 154, 156, 158, 162, 163, 164, 171, 185, 186, 188, 191, 193, 196, 197, 202, 203, 204, 205, 206, 209, 212, 217, 221, 222, 223, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 234, 235, 237, 238, 247, 249, 251, 252, 253, 254, 255, 257, 258, 259, 261, 264, 273, 274, 275, 276, 277, 278, 283, 286, 288, 289, 290, 291, 292, 294, 295, 297, 300, 301, 302, 305, 307, 309, 310, 319, 320, 325, 327, 334, 339, 340, 343, 344, 347, 348, 351, 352, 355, 357, 358, 362, 363, 364, 366	السويد ... 79, 81, 98, 101, 102, 112, 206, 208, 218, 220, 222 الشرق الجزائري 77, 226, 227, 228, 229, 230, 234, 236, 245, 266, 344, 366 العثمانية. 7, 9, 10, 11, 14, 21, 25, 27, 29, 30, 33, 34, 35, 38, 41, 49, 50, 53, 57, 65, 68, 71, 72, 73, 75, 76, 77, 78, 90, 93, 94, 107, 109, 124, 141, 163, 173, 176, 197, 198, 206, 209, 227, 244, 247, 269, 271, 273, 278, 282, 300, 301, 304, 338, 340, 341, 343, 347, 348, 351, 352, 353 العرائش 35, 36 الفرنسية, 7, 10, 11, 13, 14, 16, 24, 26, 40, 43, 62, 76, 80, 81, 96, 99, 100, 103, 104, 105, 116, 117, 118, 119, 122, 123, 125, 127, 128, 129, 130, 136, 141, 144, 148, 158, 164, 165, 172, 173, 185, 187, 191, 197, 204, 209, 222, 228, 229, 230, 231, 236, 237, 238, 271, 277, 282, 289, 290, 291, 292, 293, 294, 295, 296, 301, 304, 325, 327, 334, 335, 340, 350, 351, 352, 358, 363, 364 القالا 77, 124, 237 القسطنطينية 35, 60, 67, 128 ألكانتارا 79 الكرط 272 ألمانيا . 29, 45, 72, 79, 80, 81, 111, 190, 343
الجزر البريطانية 79 الحشم 264, 269, 272 الحنانشة 264 الدانمارك ... 88, 101, 130, 169, 183, 192, 202, 214, 217, 218, 220, 317, 358 الدولة العثمانية 21 الروسية 107, 219, 311, 357 السدره 269 السواحل الإسبانية 31, 32	

المحيط الأطلسي . 9, 17, 21, 26, 27, 35, 36,
37, 49, 66, 67, 68, 71, 72, 74, 76,
90, 92, 117, 144, 148, 183, 185,
186, 207, 297, 347, 362
262..... المدينة
262..... المسيلة
المغرب 1, 15, 41, 55, 59, 60, 65, 66, 68,
70, 75, 76, 78, 95, 111, 150, 163,
174, 175, 186, 241, 242, 250, 258,
268, 273, 277, 278, 279, 284, 300,
336, 337, 338, 339, 341, 342, 347,
348, 350, 351, 353, 319
النرويج 218.....
النماشة 267.....
النمسا 79, 102, 162, 169, 206, 209, 219,
276, 284
الهاسبورغ 26, 81
الهولندية .. 26, 40, 78, 88, 118, 122, 126,
183, 185, 186, 195, 213, 216, 259,
338
الولايات المتحدة الأمريكية 98, 217, 224, 279,
344
أمريكا 10, 15, 37, 55, 59, 101, 102, 125,
126, 133, 134, 135, 147, 152, 169,
170, 202, 206, 214, 218, 222, 223,
258, 259, 260, 261, 280, 286, 304,
336, 337
أمريكا 134, 214.....
انجلترا 76
إنجلترا 25, 26, 36, 40, 47, 70, 75, 76, 77,
79, 81, 88, 102, 105, 111, 122, 146,

148, 152, 154, 158, 162, 163, 184,
187, 195, 202, 205, 209, 215, 216,
257, 260, 261, 278, 279, 280, 282,
284, 285, 292
أوروبا 16, 23, 25, 29, 30, 41, 49, 54, 55,
57, 73, 75, 78, 79, 80, 81, 98, 109,
112, 114, 117, 145, 147, 163, 196,
204, 209, 214, 224, 232, 233, 257,
260, 276, 277, 279, 293, 339, 343,
365
إيالة الجزائر 21.....
إيطاليا 41, 70, 101, 109, 111, 155, 169,
189, 205, 206, 224, 237
ايكس آن بروفانس 294.....
باب الواد 50, 54.....
باب عزون 51.....
باريس 80, 104, 110, 118, 276, 279, 281,
291, 293
بجاية 30, 51, 57, 92, 146, 182, 227
بروسيا 169, 206, 208, 209, 284
بروسية 193.....
بريطانيا 29, 45, 100, 101, 125, 163, 209,
260, 278, 280, 282
بسكرة 262.....
بلنسية 31.....
بندقية 119, 194, 196.....
بولندا 79.....
بوهيما 80, 81.....
بيزا 24.....
تلمسان 31, 270.....
توسكانة 106, 109, 192.....

توسكانيا 219
 تونس 10, 28, 33, 34, 35, 59, 60, 84, 92,
 94, 110, 123, 126, 141, 151, 163,
 186, 192, 229, 241, 242, 249, 250,
 251, 252, 253, 254, 255, 256, 261,
 266, 268, 277, 278, 281, 285, 286,
 287, 288, 289, 297, 326, 332, 335,
 337, 338, 339, 340, 341, 342, 343,
 344, 348
 جبل زكار 57
 جبل طارق . 75, 134, 162, 182, 187, 193,
 195, 204, 205, 282, 283, 291
 جمهورية البندقية 159
 جنوبية 183, 185, 189, 193, 194, 196, 205
 جيبل 30, 35, 42, 43, 102, 336
 دلس 42
 روسيا 141, 169, 204, 208, 209, 259, 276,
 281, 284
 سردينيا 126, 169, 219, 283
 سلا 35, 36, 163
 شرشال 42, 51, 56, 127
 شمال إفريقيا 29, 30, 31, 41, 42, 53, 55, 58,
 66, 68, 69, 70, 71, 72, 74, 75, 76,
 109, 146, 150, 227, 278, 286, 298,
 302, 304, 339
 صقلية 41, 169, 170, 185, 192, 205
 طرابلس .. 31, 58, 60, 110, 111, 170, 241,
 242, 277, 284, 337, 341, 343, 348
 غرناطة 67
 غرناطية 29
 فرطاسة 268

فرنسا 11, 16, 25, 27, 38, 44, 55, 58, 62,
 63, 76, 77, 79, 81, 92, 93, 98, 100,
 101, 102, 104, 105, 106, 108, 110,
 113, 117, 118, 120, 125, 128, 129,
 130, 145, 154, 158, 159, 162, 169,
 170, 185, 187, 196, 205, 208, 209,
 210, 213, 215, 220, 222, 227, 231,
 232, 233, 236, 237, 238, 257, 260,
 261, 266, 276, 278, 279, 281, 282,
 284, 285, 289, 290, 291, 292, 293,
 294, 295, 296, 297, 300, 327, 335,
 338, 343, 358, 365
 فلورانس 24
 فينا 27, 280, 366
 فيينا 276, 277, 279, 286, 348, 366
 قرطاجنة 31, 111, 132
 قسطنطينية 29
 قسنطينة ... 13, 29, 49, 60, 173, 229, 230,
 231, 233, 235, 236, 241, 242, 243,
 248, 250, 252, 253, 255, 256, 266,
 267, 287, 288, 303, 323, 336, 337,
 340, 342, 350, 351, 358
 كريت 47, 249
 كورسيكا 169, 179
 لاندلس 68
 لندن . 111, 277, 281, 282, 283, 284, 366
 ليفرون 21, 111, 237
 ماديرا 36
 مالطا 23, 32, 41, 88, 106, 123, 147, 159,
 169, 170, 185, 187, 191, 192, 206,
 214, 277, 278, 280, 300

- مدرید 111
- مرسیلیا, 77, 109, 110, 123, 124, 148, 228, 229, 232, 234, 238, 291
- معسكر 13, 247, 248, 268, 272, 322
- مليانة 1, 57, 334
- ميورقة 31
- نابولي, 88, 106, 159, 169, 170, 173, 179, 191, 192, 193, 194, 195, 196, 205, 206, 218
- نرويجية 193
- هولندا, 17, 48, 59, 76, 78, 80, 81, 88, 100, 101, 111, 113, 127, 152, 162, 169, 183, 186, 187, 188, 189, 190, 208, 213, 216, 224, 257, 258, 280, 309, 319, 357, 358
- واد الزهور 266
- وادي سوف 267
- وجنوة 24, 109
- وهران ., 13, 15, 129, 130, 131, 133, 145, 149, 150, 163, 166, 171, 172, 176, 179, 187, 188, 191, 192, 202, 206, 217, 227, 229, 232, 233, 240, 243, 244, 245, 247, 248, 250, 251, 261, 262, 263, 264, 268, 269, 270, 271, 272, 298, 303, 334, 335, 336, 347, 348, 350, 352

خامسا فهرس الأعلام

إبراهيم . 13, 22, 25, 27, 62, 70, 126, 211,
251, 316, 340, 343, 346, 357
أحمد 13, 14, 29, 48, 49, 51, 65, 69, 93,
108, 112, 128, 130, 131, 132, 134,
141, 142, 146, 150, 151, 158, 174,
187, 188, 189, 202, 203, 204, 238,
240, 246, 247, 250, 251, 252, 253,
254, 256, 264, 266, 267, 268, 270,
271, 273, 283, 284, 286, 287, 288,
335, 336, 344, 351
أحمد شريف الزهار . 48, 108, 112, 130, 132,
141, 142, 146, 150, 174, 204
أحمد عرب باشا 51
إسماعيل 15, 55, 59, 248, 336, 337
اكسموث . 7, 15, 100, 126, 142, 165, 169,
173, 174, 209, 210, 216, 223, 261,
273, 280, 281, 282, 283, 302, 325,
358, 366
الأحرش 112, 146, 266, 267, 273
البيير 14, 136, 140, 144, 150, 187, 197,
198, 204, 207, 209, 340
التجاني 270, 271, 272
التمقروتي 65, 67, 336, 347
الدانيمارك 129, 364
الدرقاوي 268, 269, 270, 271
الشريف 14, 48, 134, 141, 150, 202, 203,
204, 240, 246, 249, 251, 252, 256,
266, 267, 268, 269, 270, 271, 273,

283, 284, 286, 287, 288, 336, 341,
344
الكتروسي 247
المشرف 19, 247
المقراني 267
المقلش 269
الملكة اليزابيث 77
المنور مروش . 11, 12, 16, 24, 25, 26, 37,
44, 45, 47, 59, 61, 62, 63, 64, 70,
71, 74, 82, 85, 88, 89, 93, 94, 95,
96, 97, 112, 123, 125, 136, 137,
138, 140, 141, 142, 144, 147, 148,
150, 151, 155, 156, 163, 166, 172,
175, 176, 178, 179, 183, 185, 187,
188, 189, 190, 192, 193, 194, 195,
196, 197, 198, 203, 205, 206, 209,
211, 214, 217, 219, 220, 221, 228,
230, 232, 233, 239, 258, 275
المهدي 30, 31, 93, 95, 147, 235, 237,
247, 249, 264, 266, 270, 290, 294,
336, 341
النمساوية 208, 276
إنجليز 280, 287
أنديري . 59, 98, 147, 265, 286, 288, 292,
338, 339
أنديريه 155
انطونيو 79, 83, 130, 132, 155, 186
أوجان . 38, 44, 45, 60, 65, 66, 101, 130,
211, 213, 216, 218, 221, 258, 260,
277, 278, 282, 338
أوريلي 130, 131, 240

- ايدين رايس 31
برادي.....149
بروديل 23, 25, 28, 29, 32, 35, 37, 58, 71,
72, 75, 78, 83, 122, 338, 347
بكري 110, 111, 112, 236, 238, 291, 292,
294, 295, 355
بلانتيت 38, 44, 45, 60, 65, 66, 101, 211,
213, 216, 218, 221, 258, 260, 277,
278, 282, 338
بوشناق 111, 112, 236, 238, 293
بوصبع 14, 142
بومرزاق 271
بونابارت 237
تاليران 276, 292
تانفيل 292, 293
تروفيل 127, 128, 129, 364
تشاكر 267
تطوان 35, 194
توماس هيس 155, 184, 185
جورج كور 148
جوريان 285
جوزيف مورجان 156, 184
جون ب وولف . 32, 36, 38, 40, 43, 54, 56,
60, 66, 69, 71, 78, 83, 92, 94, 96,
110, 114, 115, 125, 128, 131, 132,
133, 145, 147, 148, 158, 162, 174,
176, 182, 184, 185, 186, 187, 188,
191, 203, 210, 213, 214, 215, 218,
223, 259
جيمس ... 46, 55, 70, 107, 126, 149, 205,
218, 222, 259, 280, 336
حسن 23, 26, 31, 35, 38, 39, 41, 53, 55,
60, 63, 68, 71, 72, 73, 76, 94, 111,
125, 128, 146, 151, 179, 207, 211,
216, 235, 237, 249, 250, 251, 261,
262, 264, 271, 272, 290, 316, 338,
342, 352, 357
حسن آغا 35
حسن فنزيانو 31, 60
حسين . 14, 94, 108, 128, 131, 192, 239,
285, 288, 289, 294, 295, 296, 312,
315, 324, 326, 335, 342, 357, 358
حمدان 57, 108, 111, 151, 232, 235, 236,
237, 241, 242, 252, 253, 256, 262,
263, 271, 273, 293, 295, 296, 336
حمودة 256, 266, 273, 286, 287
حميدو 134, 142, 150, 151, 164, 171,
172, 177, 199, 206, 207, 209, 223,
275, 288, 301, 339, 340
خير الدين .. 7, 27, 29, 30, 31, 34, 42, 43,
44, 49, 50, 51, 59, 60, 95, 335, 336,
342, 351
خير الدين بربروس 27, 50
دافيز 158, 160, 166, 185, 189, 190
دان 16, 28, 41, 43, 46, 72, 74, 75
دستري 127, 129, 364
دوفال 108, 150, 207, 209, 295, 296, 340
دوفو 138, 140, 141, 142, 144, 355
دوكين 127, 128, 158, 364
دولاكروا 292
دوماس لا تري 28
دوهاميل دو مونسو 118

- دي كيرسي 149.....
ديفور . 14, 136, 166, 183, 187, 197, 198, 199, 200, 332
ديكاتور..... 133, 134, 135, 209
رازالي..... 148
ريتشارد..... 111, 175
ريشيليو..... 117, 285
ريموند..... 155
سلفادور بونو 22
سميث..... 209, 277, 278
سيمون دانسر..... 73
شعبان 106, 165, 179, 186, 228, 239, 250, 253, 256, 320, 321, 331, 347, 358
صالح . 13, 43, 56, 60, 94, 95, 108, 235, 240, 264, 287, 303, 337, 342, 351
صالح رايس 60
عبد القادر .. 7, 15, 24, 28, 40, 41, 44, 45, 49, 52, 59, 63, 64, 176, 247, 253, 261, 265, 268, 269, 271, 288, 335, 336, 339, 340, 341, 342, 347, 350, 351
عبد الله... 22, 46, 65, 68, 175, 264, 267, 268, 270, 287, 336, 337, 342
عبد النور..... 267
عبد الوهاب..... 248, 250, 324, 342, 358
عثمان ... 15, 48, 57, 107, 108, 111, 128, 130, 131, 132, 141, 142, 144, 158, 164, 189, 202, 203, 205, 217, 223, 231, 232, 236, 237, 240, 241, 242, 248, 251, 252, 253, 256, 262, 263, 266, 269, 270, 271, 273, 293, 295, 296, 301, 303, 307, 320, 336, 342, 344, 357, 358
عرب أحمد..... 51, 60
عروج..... 30, 59
علج علي 34, 51, 52, 60, 72
علي 14, 16, 28, 29, 43, 48, 50, 51, 54, 55, 56, 60, 62, 65, 67, 72, 92, 94, 95, 101, 105, 106, 108, 133, 134, 135, 136, 142, 150, 187, 192, 204, 205, 207, 214, 222, 247, 248, 249, 251, 252, 254, 255, 260, 262, 271, 272, 276, 286, 288, 293, 316, 322, 336, 339, 340, 342, 347, 351, 357, 358
علي بنشين..... 62
عمر .. 1, 78, 79, 80, 81, 108, 111, 238, 240, 261, 269, 270, 271, 273, 280, 281, 288, 337, 342, 351
غرامون 45, 67, 117, 158, 251
فالير 123
فرديناندو 79
فريمانتل..... 285
فليب أوغست..... 24
فياتسيك ماخوفسكي..... 22
فيليب الثاني..... 80
كاسلريه 278, 281
كاعس 129
كردي 251
كريستي 155, 157, 158, 161, 166, 355
كسلفادور بونو 28

كورين شوفالييه..... 24, 25, 32, 49, 55
 كولبير 46, 117, 118, 123
 لوفاشي 128
 لويس الرابع عشر 13, 81, 117, 127, 154
 ماديسون 133
 محمد 13, 15, 16, 22, 31, 32, 42, 43, 44,
 46, 49, 53, 54, 57, 58, 59, 60, 61,
 63, 64, 65, 66, 67, 68, 72, 75, 78,
 92, 93, 94, 97, 100, 101, 110, 111,
 112, 124, 125, 128, 129, 130, 131,
 132, 139, 140, 141, 142, 144, 146,
 148, 149, 150, 154, 158, 163, 164,
 175, 182, 186, 187, 189, 196, 197,
 202, 203, 204, 205, 206, 217, 223,
 228, 229, 231, 234, 235, 236, 237,
 240, 241, 244, 245, 247, 248, 249,
 250, 252, 260, 263, 264, 266, 267,
 268, 269, 270, 271, 272, 273, 274,
 277, 278, 279, 280, 282, 286, 288,
 291, 292, 294, 296, 301, 303, 316,
 320, 334, 335, 336, 337, 338, 340,
 341, 342, 343, 344, 347, 348, 350,
 351, 352, 353, 355, 356, 357, 358

محمود 107, 108, 126, 241, 248, 253,
 270, 288, 339, 350
 محمود الثاني..... 107, 108, 288
 مراد . 4, 35, 45, 69, 71, 77, 98, 250, 343
 مراد الثالث 77
 مراد راييس 35, 71
 مصطفى ... 48, 112, 141, 146, 235, 236,
 237, 238, 247, 250, 254, 267, 268,
 269, 271, 287, 292, 293, 342
 مؤنس 265
 ميزومرتو 128, 154
 نابليون 115, 164, 165, 166, 206, 208,
 259, 260, 275, 276, 277, 279, 336
 ناصر الدين سعيدوني , 11, 12, 22, 30, 31, 34,
 46, 56, 68, 84, 93, 94, 95, 97, 100,
 112, 113, 122, 126, 130, 143, 147,
 206, 210, 211, 212, 216, 219, 221,
 222, 235, 237, 239, 240, 241, 242,
 244, 245, 249, 250, 251, 260, 261,
 262, 263, 264, 267, 270, 271, 277,
 290, 294, 337, 350
 هنري..... 79
 هيركولي 291
 يعقوب 110, 111, 291, 292, 294

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	الإهداء
	الشكر
	قائمة المختصرات
7	مقدمة
21	الفصل الأول: مداخل البحرية الجزائرية في الفترة 1587 - 1671م
21	المبحث الأول: السيادة المتوسطية والانطلاقة تجاه المحيط الأطلسي
21	5- تحول أهداف البحرية الجزائرية إلى تفعيل اقتصاد إيالة الجزائر
22	1-2 أعمال البحرية الجزائرية
24	1-1-1 خوض الحروب البحرية بترخيص من الدولة
26	1-1-2 علاقة الحوض الغربي للمتوسط والمحيط الأطلسي بلصوصية البحر
27	1-1-3 إصاق صفة اللصوصية بأعمال البحرية الجزائرية
29	2- دور العامل الديني في تأجيج الصراع بين صفتي البحر المتوسط
34	3- الانزلاق التدريجي نحو العامل الاقتصادي
35	3-3 تحول نشاط البحرية الجزائرية نحو المحيط الأطلسي
37	3-4 البحرية مؤسسة خاصة لها تأثير في السياسة الخارجية
37	3-2-1 تأثير البحرية الجزائرية في السياسة الخارجية
38	3-2-3 البحرية الجزائرية مؤسسة خاصة
42	المبحث الثاني: مظاهر تطور قوة البحرية الجزائرية
42	1- الأسطول البحري
48	2- صناعة السفن والأسلحة
49	1-2 صناعة السفن
53	2-2 صناعة الأسلحة
56	2-3 مستلزمات صناعة السفن والأسلحة
59	3- طائفة الرياس
60	1-3 قوة الرياس

63	3-3 إدارة طائفة الرياس وتأطيرها
63	1-2-3 ديوان الرياس
64	2-2-3 مجلس تسيير طاقم السفينة
65	4-3 انضباط و كفاءة طائفة الرياس
67	4- عوامل قوة ونشاط البحرية الجزائرية
67	4- 1 الوافدون من الشمال
67	4-1-1 الأندلسيون
69	4-1-2 العلوج والتقنية الحديثة
75	4-1-3 صراعات الدول الأوروبية (الصراع الديني والسياسي والتنافس التجاري)
82	المبحث الثالث: المداخل من غنائم بحرية وعائدات افتداء الأسرى
82	1- عائدات افتداء الأسرى
83	1-1 أعداد الأسرى
87	3- عائدات من غنائم البحر (السفن والسلع)
92	الفصل الثاني: أسباب تراجع مداخل البحرية 1671-1830م
92	المبحث الأول: أسباب متعلقة بالوضع القائم في الإيالة
92	1- التطورات السياسية للإيالة وتأثيرها على أعمال البحرية:
95	2- ملكية الدولة لوحات الأسطول
97	3- تقييد أعمال البحرية بقوة القانون
97	3-1 إبرام المعاهدات والاتفاقيات
103	3-5 جوازات السفر أو رخص المرور
109	4- دور اليهود وتأثيره في تراجع مداخل البحرية
112	المبحث الثاني : عوامل متعلقة بالدول الأوروبية
112	1- تطور البحريات الأوروبية
113	1-1 السباق البحري نحو امتلاك سفن بحرية قوية ذات جودة عالية وتسليح قوي
117	1-2 البحرية الفرنسية كنموذج للبحريات الأوروبية المتطورة

122	2- فرض التجارة الأوروبية في المتوسط وطرق حمايتها
125	3- هجوم الأساطيل العسكرية على مدينة الجزائر
127	3-1 الحملات الفرنسية
127	3-1-1 حملة الاميرال دوكين (1682-1684م) ومعاهدة تروفيل
129	3-3-3 حملة المارشال دستري
129	3-4 حملة الدانيمارك 1770م
130	3-3 الحملات الإسبانية
130	3-3-1 حملة أورولي (O'Reilly)
132	3-3-2 الحملة الإسبانية الثانية والثالثة 1783-1784م:
133	3-4 الهجوم الأمريكي على الإيالة 1815م
135	المبحث الثالث: عوامل متعلقة بالبحرية الجزائرية
135	3- تقلص وحدات الأسطول
144	4- نوعية السفن المستعملة واحتياجاتها
147	5- تقلص عالم الرياس المهرة
154	الفصل الثالث: مظاهر تراجع مداخل البحرية الجزائرية
154	المبحث الأول: الأسرى
154	2- أعداد الأسرى
154	1-1 الفترة 1671-1699م
159	1-4 الفترة 1700-1789م:
164	1-5 الفترة 1790-1816م
169	4- التوزيع الجغرافي للأسرى
173	5- فدية الأسرى
173	3-1 طرق افتداء الأسرى
175	3-4 أثمان الأسرى
179	3-3 الحقوق المالية أو التكاليف الملحقه (مستحقات البيلك والهدايا) بثمن الفدية
181	المبحث الثاني: الغنائم المتحصل عليها من الحملات البحرية

182	4- غنائم البحر في الفترة 1671-1699
187	5- الغنائم البحرية في الفترة 1700-1764م
188	2-1 الغنائم 1700-1729م
191	2-2 الغنائم 1730-1747م
193	2-4 الفترة 1748-1764م
197	6- غنائم البحر في الفترة 1765-1830م
202	3-1 الغنائم في الفترة 1765-1792
205	3-5 الغنائم في الفترة 1793-1815
209	3-3 الغنائم في الفترة 1816-1830
212	المبحث الثالث: الإتاوات والهدايا
212	3- الإتاوات
215	1-2 الدول التي لا تدفع إتاوات
216	1-3 الدول التي تدفع الاتاوة نقدا ومعدات حربية
220	2-الهدايا
221	2-1 أمثلة عن هدايا القناصل والمبعوثين الأجانب
221	2-1-1 هدايا القناصل
221	2-1-2 الهدايا الدبلوماسية
222	2-2 الهدايا الالزامية
226	الفصل الرابع انعكاسات تراجع مداخل البحرية على المستوى الداخلي والخارجي
226	المبحث الأول: السياسة المالية التي اتخذت من قبل السلطة لتدارك تراجع مداخل البحرية
226	2- التوجه نحو التجارة
227	1-1 تنصيب احتكار الفرنسيين لتجارة مع الجزائر
232	1-2 نماذج من عمليات تصدير الحبوب إلى أوروبا (فرنسا)
234	1-3 سياسة الاحتكار الممارسة من قبل الحكام
236	1-4 سيطرة اليهود على التجارة الخارجية
239	2- التوجه نحو التشديد في السياسة الضريبية داخليا

241	1-2 الضرائب الشرعية
241	1-1-2 العشور
242	2-1-2 الزكاة
243	2-2 الضرائب غير الشرعية (المستحدثة)
243	1-2-2 اللزمة
244	2-2-2 الغرامة
244	3-2-2 المعونة
245	4-2-2 الخطية
246	3-2 الضرائب المستخلصة من سكان المدن
246	4-2 المعفيون من الضرائب
249	3- التوجه نحو اتخاذ سياسة ضريبية (مداخل ضريبية)
249	1-3 التدخل الجزائري في الشأن التونسي وفرض الضرائب
256	2-3 فرض الإتاوات والجزية على الدول المتاجرة في البحر المتوسط
259	1-2-3 نظرة الدول الأوروبية وأمريكا للإتاوات المدفوعة للإيالة
261	المبحث الثاني: نتائج السياسة المالية المتخذة من قبل البايلك على المستوى الداخلي
262	4- تدخل السلطة في تعيين وعزل الموظفين والقياد وشيوخ القبائل
263	5- توتر العلاقة بين رجال الدين وشيوخ القبائل والسلطة الحاكمة
265	6- التمردات والثورات الشعبية
266	1-3 التمردات والثورات في الشرق الجزائري
268	2-3 التمردات والثورات في الجهات الغربية
273	المبحث الثالث: نتائج السياسة المالية المتخذة من قبل الحكام على المستوى الخارجي
274	2- إدراج أعمال البحرية الجزائرية ضمن المؤتمرات الدولية
274	1-2 أعمال البحرية الجزائرية في فترة التوتر الدولي والفرق بينها وبين القرصنة الأوروبية
276	2-1 أعمال البحرية الجزائرية ضمن مؤتمر فيينا (أكتوبر 1814 - جوان 1815)
280	1-2-1 تداعيات مؤتمر فيينا على إيالة الجزائر (حملة اللورد أكسموث)
281	1-2-2 اجتماع لندن 28 أوت 1816م:

282	1-2-3 الحملة الثانية 28 أوت 1816
284	1-3 مؤتمر اكس لاشبيل 30 سبتمبر 1818م
285	1-3-1 موقف الجزائر من قرارات مؤتمر اكس لاشبيل:
286	2- عودة الصراع وتوتر العلاقات بين الإيالة التونسية والجزائرية:
289	3 مسألة الديون وعلاقتها باحتلال الجزائر
289	1-3 مسألة الديون
289	1-1-3 بداية الديون
291	2-1-3 تجميد الديون
294	2-3 حادثة المروحة واحتلال الجزائر
300	الخاتمة
307	الملاحق
334	بيبلوغرافيا الدراسة
354	الفهارس العام
355	فهرس الجداول
356	فهرس الأشكال
357	فهرس الملاحق
359	الاعلام والأماكن
370	فهرس الموضوعات

ملخص الدراسة

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تتبع مسار تراجع مداخيل البحرية الجزائرية خلال فترة حكم الدايات، وإبراز أن هذا التراجع لم يكن بوتيرة منتظمة، بل كان مساره متذبذب بين الارتفاع والنزول، تبعاً لعوامل وأسباب كان لها دور كبير في رسم هذا المسار، لتكون السنة المحورية 1816م التي منها ستعرف مداخيل البحرية الجزائرية استمرارية التراجع إلى غاية سقوط الجزائر تحت السيطرة الفرنسية 1830م.

كما حاولت الدراسة الوقوف على السياسة المالية البديلة التي اتبعتها القائمين على سدة الحكم في إيالة الجزائر، من أجل تدارك ذلك التراجع، وما سينتج عنها من اضطرابات داخلية وتضرر خارجي، لتكون من الأسباب المباشرة في سقوط الإيالة الجزائرية.

ومن خلال الدراسة نقف على أن مداخيل البحرية الجزائرية كانت في كل مستوياتها سواء في العصر الذهبي للبحرية، أو طوال فترة تراجعها وتراجع مداخيلها هي المسؤول عن رسم السياسة المالية في إيالة الجزائر.

Abstract

This study aims to trace the course of the decline of the revenues of the Algerian Navy during the period of the rule of the Deyats, and to highlight that this decline was not at a regular pace, but rather its course was fluctuating between rise and fall, depending on the factors and causes that had a major role in drawing this course, to be the pivotal year 1816 AD, from which The revenues of the Algerian Navy will continue to decline until the fall of Algeria under French control in 1830 AD.

The study also attempted to identify the alternative financial policy pursued by those in power in the Algerian Eyalet, in order to remedy that decline, and the resulting internal unrest and external atrophy, to be one of the direct reasons for the fall of the Algerian Eyalet.

Through the study, we stand that the revenues of the Algerian Navy were at all levels, whether during the golden age of the Navy, or throughout the period of its decline and the decline of its revenues, which is responsible for drawing up the financial policy in the Eyalet of Algeria.